سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٦٧)

ما استقر عليه

من خلال مصنفات السيرة والتاريخ والانساب والتراجم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

٢-"العاديات إلّا بمقدار ما يسافر الفكر إلى اِرتياد العلل وطلب الأسباب، أمّا من عني بالبحث والتدقيق واستنتاج الحقائق بالتحقيق فإنه لا يكتفي بتلك المناظر ولا يهمّه الالتفات إلى مجرد الظواهر، ولا يدع مثل قلعة بعلبك تفلت من يده حتّى يدور نظره حولها مراراً ويعتصر فيها فكره اعتصاراً فينتفع من أجزائها وجملتها وعمدتها وفضلتها بمعرفة ما لا يمكن أن يعرف إلّا من طريقها، ومن ثمّ نورد هنا كلمة فيلسوف بحاث في حصن بعلبك وهياكله لا بقصد أن نفيد أن هذا هو منتهى ما وصلت إليه الأفكار وآخر ما **استقرّ عليه** الرأي أو أن نشير إلى القطع بشيء مخصوص في موضوع لا يزال إلى اليوم مطروحاً على بساط البحث والنظر أمام المفكرين من علماء الآثار والأخبار وغيرهم، وإنّما ذلك لأن هذه الكلمة الطيّبة في حدّ ذاتها خلاصة بحث واسع ونتيجة فكر سليم، قال ذلك الفيلسوف أن هذه الهياكل القائمة في معابد القدماء وحصونهم سواء الموجود منها في صعيد مصر وفي بلاد الشام تشير إلى ما كان عليه السريانيون والكلدانيون قبل الطوفان وبعده من غلوّهم في الوثنية وعبادة الأصنام وهي مع هذا تشير أيضاً إلى قوّة هؤلاء الناس وبأسهم في غابر الزمان واستعصائهم على الأنبياء والرسل بعد أن أرشدوهم إلى الحقّ وأوضحوا لهم سبل السعادة، ومن هؤلاء الرسل الكرام النبي إلياس عليه السلام كان قد طلب إلى قومه أن يتركوا عبادة الصنم بعل وأن يعبدوا الله عز وجل فعصوه واستمروا عاكفين على عبادة الصنم المذكور، قال تعالى: (أَتدعونَ بعلاً وَتَذرونَ أَحسنَ الخالقين الله ربّكم وربّ آبائِكم الأوّلين) وخوف أن يصيروا سدّاً بين نور الله والناس أغرقهم الله بالطوفان وأرسل عليهم العذاب الأليم في أزمان مختلفة، وتقادم عهد الزمان وآثارهم العظيمة لا تزال باقية تنادي عليهم بالويل والثبور وأنهم مع ما أوتوا من القوّة والبطش لم يعصموا أنفسهم من بأس الله إذ جاءهم فلئن كانوا أولي بأس وقوّة فالله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلا، ولّما كانوا ظاهرين في الأرض بالقوّة لاستحواذهم على ضعاف العقول وكان في ذلك من ضرر النوع الإنساني ما فيه أشار الله في كتابه على ذمّ صنمهم القائم في أرض الشام إبّان ظهور الدين الإسلامي فقال: أتدعون بعلاً. . (الآية). فالقرآن يشير إلى أن". (١)

٣-"تطبيق الإسلام كواقع عملي . فسارع إلى دفع الزكاة إليها وكذلك أخذ الزكاة من العطاء فيه تخفيف لتكاليف جباية الزكاة فزيادة الموارد مع قلة التكاليف أحدثت نمواً ملحوظاً في حصيلة الزكاة (١).

٢ . الجزية: ما يؤخذ من أهل الذمة، وهي ضريبة على الذمي المستوفي لشروطها مقابل الدفاع عنه، وكانت تمثل أحد الموارد الثابتة للدولة الأموية، عملاً بقوله تعالى: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)) (التوبة، الآية: ٢٩). وهي ثابتة في السنة لما قاله المغيرة بن شعبة لترجمان عامل كسرى: .. فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤتوا الجزية (٢). وهي ثابتة أيضاً بالإجماع (٣)، ولم يضف الأمويون شيئاً يذكر بالنسبة لتنظيم الجزية، ويمكن

---

(١) الرحلة الشامية ص/٩٤

القول بأن جبايتها خضعت لما **استقر عليه** تنظيمها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن حيث ضوابطها تمثلت في أربعة هي: تحديد الشريحة التي تؤخذ منها الجزية متمثلة في الذكور العقلاء البالغين (٤)، ثم تحديد الفئات المعفاة منها: وهم: الصبيان والنساء، المرضى المزمنون، العبيد، المجانين، العميان، الشيوخ، الرهبان الذين لا مورد لهم (٥)، وكذلك مراعاة مستوى دخل الممول يساراً وإعساراً، حيث كانت تفرض على الفرد الغني (٤٨) درهماً سنوياً، وعلى المتوسط (٢٤) درهماً سنوياً وعلى ما دون ذلك (١٢) درهماً سنوياً بشرط أن يكون ذا حرفة (٦)، وأما عن تصنيفها فيمكن تقسيم الجزية وفق المعيارين التاليين:

أ. معيار المسؤولية: وطبقاً له تنقسم الجزية إلى فردية وجماعية، فالجزية الفردية هي التي تفرض على كل ذمي مستوف لشروطها في صورة مبلغ محدد يسقط عنه حالة إسلامه، أما الجماعية أو المشتركة فكانت تتم بوضع مبلغ إجمالي معين على أهل القرية أو المدينة، ثم يتولون هم توزيعه بين أفرادهم، ومثالها من عهد النبي صلى الله عليه وسلم صلحه صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح على مائة دينار في كل رجب (٧)، وكان غالب الجزية في العصر الأموي من هذا النوع (٨).

ب . معيار النقدية والعينية: وطبقاً له انقسمت الجزية إلى ثلاثة أقسام: جزية نقدية، جزية عينية، جزية مشتركة، وكانت جميع أصناف الجزية معمولاً بها في العصر الأموي، ولم يوجد

---

(١) المصدر نفسه صـ٦٦.

(٢) فتح الباري (٦/ ٣١٧).

(٣) المغني، ك الجزية (١٠/ ٥٦٧).

(٤) التطور الاقتصادي في العصر الأموي صـ٦٦.

(٥) الأحكام السلطانية صـ١٤٤.

(٦) التطور الاقتصادي في العصر الأموي صـ٦٧.

(٧) فتوح البلدان للبلاذري صـ٧١.

(٨) التطور الاقتصادي في العصر الأموي صـ٦٧.". [1]

٤-"نزل قصر أبي مقاتل (١)، فخفق خفقة، ثم استرجع، وقال: رأيت كأن فارساً يُسايرنا، ويقول: القوم يسيرون، والمنايا تَسري إليهم (٢)، وقال بعض الناس أن الحسين رضي الله عنه بني خروجه على يزيد على رؤية رآها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأن رسول الله أمره بأمر وهو ماضٍ له (٣)، وقد اعتمد على الرؤى قوم في أخذهم الأحكام ويقول الشاطبي: وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: رأينا فلاناً الرجل الصالح، فقال لنا: أتركوا كذا واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ٢٥٤/١

النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي كذا وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلاَّ أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلاَّ وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفاده الأحكام فلا (٤).

وعليه فلا عصمة فيما يراه النائم، بل لا بد من عرضه على الشرع فإن وافقه فالحكم بما استقر، لأن الأحكام ليست موقوفة على ما يرى من المنامات، وإن خالف رد مهما كان حال الرائي أو المرئي، ويحكم على تلك الرؤيا بأنها حلم من الشيطان وأنها كاذبة وأضغاث أحلام (٥). ولكن يبقى أن يقال: ما فائدة الرؤيا الموافقة للشريعة، إذا كان الحكم بما **استقر عليه** الشرع (٦)؟. فائدتها التنبيه والبشرى كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة (٧)، فإن الرجل الصالح قد يرى في النوم ما يؤنسه أو يزعجه فيكون ذلك دافعاً له إلى فعل مطلوب أن ترك محظور (٨).

سادساً: أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتل الحسين رضي الله عنه:

عن أم سلمة قالت: كان جبريل عند النبي صلى اله عليه وسلم والحسين معي فبكى الحسين فتركته فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فدنى من النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: أتحبه يا محمد؟ فقال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها

---

(١) كان بين عين التمر والشام، معجم البلدان (٤/ ٣٦٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٨).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٢٩٧).

(٤) الاعتصام (١/ ٢٦٠) دراسة في الأهواء والفرق والبدع صـ٣٠١.

(٥) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٦٨٧).

(٦) المصدر نفسه (٢/ ٦٨٧).

(٧) البخاري رقم ٦٩٩٠.

(٨) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٦٨٧).". [1]

٥-"الفصل الثاني

رومة الكادحة

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ٥٢٠/١

كان الرحالة القديم، الذي يطوف برومة في عهد الأسرة الفلافية، إذا سار صعداً في نهر التيبر من أستيا متجهاً إلى الشمال، يشاهد من بادئ الأمر سرعة التيار المحمل بالغرين الذي يأتي به من التلال والوديان ويلقيه في البحر. وهذه الحقيقة البسيطة هي منشأ مأساة التحات البطيئة، والصعاب التي تعترض التجارة الصاعدة في النهر والمنحدرة فيه، وانطمار فن التيبر من حين إلى حين، والفيضانات التي كانت في كل ربيع تقريباً تطغى على أرض رومة المستوية، وتقصر المساكن على الطبقات العليا التي يصل إليها ساكنوها بالقوارب، وتتلف الحبوب المخزونة في الأهراء على أرصفة الميناء؛ فإذا انحسرت المياه جرفت معها المنازل ودمرتها وأهلكت الحرث والنسل (٢).

فإذا اقترب الزائر من المدينة استرعى نظره الحي التجاري الذي كان يمتد مدى ألف قدم محاذياً ضفة النهر الشرقية، وكان يعج بضجيج العمال والحوانيت والأسواق والسلع الرائحة والغادية. وكان يقوم من ورائه التل الأفنتي Aventine الذي "**استقر عليه**" العامة الغضاب حين غادروا رومة مضربين في عامي ٤٩٤ و٤٤٩ ق. م. وعلى ضفة النهر اليسرى في هذه البقعة كانت الحدائق التي أوصى بها قيصر للشعب، ومن ورائها الجانكيولم Janiculum. وكان بالقرب من الضفة الشرقية عند جسر إيماليوس الجميل سوق الماشية ومعبداه (القائمان إلى هذا الوقت) المقامان للحظ وإلهة الفجر. وإلى شمال هذه السوق على الضفة اليمنى يظهر تل بلتين وتل كبتلين المليئان بالقصور والهياكل. وقامت على الضفة اليسرى حدائق أجربا ومن". (١)

٦-"وفي ظل حكومة هذا تكوينها واصل العقل السويدي جهوده في مضمار التعليم والعلم والأدب والفن، فكانت جامعات أوبسالا Uppsala وأبو Abo ولوند Lund من بين أفضل الجامعات في أوربا؛ وكان جون جاكوب بيرزيليوس Jons Jakob Berzelius (١٧٧٩ - ١٨٤٨) أحد مؤسس الكيمياء المعاصرة؛ إذ استطاع بدراسته المتأنية الدقيقة لنحو ألفي مركب أن يصل إلى قائمة بالأوزان الذرية أكثر دقة بكثير من قائمة دالتون Dalton ولا تختلف إلا قليلا جدا من حيث دقتها عن القائمة التي **استقر عليها** العلم في سنة ١٩١٧؛ وعزل كثيرا من العناصر الكيميائية للمرة الأولى؛ وراجع نظام الرموز الكيميائية الذي وضعه لافوازيه Lavoisier وقام بدراسات كلاسيكية في الأثر الكيميائي للكهرباء وطور نظاما ثنائيا لدراسة عناصر في التفاعل الكيميائي كموجبة أو سالبة كهربيا؛ وأصبح كتابه الموجز الذي نشره في سنة ١٨٠٨ وتقريره السنوي Jahresbericht الذي بدأ صدوره سنة ١٨١٠ إنجيلا للكيميائيين طوال جيل؛

وكذلك كان في السويد كثير من الشعراء انقسموا إلى مدرستين شعريتين متنافستين: الفوسفوريون Phosphorists الذين ترجع تسميتهم بهذا الاسم إلى مجلتهم التي أصدروها بعنوان (الفسفوري Phosphorous) وكانوا متأثرين بالرومانسية الألمانية الوافدة وتحوي أشعارهم الكثير من العناصر الباطنية (الصوفية) أكثر من سواهم من الشعراء، والقوطيون (المدرسة

(١) قصة الحضارة ٢٥٣/١٠

الشعرية القوطية Gothics) الذين راحوا يعزفون في أشعارهم على أنغام البطولة". [1]

٧-"تؤتوا الجزية (١). وهي ثابتة أيضاً بالإجماع (٢)، ولم يضف الأمويون شيئاً يذكر بالنسبة لتنظيم الجزية، ويمكن القول بأن جبايتها خضعت لما **استقر عليه** تنظيمها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن حيث ضوابطها تمثلت في أربعة هي: تحديد الشريحة التي تؤخذ منها الجزية متمثلة في الذكور العقلاء البالغين (٣)، ثم تحديد الفئات المعفاة منها: وهم: الصبيان والنساء، المرضى المزمنون، العبيد، المجانين، العميان، الشيوخ، الرهبان الذين لا مورد لهم (٤)، وكذلك مراعاة مستوى دخل الممول يساراً وإعساراً، حيث كانت تفرض على الفرد الغني (٤٨) درهماً سنوياً، وعلى المتوسط (٢٤) درهماً سنوياً وعلى ما دون ذلك (١٢) درهماً سنوياً بشرط أن يكون ذا حرفة (٥)، وأما عن تصنيفها فيمكن تقسيم الجزية وفق المعيارين التاليين:

أ. معيار المسؤولية: وطبقاً له تنقسم الجزية إلى فردية وجماعية، فالجزية الفردية هي التي تفرض على كل ذمي مستوف لشروطها في صورة مبلغ محدد يسقط عنه حالة إسلامه، أما الجماعية أو المشتركة فكانت تتم بوضع مبلغ إجمالي معين على أهل القرية أو المدينة، ثم يتولون هم توزيعه بين أفرادهم، ومثالها من عهد النبي صلى الله عليه وسلم صلحه صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح على مائة دينار في كل رجب (٦)، وكان غالب الجزية في العصر الأموي من هذا النوع (٧).

ب . معيار النقدية والعينية: وطبقاً له انقسمت الجزية إلى ثلاثة أقسام: جزية نقدية، جزية عينية، جزية مشتركة، وكانت جميع أصناف الجزية معمولاً بها في العصر الأموي، ولم يوجد

ما يشير إلى الخروج عن ذلك، وخاصة وأن الشريعة الإسلامية تقتضي بالالتزام بعقود الصلح، والوفاء بها، لكن هذا لم يمنع من خروج بعض الولاة أحياناً عن الضوابط الشرعية (٨)، وبالنسبة لحجم غلة الجزية ونسبتها إلى إجمالي الإيراد الكلي للدولة فهذا مما يصعب تحديده، لكن هناك

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣١٧).

(٢) المغني، ك الجزية (١٠/ ٥٦٧).

(٣) التطور الاقتصادي في العصر الأموي صـ٦٦.

(٤) الأحكام السلطانية صـ١٤٤.

(٥) التطور الاقتصادي في العصر الأموي صـ٦٧.

(٦) فتوح البلدان للبلاذري صـ٧١.

(٧) التطور الاقتصادي في العصر الأموي صـ٦٧.

---

(١) قصة الحضارة ملحق/١٣٢١

(٨) المصدر نفسه صـ٦٨ ومن أراد التوسع فلينظر: تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي صـ٢٩٤.". [١]

٨-"- قاعدة: وأما مصالح الدنيا وأسبابها، ومفاسدها فمعروفة بالضرورات والتجارب والعادات والظنون المعتبرات، فإن خفي شيء من ذلك طلب من أدلته، ومن أراد أن يعرف المتناسبات والمصالح والمفاسد راجحها ومرجوحها، فليعرض ذلك على عقله بتقدير أن المسرع لم يرد به ثم يبني عليه الأحكام فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك، وبذلك تعرف حسن الأعمال وقبحها.

- الإمام والحكم: إذ أتلف شيئاً من النفوس أو الأموال في تصرفها للمصالح فإنه يجب على بيت المال دون الحاكم والإمام ودون عواقلهما لأنها لما تصرفا للمسلمين صار كأن المسلمين هم المتلفون ولأن ذلك يكثر في حقهما فيتضررون به ويتضرر عواقلهما ..

- ويرى ابن عبد السلام: أن من أمثلة الأفعال المشتملة على المصالح والمفاسد مع رجحان مصالحهما على مفاسدها؛ وجوب إجارة رسل الكفار مع كفرهم، لمصلحة ما يتعلق بالرسالة من المصالحة الخاصة والعامة، ولعل ابن عبد السلام يكون - بهذه القاعدة الأخيرة، قد أشار إلى مبدأ حصانة وحرمة السفراء والمبعوثين الدبلوماسيين وهو مبدأ **استقر عليه** القانون الدولي المعاصر (١).

هذه بعض الخطوط العريضة فيما يتعلق في جهد الشيخ عز الدين في تطوير قواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية.

---

(١) المصدر نفسه (١٣/ ٣٩١).". [٢]

٩-"ملك مسعود جرجان وطبرستان.

عليه الصلاة والسلام٤٢٦ رضي الله عنه شعبان ¤ ١٠٣٥ ١/٨

كان مسعود الغزنوي قد أقر دارا بن منوجهر بن قابوس على جرجان وطبرستان وتزوج أيضاً بابنة أبي كاليجار القوهي، مقدم جيش دارا، فلما سار إلى الهند منعوا ما كان **استقر عليهم** من المال، وراسلوا علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بالاجتماع على العصيان والمخالفة، وقوي عزمهم على ذلك ما بلغهم من خروج الغز بخراسان، فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز وهزمهم سار إلى جرجان فاستولى عليها وملكها، وسار إلى آمل طبرستان، وقد فارقها أصحابها، واجتمعوا بالغياض والأشجار الملتفة، الضيقة المدخل، الوعرة المسلك، فسار إليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل، ثم راسله دارا

---

(١) معاوية بن أبي سفيان ص/٢٨٥

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين ص/٦٣٩

وأبو كاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم، فأجابهم إلى ذلك، وحملوا من الأموال ما كان عليهم، وعاد إلى خراسان.

٢/٣". (١)

١٠-"و القول الثالث مفاده أن ابن خلدون لما تطرّق لكبار الأشاعرة الذين مهدوا الفكر الأشعري ، ذكر منهم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني (ت٤٧٨هـ) ، و قال إنه أملى في طريقة الأشعرية كتاب الشامل بتوسع ، ثم لخّصه في كتاب الإرشاد ، الذي اتخذه الناس إماما لعقائدهم(١) .

و قوله هذا غير صحيح على إطلاقه ، فإن فيه نقصا و جناية على الجويني ، لأن هذا الرجل كان يُؤوّل الصفات على طريقة الأشعرية في كتابه الإرشاد ، ثم غير موقفه من التأويل و تخلى عنه في كتابه الرسالة النظامية ، و أخذ بمذهب السلف ، فأثبت كل الصفات و حرّم التأويل ، و بيّن إجماع السلف على تحريمه ، و أنه ليس بجائز و لا بواجب(٢) . و عليه فليس من الحق و لا من العدل ، أن تُنسب لرجل أفكار تخلى عنها نهائيا ، و صنف في ردها كتابا معروفا ، لذا كان على ابن خلدون أن يُشير إلى ذلك صراحة ، و يُبيّن أن الذين اتخذوا كتابه الإرشاد منهاجا لهم في الأشعرية ، أن صاحبه قد تخلى عنه و لا يمثل أفكاره التي **استقر عليها** آخر عمره !! .

كما أن قوله-أي ابن خلدون- بأن الناس قد اتخذوا كتاب الإرشاد إماما لهم في عقائدهم ، هو قول فيه مبالغة ، فكان عليه أن يقول اتخذه الأشاعرة إماما لهم ، و لا يقل الناس مطلقا ، لأنهم لم يأخذوا كلهم بذلك الكتاب ، فقد كان للماتريدية مصنفاتهم ،و لأهل الحديث مؤلفاتهم أيضا .

و قوله الرابع مفاده أن ابن كلاب و أصحابه و الأشعري أثبتوا لله صفة الكلام و ظاهرها يُوهم النقص بالصوت و الحرف الجسمانيين ، ثم قال دفاعا عن ذلك : ((فقد وُجد للكلام عند العرب مدلول آخر غير الحروف و الصوت ، و هو ما يدور في الخلد –أي في الباطن- و الكلام حقيقة فيه دون الأول ، فأثبتوها لله تعالى و انتفى إيهام النقص))(٣) .

---

(١) المقدمة ، ص: ٣٦٨ .

(٢) الذهبي: السير ، ج ١٨ ص: ٤٧٣ ، ٤٧٤ . و ابن حجر : فتح الباري ، ج ١٣ ص: ٤٠٧ .

(٣) المقدمة ، ص: ٣٧٦ .". (٢)

١١-"- الإمام والحكم: إذ أتلف شيئاً من النفوس أو الأموال في تصرفها للمصالح فإنه يجب على بيت المال دون الحاكم والإمام ودون عواقلهما لأنها لما تصرفا للمسلمين صار كأن المسلمين هم المتلفون ولأن ذلك يكثر في حقهما فيتضررون به ويتضرر عواقلهما..

- ويرى ابن عبدالسلام: أن من أمثلة الأفعال المشتملة على المصالح والمفاسد مع رجحان مصالحهما على مفاسدها؛ وجوب

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية ٣٧٢/٣

(٢) أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة ص/٢٣٤

إجارة رسل الكفار مع كفرهم، لمصلحة ما يتعلق بالرسالة من المصالحة الخاصة والعامة، ولعل ابن عبدالسلام يكون — بهذه القاعدة الأخيرة، قد أشار إلى مبدأ حصانة وحرمة السفراء والمبعوثين الدبلوماسيين وهو مبدأ **استقر عليه** القانون الدولي المعاصر (١).

هذه بعض الخطوط العريضة فيما يتعلق في جهد الشيخ عز الدين في تطوير قواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية.

سادساً: أعماله في التدريس والإفتاء والقضاء والخطابة:

(١) المصدر نفسه (١٣/٣٩١).". [١]

١٢-" دمشق وضرب عليهم الجزية والخراج على اراضيهم وكذلك فعل ابو الاعور السلمي باهل طبرية سواء ما وقع بارض العراق آنذاك من القتال

وقد قدمنا ان المثنى بن حارثة لما سار خالد من العراق بمن صحبه الى الشام وقد قيل انه سار بتسعة آلاف وقيل بثلاثة آلاف وقيل بسبعمائة وقيل بأقل الا انهم صناديد جيش العراق

فأقام المثنى بمن بقي فاستقل عددهم وخاف من سطو الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ملوكهم وملكاتهم واستبطأ المثنى خبر الصديق فسار الى المدينة فوجد الصديق في السياق فاخبره بامر العراق فأوصى الصديق عمر ان يندب الناس لقتال اهل العراق فلما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء اصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال اهل العراق وحرضهم ورغبهم في الثواب على ذلك فلم يقم احد لان الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم وشدة قتالهم ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يقم احد وتكلم المثنى بن حارثة فاحسن واخبرهم بما فتح الله تعالى على يد خالد من معظم ارض العراق ومالهم هنالك من الاموال والاملاك والامتعة والزاد فلم يقم احد في اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان اول من انتدب من المسلمين ابو عبيدة بن مسعود الثقفي ثم تتابع الناس في الاجابة امر عمر طائفة من اهل المدينة وامر على الجميع ابا عبيد هذا ولم يكن صحابيا فقيل لعمر هلا امرت عليهم رجلا من الصحابة فقال انما اومر اول من استجاب انكم انما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين وان هذا هو الذي استجاب قبلكم ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا وامره ان يستشير اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وان يستشير سليط بن قيس فانه رجل باشر الحروب فسار المسلمون الى ارض العراق وهم سبعة الاف رجل وكتب عمر الى أبي عبيدة ان يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد الى العراق فجهز عشرة الاف عليهم هاشم ابن عتبة وارسل عمر جرير بن عبدالله البجلي في اربعة الاف الى العراق فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق اكثرهم في دجلة فلما وصل الناس الى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم وآخر ما **استقر عليه** امرهم ان ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعدما قتلوا التى كانت قبلها ازرميدخت وفوضت بوران امر الملك عشر سنين الى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاذ على ان يقوم بامر الحرب ثم يصير الملك الى

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين ٢/٨٩

آل كسرى فقبل ذلك وكان رستم هذا منجما يعرف النجوم وعلمها جيدا فقيل له ما حملك على هذا يعنون وانت تعلم ان هذا الامر لا يتم لك فقال الطمع وحب الشرف ". (١)

١٣-"الْمُسْلِمَيْنِ خَيْرًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَشِيرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يَسْتَشِيرَ سَلِيطَ بْنَ قَيْسٍ ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ بَاشَرَ الْحُرُوبَ، فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ، وَهُمْ سَبْعَةُ آلَافِ رَجُلٍ وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يُرْسِلَ مَنْ كَانَ بِالْعِرَاقِ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ، فَجَهَّزَ عَشَرَةَ آلَافٍ، عَلَيْهِمْ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ، وَأَرْسَلَ عُمَرُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِلَى الْعِرَاقِ فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَوَاقَعَ هِرْقْرَانَ الْمَدَارَ فَقَتَلَهُ وَانْهَزَمَ جَيْشُهُ، وَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ فِي دِجْلَةَ فَلَمَّا وَصَلَ النَّاسُ إِلَى الْعِرَاقِ وَجَدُوا الْفُرْسَ مُضْطَرِبِينَ فِي مُلْكِهِمْ، وَآخِرُ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** أَمْرُهُمْ أَنْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بُورَانَ بِنْتَ كِسْرَى بَعْدَمَا قَتَلُوا الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا آزَرْمِيدُخْتَ، وَفَوَّضَتْ بُورَانُ أَمْرَ الْمُلْكِ عَشْرَ سِنِينَ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: رُسْتُمُ بْنُ فَرُّخْزَاذَ. عَلَى أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ الْحَرْبِ، ثُمَّ يَصِيرُ الْمُلْكُ إِلَى آلِ كِسْرَى، فَقَبِلَ ذَلِكَ. وَكَانَ رُسْتُمُ هَذَا مُنَجِّمًا يَعْرِفُ النُّجُومَ وَعِلْمَهَا جَيِّدًا، فَقِيلَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ يَعْنُونَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ لَكَ، فَقَالَ: الطَّمَعُ وَحُبُّ الشَّرَفِ.

وَقْعَةُ النَّمَارِقِ.

بَعَثَ رُسْتُمُ أَمِيرًا يُقَالُ لَهُ: جَابَانُ. وَعَلَى مُجَنِّبَتَيْهِ رَجُلَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا:". (٢)

١٤-"وامترى لهن خلف شفاعته لشفا الغيمة وسعى وسعه ووسع سعيه وساق بأوساق هداياهن هدية وعرف السلطان أن لقصد الحرم حرمة وأن للمعتصمات بعزة عزة وعصمة وأنهن نسوة الامير والرئيس يسألن في كشف ما حزبهن من حربهن لحربهن بالتنفيس فأكرمن واحترمن ورحمن وما حرمن وبجلن وما أخجلن ولأجبن وما حجبن واعتبن وما أتعبن ووصلن بما فيه وصلن وشفعن فيما له شفعن وأعطين الامان على أنهم ان اقاموا توفرت عليهم الاملاك والاموال وان تحولوا سهل عليهم الانتقال ولم يسألن في البد لعلمهن أنه لا يخلى وانما سألن أنه لا تسلم المدينة إلى ان تفرغ من نفائس اعلاقهم وتخلى فأعطين الامان على انهم يخرجون بكل ما يقدرون عليه وتمتد ايديهم اليه مدة ثلاثة أيام بلياليها وأنا نعينهم بدوابنا وأصحابنا على إخراج جميع ما لهم فيها وعدن بما وعدن وما سعدن كيف ما اسعدن فانهن وان قربن أبعدن وان فزن بالافراج فقد حزن الاخراج وان شفعن في استتباب أمورهن لقد أضعن بخراب معمورهن وتوجعن بحجاب خدورهن واغتراب بدورهن واخلاء دورهن والاخلال عند سفورهن بستورهن فحادثهن صرف الحدثان بالانصراف وجاذبهن انحارف إلى الانحراف وهذه عادة الليالي العادية وقضية الاقدار القاضية في ارخاء الطول وانقضاء الدول وتصرم الأعمار وتصرف الاعصار وانقضاء الدول وانقراضها واعتراء النوب واعتراضها وانتهاء المدد بانتهابها والتهاء الكرب بالتهابها وايماء البوارق في ايماضها واغراء

---

(١) البداية والنهاية ٢٦/٧

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ٥٩٢/٩

البوائق باغراضها ووفاة النفوس على وفائها وانضواء الشموس في اضوائها وذهاب الليالي بحسراتها وارهاب الايام لسراتها وإيقاذ النواظر بشوك اقذائها وايقاظ النواضر بوشك اذوائها ومعاقبة الربيع بتعقب الخريف واعادة القوي إلى عادة الضعيف واحالة حال الحالي على العطل وإقالة العاثر باليأس من الامل وقد آن لابن نيسان زمان نسيان ذكره وان نبا وكره خراب بنيان وكره وانتهى الى سواه في الاستواء أمد آمده والزمن المزمن محا مده محامدة الدهر و الهر الخائن في أخوانه خانه والخطب الشائن في شأنه شانه والملوان ملا بتقريع اوانيه أوانه والجديدان جدا في جد جده فأسلبنا مكانه وامكانه ذكر ما **استقر عليه** الأمر في البلد وتسليمه وتستقيم ما اعتل فيه وتقسيمه

ولما استقر تسليم البلد بعد ثلاثة ايام وتقدم السلطان برد النساء باكرام واحترام

". (١)

١٥-"يلثغ في حروف يبدلها بغيرها. وقال أيضا في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين: ويوم الأربعاء تاسع عشرة حضر الفقيه رضي الدين ابن الشيخ شهاب الدين الغزي الشافعي بالكلاسة وحضرت أنا عنده والقاضي جمال الدين الباعوني وجمع من الفقهاء وكان قد سافر إلى مصر مع القاضي الونائي للشهادة على السراج الحمصي بما التمسه من مال البيمارستان فولاه القاضي كاتب السر بمصر كمال الدين البارزي تصديرا جدده له بالكلاسة ورتب له كل شهر مائة وخمسين درهما انتهى.

فائدتان : درس بها نيابة الشيخ علاء الدين الحبكي وقد مرت ترجمته في المدرسة الفلكية وجلس للتحديث بها شيخ الإسلام تقي الدين السبكي فقرا عليه الحافظ تقي الدين أبو الفتح السبكي جميع معجمه الذي خرج له الحافظ شهاب الدين بن أيبك الدمياطي وسمع عليه خلائق منهم الحافظان أبو الحجاج المزي وأبو عبد الله الذهبي وذكره في المعجم المختص وأطال فيه إلى أن قال: سمعت منه وسمع مني وحكم بالشام حمدت أحكامه فالله تعالى يؤيده ويسدده سمعنا معجمه بالكلاسة وقد مرت ترجمته في المدرسة الأتابكية.

تنبيه : الحلقة الكوثرية تجاه شبك الكلاسة تحت مئذنة العروس بالجامع الأموي وقفها الشهيد نور الدين على صبيان صغار وأيتام يقرءون في كل ليلة بعد العصر ثلاث مرات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ويهدون ثوابها للواقف ولهم على ذلك مرتب يتناولونه من ديوان السبع الكبير يعني السبع الذي هو بالجامع المذكور الذي ذكره وإن عدة من فيه يومئذ على ما **استقر عليه** الحال ثلاثمائة واربعة وخمسون نفرا والله سبحانه وتعالى أعلم.". (٢)

١٦-"وكان بصحن الجامع الأموي حواصل للمنجنيقات وحواصل للأمراء وغيرها من خيم وغيرها فأمر بإزالتها فاتسع الجامع وزاد رونقه وتطلب كتب وقفه وكانت قد أهمل النظر فيها وأجرى الوقوف على شروطها من واقفيها وإنما كان

(١) البرق الشامي ٩٣/٥

(٢) الدارس في تاريخ المدارس ٣٤٣/١

المتولي للنظر فيها يعمل بمقتضى ر أيه في منعه واعطائه فحملت إليه بعد ما شق على الباحث عنها وجودها فوجدها قد تمزق القديم منها وما كان وقفه الملك العادل نور الدين محمود ومن بعده من الملوك قد كادت كتبها أن تتلف فأمر بإحياء خطوطها وإثباتها عند سائر القضاة واجتهد فيها حسب ما اقتضته اراؤه السعيدة وأفعاله الرشيده وكذلك فعل في وقف البيمارستان الكبيرة وليس ذلك بمستنكر من خلائفه في إقامة منار الإسلام ورفع من خفضه البخوت على التخوت من العلماء الأعلام وكانت سائر الوقوف المرصدة على ما وقفت عليه مضافة إلى وقف الجامع الأموي وكانت لاتصرف في أربابها وإنما تصرف في مرتب الجامع فأفردها عنه وولاها من يصرفها على شروط من وقفها وأثبت كتبها كما فعل فيما عدها من الأوقاف الجامعية والبيمارستانية.

ويشتمل هذا الجامع في الوقت الذي وضعنا فيه هذا الكتاب على تسعة أئمة يصلون فيه الصلوات الخمس منهم:

الخطيب وإمام في مقصورة الحنفية.

وإمام في مقصورة الحنابلة.

وإمام في الكلاسة.

وإمام في مشهد زين العابدين علي.

وإمام في مشهد أبي بكر.

وإمام في مقصورة الكندي.

وفيه لاقراء القرآن في هذا الوقت ثلاثة وسبعون متصدرا يعسر تعدادهم.

وفيه من الأسباع المجرى عليها الأوقاف:

السبع الكبير وعدة من فيه على ما استقر عليه الحال الآن ثلاثمائة و أربعة". (١)

١٧–"٢ . الجزية: ما يؤخذ من أهل الذمة، وهي ضريبة على الذمي المستوفي لشروطها مقابل الدفاع عنه، وكانت تمثل أحد الموارد الثابتة للدولة الأموية، عملاً بقوله تعالى: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)) (التوبة ، الآية : ٢٩). وهي ثابتة في السنة لما قاله المغيرة بن شعبة لترجمان عامل كسرى:.. فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤتوا الجزية١٤٥٧. وهي ثابتة أيضاً بالإجماع١٤٥٨، ولم يضف الأمويون شيئاً يذكر بالنسبة لتنظيم الجزية، ويمكن القول بأن جبايتها خضعت لما استقر عليه تنظيمها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن حيث ضوابطها تمثلت في أربعة هي: تحديد الشريحة التي تؤخذ منها الجزية متمثلة في الذكور العقلاء البالغين١٤٥٩، ثم تحديد الفئات المعفاة منها: وهم: الصبيان والنساء، المرضى المزمنون، العبيد، المجانين، العميان، الشيوخ، الرهبان الذين لا مورد لهم١٤٦٠، وكذلك مراعاة مستوى دخل الممول يساراً وإعساراً، حيث كانت تفرض على الفرد الغني (٤٨) درهماً

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس ٢/٣١٥

سنوياً، وعلى المتوسط (٢٤) درهماً سنوياً وعلى ما دون ذلك (١٢) درهماً سنوياً بشرط أن يكون ذا حرفة١٤٦١، وأما عن تصنيفها فيمكن تقسيم الجزية وفق المعيارين التاليين:". (١)

١٨-"فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفاده الأحكام فلا٣٢٨٣. وعليه فلا عصمة فيما يراه النائم، بل لا بد من عرضه على الشرع فإن وافقه فالحكم بما استقر، لأن الأحكام ليست موقوفة على ما يرى من المنامات، وإن خالف رد مهما كان حال الرائي أو المرئي، ويحكم على تلك الرؤيا بأنها حلم من الشيطان وأنها كاذبة وأضغاث أحلام٣٢٨٤. ولكن يبقى أن يقال: ما فائدة الرؤيا الموافقة للشريعة، إذا كان الحكم بما **استقر عليه** الشرع٣٢٨٥؟. فائدتها التنبيه والبشرى كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة٣٢٨٦، فإن الرجل الصالح قد يرى في النوم ما يؤنسه أو يزعجه فيكون ذلك دافعاً له إلى فعل مطلوب أن ترك محظور٣٢٨٧.
سادساً : أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتل الحسين رضي الله عنه:
...عن أم سلمة قالت: كان جبريل عند النبي صلى اله عليه وسلم والحسين معي فبكى الحسين فتركته فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فدنى من النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: أتحبه يا محمد؟ فقال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها كربلاء٣٢٨٨، وقد وقع الأمر كذلك بعد مضي سنين طويلة، وهذه معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وأنه رسول الله حقاً وصدقاً، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عن طريق الوحي٣٢٨٩.
سابعاً : انتقام الله من قتلة الحسين رضي الله عنه:". (٢)

١٩-"ولم يَهْتَم المسلمون بموضع هذا المحراب اهتمامهم بموضع المحراب الذي **استقر عليه** الأمر أخيراً، ولم يجعلوا له علامة تدل عليه، وأقصى ما يمكن أن نستدل به على موضعه ما رواه ابن زبالة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (كانت قِبْلَة النبي - صلى الله عليه وسلم - الشام، وكان مصلاَّه الذي يصلِّي فيه بالناس إلى الشام في مسجده؛ أن تضع موضع الأسطوان المخلَّق اليوم خلف ظهرك، ثم تمشي إلى الشام، حتى إذا كنت يمنى باب آل عثمان كانت قِبْلَته ذلك الموضع) (١).
وعبَّر عنه المطري بقوله(٢): «حتى إذا كنت محاذياً باب عثمان المعروف بباب جبريل عليه السلام والباب عن منكبك الأيمن وأنت في صحن المسجد كانت قِبْلَته ذلك الموضع». وهذا التحديد تقريبي كما هو واضح.

---

(١) أخبار المدينة لابن زبالة ص ٨٦، وفاء الوفا ٢/٨٥.

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار ١/٣٥٠

(٢) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار ٢/٢٢٣

(٢) التعريف بما أَنْسَت الهجرة ص ٣٠.". (١)

٢٠-"وقد جزم المطري(١) أن المراد بالأسطوان المخلَّق في رواية أبي هريرة المتقدمة؛ هو أسطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها، واعتبر السمهودي قول ابن زبالة(٢): «إن النبي – صلى الله عليه وسلم – صلَّى إليها المكتوبة بضعة عشر يوماً بعد أن حُوِّلَت القِبْلَة، ثم تقدَّم إلى مصلاَّه الذي وجاه المحراب»؛ قرينة لما ذهب إليه المطري في تنزيل الوصف بالمخلَّقة في رواية أبي هريرة — المتقدمة — عليها، لكنه عاد فنقل عن العلماء ما يؤكِّد أن المراد بالأسطوان المخلَّق عند الإطلاق هو الذي بقرب المحراب الذي **استقرَّ عليه** النبي – صلى الله عليه وسلم – أخيراً، وصار علماً على المصلَّى الشريف، أما أسطوانة السيدة عائشة فإنها وإن كان يطلق عليها اسم المخلَّقة؛ إلا أن ذلك ليس عند الإطلاق، وقال السمهودي(٣): «لم أر ما سبق عن المطري من وصف أسطوانة عائشة بالمخلَّقة لغيره، وتبعه عليه مَنْ بَعْدَه حتى صار هو المشهور، والظاهر أن المخَلَّقة حيث أُطلِقت فإنما يراد بها التي هي عَلَمٌ على المصلَّى الشريف، فقد قال مالك: «أحب مواضع التنفل في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مصلاه؛ حيث العمود المخلق».

إلا أن كثيراً من الباحثين والمؤرخين(٤) حملوا الأسطوان المُخَلَّق في الرواية التي نقلها ابن زبالة عن أبي هريرة على أسطوانة السيدة عائشة؛ فجاء تحديدهم للمحراب الذي كان يصلِّي فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى بيت المقدس مخالفاً لما ذهب إليه السمهودي، وسوف يتضح عند الحديث على الأسطوانات أن ما ذهب إليه السمهودي(٥) — رحمه الله— فيه نظر والله أعلم.

(١) التعريف بما أَنْسَت الهجرة ص ٨٨.
(٢) أخبار المدينة ص ٨٦.
(٣) الخلاصة ٢/٣٥ — ٣٦.
(٤) منهم المطري في التعريف ص ٨٨، والمراغي في تحقيق النصرة ٩١ — ٩٢.
(٥) وتبعه في ذلك البرزنجي في نزهة الناظرين ص ١٤٣، والشنقيطي في الدر الثمين ص ٢٢.". (٢)

٢١-"وبعد أن صلَّى النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أسطوانة عائشة رضي الله عنها بضعة عشر يوماً، تقدَّم إلى مصلاَّه الأخير الذي **استقرَّ عليه**، والذي يقع بالقرب من الأسطوانة المعروفة بالمخلّقة، بينه وبين المنبر الشريف أربعة عشر ذراعاً وشبراً(١)، وبينه وبين جدار الحجرة الشريفة ثمانية وثلاثين ذراعاً(٢)، وبينه وبين جدار القِبْلَة ممر الشاة(٣). وهذا هو المحراب الثالث من محاريب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

ولم يكن لهذا المحراب في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – بناء يُميِّزه عن سائر أجزاء المسجد، وإنّما كان النبي – صلى

(١) الروضة الشريفة دراسة تاريخية توثيقية ص/٣
(٢) الروضة الشريفة دراسة تاريخية توثيقية ص/٤

الله عليه وسلم – يداوم الوقوف في هذا المكان يؤمُّ المسلمين حتى وفاته، ويجعل جدار المسجد النبوي سترة له(٤).

(١) أخبار المدينة لابن زبالة ص ٨٣، وفاء الوفا ٢/٩٣.

(٢) وفاء الوفا ٢/٩٤.

(٣) وفاء الوفا ٢/٩٩.

(٤) اختلفوا في مقدار المسافة التي كانت بين مقامه – صلى الله عليه وسلم – في الصلاة وبين الجدار، فقد روى البخاري في صحيحه١/١٨٨ عن سهل بن سعد قال: (كان بين مصلَّى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين الجدار ممرّ الشاة). قال ابن بطال: «هذا أقلّ ما يكون بين المصلِّي وسترته»، وقيل: أقلُّ ذلك ثلاثة أذرع لحديث بلال في الصحيح: (أن النَّبي – صلى الله عليه وسلم – صلَّى في الكعبة وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع)، وجمع الداوودي: بأن أقلّه ممر الشاة، وأكثره ثلاثة أذرع، وجمع بعضهم: بأن الأول في حال القيام والقعود، والثاني في حال الركوع والسجود، قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/٥٧٥. قال السمهودي: «ويلزمه التأخر عن موقفه الأول عندهما –كما قدمناه – وهو متعيّن؛ إذ لا يتأتى السجود في أقلّ من ثلاثة أذرع، ولهذا كان حريم المصلي الذي يكون بينه وبين سترته ثلاثة أذرع عندنا». وفاء الوفا ٢/١٠٠.". [1]

٢٢–"بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه عام ٥١١هـ بدأت المنازعات من جديد حول عرش السلطنة مما أحدث انقساماً كبيراً بين السلاجقة ويرجع السبب في هذه المنازعات إلى أن السلطان محمد قبيل وفاته أمر بإسناد السلطنة إلى ابنه محمود، الذي ارتقى عرش السلطنة بعد وفاة أبيه، وكان حينئذ في الرابعة عشرة من عمره، ووافق الخليفة العباسي المستظهر بالله " ٤٨٧ – ٥١٢هـ " على إقامة الخطبة للسلطان محمود ببغداد في يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من محرم سنة ٥١٢هـ ، ولكن عمه سنجر لم يرضى عن تولي ابن أخيه عرش السلطنة لئنه يعتبر نفسه أحق منه بالسلطنة بعد وفاة أخيه محمد، فأعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة فغير لقبه عن ناصر الدين إلى لقب معز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه وأدى ذلك إلى إنقسام الدول السلجوقية (١).واندلاع القتال بين سنجر وابن أخيه، وقد التقى محمود بعمه سنجر بالقرب من مدينة ساوة سنة ٥١٣هـ، واستعان سنجر في هذه المعركة بفرقة من الفيلة كانت السبب في انتصاره، على أن الصلح لم يلبث أن تم بين الفريقين وسار محمود إلى عمه سنجر فأكرمه وصفح عنه وسامحه عما بدر منه، وعامله معاملة حسنة وقبل شفاعته في آخرين واستقر الرأي على أن يبقى محمود بن محمد شهراً في خدمة عمه السلطان سنجر بالري وألا يدق له البوق (٢)، في حالة ركوبه أو نزوله، وأن يسير مترجلاً في ركاب عمه، وأن يترك كل ما يتعلق بشعائر السلطنة ورسومها (٣)وأطاع محمود عمه السلطان سنجر ونفذ ما **استقر عليه** الرأي بينهما، فقرر السلطان سنجر اختياره ولياً لعهده ونائباً عنه في العراق سنة ٥١٣هـ، وسمح السلطان سنجر له بأن يلقب بلقب سلطان؛ وبتلك يعتبر أول من جلس على عرش

(١) الروضة الشريفة دراسة تاريخية توثيقية ص/٦

سلطنة السلاجقة بالعراق هو السلطان محمود ابن محمد، وأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية خاضعاً وتابعاً لسلطنة السلطان الأعظم سنجر في خراسان،

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٠.

(٢) البوق : هي أداة مجوفة ينفخ فيها ويزمر.

(٣) دول الإسلام (٤١/٢)."[١]

٢٣-"الطور الثالث : مكث الأشعري زمناً على طريقة ابن كلاب يرد على المعتزلة وغيرهم من خلال ما اعتقده في هذه الطريقة ولكن الله تعالى مَنَّ عليه بالحق فنوَّر بصيرته وذلك بالرجوع التام إلى مذهب أهل السنة والجماعة، والتزام طريقتهم، وإتباع منهجهم وملكهم وكان هذا الذي أراد أن يلقى الله تعالى عليه، متبرئاً من المذاهب التي عاشها، وداعياً إلى طريقة السلف ومذهبهم، ومنتسباً إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهذا الطور نظراً لأهميته في المجال الاعتقادي فقد أثبتناه له — بعد توفيق الله بثلاثة وجوه : (١)

الوجه الأول : أقوال العلماء : لقد شهد كثير من العلماء والأئمة برجوع الأشعري الرجوع التام إلى مذهب السلف الصالح، وهؤلاء الأئمة ما قالوا هذه الشهادة إلا بعد أن سبروا حياته وعرفوا ما كان عليه وما **استقر عليه** ومن هؤلاء العلماء (٢).

شيخ الإسلام ابن تيمية (٣).

تلميذه الحافظ ابن القيم (٤).

الحافظ ابن كثير، وقد قال رحمه الله : ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال :

أولها : حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة .

الحال الثاني : إثبات الصفات العقلية السبع : وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.وتأويل الخبرية، كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

الحال الثالث : إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً (٥).

الشيخ نعمان الآلوسي (٦).

الشيخ أبو المعالي محمود الآلوسي (٧).

---

(١) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص ٤٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٧.

---

(١) السلاجقة ٢٣٨/١

(٣) الفتاوي (٦/٥٣).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١١٢.

(٥) إتحاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدي ص ٤٨.

(٦) جلاء العينين ص ٢١٣.

(٧) غاية الأماني في الرد على النبهاني (٢/٤٠٨).". [١]

٢٤-"الوجه الثالث : تأليفه كتاب الإبانة وإثباته له : إن آخّر الكتب التي ألفها الأشعري رحمه الله هو كتاب الإبانة وقد ذكر في هذا الكتاب انتسابه للإمام أحمد رحمه الله، والتزامه بعقيدة السلف الصالح، وإتباع أئمة الحديث، وذكر بعد هذا عقيدة السلف الصالح في أمور الدين، ولقد أثبت هذا الكتاب للأشعري جمع كثير من الأئمة، من المتقدمين والمتأخرين (١)، وأقرب العلماء زمناً. بزمن الأشعري هو ابن النديم ت ٣٨٥هـ فقد ذكر في كتابه الفهرست ترجمة للأشعري وذكر جملة من كتبه التي ألفها، ومنها كتاب " التبيين عن أصول الدين " وجاء بعده ابن عساكر وانتصر للأشعري، وأثبت له كتاب " الإبانة " ونقل منها كثيراً في كتابه التبيين " للإشادة بحسن عقيدة الأشعري قال ابن عساكر عن الأشعري : وتصانيفه بين أهل العلم مشهورة معروفة، بالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى " الإبانة عرف موضوعه من العلم والديانة (٢)ثم جاء ابن ورباس ت ٦٥٩هـ، وألف كتاباً في الذب عن الأشعري وأثبت له كتاب الإبانة. وقال : أما بعد .. فاعلموا معشر الإخوان وفقنا الله وإياكم للدين القويم وهدانا جميعاً للصراط المستقيم بأن كتاب " الإبانة عن أصول الديانة " الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي **استقر عليه** أمره فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال لِمَّن الله ولطفه، وكل مقالة تُنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها، وتبرأ إلى الله سبحانه منها، كيف وقد نّصَّ فيه على أنه ديانته التي يُدين الله سبحانه بها. وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين، وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسول، فهل يسوغ أن يُقال : أنه رجع إلى غيره؟

---

(١) كتب الشيخ حماد الأنصاري رسالة أثبت فيها رجوع الأشعري إلى مذهب السلف.

(٢) تبيين كذب المفترى ص ٢٨.". [٢]

٢٥-"ويرون التشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكر من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم

---

(١) السلاجقة ٤٩٣/١

(٢) السلاجقة ٤٩٦/١

الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير(١). هذه عقيدة الإمام الأشعري التي **استقر عليها** وصرح بها، وهي من الآثار التي تركها بعد وفاته وقد ساهمت بلا شك في توعية الأمة وتربيتها على أصول أهل السنة والجماعة سواء في المدارس النظامية في عهد السلاجقة أوفي عهد الزنكيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين وإلى يومنا هذا ومن الإنصاف العلمي القول بأن المذهب الأشعري لم يستقر على ما مات عليه الإمام أبو الحسن الأشعري بل حدث تطور في المذهب الأشعري بحيث أن أقوال الأشاعرة تعددت واختلفت في مسائل عديدة ومن أشهر الذين اجتهدوا وخالفوا أبا الحسن الأشعري، في بعض المسائل، أبي بكر الباقلاني وابن فورك وعبد القاهر البغدادي، والبيهقي والقشيري، والجويني والغزالي وغيرهم على درجات متفاوت بينهم في ذلك وقد قام الدكتور عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود بتتبع هذا التطور بنوع من التفصيل في كتابه القيم موقف ابن تيمية من الأشاعرة.

- وفاته : وكانت وفاته سنة ٣٢٤هـ ودفن ببغداد في مشروع الزوايا (٢)، ونودي على جنازته : اليوم مات ناصر السنة (٣).

خامساً : جهود الأشاعرة في الدفاع عن الكتاب والسنة :

كان للأشاعرة جهود الأشاعرة جهود مشكورة في الدفاع عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد أشار إلى هذه الجهود ابن تيمية في كتبه حيث :

---

(١) اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث شرح جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري وقرّره في مقالاته د. محمد عبد الرحمن الخميس ص ١١ إلى ١٧١ وقد قام الدكتور بشرح هذه الأصول.

(٢) وفيات الأعيان (٤١٢/١).

(٣) رجال الفكر والدعوة (١٥١/١).". [1]

٢٦-"فقد اطَّلعتُ على الرِّسالة الموسومة «النقد والبيان في دفع أوهام خزيران» لمؤلِّفيها الشيخين: محمد كامل القصَّاب، ومحمد عزّ الدين القسام، كما اطَّلعتُ قبل ذلك على رسالة الشيخ محمد صبحي خزيران الموسومة بـ«فصل الخطاب في الرد على الزنكلوني والقسام والقصاب، في مسألة رفع الصَّوت والصياح بالتَّهليل والتكبير وغيرهما في تشييع الجنائز، وهل هو من قبيل البدع المذمومة أو من قبيل المستحسن الجائز»، ورددتُ النَّظر في الردِّ وردِّ الردِّ من حيث الدَّليل والمدلول، وأمعنتُ الفِكرَ فيهما من حيث النَّقل والمنقول، والفروع والأصول، فكان الذي ظهر لي في الجواب وإنه -إن شاء الله- الحقُّ الذي لا يعدل عنه، والصَّواب: ما اعتمده القسَّامُ والقصَّاب، فهو المنهج الرابح، والمهيع النّاجح، والعمل الراجح، ألا وهو هدي السَّلف الصالح، فما شرعه الشارع(١) s، **واستقرَّ عليه** عمل صحبه والتَّابعِ، وتابع التابع، هو الذي ينبغي المسير عليه، والمصير إليه، والتَّمحلات في الأدلة، والمحاولات بالمقابلات بين المعلول والعلة، من غير ضرورة أكيدة داعية

---

(١) السلاجقة ١٥/٢

إليه، وحاجة شديدة حاملة عليه، مقاومة ومصادمة بالهدم لصروح صريح وصحيح النَّص، ومجاراة لتشييد وتأييد هوى النَّفس، فإنَّ العدول عن قول النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وفعله، وخلفائه الراشدين، والأئمة المجتهدين، إزراء بالشَّارع والشَّرع وإخلال، فماذا بعد الحق إلا الضَّلال؟!

---

(١) انظر ما علقناه (ص ١٤ وما بعد).". [1]

٢٧-"شهر ذي القعدة، أوله الأحد: فيه ركب السلطان للصيد.

وفي ثالثه: سار الأمير الكبير ألطنبغا القرمشي، والأمير طوغان أمير أخور للحج، على الرواحل.

وفي يوم الجمعة سادسه: خلع على زين الدين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن التفهني، واستقر في وظيفة قضاء القضاة الحنفية، عوضاً عن شمس الدين محمد بن الديري، المستقر في مشيخة الجامع المؤيدي. وكان له من حادي عشرين شوال قد انجمع عن الحكم بين الناس ونوابه تقضي.

وفيه عدى السلطان النيل، يريد سرحة البحيرة. وجعل نائب الغيبة الأمير أينال الأزعري.

وفي هذا الشهر: تزايد سعر الغلال، فبلغ القمح إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً الأردب، والشعير إلى مائتين وخمسين، والفول إلى مائتين وعشرة. وذلك أن فصل الخريف مضى ولم يقع مطر بالوجه البحري، فلم ينجب الزرع، وأتلفت الدودة كثيراً من البرسيم المزروع، حتى أنه تلف بها من ناحية طهرمس وقرية بجانبها ألف وستمائة فدان. وتلف بعض القمح أيضاً. هذا وقد شمل الخراب قرى أرض مصر. ومع ذلك فالأحوال متوقفة، والأسواق كاسدة، والمكاسب قليلة، والشكاية عامة، لا تكاد تجد أحداً إلا ويشكو سوء زمانه. وقد فشت الأمراض من الحميات، وبلغ عدد من يرد الديوان من الأموات نحو الثلاثين في اليوم. والظلم كثير، لا يتركه إلا من عجز عنه. والعمل بمعاصي الله مستمر. ولله عاقبة الأمور.

وفي هذا الشهر: قدم مهنا بن عيسى، وولي إمرة جرم، عوضاً عن علي بن أبي بكر بعد قتله. وعاد إلى أرضه. وكان لبسه من المخيم السلطاني.

شهر ذي الحجة، أوله الثلاثاء: أهل والسلطان بعسكره نازل على تروجة. وفيه منع صدر الدين بن العجمي محتسب القاهرة النساء من عبور الجامع الحاكمي والمرور فيه. وألزم الناس كافة ألا يمروا فيه بنعالهم، فامتثل ذلك، واستمره وتطهر المسجد – ولله الحمد – من قبائح كانت به بين النساء والرجال، ومن لعب الصبيان فيه، بحيث كان لا يشبه المساجد، فصانه الله بهذا ورفعه.

وفي خامسه: وردت هدية الأمير علي باك بن قرمان – نائب السلطنة بنكدة ولارندة ولؤلؤة. وقدم الخبر بقبض الأمير جقمق نائب الشام على نكباي الحاجب بدمشق، واعتقاله. وانتهى السلطان في مسيره إلى مريوط. وعاد فأدركه الأضحى بمنزلة الطرانة. وصلى به العيد وخطب ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر. وارتحل من الغد، فنزل منبابة بكرة الأحد

---

(١) السلفيون وقضية فلسطين في واقعنا المعاصر ص/٢٨١

ثالث عشره. وعدى النيل من الغد إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، وبات به. ودخل الحمام التي أنشأها كاتب السر إلى جانب داره، وهي بديعة الزي. ثم عاد في يوم الاثنين رابع عشره إلى القلعة، وخلع على الأمراء والمباشرين خلعهم على العادة.

وفي ثامن عشره: قرئ تقليد قاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني الحنفي بالجامع المؤيدي، على ما **استقر عليه** الحال. وحضر عنده القضاة والأعيان على العادة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره: صلى السلطان الجمعة بالجامع المؤيدي، وخطب به كاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزي، وصلى. ثم أكل طعاماً أعده له شيخ الشيوخ شمس الدين محمد الديري وركب إلى الصيد، وفي سابع عشرينه: وصل الأمير بكتمر السعدي، وقد قدم بالأمير شمس الدين محمد باك بن الأمير علاء الدين على باك بن قرمان، صاحب قيسارية وقونية ونكدة ولارندة، وغيرها من البلاد القرمانية، وهو مقيد، محتفظ به، فأنزل في دار الأمير مقبل الدوادار، ووكل به.

وفي هذا الشهر: زلزلت مدينة اصطنبول، وعدة مواضع هناك، حتى كثر اضطراب البحر، وتزايد تزايداً غير المعهود.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الأمير سيف الدين كزل الأرغون شاوي، نائب الكرك، بعدما عزل، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة بدمشق. فمات في خامس عشرين المحرم قبل توجهه من مرض طال به مدة.". (١)

٢٨-"وفي ثامن عشرينه: ختم على مطابخ السكر، وألزم من يدولب طبخ السكر ألا يتعرض أحد منهم لعمله، ومنعت باعة السكر وباعة الحلوى من شراء السكر إلا من سكر السلطان. وعمل لذلك ديوان، وأقيم له جماعة ليدولبوا السكر، فامتنع كل أحد من بيع السكر، إلا السلطان، ومن شراه إلا من سكر السلطان، فضاق الناس ذرعاً بذلك، وتضرر به جماعة عديدة.

شهر ذي الحجة، أوله الجمعة: في ثالثه: ركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان للسرحة في عدة من الأمراء حتى اصطاد، ودخل القاهرة من باب النصر، وصعد القلعة من باب زويلة. ومولده في سنة تسع عشرة. وركب أيضاً في سادسه.

وفي هذه الأيام: اشتد الفحص عن الأمير جانبك الصوفي، وعوقب بعض المماليك حتى هلك بسببه. وقبض على أصهاره وعوقب بعضهم، وأخذت له أشياء وجدت له. وفيها تحرك سعر الغلال، وفشت الأمراض في الناس من الحميات.

وفي ليلة السبت سادس عشره: زلزلت القاهرة زلزلة كلمح البصر، ثم زلزلت كذلك في ليلة الأحد.

وفي حادي عشرينه: ألزم الناس أن لا يتعاملوا بالذهب الإفرنتي المشخص، إلا من حساب كل دينار بمائتين وعشرين فلوساً، وكان آخر ما **استقر عليه** الحال أن الدينار بمائتين وخمسة وعشرين، فلم يتغير صرفه عن ذلك مدة إلى أثناء هذه السنة، زادت العامة في صرفه حتى بلغ مائتين وثلاثين، فأنكر السلطان ذلك عندما بلغه، ورسم أن ينقص كل دينار عشرة دراهم، حتى يبقي بمائتين وعشرين درهماً، فخسر الناس مالاً كثيراً.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/٢٣٧

وفي ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا برخاء الأسعار، وكثرة الأمطار، وأن الشريف حسن بن عجلان لم يقابل أمير الحاج ونزح عن مكة، لما بلغه من الإرجاف بمسكه، فنودي من يومه بعرض الأجناد البطالين، ليجهزوا إلى التجريدة بعد النفقة عليهم لغزو مكة، فاستشنع ذلك.

وفيه كبست عدة أماكن بسبب جانبك الصوفي فلم يوجد.

وفي هذه السنة: اشتد غضب متملك الحبشة وهو أبرم – ويقال له إسحاق بن داود بن سيف أركد – بسبب غلق كنيسة قمامة بالقدس، وقتل عامة من في بلاده من الرجال المسلمين، واسترق نساءهم وأولادهم، وعذبهم عذاباً شديداً، وهدم ما في مملكته من المساجد، وركب إلى بلاد جبرت فقاتلهم وقتل عامة من فيها، وسبى نساءهم وذراريهم، وهدم مساجدهم، فكانت في المسلمين ملحمة عظيمة جداً لا يحصى عدد من قتل فيها.

وفي هذه السنة: حدث أمر الناس في غفلة عنه معرضون، وهو أنه أخبرني من لا أتهم في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. أن الأرضية التي من طبعها إفساد الكتب والثياب الصوف، أكلت له بناحية مرج الزيات – ظاهر القاهرة – ألفا وخمسمائة قتة دريس وهذا الدريس يحمله خمسة عشر جملاً وأكثر. فكثر تعجبي من ذلك، وما زلت أفحص عنه على عادتي في الفحص عن أحوال العالم حتى وقفت على أن ضرر الأرضة تعدى بناحية مرج الزيات، فأتلفت الأخشاب والثياب عندهم، وقوى ضررها حتى شاهدت تلك الأعوام حوائط البساتين التي بناحية المطرية وقد جددت الأرضية فيها أخاديد طوالاً. ثم لما كان بعد سنة عشرين وثمانمائة كثر عبث الأرضة بالحسينية خارج القاهرة، حتى صارت أخشاب سقوف الدور ترى مجوفة من داخلها، فشرع أربابها في الهدم حتى أتوا على معظم تلك الديار، والأرضة ضررها يفحش، إلى أن وصلت الدور التي بباب النصر. وقد كثر ضررها أيضاً بالمدينة النبوية. وحدثت في هذه الأعوام بمكة أيضاً، وفي سقف الكعبة. ولقد مر بي قديماً في كتب الحدثان مما أنذر بوقوعه في هذا الزمان، أن يسلط على الناس الحيوان الرديء، فكنت أفكر في ذلك زماناً وأقول كيف يسلط الحيوان على الناس وأحسب ذلك من جملة ما رمزوه، حتى كان من أمر الأرضة ما كان، فعلمت أنها هي الحيوان المعني، ولعمري هذا أمر له ما بعده.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

تاج الدين فضل الله بن الرملي ناظر الدولة، في حادي عشرين صفر وباشر نظر الدولة عدة سنين، وأناف على الثمانين، وسئل بالوزارة غير مرة فامتنع. وكان من ظلمه الكتاب الأقباط وفساقهم.

وقتل ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح قاضي المدينة النبوية، ليلة السبت رابع عشرين صفر.

وقتل ناصر الدين محمد باك بن علي باك بن قرمان متملك بلاد قرمان في صفر بحجر مدفع أصابه في حرب مع عساكر مراد بن كرشجي متملك برصا. وقد ذكرنا قدومه أسيراً في الأيام المؤيدية شيخ ثم أفرج عنه بعد موته.". (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٧٧/٣

٢٩-"انقطعت دولة بني العباس من بغداد وأخرج الخليفة وحُمل إلى الأنبار وحبس بالحديثه، عند صاحبها مهارش بن مجلي العقيلي، فتولى خدمة الخليفة بنفسه وكان أحد وجوه بني عقيل وخطب لبني عبيد الفاطميين في بغداد أربعين جمعه في ولاية المستنصر وحاول البساسيري أخذ الخليفة العباسي وترحيله إلى مصر إلا أن قريشاً بن بدران تصدى لهذه المحاولة وعهد إلى ابن عمه الأمير محي الدين بن مهارش بالتحفظ عليه وتأمين حياته بعد أن استنجد به الخليفة قائلاً : عرفت ما **استقر عليه** العزم من إبعادي عنك واخراجي من يديك وما سلمت نفسي إليك إلا لما أعطيتني الذمام الذي يلزمك الوفاء به، وقد دخلت إليك ووجب لي ذمام عليك، فالله الله في نفسي، فمتى سلمتني أهلكتني وضيعتني ما ذلك معروف في العرب. وعلى الرغم من ذلك فلم يسمح البساسيري للخلفية القائم بأمر الله بالرحيل إلى الحديثة إلا بعد أن أرغمه على كتابة اعتراف بعدم أحقية بني العباس في الخلافة الإسلامية مع وجود بني فاطمة الزهراء عليها السلام – على حد زعمه – ولم يكتف البساسيري بذلك بل استولى على ثوب الخليفة وعمامته وأنفذها إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي.". (١)

٣٠-"إن هذه الوقائع والفظائع والكبائر– والتي لا ينبغي أن تفهم على أنها دفاع عن صدام وإلا فهو أحسن حالاً وأوفر حظاً في وقوفه أمام الوقاحة والابتزاز الأمريكي وتجاه الصلف والغطرسة الإسرائيلية من أولئك المتسترين بالدين– هذه الوقائع وأمثالها كثير، لا تصب إلا في دائرة الخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولا تعني إلا تقرير حقيقة أن ولاة أمور المسلمين هم الذين يعطون بسبب أفعالهم وولائهم لأهل الكفر الفرصة للشباب المتحمس لأن يتمرد، وأنهم لم يعودوا يصلحوا لحكم المسلمين لخيانتهم ولاتخاذهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بل وحقيقة أننا الذين نعذب أنفسنا بأنفسنا ونحن أولئك الذين يجعلون مصائرهم في أيدي أعداءهم .. كما لا تعني إلا معرفة كيف تهدر أموال المسلمين وتسخر على أيدي ولاة أمور سفهاء لقتل مسلمين ولتدمير مساجدهم، وكيف يلتقي النفاق ويتوافق مع ما يخطط له الكفر وكيف يصدر أهلاهما في تفكيرهما من مشكاة واحدة وتلتقي مساعيهما لتحقيق هدف واحد .. لا تعني هذه الوقائع إلا معرفة مغبة ما وقع فيه أولياء أمورنا ولا يزالون ومدى مخالفتهم وعلماء السوء الصريحة لنصوص القرآن والسنة ولما **استقر عليه** ساعتها وفيما بعد أمر العلماء العاملين في عدم جواز الاستعانة بالكفار بموجب ما نطق به وحيا المسلمين.". (٢)

٣١-"ألم تر إلى موقف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته فى أسرى بدر؟ لقد استشار أصحابه ما يصنع فيهم؟ فما حاول أحدهم أن يتعرف رأيه ليتملقه بتأييده، بل أدلى كل منهم بما يراه الحكم الصحيح فى القضية المعروضة وسار كل وفق طبيعته الخاصة. الحليم يعرض العفو، والحازم يعرض العقاب، ولا يعنينا أن نعرف هنا من أخطأ أو من أصاب. وفى السيرة شواهد شتى لما كان عليه السلف الأوائل من أصالة نظر، وحرية فكر، مع ما أثر عنهم من حب عميق لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما أخذ عليهم من مواثيق السمع والطاعة. ونحن نعرف أن بعض الناس لا يحسن التفكير العام، وقد تضم إلى ذلك أنه لو ترك لكل امرئ الحق فى مناقشة ما يكلف به لتسربت الفوضى إلى شئون الحكومات

---

(١) السيرة الزنكية ٢/٤١٤

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص/١٩٤

والشعوب. وهذا حق، ولكنه لا يصادم ما نحن بصدد تقريره، أن هناك فرائض لا يجوز خدشها ومحرمات لا تمكن استباحتها، وشئونا أخرى هى مجال للأخذ والرد وتفاوت التقدير. وهذه لا يملك البت فيها واحد برأسه، وإنما يرفع الخلاف فيها أصحاب الحل والعقد وأهل الشورى. فإذا مرت بمرتبة البحث والعرض، فلكل ذى رأى أن يظهره وأن يدافع عنه غير منكور ولا محقور. حتى إذا تمخض الدرس والنقد عن الرأى الذى **استقر عليه** الإجماع أو جنحت إليه الكثرة، لم يبق مكان لتردد أو ارتياب أو اعتراض. ص ــ٦٣٠". (١)

٣٢-"@ ١٢٩ @ لفعلت فلما حضر عنده ابن مقاتل قال له ابن رائق قد كان الحق معك وقد يئسنا من النوبختي فأكتب إلى البريدي ليرسل من ينوب عنه في وزارتي ففعل وكتب إلى البريدي بإنفاذ أحمد بن علي الكوفي لينوب عنه في وزارة ابن رائق فأنفذه فاستولى على الأمور وتمشي حال البريدي بذلك فإن النوبختي كان عارفا به لا يتمشى معه محاله # فلما استولى الكوفي وابن مقاتل شرعا في تضمين البصرة من أبي يوسف بن البريدي أخي أبي عبد الله فامتنع ابن رائق من ذلك فخدعاه إلى أن أجاب إليه وكان نائب ابن رائق بالبصرة محمد بن يزداد وقد أساء السيرة وظلم أهلها فلما ضمنها البريدي حضر عنده بالأهواز جماعة من أعيان أهلها فوعدهم ومناهم وذم ابن رائق عندهم بما كان يفعله ابن يزداد فدعوا له ثم أنفذ البريدي غلامه إقبالا في ألفي رجل وأمرهم بالمقام بحصن مهدي إلى أن يامرهم بما يفعلون فلما علم ابن يزداد بهم قامت قيامته من ذلك وعلم أن البريدي يريد التغلب على البصرة وإلا لو كان يريد التصرف في ضمانه لكان يكفيه عامل في جماعته وأمر البريدي بإسقاط بعض ما كان ابن يزداد يأخذه من أهل البصرة حتى اطمأنوا وقاتلوا معه عسكر ابن رائق ثم عطف عليهم فعمل بهم أعمالا تمنوا أيام ابن رائق وعدوها أعيادا $ ذكر ظهور الوحشة بين ابن رائق والبريدي والحرب بينهما $ # في هذه السنة أيضا ظهرت الوحشة بين ابن رائق والبريدي وكان لذلك عدة أسباب منها أن ابن رائق لما عاد من واسط إلى بغداد أمر بظهور من اختفى من الحجريين فظهروا فاستخدم منهم نحو الفي رجل وأمر الباقين بطلب الرزق أين أرادوا فخرجوا من بغداد واجتمعوا بطريق خراسان ثم ساروا إلى أبي عبد الله البريدي فأكرمهم وأحسن إليهم وذم ابن رائق وعابه وكتب إلى بغداد يعتذر عن قبولهم ويقول إنني خفتهم فلهذا قبلتهم وجعلهم طريقا إلى قطع ما **استقر عليه** من المال وذكر أنهم اتفقوا مع الجيش الذي عنده ومنعوه من حمل المال الذي **استقر عليه** فأنفذ إليه ابن رائق يلزمه بإبعاد الحجرية فاعتذر ولم يفعل # ومنها أن ابن رائق بلغه ما ذمه به ابن البريدي عند أهل البصرة فساءه ذلك وبلغه مقام إقبال في جيشه بحصن مهدي فعظم عليه واتهم الكوفي بمحاباة البريدي وأراد عزله فمنعه عنه أبو بكر محمد بن مقاتل وكان مقبول القول عند ابن رائق فأمر". (٢)

٣٣-"@ ٣٧٤ @ بالاستعانة به فأتاه بعض الأمراء الكبار وهو صاحب بست واسمه طغان مستعينا به مستنصرا وسبب ذلك انه خرج عليه امير يعرف ببابي تور فملك مدينة بست عليه واجلاه عنها بعد حرب شديدة فقصد سبكتكين

---

(١) الفساد السياسي ص/٥٥

(٢) الكامل في التاريخ ١٢٩/٧

مستنصرا به وضمن له مالا مقررا وطاعة يبذلها له فتجهز وسار معه حتى نزل على بست وخرج إليه بأبي تور فقاتله قتالا شديدا ثم إنهزم بأبي تور وتفرق هو وأصحابه وتسلم طغان البلد فلما استقر فيه طالبه سبكتكين بما **استقر عليه** من المال فاخذ في المطل فاغلظ له في القول لكثرة مطله فحمل طغان جهله على ان سل السيف فضرب يد سبكتكين فجرحها فاخذ سبكتكين السيف وضربه أيضا فجرحه وحجز العسكر بينهما وقامت الحرب على ساق فانهزم طغان واستولى سبكتكين على بست ثم إنه سار إلى قصدار وكان متوليها قد عصي عليه لصعوبة مسالكها وحصانتها وظن ان ذلك يمنعه فسار إليه جريدة مجدا فلم يشعر إلا والخيل معه فاخذ من داره ثم إنه من عليه ورده إلى ولايته وقرر عليه مالا يحمله إليه كل سنة $ ذكر مسير الهند إلى بلاد الاسلام وما كان منهم مع سبكتكين $ # لما فرغ سبكتكين من بست وقصدار غزا الهند فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال وعاد سالما ظافرا ولما راة جيبال ملك الهند ما دهاه وان بلاده تملك من اطرافها اخذه ما قدم وحدث فحشد وجمع واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين وقد باض الشبطان في رأسه وفرخ فسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره وخلق كثير من المتطوعة فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجسا ولا قذرا واذا القى فيها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثثر الرعد والبرق والأمطار ولا تزال كذلك إلى ان تطهر من الذي القي فيها فأمر سبكتكين بالقاء نجاسة في تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهنود لانهم راوا ما لم يروا مثله وتوالت عليهم الصواعق والأمطار واشتد البرد حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسلموا لشدة ما عاينوه وأرسل ملك الهند إلى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل فأجابهم إليه بعد امتناع من ولده محمود على مال يؤدسه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها إليه فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد وسير معه". (١)

٣٤-"@ ٣٢ @ $ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة $ $ ذكر عود مهذب الدولة إلى البطيحة $ # قد ذكرنا إنهزام عميد الجيوش من أبي العباس بن واصل فلما انهزم أقام بواسط وجمع العساكر عازما على العود إلى البطائح وكان أبو العباس قد ترك بها نائبا له فلم يتمكن من المقام بها ففارقها إلى صحابه # فأرسل عميد الجيوش إليها نائبا من أهل البطائح فعسف الناس وأخذ الأموال ولم يلتفت إلى عميد الجيوش # فأرسل إلى بغداد وأحضر مهذب الدولة وسير معه العساكر في السفن إلى البطيحة فلما وصلها لقيه أهل البلاد # وسروا بقدومه وسلموا إليه جميع الولايات **واستقر عليه** لبهاء الدولة كل سنة خمسون ألف دينار ولم يعرض إليه ابن واصل فاشتغل عنه بالتجهيز خوزستان وحفر نهرا إلى جانب النهر العضدي بين البصرة والأهواز وكثير ماؤه وكان قد اجتمع عنده كثير من الديلم وأنواع الجناد # ولما كثر ماله وذخائره وما استولى عليه من البطيحة فقوي طمعه في الملك وسار هو وعسكره إلى الأهواز في ذي القعدة فجهز إليه بهاء الدولة جيشا في الماء فالتقوا بنهر السدرة فاقتتلوا # وخاتلهم أبو العباس وسار إلى الأهواز وتبعه من كان قد لقيه من العسكر # فالتقوا بظاهر الأهواز وانضاف إلى عسكر بهاء الدولة العساكر التي بالأهواز # فاستظهر أبو العباس عليهم

---

(١) الكامل في التاريخ ٣٧٤/٧

ورحل بهاء الدولة إلى قنطرة أربق عازما على المسير إلى فارس ودخل أبو العباس إلى دار المملكة وأخذ ما فيها من الأمتعة والأثاث المتخلف عن بهاء الدولة إلا أنه لم يمكنه المقام لأن بهاء الدولة كان قد جهز عسكرا ليسير في البحر إلى البصرة فخاف أبو العباس من ذلك وراسل بهاء الدولة وصالحه وزاد في أقطاعه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد إلى البصرة وحمل معه كل ما أخذ في دار بهاء الدولة ودور الأكابر و القواد والتجار". (١)

٣٥-"@ ٢١٦ @ جمع كثير من عساكره الذين سلموا فلم يكن لذلك الملك قدرة على منعه وطلب منه سفنا ليعبر نهر السند فأحضر له السفن وكان في وسط النهر جزيرة ظنها أحمد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر ولم يعلموا أن الماء محيط بها فتقدم ملك الهند إلى أصحاب السفن بإنزالهم في الجزيرة والعود عنهم ففعلوا ذلك وبقي أحمد ومن معه فيها وليس معه طعام إلا ما معهم فبقوا بها تسعة أيام ففني زادهم وأكلوا دوابهم وضعفت قواهم فأرادوا خوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدة الوحل فيه فعبر الهند إليهم عسكر في السفن وهم على تلك الحال فأوقعوا بهم وقتلوا أكثرهم وأخذوا ولدا لأحمد أسيرا فلما رآه أحمد على تلك الحال قتل نفسه واستوعب أصحابه القتل والأسر والغرق $ ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان $ # كان الملك مسعود قد أقر دارا بن منوجهر بن قابوس على جرجان وطبرستان وتزوج أيضا بابنة أبي كاليجار القوهي مقدم جيش دارا والقيم بتدبير أمره استمالة فلما سار إلى الهند منعوا ما كان **استقر عليهم** من المال وراسلوا علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بالاجماع على العصيان والمخالفة وقوى عزمهم على ذلك ما بلغهم من خروج الغز بخراسان فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز وهزمهم سار إلى جرجان فاستولى عليها وملكها وسار إلى آمل طبرستان وقد فارقها أصحابها واجتمعوا بالغياض والأشجار الملتفة الضيقة المدخل الوعرة المسلك فسار إليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل ثم راسله دارا وأبو كاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم فأجابهم إلى ذلك وحملوا من الأموال ما كان عليهم وعاد إلى خراسان $ ذكر ميسر ابن وثاب والروم إلى بلد ابن مروان $ # فيها جمع ابن وثاب النميري جمعا كثيرا من العرب وغيرهم واستنجد من بالرها من الروم فسار معه منهم جيش كثيف وقصد بلد نصر الدولة بن مروان ونهب وأخرب فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمد قرواشا وغيره وأتته الجنود من كل ناحية فلما رأى ابن وثاب ذلك وأنه لا يتم له غرض عاد عن بلاده وأرسل ابن مروان إلى ملك الروم يعاتبه على نقض". (٢)

٣٦-"@ ١٥٦ @ ليحضر عند صلاح الدين في هذا الأمر وتحريره فأجيب إلى ذلك وحضر عنده ورغب في الأمان وسأل فيه فلم يجبه إلى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلما أيس من ذلك قال له أيها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ظنا منهم أنك تجيبهم إليه كما اجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فإذا رأينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وامتعتنا ولا نتركم تغنمون منها دينارا واحدا ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة وإذا فرغنا من ذلك اخربنا

---

(١) الكامل في التاريخ ٣٢/٨

(٢) الكامل في التاريخ ٢١٦/٨

الصخرة والمسجد الأقصى وغيرهما من الموضع ثم نقتل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف اسير ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا الا قتلناه ثم خرجنا إليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله ونموت أعزاء او نظفر كراما # فاستشار صلاح الدين أصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدرى عاقبة الأمر فيه عن أي شيء تنجلي ونحسب انهم اسارى بأيدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم فأجاب صلاح الدين حينئذ إلى بذل الامان للفرنج فاستقر أن يؤخذ من الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين وتزن المرأة خمسة دنانير فمن أدى ذلك إلى أربعين يوما فقد نجا ومن انقضت الأربعون يوما عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكا فبذل باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين ألف دينار فأجيب الى ذلك وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفعت الأعلام الإسلامية على أسواره ورتب صلاح الدين على ابواب البلد في كل باب أمينا من الأمراء ليأخذوا من أهله ما **استقر عليهم** فاستعلموا الخيانة ولم يؤدوا فيه أمانة واقتسم الأمناء الأموال وتفرقت أيدي سبا ولو أديت فيه الأمانة لملأ الخزائن وعم الناس فإنه كان فيه على الضبط ستون ألف رجل ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان ولا يعجب السامع من ذلك فإن البلد كبير واجتمع اليه من تلك النواحي من عسقلان وغيرها والداروم والرملة وغزة وغيرها من القرى بحيث امتلأت الطرق والكنائس وكان الإنسان لا يقدر أن يمشي ومن الدليل على كثرة الخلق أن اكثرهم". (١)

٣٧-"مراراً، وشهدت له أحوالاً شريفة، ورأيت في عمري أربعة ما رأيت أنور منهم إذا وقعت الأبصار عليهم شهدت البصائر بنظر الله إليهم أجلهم والدي، والشيخ محمد الصمادي والشيخ محمد اليتيم العاتكي، ورجل رأيته بمكة المشرفة داخلاً إلى حجرة تجاه الكعبة المعظمة له شيبة نيرة، وعليه كسوة الصوفية حواليه الشباب في صور الترك يخدمونه، فلما وقع بصري عليه بادرت إلى يده فصافحته، وقبلت يده فقال لي: ما حاجتك. فقلت: الدعاء، فدعا بأدعية مأثورة بفصاحة، وبلاغة، وحسن توجه بعد أن استقبل الكعبة وأطال في الدعاء، بحيث كان كلما انتهى من دعاء طلبت منه في سري أن يدعو بدعاء آخر عين المقصود منه في نفسي فما يتم، الخاطر حتى يشرع في الدعاء بعينه، وهكذا ثم ختم دعائه، ومسح بيديه على وجهه فقلت له: يا سيدي لا تنسنى من الدعاء فقال لي: وأنت كذلك لا تنسني من الدعاء، ثم فارقته، وعزمت في نفسي، ألا أجالس أحداً بمكة في مدة إقامة الحاج بها غيره، وكان اجتماعي به قبل عرفة، فلما رجعنا من عرفة التمسته في تلك الحجرة، فلم أره وسألت عنه ساكن تلك الحجرة فقال لي: ما رأيت رجلاً قط بالصنعة التي ذكرت، ولا دخل هذا المذكور هذه الحجرة أصلاً، فعلمت أنه من رجال الله تعالى، بل المترجح عندي أنه قطب ذلك الوقت، وغوث ذلك الزمان، واجتمعت بجماعة من رجال الله تعالى ولله الحمد لكني ما رأيت أفضل من هؤلاء الأربعة، ولا أكثر بركة وإفاضة للخير على جلسائهم منهم، وكان مقدم اجتماعي بهذا الرجل الكامل في سابع ذي الحجة الحرام سنة إحدى بعد الألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الشيخ محمد الصمادي رحمه الله تعالى معتقداً للخواص، والعوام خصوصاً حكام دمشق،

---

(١) الكامل في التاريخ ١٠/١٥٦

والواردين إليها من الدولة، وكانوا يقصدونه في زاويته للتبرك به، وطلب الدعاء منه، وطلب منه مصطفى باشا أن يكتب له في محضره الذي شهدت فيه أهل دمشق باستقامته، فأبى أن يكتب له فيه، وكان في ذلك الوقت موافقاً لشيخ الإسلام الوالد، فإن مصطفى باشا قصد الوالد في بيته، وطلب أن يكتب له على محضره فقال له: ما علمت من حالك شيئاً، وأنا منزو في هذه الخلوة عن خلوته الحلبية ما أعرف من أحوالك شيئاً فقال له: يا سيدي ادع الله لي إذا لم تكتب لي فقال له: ألهمك الله العدل ألهمك الله العدل، لم يزده على هذه الدعوة شيئاً، فلما رجع مصطفى باشا إلى الروم قيل له: من وجدت في الشام. قال: ما وجدت فيها غير رجلين الشيخ بدر الدين الغزي، والشيخ محمد الصمادي، وذكره ابن الحنبلي في تاريخه، وقال: أنه قدم حلب مرتين ثانيتهما سنة أربع وستين، ونزل بزاوية ابن المحتسب بالقرب من سويقة الحجار قادماً من الباب العالي منعماً عليه قال: وزرناه فإذا هو ذو استحضار لمناقب أجداده، وما لهم من الكرامات حسن السمت، لطيف العشرة قال: وذكر لي أن مسلماً جده ينتسب إلى سعيد بن جبير وأخرج لي: طبلاً من نحاس أصفر، وأخبر أنه الذي كان مع مسلم في فتح عكا انتهى.

قلت: وفي ذكره كذلك تلميح إلى خلاف ما **استقر عليه** الحال لأن من ثبوت نسب الصمادية في سادات الأشراف على عادة ابن الحنبلي، في التنكيت في تاريخه، ويمكن الجمع بين ما ذكره وما ذكرناه فان نسبة الشيخ مسلم جد الصمادية إلى جبير من قبل الأم. وأما المرة الأولى التي قدم فيها أبو مسلم حلب، فهي لما كان في صحبة والده ذاهباً أو راجعاً من الروم أيضاً، وفي تلك القدمة الأولى أنعم السلطان سليمان على الصمادية بمرتب على قرية كناكر من قرى وادي العجم من أعمال دمشق قدره في كل سنة ثمانون غرارة من الحنطة منها أربعون لزاويتهم، وفقرائها، ووردها، ومنها أربعون لذرية الشيخ محمد والد أبي مسلم، وهي باقية بأيديهم إلى الآن. وذكر ابن الحنبلي أن أبا مسلم لوح لهم في قدمته الأخيرة إلى حلب أنه عوقب بالروم لسر أفشاه عند إنكار المنكرين بإسهال دموي أشرف منه على الهلاك، فأري في منامه إنساناً يشبه أن يكون من أجداده، فوضع يده على وجهه قائلاً بسم الله الكافي بسم الله الشافي بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء، فلما كانت صبيحة تلك الليلة شفي – بإذن الله تعالى، انتهى.". (١)

٣٨-"في هذه السنة توفي أبو عامر محمد، الملقب بالمنصور، أمير الأندلس، وكان قد عظم شأنه، وأكثر الغزوات، وضبط البلاد، وكانت ولايته في سنة ست وستين وثلاثمائة حسبما ذكرناه هناك، فكانت مدة ولايته نحواً من سبع وعشرين سنة، ولم يكن للمؤيد خليفة الأندلس معه من الأمر شيء، ولما توفي المنصور بن أبي عامر المذكور، تولى بعده ابنه أبو مروان عبد الملك بن المنصور المذكور، وتلقب بالمظفر وجرى في الغزو وسياسة الملك عن هشام المؤيد، على قاعدة أبيه، وبقي عبد الملك المذكور في الولاية سبع سنين، فتكون وفاته في سنة أربعمائة.

ولما توفي عبد الملك المظفر المذكور، قام بالأمر بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر المذكور، وتلقب عبد الرحمن المذكور بالناصر، فخلط ولم يزل مضطرب الأمور مدة أربعة أشهر، فخرج على المؤيد، ابن عمه محمد بن هشام على ما

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ص/٣٦٠

سنذكره إن شاء الله تعالى، فخلع هشام وقُتل عبد الرحمن المذكور وصُلب.

وفي هذه السنة كثرت العيارون والمفسدون والفتن ببغداد. وفيها استعمل الحاكم العلوي صاحب مصر والشام على دمشق، أبا محمد الأسود، ولما استقر في قصر الإمارة بدمشق وحكم، أشْهَر إنساناً مغربياً ونادى عليه، هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم أخرجه من دمشق.

وفيها توفي ببغداد عثمان بن جني النحوي الموصلي، مصنف اللمع وغيره، ومولده سنة اثنتين وثلاثمائة وفيها توفي القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني بالري، وكان إماماً فاضلاً ذا فنون كثيرة، والوليد بن بكر بن مخلد الأندلسي الفقيه المالكي، وهو محدث مشهور.

وفيها توفي أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي الشاعر البغدادي، فمن شعره في عضد الدولة:

فبشرت آمالي بملك هو الورى ... ودار هي الدنيا ويوم هو العمر

وله في الدرع:

يا ربَّ سابغة حبتني نعمة ... كافأتها بالسوء غير مفند

أضحت تصون عن المنايا مهجتي ... وظللت أبذلها لكل مهندِ

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة خروج البطيحة عن ملك مهذب الدولة في هذه السنة استولى على البطيحة وغيرها إنسان يقال له أبو العباس بن واصل. وكان رجلاً قد تنقل في خدم الناس، ثم خدم مهذب الدولة صاحب البطيحة، فتقدم عنده حتى جهز معه جيشاً، فاستولى على البصرة وسيراف، فلما فتحهما ابن واصل المذكور، وغنم أموالاً عظيمة، قويت نفسه، وخلع طاعة مهذب الدولة مخدومه، ثم قصده، فانهزم مهذب الدولة عن البطيحة، واستولى ابن واصل على بلاد مهذب الدولة وأمواله وكانت عظيمة، ونهب ما كان مع مهذب الدولة من المال، وقصد مهذب الدولة بغداد، فلم يمكن من الدخول إليها، وهذا خلاف ما اعتمده مهذب الدولة المذكور، مع القادر لما هرب من بغداد إليه، فإن مهذب الدولة بالغ في الخدمة والإحسان إليه.

غير ذلك من الحوادث في هذه السنة قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الموسوي، والد الشريف الرضي، نقابة العلويين بالعراق، وقضاء القضاة والمظالم، وكتب عهده بذلك من شيراز، ولقبّه الطاهر ذا المناقب، فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة، وأمضى ما سواه.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة عود مهذب الدولة إلى البطيحة كان أبو العباس بن واصل لما استولى على البطايح، قد أقام بها نائباً، وسار هو إلى نحو البصرة، فلم يتمكن نائبه من المقام بها، وخرج أهل البطيحة عن طاعته، فأرسل عميد الجيوش وهو أمير العراق من جهة بهاء الدولة، عسكراً في السفن مع مهذب الدولة إلى البطيحة، فلما دخلها لقيه أهل البلاد وسروا بقدومه، وسلموا إليه جميع الولايات، **واستقر عليه** لبهاء الدولة، في كل سنة خمسون ألف دينار، واشتغل عنه ابن واصل بحرب غيره.

وفي هذه السنة فتح يمين الدولة محمود بن سبكتكين مدينة بهاطية من أعمال الهند وهي وراء الملتان، وهي مدينة حصينة

عالية السور.
ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة في هذه السنة سار يمين الدولة ففتح الملتان، ثم سار إلى نحو بيدا ملك الهند، فهرب إلى قلعته المعروفة بكاليجار فحصره بها، ثم صالحه على مال حمله إليه، وألبس ملك الهند خلعته، واستعفى من شد المنطقة، فلم يعفه يمين الدولة منها فشدها على كره.
غير ذلك من الحوادث". (١)

٣٩-"في هذه السنة في ربيع الأول وقع الصلح بين بركيارق ومحمد، وكان بركيارق حينئذ بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وفارس وديار بكر وبالجزيرة والحرمين الشريفين، وكان محمد بأذربيجان والخطبة له بها وببلاد سنجر، فإنه كان يخطب لشقيقه محمد إلى ما وراء النهر، ثم إن بركيارق ومحمداً تراسلاً في الصلح واستقر بينهما، وحلفا على ذلك في التاريخ المذكور، وكان الصلح على أن لا يذكر بركيارق في البلاد التي استقرت لمحمد، وأن لا يتكاتبا بل تكون المكاتبة بين وزيريهما، وأن لا يعارض العسكر في قصد أيهما شاء، وأما البلاد التي استقرت لمحمد، ووقع عليها الصلح فهي: من النهر المعروف باسبيذر إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، ويكون له من العراق بلاد صدقة بن مزيد، ولما وصلت الرسل إلى المستظهر الخليفة بالصلح وما **استقر عليه** الحال، خطب لبركيارق ببغداد وكان شحنة بركيارق ببغداد أيلغازي بن أرتق.
ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام في هذه السنة سار صنجيل وقد وصله مدد الفرنج من البحر إلى طرابلس وحاصرها براً وبحراً، فلم يجد فيها مطمعاً، فعاد عنها إلى جبيل وحاصرها وتسلمها بالأمان، ثم سار إلى عكا، ووصل إليه من الفرنج جمع آخر من القدس، وحصروا عكا في البر والبحر، وكان الوالي بعكا من جهة خليفة مصر، اسمه بنا ولقبه زهر الدولة الجيوشي، نسبة إلى أمير الجيوش، وجرى بينهم قتال طويل حتى ملك الفرنج عكا بالسيف وفعلوا بأهلها الأفعال الشنيعة، وهرب من عكا بنا المذكور إلى الشام ثم سار إلى مصر، وملوك الإسلام إذ ذاك مشتغلون بقتال بعضهم بعضاً، وقد تفرقت الآراء واختلفت الأهواء وتمزقت الأموال، ثم إن الفرنج قصدوا حران فاتفق جكرمش صاحب الموصل وسقمان بن أرتق ومعه التركمان فتحالفا واتفقا وقصدا الفرنج واجتمعا على الخابور، والتقيا مع الفرنج على نهر البليخ، فنصر الله تعالى المسلمين وانهزمت الفرنج، وقتل منهم خلق كثير وأسر ملكهم القومص.
ذكر وفاة دقاق في هذه السنة في رمضان توفي الملك دقاق بن تنش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب دمشق، فخطب طغتكين الأتابك بدمشق لابن دقاق وكان طفلاً له سنة واحدة، ثم قطع خطبته وخطب لبلتاش بن تنش عم هذا الطفل في ذي الحجة، ثم قطع خطبة بلتاش وأعاد خطبة الطفل، واستقر طغتكين في ملك دمشق.
ذكر غير ذلك من الحوادث
في هذه السنة سار صدقة بن مزيد صاحب الحلة إلى واسط واستولى عليها، وضمن البطيحة لمهذب الدولة بن أبي الخير

(١) المختصر في أخبار البشر ٢٤١/١

بخمسين ألف دينار. وفيها توفي أمين الدولة أبو سعد الحسن بن موصلايا فجأة، وكان قد أضر، وكان بليغاً فصيحاً، خدم الخلفاء خمساً وستين سنة، لأنه خدم القائم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وكان نصرانياً فأسلم سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وكان كل يوم تزداد منزلته حتى تاب عن الوزارة، وكان كثير الصدقة جميل السيرة ووقف أملاكه على وجوه البر.
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ذكر وفاة بركيارق في هذه السنة ثاني ربيع الآخر توفي السلطان بركيارق بن ملكشماه بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق، وكان مرضه السل والبواسير، وكان بأصفهان، فسار طالباً بغداد، فقوي به المرض في بروجرد، فجمع العسكر وحلفهم لولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر، وجعل الأمير أياز أتابكه فحلف العسكر له، وأمرهم بالمسير إلى بغداد وتوفي بركيارق ببروجرد ونقل إلى أصفهان فدفن بها في تربة عملتها له سريته، ثم ماتت عن قريب فدفنت بإزائه. وكان عمر بركيارق خمساً وعشرين سنة، وكانت مدة وقوع السلطنة عليه اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر، وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسه أحد، واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدة، وملك وزواله، وأشرف عدة مرات على ذهاب مهجته في الأمور التي تقلبت به، ولما استقام أمره وأطاعه المخالفون أدركته منيته، واتفق أنه كلما خطب له ببغداد وقع فيها الغلاء وقاسى من طمع أمرائه فيه شدائد، حتى إنهم كانوا يحضرون نوابه ليقتلوهم، وكان صابراً حليماً كريماً حسن المداراة كثير التجاوز، ولما مات بركيارق سار أياز بالعسكر ومعه ملكشاه بن بركيارق، ودخلوا بغداد سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة وخطب لملكشاه بجوامع بغداد على قاعدة أبيه بركيارق.". (١)

٤٠-"وكان مولد السلطان صلاح الدين بتكريت، في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، فكان عمره قريباً من سبع وخمسين سنة، وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة، وملكه الشام قريباً من تسع عشرة سنة، وخلف سبعة عشر ولدا ذكراً، وبنتاً واحدة، وكان أكبر أولاده الملك الأفضل نور الدين علي بن يوسف، ولد بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة، وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين، وكان الظاهر صاحب حلب أصغر منهما، وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر، ولم يخلف السلطان صلاح الدين في خزانته غير سبعة وأربعين درهماً، وجرم واحد صوري، وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن، دليل قاطع على فرط كرمه، ولم يخلف داراً ولا عقاراً. قال العماد الكاتب: حسبت ما أطلقه السلطان في مدة مقامه بمرج عكا من خيل عراب وأكاديش، فكان اثني عشر ألف رأس، وذلك غير ما أطلقه من أثمان الخيل المصابة في القتال، ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو مرهوب، أو موعود به، ولم يؤخر صلاة عن وقتها، ولا صلى إلا في جماعة، وكان إذا عزم على أمر توكل على الله، ولا يفضل يوماً على يوم، وكان كثير سماع الحديث النبوي، قرأ مختصراً في الفقه تصنيف سليم الداري، وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب صحابه، يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه، وكان يوماً جالساً، فرمى بعض المماليك بعضاً بسر موزة، فأخطأته ووصلت إلى السلطان فأخطأته ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى ليتغافل عنها، وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحد في مجلسه إلا بالخير، وطاهر اللسان، فما يولع بشمتم قط.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢٩٧/١

قال العماد الكاتب: مات بموت السلطان الرجال، وفات بوفاته الأفضال، وغاضت الأيادي، وفاضت الأعادي، وانقطعت الأرزاق، وادلهمت الآفاق، وفجع الزمان بواحده وسلطانه، ورزئ الإسلام بمشيد أركانه.

ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان لما توفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين، استقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها، ولده الملك الأفضل نور الدين علي وبالديار المصرية العزيز عماد الدين عثمان. وبحلب الملك الظاهر غياث الدين غازي. وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب. وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر. وببعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب. وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي. وبيد الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين بصرى، وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل، وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون، منهم سابق الدين عثمان بن الداية، بيده شيزر، وأبو قبيس، وناصر الدين بن كورس بن خمار دكين بيده صهيون وحصن برزية. وبدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق بيده تل باشر. وعز الدين أسامة بيده كوكب وعجلون. وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدم بيده بعرين وكفر طاب وفامية. والملك الأفضل هو الأكبر من أولاد السلطان والمعهود إليه بالسلطنة، واستوزر الملك الأفضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير مصنف المثل السائر، وهو أخو عز الدين بن الأثير مؤلف التاريخ المسمى بالكامل، فحسن للملك الأفضل طرد أمراء أبيه، ففارقوه إلى أخويه العزيز والظاهر.

قال العماد الكاتب: وتفرد الوزير في توزره، ومد الجزري في جزره، ولما اجتمعت أكابر الأمراء بمصر حسنوا للملك العزيز الانفراد بالسلطنة، ووقعوا في أخيه الأفضل، فمال إلى ذلك، وحصلت الوحشة بين الأخوين الأفضل والعزيز.

وفي هذه السنة بعد موت السلطان قدم الملك العادل من الكرك إلى دمشق، وأقام فيها وظيفة العزاء على أخيه، ثم توجه إلى بلاده التي وراء الفرات.

ذكر حركة عز الدين مسعود صاحب الموصل إلى البلاد الشرقية التي بيد الملك العادل وعوده وموته". (١)

٤١-"ولما جرى ذلك، اجتمعت الأمراء واتفقوا على أن يقيموا شجرة الدر زوجة الملك الصالح في المملكة، وأن يكون عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحي، المعروف بالتركماني، أتابك العسكر، وحلفوا على ذلك، وخطب لشجرة الدر على المنابر، وضربت السكة باسمها، وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل، وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولداً ومات صغيراً، وكان اسمه خليل، فسميت والدة خليل، وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع، والدة خليل، ولما استقر ذلك، وقع الحديث مع ريد إفرنس في تسليم دمياط بالإفراج عنه، فتقدم ريد إفرنس إلى من بها من نوابه في تسليمها، فسلموها، وصعد إليها العلم السلطاني يوم الجمعة، لثلاث مضين من صفر من هذه السنة، أعني سنة ثمان وأربعين وستمائة، وأطلق ريد إفرنس، فركب في البحر بمن سلم معه نهار السبت، غد الجمعة المذكورة وأقلعوا إلى عكا، ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم إلى سائر الأقطار، وفي واقعة ريد إفرنس المذكورة، يقول

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣٦٩/١

جمال الدين يحيى بن مطروح أبياتاً منها:

قل للفرنسيس إذا جئته ... مقال صدق عن قؤول نصيح

أتيت مصراً تبتغي ملكها ... تحسب أن الزمر يا طبل ريح

وكل أصحابك أوردتهم ... بحصن تدبيرك بطن الضريح

خمسون ألفاً لا يرى منهم ... غير قتيل أو أسير جريح

وقل لهم إن أضمروا عودة ... لأخذ ثار أو لقصد صحيح

دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باقي والطواشي صبيح

ثم عادت العساكر ودخلت القاهرة يوم الخميس، تاسع صفر من الشهر المذكور، وأرسل المصريون رسولاً إلى الأمراء الذين بدمشق، في موافقتهم على ذلك، فلم يجيبوا إليه وكان الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل صاحب الصبيبة، قد سلمها إلى الملك الصالح أيوب، فلما جرى ذلك، قصد قلعة الصبيبة، فسلمت إليه، وكان من الملك السعيد ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر ملك الملك المغيث الكرك كان الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، قد أرسله الملك المعظم توران شاه، لما وصل إلى الديار المصرية، إلى الشوبك، واعتقله بها، وكان النائب على الكرك والشوبك بدر الدين الصوابي الصالحي، فلما جرى ما ذكرناه من قتل الملك المعظم، وما **استقر عليه** الحال، بادر بدر الدين الصوابي المذكور، فأفرج عن المغيث وملكه القلعتين، الكرك والشوبك، وقام في خدمته أتم قيام.

ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق ولما جرى ما ذكرناه، ولم يجب أمراء دمشق إلى ذلك، كاتب الأمراء القيمرية الذين بها الملك الناصر يوسف صاحب حلب، ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين، فسار إليهم وملك دمشق ودخلها في يوم السبت، لثمان مضين من ربيع الآخر من هذه السنة، ولما استقر الناصر المذكور في ملك دمشق، خلع على جمال الدين بن يغمور، وعلى الأمراء القيمرية به، وأحسن اليهم، واعتقل جماعة من الأمراء مماليك الملك الصالح، وعصت عليه بعلبك وعجلون وشميميس مدة مديدة، ثم سلمت جميعها إليه، ولما ورد الخبر بذلك إلى مصر قبضوا على من عندهم من القيمرية، وعلى كل من اتهم بالميل إلى الحلبيين.

ذكر سلطنة أيبك التركماني ثم إن كبراء الدولة اتفقوا على إقامة عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحي في السلطنة، لأنه إذا استقر أمر المملكة في امرأة، على ما هو عليه الحال، تفسد الأمور، فأقاموا أيبك المذكور، وركب بالسناجق السلطانية، وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة، ولقب الملك المعز، وأبطلت السكة والخطبة التي كانت باسم شجرة الدر.

ذكر عقد السلطنة للملك الأشرف موسى بن يوسف صاحب اليمن، المعروف باقسيس:". (١)

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٤٣٥/١

٤٢-"وأمر حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور باستمرار عمارة هذه البلاد، وكان ذاك رأياً فاسداً، على ما سيظهر من عود هذه البلاد إلى الأرمن، عند دخول قازان البلاد، ولما استقرت هذه البلاد للمسلمين، جعل فيها حسام الدين لاجين بعض الأمراء نائباً، ثم عزله وولى عليها سيف الدين أسندمر نائباً، وجرد معه عسكراً، وكان مقام أسندمر المذكور بتل حمدون، وبعد تسليم تل حمدون رحل الملك المظفر محمود صاحب حماة عنها، مستهل ذي القعدة من هذه السنة، وسارت العساكر وخرجت من الدربند، وسرنا جميعاً ودخلنا حلب يوم الإثنين تاسع ذي القعدة، الموافق لعاشر آب عن هذه السنة، أعني سنة سبع وتسعين وستمائة.

فلما أقمنا بحلب، ورد مرسوم حسام الدين لاجين، الملقب بالملك المنصور، إلى سيف الدين بلبان الطباخي، بالقبض على جماعة من الأمراء المجردين مع العسكر، فعلموا بذلك، وكان قبجق مقيماً بحمص، مستشعراً خائفاً من لاجين المذكور، فهرب من حلب فارس الدين البكي نائب السلطنة بصفد، وكان من جملة العسكر المجردين على حلب. وكذلك هرب بكتمر السلحدار، وبورلار، وعزاز، ووصلوا إلى حمص، واتفقوا مع سيف الدين قبجق على العصيان.

ذكر غير ذلك من الحوادث في أوائل هذه السنة، قبل تجريد العساكر إلى سيس، قبض حسام الدين لاجين على نائبه في السلطنة شمس الدين قراسنقر واعتقله، وولى نيابة السلطنة مملوكه منكوتمر الحسامي، فأظهر منكوتمر المذكور من الحماقة والكبرياء ما غير به خواطر العسكر عليه، وعلى أستاذه، وكذلك قبض لاجين المذكور على بدر الدين البيسري، وعلى عز الدين أيبك الحموي، وعلى الحاج بهادر أمير حاجب، وغيرهم من الأمراء.

وفيها أوقع قازان ملك التتر بأتابكه نيروز وقتله، لأنه نسبه إلى مكاتبة المسلمين، ورتب موضع نيروز قطلوشاه.

وفيها وفد سلامش، وهو مقدم ثمان من المغل، وكان ببلاد الروم، وبلغه أن قازان يريد قتله، فهرب وقدم على الملك المنصور حسام الدين لاجين، فأكرمه، فطلب سلامش نجدة من الملك المنصور لاجين ليعود إلى الروم، طمعاً في اجتماع أهل الروم عليه، فجرد معه من حلب عسكراً مقدمهم سيف الدين بكتمر الجلمي، وساروا مع سلامش حتى تجاوزوا بلد سيس، فخرجت عليهم التتر واقتتلوا معهم، فقتل الجلمي وجماعة من العسكر الإسلامي، وهرب الباقون، وأما سلامش فهرب إلى قلعة من بلاد الروم واعتصم بها، ثم أرسل إليه قازان واستنزله وحصر سلامش، وقتله شر قتله.

وفيها اجتمع رأي حسام الدين لاجين، ونائبه منكوتمر، على روك الإقطاعات بالديار المصرية، فريكت جميع البلاد المصرية، وكتب بما استقر عليه الحال مثالات، وفرقت على أربابها فقبلوها طوعاً أو كرهاً.

وفيها توفي عز الدين أيبك الموصلي نائب الفتوحات وغيرها، وولى موضعه سيف الدين كرد أمير أخور.

وفيها في أواخر ذي القعدة من هذه السنة، هرب قبجق، والبكي، وبكتمر السلحدار، ومن انضم إليهم من حمص، وساق خلفهم أيدغدي شقير مملوك حسام الدين لاجين من حلب، مع جماعة من العسكر المجردين، ليقطعوا عليهم الطريق. ففاتهم قبجق ومن معه وعبروا الفرات، واتصلوا بقازان ملك التتر، فأحسن إليهم وأقاموا عنده حتى كان منهم ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها في أواخر ذي القعدة، وصل من حسام الدين لاجين دستوراً للملك المظفر صاحب حماة بالحضور من حلب إلى

حماة، فسار الملك المظفر ووصل إلى حماة، واستمرت العساكر مقيمين بحلب إلى أن خرجت هذه السنة.
وفي الثامن والعشرين من شوال هذه السنة، أعني سنة سبع وتسعين وستمائة، توفي الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، قاضي القضاة الشافعي بحماة المحروسة، وكان مولده في سنة أربع وستمائة. وكان فاضلاً إماماً مبرزاً في علوم كثيرة، مثل المنطق والهندسة وأصول الدين والفقه والهيئة والتاريخ، وله مصنفات حسنة منها: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ومنها الأنبروزية في المنطق، صنفها للأنبروز ملك الفرنج صاحب صقلية، لما توجه القاضي جمال الدين المذكور رسولاً إليه في أيام الملك الظاهر بيبرس الصالحي، واختصر الأغاني اختصاراً حسناً، وله غير ذلك من المصنفات.
ولقد ترددت إليه بحماة مراراً كثيرة، وكنت أعرض عليه ما أحله من أشكال". (١)

٤٣-"ولما تحقق بيبرس الجاشنكير ذلك، خلع نفسه من السلطنة، وأرسل مع ركن الدين بيبرس الدواداري، ومع بهادراص يطلب الأمان من مولانا السلطان، وأن يتصدق عليه ويعطيه إما الكرك أو حماة، أو صهيون، وأن يكون معه ثلاثمائة مملوك من مماليكه، فوقعت إجابة السلطان إلى مائة مملوك، وأن يعطيه صهيون، وأتم مولانا السير، وهرب الجاشنكير من قلعة الجبل إلى جهة الصعيد وخرج سلار إلى طاعة مولانا السلطان، والتقاه يوم الاثنين الثامن والعشرين من رمضان، قاطع بركة الحجاج، وقتل الأرض وضرب لمولانا السلطان الدهليز بالبركة في النهار المذكور، وأقام بها يوم الثلاثاء سلخ رمضان، وعيد يوم الأربعاء بالبركة، ورحل السلطان في نهاره والعساكر الشامية والمصرية سائرون في خدمته وعلى رأسه الجتر ووصل إلى قلعة الجبل وسار إليها واستقر على سرير ملكه بعد العصر من نهار الأربعاء، مستهل شوال من هذه السنة، أعني سنة تسع وسبعمائة، الموافق لرابع آذار من شهور الروم، وهي سلطنته الثالثة، وفي يوم الجمعة ثالث شوال، وهو اليوم الثالث من وصول مولانا السلطان، سار سلار من قلعة الجبل إلى الشوبك بحكم أن السلطان أنعم بها عليه، وقطع خبزه من الديار المصرية، وأعطى السلطان نيابة السلطنة بحلب سيف الدين قبجق، وارتجع منه حماة، وسار قبجق من مصر يوم الخميس تاسع شوال، ورسم لعسكر حماة بالمسير معه، وتصدق علي وطيب خاطري بأنه لا بد من إنجاز ما وعدني به من ملك حماة، وإنما أخر ذلك لما بين يديه من المهمات والأشغال المعوقة من ذلك، فسرنا مع قبجق من مصر متوجهين إلى الشام، في التاريخ المذكور ووصلنا إلى حماة يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة من هذه السنة، ثم رسم السلطان للأمير جمال الدين أقوش الأفرم بصرخد، فسار إليها، وقرر نيابة السلطنة بالشام لشمس الدين قراسنقر، وقرر حماة للحاج بهادر الظاهري، ثم ارتجعها منه وقرره في نيابة السلطنة بالحصون والفتوحات، بعد عزل أسندمر عنها، وكان قد حصلت بيني وبين أسندمر عداوة مستحكمة، بسبب ميله إلى أخيه، فقصد أن يعدل بحماة عني إليه، فلم يوافقه السلطان إلى ذلك، فلما رأى أن السلطان يتصدق بحماة علي، طلبها أسندمر لنفسه، فما أمكن السلطان منعه منها، فرسم السلطان بحماة لأسندمر، وتأخر حضوره لأمور اقتضت ذلك، وقرر السلطان الأمير سيف الدين بكتمر الجوكاندار في نيابة السلطنة بديار مصر.
ذكر القبض على بيبرس الجاشنكير

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٤٨٦/١

الملقب بالملك المظفر

كان المذكور قد هرب من قلعة الجبل، عند وصول مولانا السلطان إلى الصالحية، وأخذ منها جملاً كثيرة من الأموال والخيول، وتوجه إلى جهة الصعيد، فلما استقر مولانا السلطان بقلعة الجبل، أرسل إليه وارتجع منه ما أخذه من الخزائن بغير حق، ثم إن بيبرس المذكور قصد المسير إلى صهيون، حسبما كان قد سأله، فبرز من أطفيح إلى السويس، وسار إلى الصالحية، ثم سار منها حتى وصل إلى موضع بأطراف بلاد غزة يسمى العنصر، قريب الداروم، وكان قراسنقر متوجهاً إلى دمشق نائباً بها، على ما **استقر عليه** الحال، فوصل إليه المرسوم بالقبض على بيبرس الجاشنكير، فركب قراسنقر وكبسه بالمكان المذكور، وقبض عليه به وسار به إلى جهة مصر، حتى وصل إلى الخطارة، فوصل من الأبواب الشريفة السلطانية أسندمر الكرجي، وتسلم بيبرس الجاشنكير من قراسنمر، وأمر قراسنقر بالعود، فعاد إلى الشام، فوصل أسندمر ببيبرس الجاشنكير، فحال وصوله إلى قلعة الجبل، اعتقل، يوم الخميس رابع عشر ذي القعدة من هذه السنة، فكان آخر العهد به، وكانت مدة سلطنة بيبرس المذكور الملقب بالملك المظفر أحد عشر شهراً:

تفانى الرجال على حبها ... وما يحصلون على طائل

وفيها غلب بيان بن قبجي على مملكة أخيه، فاستنجد وطرده عنها، واتفق موت كبلك عقيب ذلك، وخلف ولداً اسمه قشتمر بن كبلك، فاستنجد قشتمر وطرد عمه بيان، واستقر في ملك أبيه كبلك، وقيل إن الذي طرده بيان هو أخو منغطاي بن قبجي.

وفيها وردت الأخبار بأن الفرنج قصدت ملك غرناطة بالأندلس، وهو نصر ابن محمد بن الأحمر، فاستنجد بسليمان المريني صاحب مراكش، واتقع ابن الأحمر مع الفرنج.

وفيها تزوج خربندا ملك التتر ببنت صاحب ماردين، الملك المنصور غازي ابن قرا أرسلان، وحملت إليه إلى الأردو.". (١)

٤٤-"وفي هذه السنة في المحرم خرجت المعرة عن حماة، وأضيفت إلى حلب، واستقر بيدي حماة وبارين، وسبب ذلك أن الأمراء الذين كانوا بحماة، ثم انتقلوا إلى حلب حسبما ذكرنا في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، واستقرت إقطاعاتهم بحماة، لعدم إقطاعات محلولة تفي بجملة ما لهم، فصعب عليهم نقلتهم إلى حلب جداً، فأخذوا في التعنت والشكوى علي بسبب إقطاعاتهم ونقودهم المرتبة بحماة، وانضم إلى ذلك أنه صار يتغير بعض إقطاعاتهم، ويدخل فيها شيء من بلاد حلب بحكم تنقل أو زيادة، ترد المناشير الشريفة بذلك، وتخلط بلاد المملكة الحموية ببلاد المملكة الحلبية وغيرها من الممالك السلطانية وصارت أطماعهم معلقة بالعودة إلى حماة، وهم مجتهدون على ذلك تارة بالتثقيل على السلطان بالشفائع، وتارة بالسعي في ذهاب حماة مني، فلم أجد لذلك ما يحسمه إلا بتعيين المعرة وبلادها للأمراء المذكورين، وإضافتها إلى حلب، وانفرادي بحماة وبارين منفصلة عن الممالك الشريفة السلطانية، وسألت صدقات السلطان في ذلك، وقال لي أيا عماد الدين، ما أرضى لك بدون ما كان في يد عمك وابن عمك وجدك، وكيف أنقصك عنهم المعرة، فعاودت السؤال وأبديت

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١/٥٠٠

التضرر الزائد، فأجابني على كره لذلك، صدقة علي وإجابة إلى سؤالي، وكتب بصورة ما **استقر عليه** الحال مرسوماً شريفاً، ذكرنا بعضه طلباً للاختصار. فمنه أفلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري، أن يستقر بيده حماة وبارين بجميع حدودها، وما هو منسوب إليها من بلاد وضياع وقرايا، وجهات وأموال ومعاملات، وغير ذلك، من كل ما ينسب إلى هذين الإقليمين ويدخل في حكمهما، يتصرف في الجميع كيف شاء من تولية، وإقطاع إقطاعات الأمراء والجند وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف، وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما، ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته، ويجري ذلك على عادة الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة، ويقيم على هاتين الجهتين خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير نقص، ويبطل حكم ما عليهما من المناشير والتواقيع الشريفة والمسامحات والمحسوب، وكل ما هو مرتب عليهما للأمراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم، بحكم الإنعام بهما على المشار إليه، على قاعدة الملك المظفر صاحب حماة، وتعويض الجميع عن ذلك بالمعرة، وإفرادها عن حماة وبارين، فليستقر جميع ما ذكر بيده العالية، استقرار الدرر في أملاكها، والدراري في أفلاكها، ينصرف في أحوالها بين العالمين بنهيه وأمره، ويجري أموالها بين المستوجبين بإنعامه وبرة، ولا يمضي فيها أمر بغير منشوره الكريم، ولا يجري معلوم ولا رسم إلا بمرسومه الجاري على سنن سلفه القديم، وليفعل في ذلك بجميع ما أراد كيف أراد، ويتصرف على ما يختار فيما تحت حكمه الكريم، وبحكمة من مصالح العباد والبلاد، والله تعالى يعلي بمفاخر عماده، ويجعل التأييد والنصر قرين إصداره وإيراده، والخط الشريف حجة بمضمونه إن شاء الله تعالى، كتب في تاسع عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة. ثم تصدق بخلعه ثانية، وأنعم علي بسنجق بعصائب سلطانية، يحمل على رأسي في المواكب وغيرها، وهذا مما يختص به السلطان، ولا يسوغ لأحد غيره حمله، ثم رسم بالدستور، فسرت من دمشق في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من المحرم، وكذلك توجه السلطان عائداً إلى الديار المصرية، فوصل إليها واستقر في مقر ملكه، ودخلت، أنا حماة في يوم الإثنين مستهل صفر من هذه السنة، الموافق للثامن والعشرين من أيار من شهور الروم.

ذكر مسيري إلى الحجاز الشريف". (١)

٤٥-"وفيها بعد وصولي إلى حماة بمدة يسيرة أرسلت وطلبت من السلطان دستوراً لزيارة القدس الشريف، فرسم لي بالتوجه إليه، فخرجت من حماة يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى الموافق لثاني عشر نيسان، وتوجهت على بلد بارين إلى بعلبك إلى كرك نوح، وانحدرت منها إلى الساحل، ونزلت ببيروت وسرت منها إلى صيدا وصور ثم إلى عكا ثم إلى القدس، وسرت إلى الخليل صلوات الله عليه، ثم عدت إلى حماة ودخلتها يوم السبت خامس وعشرين جمادى الآخرة.

وفيها بعد وصولي من القدس وصلني من صدقات السلطان على العادة في كل سنة، من الحصن البرقية اثنان بالعدة الكاملة، لي ولابني، صحبة علاء الدين أيدغدي أمير أخور، وركبناهما بالعسكر على العادة يوم ثاني عشر رجب من هذه السنة. وفيها أرسلت التقدمة من الخيل وغيرها على عادتي في ذلك كل سنة، صحبة لاجين، وكان خروجه بها من حماة يوم السبت

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١١/٢

ثاني شعبان.

وفيها عبر على حماة سيف الدين أروج رسولاً من السلطان، وتوجه إلى أبي سعيد، وكان ذلك في أواخر ربيع الأول، ثم عاد بعد أن أدى الرسالة وعبر على حماة في سادس عشر شعبان من هذه السنة، متوجهاً إلى الأبواب الشريفة.

ذكر أخبار تمرتاش بن جوبان

كان تمرتاش المذكور في حياة أبيه جوبان قد صار صاحب بلاد الروم، واستولى على جميع بلادها من قونية إلى قيسارية وغيرهما من البلاد المذكورة، فلما انقهر أبوه وهرب كما ذكرناه، ضاقت بتمرتاش المذكور الأرض، ففارق بلاده وسار في جمع يسير نحو مائتي فارس أو أقل أو أكثر إلى الشام، ثم سار منها إلى مصر إلى صدقات السطان، وكانت نفس المذكور كبيرة جداً بسبب كبر أصله في مغل وكبر منصبه، ولم يكن له عقل يرشده إلى أن يجعل نفسه حيث جعله الله تعالى، ووصل المذكور إلى صدقات السلطان بالديار المصرية في العشر الأول من ربيع الأول، فتصدق عليه السلطان وانعم عليه الإنعامات الجليلة، وأعرض عليه إمرية كبيرة وإقطاعاً جليلاً، فأبى أن يقبل ذلك، وأن يسلك ما ينبغي، واتفق أن الصلح قد انتظم بين السلطان وبين أبي سعيد، وكان أبو سعيد يكاتب ويطلب تمرتاش المذكور بحكم الصلح وما **استقر عليه** القواعد، فرأى السلطان من المصلحة إمساك تمرتاش المذكور، وانضم إلى ذلك ما بلغ السلطان عنده أنه أخذ أموال أهل بلاد الروم وظلمهم الظلم الفاحش، فأمسكه السلطان واعتقله في أواخر شعبان من هذه السنة، ثم حضر أباجي رسول أبي سعيد، فبالغ في طلب تمرتاش المذكور، فاقتضت المصلحة إعدامه، فأعدم تمرتاش المذكور في رابع شوال من هذه السنة بحضرة أباجي رسول أبي سعيد.

وفيها وصل أباجي رسول أبي سعيد وعبر على حماة في أواخر شعبان، وصحبته أرلان قرائب والدة السلطان وتوجه إلى الأبواب الشريفة بسبب تمرتاش، وكان من أمره ما شرح، وعاد أباجي رسول المذكور من الأبواب الشريفة، وعبر على حماة في التاسع عشر من شوال وتوجه إلى جهة أبي سعيد.

وفيها يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة توفي مملوكي أسنبغا، وكان قد بقي من أكبر أمراء عسكر حماة رحمه الله.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة وكانت غرة المحرم من هذه السنة، يوم الجمعة رابع تشرين الثاني، ولم يبلغني في أوائلها ما يليق أن يؤرخ والله أعلم.

ذكر أخبار الصبي صاحب سيس

في هذه السنة اشتد الصبي صاحب سيس، وهو ليفون بن أوشين، وكان الحاكم عليه صاحب الكرك – بكافين الأولى مفتوحة وبينهما راء مهملة ساكنة – وهي قليعة قريب البحر، في أطراف بلد سيس من جهة الغرب والشمال، وهي تتاخم بلاد ابن قرمان، وكان صاحب الكرك المذكور قد استولى على مملكة صاحب سيس، بحكم صغر الصبي المذكور، فلما كانت هذه السنة قوي الصبي وقتل صاحب الكرك وأخاه بعده، وأرسل رأس صاحب الكرك إلى السلطان فأرسل السلطان تشريفاً وسيفاً وفرساً بسرجه ولجامه، مع الأمير شهاب الدين أحمد المهمندار بالأبواب الشريفة، فتوجه شهاب الدين بذلك إلى الصبي صاحب سيس فلبى صاحب سيس الخلعة، وشد السيف وقبل الأرض، وركب الفرس المتصدق به عليه، وقويت

نفسه بذلك، وأوصل شهاب الدين المهمندار المذكور أنعاماً كثيراً وعماد شهاب الدين إلى الأبواب الشريفة، وعبر على حماة متوجهاً إلى الأبواب الشريفة يوم الخميس، ثاني عشر جمادى الآخرة.". [1]

٤٦-" الليلة جاءت اصحاب السلطان الى صاحب المخزن يطالبونه بما **استقر عليهم** فأدخلهم الى دار الخلافة ودخل الى حجر المسترشد والراشد واظهر نساءها وسراريهما وامرهما بالكلام واظهار ما عندهن من المال وقال لاصحاب السلطان خوفوهن وامر بكشف وجوههن فأخذوا تلك الليلة ما قدروا عليه من حلي ومتاع ثم ان السلطان ركب سفينة ودخل على أمير المؤمنين المقتفي في تاسع ذي الحجة فبايعه وقلد الوزير شرف الدين ديوان الخليفة وكان قد قرر عليه مائة الف وعشرين الف دينار

وفي يوم الجمعة حادي عشر ذي الحجة وصلت الاخبار بان الراشد دخل الى الموصل وفي رابع عشر الشهر اذن المقتفي في بيع عقاره وتوفية السلطان ما **استقر عليه** من الاموال ورفع المصادرة عن الناس وكانت قد كثرت فلم يتجاسر احد يشتري وتقلد صاحب المخزن وزارة خاتون ومضى الى خدمتها وقلد الطاهر ابو عبد الله احمد بن علي بن المعمر نقابة الطالبيين مكان أبيه

ونهب عسكر زنكي في طريقهم باوانا

ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر

٦٨ – احمد بن هبة الله

ابن الحسين ابو الفضل الاسكاف المقرئ ويعرف بابن العالمة بنت الداري ولد سنة ثمان وخمسين وتلقن القرآن على الشيخ ابي منصور الخياط وقرأ بالقراآت على ابي الوفاء بن القواس وغيره وسمع ابا الحسين ابن النقور والصريفيني وغيرهما وسمعت منه الحديث وكان ثقة امينا وتوفي في شوال هذه السنة

٦٩ – علي بن احمد

ابن الحسن بن عبد الباقي ابو الحسن الموحد المعروف بابن البقشلان كذا رأيته بخط شيخنا ابن ناصر الحافظ وقال غيره البقشلام بالميم قال ابو زكريا بن كامل ". [2]

٤٧-" فارس للقبض عليه ففاتهم ومضى الى مراغة فدخل الى قبر ابيه وحثا التراب على راسه فحمل اليه اهل البلد الاموال وكان يوما مشهودا وقوى داود وضرب المصاف مع مسعود فقتل من اصحاب مسعود خلق كثير

وفي يوم السبت ثاني عشرين ربيع الاول جلس ابن الخجندي مدرسا في النظامية وفي يوم الاثنين رابع عشرين من الشهر قبض على صاحب المخزن ووكل به في دار السلطان على بقية ما **استقر عليه** من المال ومات رجل فأخذ ما له اصحاب التركات فعاد اصحاب السلطان واخذوا ماله من المخزن واخذت تركات الحشرية من الخليفة واخذوا الحفارين

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٩

(٢) المنتظم ١٠/٦٢

والغسالين وكتبوا عليهم واشهدوا ان لا يكتموهم شيئا فصاروا لا يقدرون على قبر ميت إلا برقعة من العميد ولم يبق للخليفة الا العقار الخاص واعيد صاحب المخزن بعد ان كفل به جماعة وكتبوا خطوطهم بالضمان الوزير وسديد الدولة

وفي يوم الاثنين تاسع ربيع الآخر جلس ابو النجيب في دار رئيس الرؤساء بالقصر للتدريس وحضر عنده جماعة من الفقهاء والقضاة

وفي يوم الجمعة ثالث عشره بنيت دكة في جامع القصر للقاضي ابي يعلى بن الفراء في الموضع الذي كان يجلس فيه ثم نقضت في يوم الخميس ثامن عشره ومنع من كان يجلس ونودي بالجلوس في النظامية يوم الاثنين ثالث عشرين الشهر فاجتمع خلق عظيم فحضر وزير السلطان فقعد والمستوفي والشحنة ونظر وسديد الدولة وجماعة الفقهاء والقضاة وحضرت يومئذ فكان لا يحسن يعظ ولاندار في ذلك

وفي هذه السنة فشا الموت في الناس حتى كان يموت في اليوم مائة نفس وفي خامس عشر جمادى الاولى جاء العيارون ليلا الى سفينة قد ملئت رجالا واموالا كثيرة لتنحدر الى واسط فحلوا رباطها من تحت التاج واحدروها وأخذوا ما فيها وكان السلطان في بغداد

وفي هذا الشهر اعيدت بلاد الخليفة ومعاملاتها اليه والتركات واستقر عن ". (١)

٤٨-"قال المُسبِّحي في تاريخه : تصير قرى مصر أسفل الأرض ألفاً وأربعمائة وتسعاً وثلاثين قرية، ويكون جميع ذلك بالصعيد، وأسفل الأرض ألفين وثلثمائة وخمساً وتسعين قرية.

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي: أرض مصر قسمين: فمن ذلك صعيدها وهو ما يلي : مهب الجنوب منها، وأسفل أرضها وهو ما يلي: مهب الشمال منها، فقسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة، فمن ذلك كورة الفيوم كلها، وكورتا منف ووسيم، وكورة الشرقية، وكورتا دلاص وأبوصير، وكورة أهناس، وكورتا الفشن والبهنسا، وكورة طحا وحيز سنودة، وكورة بويط، وكورتا الأشمونين وأسفل أنصنا وأعلاها وشطب قوص قام، وكورة سيوط، وكورة قهقوه، وكورتا أخميم والدير وأبشاية، وكورة هوّ وأقنا وفاو وَدندرة، وكورة قفط والأقصر، وكورة اسنا وارمنت، وكورة أسوان.

فهذه كور الصعيد، ومن ذلك كور أسفل الأرض وهي خمس وعشرون كورة. وفي نسخة: ثلاثَ وثلاثون كورة، وفي نسخة: ثمان وثلاثون كورة، فمن ذلك: كورة الجوف الشرقي: كورتا اتريب وعين شمس، وكورتا بني ونمى، وكورتا بسطه وطرابية، وكورة هربيط، وكورة صا وإبليل، وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك: كور بطن الريف من أسفل الأرض، كورة ببا وبوصير، وكورتا سمنود وبوسا، وكورتا الأوسية والنجوم، وكورة دقملة، وكورتا تنيس ودمياط. ومنها: كورة الجزيرة من أسفل الأرض، وكورة دمسيس ومنوف، وكورة طوه ومنوف، وكورة سخا وبيدة والأفراحون، وكورة مقين وديصا، وكورة البشرود.

ومن ذلك كور الحوف الغربيّ: كورة صا، وكورة شباس، وكورة اليدقون وحيزها، وكورة الخيس والشراك، وكورة خربتا، وكورة قرطسا ومصيل والمليدس، وكورتا اخنا والبحيرة ورشيد، وكورة الإسكندرية، وكورة مريوط، وكورة لوبية ومراقية.

---

(١) المنتظم ٦٨/١٠

ومن كور القبلة: كرى الحجاز وهي: كورة الطور وفاران، وكورة راية والقلزم، وكورة ايلة وحيزها ومدين وحيزها والعونيد والحوراء وحيزها، ثم كورة بدا أو شغب.

وذكر من له معرفة بالخراج، وأمر الديوان أنه وقف على جريدة عتيقة بخط ابن عيسى بقطر بن شغا الكاتب القبطيّ المعروف: بالبولس متولي خراج مصر للدولة الإخشيدية. يشتمل على ذكر كور مصر وقراها إلى سنة خمس وأربعين وثلثمائة إن قرى مصر بالصعيدين، وأسفل الأرض ألفان وثلثمائة وخمس وتسعون قرية منها بالصعيد: تسعمائة وست وخمسون قرية، وبأسفل الأرض: ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية، وهذا عددها في الوقت الذي جرّدت فيه الجرائد المذكورة، وقد تغيرت بعد ذلك بخراب ما خرب منها.

وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضي الله عنه: لما ولي الوليد بن رفاعة مصر، خرج ليحصي عدة أهلها، وينظر في تعديل الخراج عليهم، فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ أسوان، ومعه جماعة من الكتاب، والأعوان يكفونه ذلك بجدّ وتشمير، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض، وأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية، فلم يحصر في أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك خمسة آلاف ألف رجل.

والذي **استقرّ عليه** الحال في دولة الناصر محمد بن قلاوون أن الوجه القبلي ستة أعمال وهي من عمل قوص، وهو أجلها، ومنه أسوان وغرب قوله، وعمل أخميم، وعمل أسيوط، وعمل منفلوط، وعمل الأشمونين وبها الطحاوية، وعمل البهنساوية الغربيّ، وهو عبارة عن قرى على غربي المنهي المارّ إلى الفيوم، وعمل الفيوم، وعمل أطفيح، وعمل الجيزة.

والوجه البحري ستة أعمال: عمل البحيرا، وهو متصل البرّ بالإسكندرية وبرقة، وعمل الغربية جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين، وهما البحر المارّ مسكبه عند دمياط ويسمى الشرقيّ، والبحر الثاني مسكبه عند رشيد ويسمى الغربي، والمنوفية ومنها: ابيار، وجزيرة بني نصر، وعمل قليوب، وعمل الشرقية، وعمل أسموم طناح ومنها: الدقهلية والمرتاحية، وهناك موقع ثغر البرلس، وثغر رشيد والمنصورة، وفي هذا الوجه الإسكندرية ودمياط ولا عمل لهما.

وأما الواحات: فمنقطعة وراء الوجه القبلي مغاربة لم تعدّ في الولايات ولا في الأعمال، ولا يحكم عليها والي السلطان وإنما يحكم عليها من قبل مقطعها، والله تعالى أعلم.

ذكر ما كان يعمل في أراضي مصر

من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه في أوقاته". (١)

٤٩-"والطلب بلغة الغز هو: الأمير المقدم الذي له علم معقود، وبوق مضروب، وعدة من مائتي فارس إلى مائة فارس إلى سبعين فارساً إلى أن انقضى النهار، ودخل الليل، وعاد ولم يكمل عرضهم، وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلباً والغائب منها عشرون طلباً، وتقدير العدّة يناهز أربعة عشر ألف فارس أكثرها طواشية، والطواشي: من رزقه من سبعمائة إلى ألف إلى مائة وعشرين، وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤوس إلى ما دونها ما بين فرس، وبرذون وبغل

---

(١) المواعظ والاعتبار ٩٢/١

وجمل وله، غلام يحمل سلاحه وقرا غلامية تتمة الجملة.

قال: وفي هذه السفرة عرض العربان الخدّامين، فكانت عدّقم سبعة آلاف فارس واستقرّت عدّقم على ألف وثلثمائة فارس لا غير. وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار على حكم الاعتداد الذي يتأصل ولا يتحصل وكلف التغالبة ذلك، فامتعضوا ولوّحوا بالتحيز إلى الفرنج.

وقال في متجددات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة، استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور الإقطاعات، ومعرفة عبرها والنقص منها، والزيادة فيها وإثبات المحروم وزيادة المشكور إلى أن استقرّت العدة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارساً أمراء مائة وأحد عشر أميراً طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قراغلامية ألف وخمسمائة وثلاثون وخمسون، والمستقرّ لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون ألفاً وخمسمائة دينار، وذاك خارج عن المحلولين من الأجناد الموسومين بالجوالة على العشر، وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة، وعن الكاتبين والمصريين والفقهاء والقضاة والصوفية، وعما يجري بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار.

وقال في متجدّدات سنة خمس وثمانين وخمسمائة أوراق بما **استقر عليه** عبر البلاد من إسكندرية إلى عيذاب إلى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجاً عن الثغور وأبواب الأموال الديوانية والأحكار والحبس ومنفلوط ومنقباط، وعدة نواح أوردت أسماءها ولم يعين لها في الديوان عبرة من جملة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفاً وتسعة عشر ديناراً. بعدما يجري في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقية والمرتاحية والدقهلية وبوش وغير ذلك، وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفاً وتسعمائة وثلاثة وعشرون ديناراً.

تفصيل ذلك: الديوان العادلي: سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفاً ومائتان وثمانية وأربعون ديناراً. الأمراء والأجناد المرسوم بإبقاء إقطاعاتهم بالأعمال المذكورة مائة ألف وثمانية وخمسون ألفاً ومائتان وثلاثة دنانير. ديوان السور المبارك والأشراف: ثلاثة عشر ألفاً وثمانمائة وأربعة دنانير، العربان: مائتا ألف وأربعة وثلاثون ألفاً ومائتان وستة وتسعون ديناراً. الكنانية: خمسة وعشرون ألفاً وأربعمائة واثنا عشر ديناراً، القضاة والشيوخ : سبعة آلاف وأربعمائة وثلاثة دنانير، القيمارية والصالحية والأجناد المصريون : اثنا عثر ألفاً وخمسمائة وأربعة دنانير، الغزاة والعساقلة المركزة بدمياط وتنيس وغيرهم: عشرة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون ديناراً، البارز: ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف واثنان وستون ألفاً وخمسة وتسعون ديناراً.

الوجه البحري : ألف ألف ومائة ألف واحد وخمسون ألفاً وثلاثة وخمسون دينار تفصيله ضواحي ثغر الإسكندرية وثمانية وثلاثون ديناراً، ثغر رشيد: ألفا دينار، البحيرة: مائة ألف وخمسة عشر ألفاً وخمسمائة وستة وسبعون ديناراً، حوف رمسيس: اثنان وتسعون ألفاً وأربعمائة وثلاثة دنانير، فوّه والمزاحميتين : عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون ديناراً، النبراوية: خمسة عشر ألفاً وثلثمائة وخمسة دنانير، جزيرة بني نصر: مائة ألف واثنا عشر ألفاً وستمائة وستة وأربعون ديناراً، جزيرة قوسنينا: مائة ألف وثلاثون ألفاً وخمسمائة واثنان وتسعون ديناراً، الغربية: ستمائة ألف وأربعة وسبعون ألفاً وستمائة وخمسة دنانير، السمنودية : مائتا ألف وخمسة وأربعون ألفاً وأربعمائة وتسعة وسبعون ديناراً، الدنجماوية: ستة وأربعون ألفاً ومائتا وأربعة وسبعون ديناراً، المنوفية: مائة ألف وثمانية وأربعون ألفاً وثلثمائة وسبعة وأربعون ديناراً.

الوجه القبلي: ألف ألف وستمائة وعشرة آلاف وأربعمائة وأحد وأربعون ديناراً.". (١)

٥٠-"وبلغ خراج مصر في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد ألفي ألف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكاً له والإخشيد أوّل من عمر الرواتب بمصر، وكان كاتبه، ابن كلا، قد عمل تقديراً عجز فيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار، فقال له الإخشيد: كيف نعمل. قال: حط من الجرايات والأرزاق فليس هؤلاء أولى من الواجب، فقال: غداً تجيئني، وتدبر هذا، فلما أتاه من الغد قال له الإخشيد: قد فكرت فيما قلت فإذا أصحاب الرواتب الضعفاء، وفيهم المستورون وأبناء النعم، ولست آخذ هذا النقص إلا منك، فقال ابن كلا: سبحان الله فقال: تسبيحاً، وما زال به الإخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك، فعوتب على ما صنعه، فقال: يا قوم اسمعوا إيش كان يعمل؟ جاءه أحمد بن محمد بن الماردانى فقال له: ما بيني وبين السلطان معاملة، ولا للإخشيد عليّ طريق، وهذه هدية عشرة آلاف دينار للإخشيد وألف دينار لك، فجاءني، وقال لك قبل ابن الماردانى مطالبة، فقلت: لا، فقال: هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء، فأعطاني ألفاً وأخذ عشرة آلاف دينار، وأهدى إلي محمد بن علي الماردانى في وقت عشرين ألف دينار على يده فاستقللتها، فلما اجتمعنا عاتبته فقال لي: أرسلت إليك مائة ألف دينار ولابن كلا كاتبك عشرين ألف دينار، فأخذ المائة وأعطاني العشرين ألفاً، فذكرت قول محمد بن عليّ له، فقال: ما أبرد هذا حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريدها خذها، وأنا أعلم أنك تتلفها.

وبلغت الرواتب في أيام كافور الإخشيدي، خمسمائة ألف دينار في السنة لأرباب النعم والمستورين وأجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش، ولا من الحاشية، ولا من المتصرّفين في الأعمال، فحسن له عليّ بن صالح الروذبادي الكاتب، أن يوفر من مال الرواتب شيئاً ينتقصه من أرزاق الناس، فساعة جلس يعمل حكه جبينه، فحكه بقلمه والحكاك يزيد به إلى أن قطع العمل، وقام لما به، فعولج حينئذٍ بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة، وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء، قال تعالى: " ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله " فاطر٤٣،.

ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن، فاتضع خراجها إلى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه، المعز لدين الله أبي تميم معدّ، فجبى الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ونيفاً، وأمر الوزير الناصر للدين أبو الحسين عبد الرحمن اليازوري وزير مصر، في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر أن يعمل قدر ارتفاع الدولة، وما عليها من النفقات، فعمل أرباب كل ديوان ارتفاعه، وما عليه وسلم الجميع لمتولي ديوان المجلس، وهو زمام الدواوين، فنظم عليه عملاً جامعاً وأتاه به، فوجد ارتفاع الدولة الذي ألف دينار منها، الشام ألف ألف دينار، ونفقاته بإزاء ارتفاعه، والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار. قال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج: وقفت على مقايسة عملت لأمير الجيوش، بدر الجمالي حين قدم مصر في أيام الخليفة المستنصر وغلب على أمرها، وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها أن الذي اشتمل عليه الارتفاع في الهلاليّ لسنة ثلاث وثمانين وأربعمائة،

---

(١) المواعظ والاعتبار ١٠٩/١

وفي الخراجيّ على ما يقتضيه الديوان فيه، مما كان جارياً في الأعمال المصرية من الخراج، وما يجري معه، والمضمون والمقطع والمورد بغيره والمحلول بالقاهرة ومصر وضواحيهما وناحيتي الشرقية والغربية من أسفل الأرض، وأعمالها وتنيس ودمياط وأعمالهما والإسكندرية والبحيرة والأعمال الصعيدية العالية، والدانية وواحات، وعيذاب لسنة ثمانين وأربعمائة الخراجية على الرسوم المصرية، وما كان من الأعمال الشامية التي أوّلها من حدّ الشجرتين، وهو أوّل الأعمال الفلسطينية والأعمال الطرابلسية ولسنة ثمان وسبعين وأربعمائة الخراجية على ما استقرّت عليه الجملة عيناً ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف دينار، وإن الذي **استقرّ عليه** جملة ما كان يتأسّ في سنة ست وستين وأربعمائة الهلالية قبل نظر أمير الجيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين وأربعمائة الخراجية، فكان مبلغها الذي ألف وثمانمائة ألف دينار، وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار، مما أعرب عنه حسن العمارة، وشمول العدل، وكان نظم هذه المقايسة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة.". (١)

٥١-"قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذي **استقر عليه** الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات، وكان قبل ذلك من المجنونة إلى مشهد السيد رقية عرضاً، اه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور الحجر الذي طوله من باب زويلة الكبير إلى باب الفتوح وباب النصر، وعرضه من باب سعادة، وباب الخوخة إلى باب البرقية والباب المحروق، ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة، وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر، وبنوا خارج باب الفتوح، وباب النصر إلى أن انتهت العمائر إلى الريدانية، وبنوا خارج باب القنطرة إلى حيث الموضع الذي يقال له بولاق حيث شاطئ النيل، وامتدوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ إلى أن اتصلت بمنشأة المهراني، وبنوا خارج باب البرقية، والباب المحروق إلى سفح الجبل بطول السور، فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين: أحدهما يقال له: القاهرة، والآخر يقال له: مصر. فأما مصر: فإن حدها ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذي نحنفيه من حد أول قناطر السباع إلى طرف بركة الحبش القبلي، مما يلي بساتين الوزير، وهذا هو طول حد مصر، وحدها في العرض من شاطئ النيل الذي يعرف قديماً بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير، وقنطرة السد إلى أول القرافة الكبرى.

وأما حد القاهرة، فإن طولها من قناطر السباع إلى الريدانية، وعرضه من شاطئ النيل ببولاق إلى الجبل الأحمر، ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة، وفي الحقيقة قاهرة المعز التي أنشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد إلى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة إنما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذي أداره القائد جوهر تغير، وعمل منذ بنيت إلى زمننا هذا ثلاث مرات، ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة، فصار يقال لداخل السور: القاهرة، ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة، وظاهر القاهرة أربع جهات: الجهة القبلية، وفيها الآن معظم العمارة، وحد هذه الجهة طولاً من عتبة باب زويلة إلى الجامع الطولوني، وما بعد الجامع الطولوني، فإنه من حد مصر، وحدها عرضاً من الجامع الطيبرسي بشاطئ النيل غربي المريس إلى قلعة الجبل، وفي الاصطلاح الآن أن القلعة من حكم

---

(١) المواعظ والاعتبار ١٢٦/١

مصر، والجهة البحرية، وكانت قبل السبعمائة من سني الهجرة، وبعدها إلى قبيل الوباء الكبير فيها أكثر العمائر والمساكن، ثم تلاشت من بعد ذلك، وطول هذه الجهة من باب الفتوح، وباب النصر إلى الريدانية، وعرضها من منية الأمراء المعروفة في زمننا الذي نحن فيه بمنية الشيرج إلى الجبل الأحمر، ويدخل في هذا الحد مسجد تبر والريدانية، والجهة الشرقية إنها حيث ترب أهل القاهرة، ولم تحدث بها العمر من التربة إلا بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وحد هذه الجهة طولاً من باب القلعة المعروف بباب السلسلة إلى ما يحاذي مسجد تبر في سفح الجبل، وحدها عرضاً فيما بين سور القاهرة، والجبل والجهة الغربية، فأكثر العمائر بها لم يحدث أيضاً إلا بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وإنما كانت بساتين وبحراً، وحد هذه الجهة طولاً من منية الشيرج إلى منشأة المهراني بحافة بحر النيل، وحدها عرضاً من باب القنطرة، وباب الخوخة وباب سعادة إلى ساحة النيل، وهذه الأربع جهات من خارج السور يطلق عليها: ظاهر القاهرة.". (١)

٥٢-"وقال في كتاب الذخائر: إن مما أخرج من القصر في سنة إحدى وستين وأربعمائة في خلافة المستنصر قبة العشاري وقاربه، وكسوة رحله، وهو مما استعمله الوزير أحمد بن علي الجراجراي في سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفاً وسبعمائة درهم فضة نقرة، وإن المطلق لصناع الصاغة عن أجرة ذلك، وفي ثمن لطلائه خاصة، ألفان وسبعمائة دينار، وعمل أبو سهل التستري لوالدة المستنصر عشارياً يعرف بالفضي وحلي رواقة بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم، ولزم ذلك أجرة الصناعة، ولطلاء بعضه: ألفان وأربعمائة دينار، واستعمل كسوة برسمه بمال جليل، وأنفق على العشاريات التي برسم النزه البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشارياً بالتقدير بجميع آلاتها، وكساها وحلاها من مناطق، ورؤوس منجوقات، وأهلة وصفريات، وغير ذلك: أربعمائة ألف دينار.

وقال ابن الطوير: إذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك، طالع ابن أبي الرداد بما **استقر عليه** أذرع القاع في اليوم الخامس والعشرين من بؤونة ، وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربي، فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت إلى ديوان المكاتبات، فنزلت في السير المرتب بأصل القاع، والزيادة بعد ذلك في كل يوم، تؤرخ بيومه من الشهر العربي، ما وافقه من أيام الشهر القبطي لا يزال كذلك، وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبل الخليفة، وبعده الوزير، فإذا انتهى في ذراع الوفاء، وهو السادس عشر إلى أن يبقى منه إصبع أو إصبعان وعلم ذلك من مطالعته.

أمر أن يحمل إلى المقياس في تلك الليلة من المطابخ: عشرة قناطير من الخبز السميذ وعشرة من الخراف المشوية، وعشرة من الجامات الحلواء، وعشر شمعات، ويؤمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس فيحضر إليه قراء الحضرة، والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر، ومن يجري مجراهم، فيستعملون ذلك ويقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة، وهم يتلون القرآن برفق، ويطربون بمكان التطريب، فيختمون الختمة الشريفة ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس، فيوفي الماء ستة عشر ذراعاً في تلك الليلة، ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم، ويبتهجون به ابتهاجاً زائداً، وذلك لأن عمارة الديار، وبه التئام الخلق على فضل الله، فيحسن عند الخليفة موقعه، ويهتم بأمره اهتماماً عظيماً أكثر من كل المواسم، فإذا أصبح الصبح من هذا اليوم،

---

(١) المواعظ والاعتبار ٤٥٥/١

وحضرت مطالعة ابن أبي الرداد إليه بالوفاء، ركب إلى المقياس لتخليقه، فيستدعي الوزير على العادة، فيحضر إلى القصر، فيركب الخليفة بزي أيام الركوب من غير مظلة، ولا ما يجري مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب، والوزير تابعه في الجمع الهائل على ترتيب الموكب، ويخرج شاقاً من باب زويلة، وسالكاً الشارع إلى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم: بسيف الإسلام، فيعطف سالكاً على جامع ابن طولون، والجسر الأعظم بين الركنين إلى الساحل بمصر إلى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقي على دار الفاضل إلى باب الصاغة بجوارها، وله دهليز ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطاً وتأزيراً، فيشقها والوزير تابعه، فيخرج منها منعطفاً على الصناعة الأخرى، وكانت برسم المكس إلى السيوفيين، ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة، ثم إلى دار الملك فيدخل من الباب المقابل لسلوكه، فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشياً إلى المكان المعد له، ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشاري الخاص، وهو بيت مثمن من عاج وأبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع، وطوله قامة رجل تام، فيجمع بين الأجزاء الثمانية، فيصير بيتاً دوره أربعة وعشرون ذراعاً وعليه قبة من خشب محكم الصناعة، وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة، والذهب، فيتسلمه رئيس العشاريات الخاص ويركبه على العشاري المختص بالخليفة، ويجعل باكر ذلك اليوم الذي يركب فيه الخليفة على الباب الذي يخرج منه للكوب إلى المقياس.". (١)

٥٣-"وكانت العادة أن السلطان يتولى بنفسه استخدام الجند، فإذا وقف قدّامه من يطلب الإقطاع المحلول، ووقع اختياره على أحد، أمر ناظر الجيش بالكتابة له، فيكتب ورقة مختصرة تسمى المثال، مضمونها حيز فلان كذا، ثم يكتب فوقه اسم المستقر له، ويناولها السلطان فيكتب عليها بخطه، يكتب ويعطيها الحاجب لمن رُسم له، فيقبِّلُ الأرض، ثم يُعاد المثال إلى ديوان الجيش فيحفظ شاهداً عندهم، ثم تكتب مربعة مكملة بخطوط جميع مباشري ديوان الإقطاع، وهم كتاب ديوان الجيش، فيرسمون علاماتهم عليها، ثم تُحمل إلى ديوان الإنشاء والمكاتبات، فيكتب المنشور ويُعلّم عليه السلطان كما تقدّم ذكره، ثم يكمل المنشور بخطوط كتاب ديوان الجيش بعد المقابلة على حجة أصله.

واستجد السلطان الملك المنصور قلاون طائفة سماها البحرية، وهي أن البحرية الصالحية لما تشتتوا عند قتل الفارس أقطاي في أيام المعز أيبك، بقيت أولادهم بمصر في حالة رذيلة، فعندما أفضت السلطنة إلى قلاون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة، ورسم أني كونوا جالسين على باب القلعة، وسمّاهم البحرية، وإلى اليوم طائفة من الأجناد تعرف بالبحرية.

وأما البلاد الشامية، فليس للنائب بالمملكة مدخل في تأمير أمير عوض أمير مات، بل إذا مات أمير سواء كان كبيراً أو صغيراً طولع السلطان بموته فأمر عوضه، إما ممن في حضرته ويخرجه إلى مكان الخدمة، أو ممن هو في مكان الخدمة، أو ينقل من بلد آخر، من يقع اختياره عليه. وأما جند الحلقة فإنهم إذا مات أحدهم استخدم النائب عوضه، وكتب المثال على نحو من ترتيب السلطان، ثم كتب المربعة وجهزها مع البريد إلى حضرة السلطان فيقابل عليهم في ديوان الإقطاع، ثم إن

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/١٠١

أمضاها السلطان كتب عليها يُكتب، فتكتب المربعة من ديوان الإقطاع، ثم يكتب عليها المنشور كما تقدّم في الجند الذين بالحضرة، وإن لم يمضها السلطان أخرج الإقطاع لمن يريد. ومن مات من الأمراء والجند قل استكمال مدّة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق، ثم إمّا يُرتَجَعُ منهم أو يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم، وإقطاعات الأمراء والجند منها ما هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء، ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها، ولم يزل الحال على ذلك حتى راك الملك الناصر محمد بن قلاون البلاد كما تقدم في أوّل هذا الكتاب، عند الكلام على الخراج ومبلغه، فأبطل عدّة جهات من المكوس وصارت الإقطاعات كلها بلاداً، والذي **استقرّ عليه** الحال في إقطاعات الديار المصرية مما رتبه الملك الناصر محمد بن قلاون في الروك الناصريّ، وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية أربعة وعشرون ألف فارس، تفصيل ذلك: أمراء الألوف ومماليكهم ألفان وأربعمائة وأربعة وعشرون فارساً، تفصيل ذلك: نائب ووزير وألوف خاصكية ثمانية أمراء، وألوف خرجية أربعة عشر أميراً، ومماليكهم ألفان وأربعمائة فارس. أمراء طبلخاناه ومماليكهم ثمانية آلاف ومائتا فارس، تفصيل ذلك: خاصكية أربعة وخمسون أميراً، وخرجية مائة وستة وأربعون أميراً، ومماليكهم ثمانية آلاف فارس.

كشاف وولاة بالأقاليم خمسمائة وأربعة وسبعون، تفصيل ذلك ثغر الإسكندرية واحد، والبحيرة واحد، والغربية واحد، والشرقية واحد، والمنوفية واحد وقطيا واحد، وكاشف الجيزة واحد، والفيوم واحد، والبهنسا واحد، والأشمونين واحد، وقوص واحد، واسوان واحد، وكاسف الوجه البحريّ واحد، وكاشف الوجه القبليّ واحد. ومماليكهم خمسمائة وستون. وأمراء العشراوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس، تفصيل ذلك، خاصكية ثلاثون وخرجية مائة وسبعون أميراً، ومماليكهم ألفان.

ولاة الأقاليم سبعة سبعون أميراً، تفصيلهم: أشمون الرّمان واحد، وقليوب واحد، والجيزة واحد، وتروجا واحد، وحاجب الإسكندرية واحد، واطفيح واحد، ومنفلوط واحد، ومماليكهم سبعون فارساً.

مقدّموا الحلقة والأجناد أحد عشر ألفاً ومائة وستة وسبعون فارساً، تفصيل ذلك: مقدّموا المماليك السلطانية أربعون، مقدّموا الحلقة مائة وثمانون، نقباء الألوف أربعة وعشون نقيباً، مماليك السلطان وأجناد الحلقة عشرة آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثن فارساً، تفصيل ذلك: مماليك السلطان ألفا مملوك، أجناد الخلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارساً.". [(١)]

٥٤-"برقوق عني بالخيل أيضاً ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل.وق عني بالخيل أيضاً ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل.

ديوان الإنشاء: وكان بجوار قاعة الصاحب بقلعة الجبل ديوان الإنشاء، يجلس فيه كاتب السرّ، وعنده موقعو الدرج وموقعو الدست في أيام المواكب طول النهار، ويُحمل إليهم من المطبخ السلطانيّ المطاعم، وكانت الكتب الواردة وتعليق ما يكتب من الباب السلطانيّ موضوعة بهذه القاعة، وأنا جلست بها عند القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله العمريّ أيام مباشرتي التوقيع السلطانيّ، إلى نحو السبعين والسبعمائة، فلما زالت دولة الظاهر برقوق ثم عاة اختلت أمور كثيرة منها أمر قاعة الإنشاء بالقلعة، وهُجرت وأخذ ما كان فيها من الأوراق، وبيعت بالقنطارن ونسي رسمها، وكتابة السرّ رتبة قديمة، ولها أصل

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/٤١٧

في السنّة، فقد خرج أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانيّ في تاب المصاحف من حديث الأعمش، عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كلّ أحد، فهل تستطيع أن تُعَلّم كتاب العبرانية أو قال السريانية " فقلت نعم. قال: فتعلمتها في سبع عشرة ليلة، ولم يزل خلفاء الإسلام يختارون لكتابة سرّهم الواحد بعد الواحد، وكان موضوع كتابة السرّ في الدولة التركية على ما **استقرّ عليه** الأمر في أيام الناصر محمد بن قلاون، أنّ لمتوليها المسمى بكاتب السرّ وبصاحب ديوان الإنشاء، ومن الناس من يقول ناظر ديوان الإنشاء، قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها، ما بخطه أو بخط كتاب الدست أو كتاب الدرج بحسب الحال، وله تفسير الأجوبة بعد أخذ علامة السلطان عليها، وله تصريف المراسيم وروداً وصدوراً، وله الجلوس بين يدي السلطان بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها بخطه في المجلس. فصار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة، وصار إليه التحدّث في مجلس السلطان عندما عقد المشورة وعند اجتماع الحكام لفصل أمر مهم، وله التوسط بين الأمراء والسلطان فيما يندب إليه عند الاختلاف أو التدبير، وإليهترجع أمور القضاة ومشايخ العلم ونحوهم في سائر المملكة مصراً وشاماً، فيمضي من أمورهم ما أحب ويشاور السلطان فيما لابد من مشاورته فيه، وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير، فلما عظم، تمكن القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السرّ من الدولة، جلس فوق الوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم البشيري، فاستمرّ ذلك لمن بعده ورتبة كاتب السرّ أجلّ الرتب، وذلك أنها منتزعة من الملك.". (١)

٥٥-"تاريخ أبي الفداء

(٣٩ من ٨٧)

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

عود مهذب الدولة إلى البطيحة كان أبو العباس بن واصل لما استولى على البطايح قد أقام بها نائباً وسار هو إلى نحو البصرة فلم يتمكن نائبه من المقام بها وخرج أهل البطيحة عن طاعته فأرسل عميد الجيوش وهو أمير العراق من جهة بهاء الدولة عسكراً في السفن مع مهذب الدولة إلى البطيحة فلما دخلها لقيه أهل البلاد وسروا بقدومه وسلموا إليه جميع الولايات **واستقر عليه** لبهاء الدولة في كل سنة خمسون ألف دينار واشتغل عنه ابن واصل بحرب غيره .

وفي هذه السنة فتح يمين الدولة محمود بن سبكتكين مدينة بهاطية من أعمال الهند وهي وراء الملتان وهي مدينة حصينة عالية السور .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة

في هذه السنة سار يمين الدولة ففتح الملتان ثم سار إلى نحو بيدا ملك الهند فهرب إلى قلعته المعروفة بكاليجار فحصره بها ثم صالحه على مال حمله إليه وألبس ملك الهند خلعته واستعفى من شد المنطقة فلم يعفه يمين الدولة منها فشدها على كره

(١) المواعظ والاعتبار ٢/٤٢٨

.

غير ذلك من الحوادث وفي هذه السنة قُلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين ولقب بالرضي ولقب أخوة المرتضى فعل ذلك بهاء الدولة .

وفيها توفي محمد بن إسحاق بن محمد ابن يحيى بن منده الأصفهاني صاحب

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

قتل ابن واصل في هذه السنة وقع بين بهاء الدولة وأبي العباس بن واصل حروب آخرها أن أبا العباس انهزم إلى البصرة ثم انهزم عنها فأُسر وحُمل إلى بهاء الدولة فأمر بقتله قبل وصوله إليه وطيف برأس أبي العباس بن واصل المذكور بخورستان وكان قتله بواسط عاشر صفر .

". (١)

٥٦-"ذكر الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه في هذه السنة في ربيع الأول وقع الصلح بين بركيارق ومحمد وكان بركيارق حينئذ بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وفارس وديار بكر وبالجزيرة والحرمين الشريفين وكان محمد بأذربيجان والخطبة له بها وببلاد سنجر فإنه كان يخطب لشقيقه محمد إلى ما وراء النهر ثم إن بركيارق ومحمداً تراسلاً في الصلح واستقر بينهما وحلفا على ذلك في التاريخ المذكور وكان الصلح على أن لا يذكر بركيارق في البلاد التي استقرت لمحمد وأن لا يتكاتبا بل تكون المكاتبة بين وزيريهما وأن لا يعارض العسكر في قصد أيهما شاء وأما البلاد التي استقرت لمحمد ووقع عليها الصلح فهي : من النهر المعروف باسبيذر إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من العراق بلاد صدقة بن مزيد ولما وصلت الرسل إلى المستظهر الخليفة بالصلح وما **استقر عليه** الحال خطب لبركيارق ببغداد وكان شحنة بركيارق ببغداد أيلغازي بن أرتق .

". (٢)

٥٧-"ذكر ما **استقر عليه** الحال بعد وفاة السلطان : لما توفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين استقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها ولده الملك الأفضل نور الدين علي وبالديار المصرية العزيز عماد الدين عثمان .

وبحلب الملك الظاهر غياث الدين غازي .

وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب .

وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر .

وببعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب .

وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي .

---

(١) تاريخ أبي الفداء ٤٧/٢

(٢) تاريخ أبي الفداء ١٦٩/٢

وبيد الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين بصرى وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون منهم سابق الدين عثمان بن الداية بيده شيزر وأبو قبيس وناصر الدين بن كورس بن خمار دكين بيده صهيون وحصن برزية .

وبدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق بيده تل باشر .

وعز الدين أسامة بيده كوكب وعجلون .

وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدم بيده بعرين وكفر طاب وفامية .

والملك الأفضل هو الأكبر من أولاد السلطان والمعهود إليه بالسلطنة واستوزر الملك الأفضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير مصنف المثل السائر وهو أخو عز الدين بن الأثير مؤلف التاريخ المسمى بالكامل فحسن للملك الأفضل طرد أمراء أبيه ففارقوه إلى أخويه العزيز والظاهر .

قال العماد الكاتب : وتفرد الوزير في توزره ومد الجزري في جزره ولما اجتمعت أكابر الأمراء بمصر حسنوا للملك العزيز الانفراد بالسلطنة ووقعوا في أخيه الأفضل فمال إلى ذلك وحصلت الوحشة بين الأخوين الأفضل والعزيز .

وفي هذه السنة بعد موت السلطان قدم الملك العادل من الكرك إلى دمشق وأقام فيها وظيفة العزاء على أخيه ثم توجه إلى بلاده التي وراء الفرات .

". (١)

٥٨-"ذكر ملك الملك المغيث الكرك كان الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب قد أرسله الملك المعظم توران شاه لما وصل إلى الديار المصرية إلى الشوبك واعتقله بها وكان النائب على الكرك والشوبك بدر الدين الصوابي الصالحي فلما جرى ما ذكرناه من قتل الملك المعظم وما استقر عليه الحال بادر بدر الدين الصوابي المذكور فأفرج عن المغيث وملكه القلعتين الكرك والشوبك وقام في خدمته أتم قيام .

ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق ولما جرى ما ذكرناه ولم يجب أمراء دمشق إلى ذلك كاتب الأمراء القيمرية الذين بها الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين فسار إليهم وملك دمشق ودخلها في يوم السبت لثمان مضين من ربيع الآخر من هذه السنة ولما استقر الناصر المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين بن يغمور وعلى الأمراء القيمرية به وأحسن اليهم واعتقل جماعة من الأمراء مماليك الملك الصالح وعصت عليه بعلبك وعجلون وشميميس مدة مديدة ثم سلمت جميعها إليه ولما ورد الخبر بذلك إلى مصر قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل إلى الحلبيين .

". (٢)

---

(١) تاريخ أبي الفداء ٣٣٩/٢

(٢) تاريخ أبي الفداء ٤٩٦/٢

٥٩-"ذكر غير ذلك من الحوادث في أوائل هذه السنة قبل تجريد العساكر إلى سيس قبض حسام الدين لاجين على نائبه في السلطنة شمس الدين قراسنقر واعتقله وولى نيابة السلطنة مملوكه منكوتمر الحسامي فأظهر منكوتمر المذكور من الحماقة والكبرياء ما غير به خواطر العسكر عليه وعلى أستاذه وكذلك قبض لاجين المذكور على بدر الدين البيسري وعلى عز الدين أيبك الحموي وعلى الحاج بهادر أمير حاجب وغيرهم من الأمراء .

وفيها أوقع قازان ملك التتر بأتابكه نيروز وقتله لأنه نسبه إلى مكاتبة المسلمين ورتب موضع وفيها وفد سلامش وهو مقدم تمان من المغل وكان ببلاد الروم وبلغه أن قازان يريد قتله فهرب وقدم على الملك المنصور حسام الدين لاجين فأكرمه فطلب سلامش نجدة من الملك المنصور لاجين ليعود إلى الروم طمعاً في اجتماع أهل الروم عليه فجرد معه من حلب عسكراً مقدمهم سيف الدين بكتمر الجلمي وساروا مع سلامش حتى تجاوزوا بلد سيس فخرجت عليهم التتر واقتتلوا معهم فقتل الجلمي وجماعة من العسكر الإسلامي وهرب الباقون وأما سلامش فهرب إلى قلعة من بلاد الروم واعتصم بها ثم أرسل إليه قازان واستنزله وحصر سلامش وقتله شر قتله .

وفيها اجتمع رأي حسام الدين لاجين ونائبه منكوتمر على روك الإقطاعات بالديار المصرية فريكت جميع البلاد المصرية وكتب بما استقر عليه الحال مثالات وفرقت على أربابها فقبلوها طوعاً أو كرهاً .

وفيها توفي عز الدين أيبك الموصلي نائب الفتوحات وغيرها وولى موضعه سيف الدين كرد أمير أخور .

وفيها في أواخر ذي القعدة من هذه السنة هرب قبجق والبكي وبكتمر السلحدار ومن انضم إليهم من حمص وساق خلفهم أيدغدي شقير مملوك حسام الدين لاجين من حلب مع جماعة من العسكر المجردين ليقطعوا عليهم الطريق .

ففاتهم قبجق ومن معه وعبروا الفرات واتصلوا بقازان ملك التتر فأحسن إليهم وأقاموا عنده حتى كان منهم ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

." (١)

٦٠-"تاريخ أبي الفداء

(٧٧ من ٨٧)

ذكر القبض على بيبرس الجاشنكير الملقب بالملك المظفر

كان المذكور قد هرب من قلعة الجبل عند وصول مولانا السلطان إلى الصالحية وأخذ منها جملاً كثيرة من الأموال والخيول وتوجه إلى جهة الصعيد فلما استقر مولانا السلطان بقلعة الجبل أرسل إليه وارتجع منه ما أخذه من الخزائن بغير حق ثم إن بيبرس المذكور قصد المسير إلى صهيون حسبما كان قد سأله فبرز من أطفيح إلى السويس وسار إلى الصالحية ثم سار منها حتى وصل إلى موضع بأطراف بلاد غزة يسمى العنصر قريب الداروم وكان قراسنقر متوجهاً إلى دمشق نائباً بها على ما

---

(١) تاريخ أبي الفداء ٣/١١٠

استقر عليه الحال فوصل إليه المرسوم بالقبض على بيبرس الجاشنكير فركب قراسنقر وكبسه بالمكان المذكور وقبض عليه به وسار به إلى جهة مصر حتى وصل إلى الخطارة فوصل من الأبواب الشريفة السلطانية أسندمر الكرجي وتسلم بيبرس الجاشنكير من قراسنمر وأمر قراسنقر بالعود فعاد إلى الشام فوصل أسندمر بيبرس الجاشنكير فحال وصوله إلى قلعة الجبل اعتقل يوم الخميس رابع عشر ذي القعدة من هذه السنة فكان آخر العهد به وكانت مدة سلطنة بيبرس المذكور الملقب بالملك المظفر أحد عشر شهراً : تفانى الرجال على حبها وما يحصلون على طائل وفيها غلب بيان بن قبجي على مملكة أخيه فاستنجد وطرده عنها واتفق موت كبلك عقيب ذلك وخلف ولداً اسمه قشتمر بن كبلك فاستنجد قشتمر وطرد عمه بيان واستقر في ملك وفيها وردت الأخبار بأن الفرنج قصدت ملك غرناطة بالأندلس وهو نصر ابن محمد بن الأحمر فاستنجد بسليمان المريني صاحب مراكش واتقع ابن الأحمر مع الفرنج .

وفيها تزوج خربندا ملك التتر ببنت صاحب ماردين الملك المنصور غازي ابن قرا أرسلان وحملت إليه إلى الأردو .

وفيها في يوم الأربعاء خامس ذي الحجة حضر مهنا بن عيسى إلى حماة وطلب توفيق الحال بيني وبين أخي بسبب حماة فلم يتفق حال .

". (١)

٦١-"ذكر خروج المعرة عن حماة وفي هذه السنة في المحرم خرجت المعرة عن حماة وأضيفت إلى حلب واستقر بيدي حماة وبارين وسبب ذلك أن الأمراء الذين كانوا بحماة ثم انتقلوا إلى حلب حسبما ذكرنا في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة واستقرت إقطاعاتهم بحماة لعدم إقطاعات محلولة تفي بجملة ما لهم فصعب عليهم نقلتهم إلى حلب جداً فأخذوا في التعنت والشكوى علي بسبب إقطاعاتهم ونقودهم المرتبة بحماة وانضم إلى ذلك أنه صار يتغير بعض إقطاعاتهم ويدخل فيها شيء من بلاد حلب بحكم تنقل أو زيادة ترد المناشير الشريفة بذلك وتخلط بلاد المملكة الحموية ببلاد المملكة الحلبية وغيرها من الممالك السلطانية وصارت أطماعهم معلقة بالعودة إلى حماة وهم مجتهدون على ذلك تارة بالتثقيل على السلطان بالشفائع وتارة بالسعي في ذهاب حماة مني فلم أجد لذلك ما يحسمه إلا بتعيين المعرة وبلادها للأمراء المذكورين وإضافتها إلى حلب وانفرادي بحماة وبارين منفصلة عن الممالك الشريفة السلطانية وسألت صدقات السلطان في ذلك وقال لي أيا عماد الدين ما أرضى لك بدون ما كان في يد عمك وابن عمك وجدك وكيف أنقصك عنهم المعرة فعاودت السؤال وأبديت التضرر الزائد فأجابني على كره لذلك صدقة علي وإجابة إلى سؤالي وكتب بصورة ما **استقر عليه** الحال مرسوماً شريفاً ذكرنا بعضه طلباً للاختصار .

". (٢)

(١) تاريخ أبي الفداء ١٤٣/٣

(٢) تاريخ أبي الفداء ١٦٥/٣

٦٢-"ذكر أخبار تمرتاش بن جوبان

كان تمرتاش المذكور في حياة أبيه جوبان قد صار صاحب بلاد الروم واستولى على جميع بلادها من قونية إلى قيسارية وغيرهما من البلاد المذكورة فلما انقهر أبوه وهرب كما ذكرناه ضاقت بتمرتاش المذكور الأرض ففارق بلاده وسار في جمع يسير نحو مائتي فارس أو أقل أو أكثر إلى الشام ثم سار منها إلى مصر إلى صدقات السطان وكانت نفس المذكور كبيرة جداً بسبب كبر أصله في مغل وكبر منصبه ولم يكن له عقل يرشده إلى أن يجعل نفسه حيث جعله الله تعالى ووصل المذكور إلى صدقات السلطان بالديار المصرية في العشر الأول من ربيع الأول فتصدق عليه السلطان وانعم عليه الإنعامات الجليلة وأعرض عليه إمرية كبيرة وإقطاعاً جليلاً فأبى أن يقبل ذلك وأن يسلك ما ينبغي واتفق أن الصلح قد انتظم بين السلطان وبين أبي سعيد وكان أبو سعيد يكاتب ويطلب تمرتاش المذكور بحكم الصلح وما **استقر عليه** القواعد فرأى السلطان من المصلحة إمساك تمرتاش المذكور وانضم إلى ذلك ما بلغ السلطان عنده أنه أخذ أموال أهل بلاد الروم وظلمهم الظلم الفاحش فأمسكه السلطان واعتقله في أواخر شعبان من هذه السنة ثم حضر أباجي رسول أبي سعيد فبالغ في طلب تمرتاش المذكور فاقتضت المصلحة إعدامه فأعدم تمرتاش المذكور في رابع شوال من هذه السنة بحضرة أباجي رسول أبي سعيد .

وفيها وصل أباجي رسول أبي سعيد وعبر على حماة في أواخر شعبان وصحبته أرلان قرائب والدة السلطان وتوجه إلى الأبواب الشريفة بسبب تمرتاش وكان من أمره ما شرح وعاد أباجي رسول المذكور من الأبواب الشريفة وعبر على حماة في التاسع عشر من شوال وتوجه إلى جهة أبي سعيد .

وفيها يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة توفي مملوكي أسنبغا وكان قد بقي من أكبر أمراء عسكر حماة رحمه الله .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وكانت غرة المحرم من هذه السنة يوم الجمعة رابع تشرين الثاني ولم يبلغني في أوائلها ما يليق أن يؤرخ والله أعلم .". (١)

٦٣-"وسألها الربانيون في الاخذ بثأرهم من القرائين خلقا كثيرا وجاء القراؤون إلى ابنها الكهنون ينكرون ذلك وأنه إذا فعل بهم ذلك وقد كانوا شيعا لابيه الاسكندر فقد تحدث النفرة من سائر الناس وسألوه أن يلتمس لهم اذنها في الخروج عن القدس والبعد عن الربانيين فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة وخرج معهم وجوه العسكر ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها ويقال ان ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها وكان ابنها ارستبلوس قائد العسكر لما شعر بموتها خرج إلى القرائين يستدعيهم إلى نصرته فأجازوه وتقبضت هي على أبنيه وامرأته واجتمعت عليه العساكر من النواحي وضرب البوق وزحف لحرب أخيه هرقانوس والربانيين وحاصرهم ارستبلوس ببيت المقدس وعزم على هدم الحصن فخرج إليه أعيان اليهود والكهنونية ساعين في الصلح بينهما وأجاب على أن يكون ملكا ويبقى هرقانوس على الكهنونية فتم ذلك **واستقر عليه** أمره (ابتداء أمر انظفتر أبو هيردوس) ثم سعى في الفتنة بينهما انظفتر أبو هيردوس وكان من عظماء بني اسرائيل من الذين جمعوا مع العزير من بابل وكان ذا شجاعة وبأس وله يسار وقنية من الضياع والمواشى وكان الاسكندر

---

(١) تاريخ أبي الفداء ٢٠٨/٣

قد ولاه على بلاد أروم وهى جبال الشراة فأقام في ولايتها سنين وكثر ماله وأنكحوه منهم فكان له منها أربعة من الابناء وهم فسيلو وهيردوس وفرودا

ويوسف وبنت اسمها سلومث وقيل ان انظفتر لم يكن من بنى اسرائيل وانما كان من أروم وربى في جملة بنى حسمناى وبيوتهم فلما مات الاسكندر وملكت زوجته الاسكندرة عزلته عن جبال الشراة فأقام بالقدس حتى إذا استبد بالامر ارستبلوس وكان بين هرقانوس وانظفتر مودة وصحبة فغص ارستبلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر انظفتر وهم بقتله فانفض عنه وأخذ في التدبير على ارستبلوس وفشا في الناس تبغضه إليهم وينكر تغلبه ويذكر لهم أن هرقانوس أحق بالملك منه ثم حذر هرقانوس من أخيه وخيل إليه أنه يريد قتله وبعث لشيعة هرقانوس المال على تخويفه من ذلك حتى تمكن منه الخوف ثم أشار عليه بالخروج إلى ملك العرب هرثمة وكان يحب هرقانوس فعقد معه عهدا على ذلك ولحق هرقانوس بهرثمة ومعه انظفتر ثم دعوا هرثمة إلى حرب ارستبلوس فأجابهم بعد مراوغة وتزاحفوا ونزع الكثير من عسكر ارستبلوس إلى هرقانوس فرجع هاربا إلى القدس ونازلهم هرقانوس وهرثمة واتصلت الحرب وطال الحصار وحضر عيد الفطير وافتقد اليهود القرابين فبعثوا إلى أصحاب هرقانوس فيها فاشتطوا في الثمن ثم أخذوه ولم يعطوهم شيئا وقتلوا بعض النساك طلبوه في الدعاء على". (١)

٦٤-"وببلاد اران وأرمينية واصبهان والعراق جميعه الا تكريت واما البطائح فبعضها لهذا وبعضها لهذا والخطبة بالبصرة لهما جميعا وأما خراسان من جرجان إلى ما وراء النهر فكان يخطب فيها لسنجر بعد أخيه السلطان محمد فلما استبصر بركيارق في ذلك ورأى تحكم الامراء عليه وقلة المال جنح إلى الصلح وبعث القاضى أبا المظفر الجرجاني الحنفي وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب قرا تكين إلى أخيه محمد في الصلح فوصلا إليه بمراغة وذكراه ووعظاه فأجاب إلى الصلح على أن السلطان لبركيارق ولا يمنع محمدا من اتخاذ الآلة ولا يذكر أحد منهما مع صاحبه في الخطبة في البلاد التى صارت إليه وتكون المكاتبة من وزيريهما في الشؤن لا يكاب أحدهما الآخر ولا يعارض أحد من العسكر في الذهاب إلى أيهما شاء ويكون للسلطان محمد من نهر اسبندرو إلى الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشأم وأن يدخل سيف الدولة صدقة بأعماله في خلفه وبلاده والسلطنة كلها وبقية الاعمال والبلاد كلها للسلطان بركيارق وبعث محمد إلى أصحابه باصبهان بالافراج عنها لاصحاب أخيه وجاؤا بحريم محمد إليه بعد أن دعاهم السلطان بركيارق إلى خدمته فامتنعوا فأكرمهم وحمل حريم أخيه وزودهم بالاموال وبعث العساكر في خدمتهم ثم بعث السلطان بركيارق إلى لمستظهر بما **استقر عليه** الحال في الصلح بينهم وحضر أبو الغازى بالديوان وهو شحنة محمد وشيعته الا أنه وقف مع الصلح فسأل الخطبة لبركيارق فأمرج المستظهر وخطب له على منابر بغداد وواسط في جمادى سنة سبع وتسعين ونكر الامير صدقة صاحب الحلة الخطبة لبركيارق وكان شيعة لمحمد وكتب إلى الخليفة بالنكير على أبى الغازى وأنه سائر لاخراجه عن بغداد فجمع أبو الغازى التركمان وفارق بغداد إلى عقرقوبا وجاء سيف الدولة صدقة ونزل مقابل التاج وقبل الارض وخيم بالجاب الغربي وأرسل إليه أبو الغازى يعتذر عن طاعة بركيارق بالصلح الواقع وان اقطاعه بحلوان في جملة بلاده التى وقع الصلح عليها وبغداد التى هو

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٢٤

شحنه فيها قد صارت له فقبل ورضى وعاد إلى الحلة وبعث المستظهر في ذى القعدة من سنة سبع وتسعين الخلع للسلطان بركيارق والامير اياز والخطير وزير بركيارق وبعث معهما العهد له بالسلطنة واستحلفه الرسل على طاعة المستظهر ورجعوا * (وفاة السلطان بركيارق وملك ابنه ملك شاه) *كان السلطان بركيارق بعد الصلح وانعقاده أقام باصبهان أشهرا وطرقه المرض فسار إلى بغداد فلما بلغ بلد يزدجرد اشتد مرضه وأقام بها أربعين يوما حتى أشفى على الموت فأحضر ولده ملك شاه وجماعة الامراء وولاه عهده في السلطنة وهو من خمس سمن". (١)

٦٥-"عليلا من اصبهان واشتد مرضه بنردجرد فولى عهده لابنه ملك شاه وعمره نحو من خمس سنين وخلع عليه وجعل الامير اياز كافله وأوصى أهل الدولة بالطاعة والمساعدة وبعثهم إلى بغداد فأدركهم خبر وفاته بالطريق ورجع اياز حتى دفنه باصبهان وجمع السرادقات والخيام والجتر والسمسمة لابنه ملك شاه وكان بركيارق قد لقى في ملكه من الرخاء والشدة والسلم ما لم يلقه أحد فلما استقر واستقامت سعادته أدركته المنية ولما توفى خطب لابنه ملك شاه ببغداد وكان أبو الغازى قد سار من بغداد إليه وهو باصبهان يستحثه إلى بغداد وجاء معه فلما مات سار مع ابنه ملك شاه والامير اياز إلى بغداد وركب الوزير أبو القاسم على بن جهير فلقيهم به مالى وحضر أبو الغازى والامير طغلبرك بالديوان وطلبا الخطبة لملك شاه فخطب له ولقب بألقاب جده ملك شاه * (حصار السلطان محمد الموصل) * لما انعقد الصلح بين بركيارق ومحمد واختص كل منهما اعماله وكانت اذربيجان في قسمة محمد رجع محمد إلى أذربيجان ولحق به سعد الملك أبو المحاسن الذى كان نائبا باصبهان بعد أن أبلى المدافعة عنها ثم سلمها بعد الصلح إلى نواب بركيارق واستوزره فأقام محمد إلى صفر من سنة ثمان وتسعين ثم سار يريد الموصل على طريق مراغة ورحل وبلغ الخبر إلى جكرمس فاستعد للحصار وأدخل أهل الضاحية إلى البلد وحاصره محمد ثم بعث له يذكره ما **استقر عليه** بينه وبين أخيه وأن الموصل والجزيرة له وعرض عليه خط بركيارق بذلك وبايمانه عليه ووعده أن يقرها في عمالته فقال له جكرمس ان السلطان كتب إلى بعد الصلح بخلاف ذلك فاشتد في حصاره واشتد أهل البلد في المدافعة ونفس الله عنهم برخص الاسعار وكان عسكر جكرمس مجتمعين قريبا من الموصل وكانوا يغزون على أطراف العسكر ويمنعون عنهم الميرة ثم وصل الخبر عاشر جمادى الاولى بوفاة السلطان بركيارق فاستشار جكرمس أهل البلد فردوا

النظر إليه واستشار الجند فأشاروا بطاعة السلطان محمد فأرسل إليه بذلك واستدعى وزيره سعد الملك فدخل عليه وأشار عليه بلقاء السلطان فخرج إليه على كره من أهل البلد فتلقاه السلطان بالكرامة وأعاده سريعا إلى البلد ليطمئن الناس * (استيلاء السلطان محمد على بغداد وخلع ملك شاه بن أخيه ومقتل اياز) * قد كنا قدمنا صلح بركيارق وأخيه من أنه يستقل بركيارق بالسلطنة وينفرد محمد بالاعمال التى ذكرنا وموت بركيارق اثر ذلك وتقديم ابنه ملك شاه ببغداد فوصل الخبر". (٢)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣/٤٩١

(٢) تاريخ ابن خلدون ٥/٣٤

٦٦-"من داره لحرب ما عاش وأجابه السلطان وأذن له في الركوب وحمل الغاشية وفارق المسترشد بعض الموكلين به فهجم عليه جماعة من الباطنية فألحموه جراحا وقتلوه ومثلوا به جدعا وصلبا وتركوه سليبا في نفر من أصحابه قتلوهم معه وتبع الباطنية فقتلوا وكان ذلك منتصف ذى القعدة سنة ست وعشرين لثمان عشرة سنة من خلافته وكان كاتبا بليغا شجاعا قرما ولما قتل بمراغة كتب السلطان مسعود إلى بك ايه شحنة بغداد بأن يبايع لابنه فبويع ابنه الراشد أبو جعفر منصور بعهده إليه لثمانية أيام من مقتله وحضر بيعته جماعة من أولاد الخلفاء وأبو النجيب الواعظ وأما اقبال خادم المسترشد فلما بلغه خبر الواقعة وكان مقيما ببغداد كما قدمناه عبر إلى الجانب

الغربي ولحق بتكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز * (فتنة الراشد مع السلطان مسعود) * لما بويع الراشد بعث إليه السلطان مسعود برتقش الزكوى يطالبه بما **استقر عليه** الصلح مع أبيه المسترشد وهو أربعمائة ألف دينار فأنكر الراشد أن يكون له مال وانما مال الخلافة كان مع المسترشد فنهب ثم جمع الراشد العساكر وقدم عليهم كجراية وشرع في عمارة السور واتفق برتقش مع بك ايه على هجوم دار الخلافة وركبوا لذلك في العساكر فقاتلهم عساكر الراشد والعامة وأخرجوهم عن البلد إلى طريق خراسان وسار بك ايه إلى واسط وبرتقش إلى سرخس ولما علم داود بن محمود فتنة عمه مسعود مع الراشد سار من اذربيجان إلى بغداد في صفر سنة ثلاثين ونزل بدار السلطان ووصل بعده عماد الدين زنكى من الموصل وصدقة بن دبيس من الحلة ومعه عش بن أبي العسكر يدبر أمره ويديره وكان أبوه دبيس قد قتل بعد مقتل المسترشد باذربيجان وملك هو الحلة ثم وصل جماعة من أمراء مسعود منهم برتقش بازدار صاحب فروق والبقش الكبير صاحب اصبهان وابن برسق وابن الاحمر يلى وخرج للقائهم كجراية والطرنطاى وكان اقبال خادم المسترشد قد قدم من تكريت فقبض عليه الراشد وعلى ناصر الدولة أبي عبد الله الحسن بن جهير فاستوحش أهل الدولة وركب الوزير جلال الدين بن صدقة إلى لقاء عماد الدين زنكى فأقام عنده مستجيرا حتى أصلح حاله مع الراشد واستجار به قاضى القضاة الزينبي ولم يزل معه إلى الموصل وشفع في اقبال فأطلق وسار إليه ثم جد الراشد في عمارة السور وسار الملك داود لقتال مسعود استخلفه الراشد واستخلفه عماد الدين زنكى وقطعت خطبة مسعود من بغداد وولى داود شحنة بغداد برتقش بازدار ثم وصل الخبر بأن سلجوق شاه أخا الامير مسعود ملك واسط وقبض على الامير بك ايه فسار الامير زنكى لدفاعه فصالحه ورجع وعبر إلى طريق خراسان". (١)

٦٧-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء التاسع الصفحة ٣٨٥

وقال حسين الجعفي: ربما عطش حمزة فلا يستسقي كراهية أن يصادف من قرأ عليه. وذكر جرير بن عبد الحميد أن حمزة مر به فطلب ماءً قال: فأتيته يشرب مني لكوني أحضر القراءة عنده. وقال يحي بن معين: سمعت ابن فضيل يقول: ما أحسب أ، الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة. وكان شعيب بن حرب يقول لأصحاب الحديث: ألا تسألوني عن الدر قراءة حمزة، وبلغنا أ،) رجلاً قال لحمزة: يا أبا عمارة رأيت رجلاً من أصحابك همز حتى انقطع زره، فقال: لم آمرهم

(١) تاريخ ابن خلدون ٥/٦١

بهذا كله. وقال محمد بن الهيثم: أدركت الكوفة ومسجدها الغالب عليه قراءة حمزة الزيات. وروى عن حمزة قال: إن لهذا التحقيق حداً ينتهي إليه ثم يكون قبيحاً. وعنه قال: إنما الهمز رياضة فإذا حسنها الرجل سهلها. وقيل: إن حمزة أم الناس سنة مائة. وروى أحمد بن زهير عن ابن معين قال: حمزة ثقة. وقال النسائي: ليس به بأس، وقد كره قراءة حمزة: ابن إدريس الأودي وأحمد بن حنبل وجماعة لفرط المد والأمالة والسكت على الساكن قبل الهمز وغير ذلك، حتى أن بعضهم رأى إعادة الصلاة إذا كانت بقراءة حمزة، وهذا غلو. والذي **استقر عليه** الاتفاق وانعقد الإجماع على ثبوت

٩..." (١)

٦٨-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء التاسع الصفحة ٥٩١

وقال الحسن بن علي الحلواني: سمعت يزيد بن هارون يقول: لو كان لي سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين. وقال أبو أمية الطرسوسي: ثنا علي بن الحسن النسائي ثنا فياض بن محمد الرقي سمعت ابن أبي ذئب يقول: كنا عند الزهري فنظر إلى ابن إسحاق يقبل فقال: لا يزال بالحجاز علم كثير ما دام هذا الأحول بين أظهرهم. وقال ابن علية: سمعت شعبة يقول: هو صدوق. وقال ابن المديني: قلت لسفيان: أكان ابن إسحاق جالس فاطمة بنت المنذر فقال: أخبرني أنها) حدثته فإنه دخل عليها. قلت: الذي **استقر عليه** الأمر أن ابن إسحاق صالح الحديث وأنه في المغازي أقوى منه في الأحكام. وقد قال يحي بن سعيد: سمعت هشام بن عروة يكذبه. وقال أبو الوليد: نا وهيب بن خالد سألت مالكاً عن ابن إسحاق فقال واتهمه. وقال أحمد بن زهير: سمعت ابن مهدي يقول: كان يحي بن سعيد الأنصاري ومالك يجرحان محمد بن إسحاق. وقال العقيلي: حدثني الفضيل بن جعفر نا عبد الملك بن محمد نا سليمان بن داود قال لي يحي ابن سعيد القطان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب. قلت: وما يدريك قال: قال لي وهيب. فقلت لوهيب: ما يدريك قال: قال لي مالك، فقلت لمالك: وما يدريك قال: قال لي هشام بن عروة، قلت له: وما يدريك قال: حدث عن امرأتي وأدخلت علي وهي

٩..." (٢)

٦٩-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الثامن عشر الصفحة ٨٣

وقال أبو إسماعيل الترمذي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.) واقال إسماعيل بن الحسن السراج: سألت أحمد عمن يقول: القرآن مخلوق. فقال: كافر. وعمن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق. فقال: جهمي. وقال صالح بن أحمد: تناهى إلى أبي أن أبا طالب يحكي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق. فأخبرت أبي بذلك، فقال: من أخبرك قلت: فلان. فقال: ابعث إلى أبي طالب. فوجهت إليه، فجاء وجاء فوزان، فقال له أبي: أنا قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق وغضب وجعل يرعد، فقال: قرأت عليك قل هو الله أحد فقلت لي: ليس هذا بمخلوق. فقال: فلم حكيت عني أني قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق وبلغني أنك وضعت ذلك في كتاب، وكتبت به إلى قوم. فآمحه، واكتب إلى القوم أني لم أقله

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٣٨٥/٩

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٥٩١/٩

لك. فجعل فوزان يعتذر إليه، وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد أبو طالب، فذكر أنه قد حك ذلك من كتابه، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي. قلت: الذي **استقر عليه** قول أبي عبد الله: أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع. وقال أحمد بن زنجويه: سمعت أحمد بن حنبل يقول: اللفظية شر من الجهمية. وقال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق.". (١)

٧٠-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء العشرون الصفحة ٩٥

وقال الإمام أبو عمرو بن الصّلاح: الذي اختاره أبو منصور وذكر أنهّ الصّحيح من المذهب إنهّ يعتبر خلاف داود. قال ابن الصّلاح: هذا هو الذّي **استقّر عليه** الأمر آخراً هو الأغلب الأعرف من صفو الأئمّة المتأخرين الّذين أوردوا مذهب داود في مصنفّاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد، والماورديّ، وأبي الطّيّب، فلولا اعتداهم به لما ذكروا مذهبه في مصنفّاتهم. قال: ورأى أن يعتبر قوله إلاّ فيما خالف فيه القياس الجلّي، وما أجمع عليه القياسون من أنواعه، أو بناه على أصوله التّي قام الدّليل القاطع على بطلانها، واتّفاق من سواه إجماع منعقد، كقوله التغوط في الماء الراكدّ، وتلك المسائل الشنيعة، قوله لا زنا في السُّنَّة المنصوص عليها، فخلافه في ها ونحوه غير معتدّ به، لانه مبنيّ على ما يقطع ببطلانه، والله أعلم. توفيّ في رمضان سنة سبعين ومائتين.)". (٢)

٧١-" وكتب إليه أيضا باليوم الذي يرتحل فيه من شراف فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس وشرق بالناس وغرب بهم ثم قدم عليه كتاب جواب عمر أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة ومن غفل فليحدثهما والصبر الصبر فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة والحذر الحذر عى من أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله واكتب إلي أين بلغك جمعهم ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه والذي **استقر عليه** أمر عدوكم فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها واجعلني من أمركم على الجلية وخف الله وارجه ولا تدل بشيء واعلم أن الله قد وعدكم وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له فاحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم فكتب إليه سعد بصفة البلدان إن القادسية بين الخندق والعتيق وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحضوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة وما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم وإن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي ألب لأهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا وإن الذي أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثال له منهم فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية فكتب إليه عمر قد جاءني كتابك وفهمته فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٨٣/١٨

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٩٥/٢٠

عدوك واعلم أن لها ما بعدها فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم ا لمدائن فإنه خرابها إن شاء الله وجعل عمر يدعو لسعد خاصة ويدعون له معه وللمسلمين عامة فقدم زهرة سعد حتى عسكر بعذيب الهجانات ثم خرج في أثره حتى ينزل على زهرة بعذيب الهجانات وقدمه فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة وقديس يومئذ أسفل منها بميل كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن القعقاع بإسناده قال وكتب عمر إلى سعد إني قد ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو وهزمتموهم فاطرحوا الشك وآثروا التقية عليه فإن لاعب أحد منكم أحدا من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان فكان لا يدري الأعجمي ما كلمه به وكان عندهم أمانا فأجروا ذلك له مجرى الأمان وإياكم والضحك والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر الهلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ريحكم وإقبال ريحهم واعلموا أني أحذركم أن تكونوا شينا على المسلمين وسببا لتوهينهم كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن مسلم العكلي والمقدام بن أبي المقدام عن أبيه عن كرب بن أبي كرب العكلي وكان في المقدمات أيام القادسية قال قدمنا سعد من شراف فنزلنا بعذيب الهجانات ثم ارتحل فلما نزل علينا بعذيب الهجانات وذلك في وجه الصبح خرج زهرة بن الحوية في المقدمات فلما رفع لنا العذيب وكان من مسالحهم استبنا على بروجه ناسا فما نشاء أن نرى على برج من بروجه رجلا أو بين شرفتين إلا رأيناه وكنا في سرعان الخيل فأمسكنا حتى تلاحق بنا كثف ونحن نرى أن فيها ". (١)

٧٢-"يقول الرسول (: "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ "، فلذلك كل سفر يحتاج إلى صبر كبير، وبه يجرب الرجل فقد روي أنّ عمر بن الخطاب وأصحابه رضي الله عنهم: كانوا جلوساً فمرّ بهم رجل مدحه أحدهم، فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ : أتعاملت معه في تجارة أو مال؟ فقال: لا، فقال له: أسافرت معه؟ فقال: لا، قال عمر ـ رضي الله عنه ـ للرجل: لم تعرفه ، من هنا تبرز أهمية السفر، وأنّه أحد ممحصات الرجال؛ لأنّ الرجل يظهر في الشدائد، والسفر شدة من الشدائد، إذ يصادف في السفر كثير من الأمور التي لا تناسب مزاجه، وكذلك كثير من الناس الذين لا يتفقون معه فكرياً أو معرفياً، فلكما أحسن التعامل مع هذه الظروف بفهم كبير كلما برزت معالم رجولة الرجل، وفي السفر آداب وسنن وردت في السنة المطهرة ونذكر منها:

من السنة قبل مغادرتنا بيوتنا أن نصلي ركعتين ونسلم على الأهل ونستودعهم الله.

لمن أراد السفر إلى الحج من السنة أن يسأل الناس أن يسامحوه وأن يرد المظالم إلى أهلها، وإن كان عليه دين فيجب عليه أن يقضي ذلك الدين، أو أن يستأذن صاحب المال بالسفر إلى الحج.

التوبة والاستغفار من جميع الذنوب .

إذا وضع رجله على مركوبه قال: بسم الله. فإذا **استقر عليه** فليذكر نعمة الله على عباده بتيسير المركوبات المتنوعة ثم ليقل: "الله أكبر الله أكبر الله أكبر، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري ٢/٣٨٧

في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد".
التكبير إذا صعد مكاناً علواً، والتسبيح إذا هبط مكاناً منخفضاً.
إذا نزل منزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإن من قالها لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله الذي قالها فيه.". (١)

٧٣-"وفي يوم الأحد ثالث عشره قبض الملك المنصور على سيف الدين كوندك الظاهري وعلى جماعة من الأمراء الظاهرية لمصلحة اقتضاها بمنزلة حمراة بيسان وقت الظهر بالدهليز، وعند قبضهم هرب الأمير سيف الدين بلبان الهاروني، ومعه جماعة، وقصدوا صهيون، وركبت الخيل في طلبهم فلم يدركوهم.
وفي ليلة الأربعاء سادس عشره هرب الأمير سيف الدين ايتمش السعدي، ومعه جماعة إلى صهيون من منزلة خربة اللصوص، وركبت في طلبهم جماعة من الأمراء، منهم الأمير ركن الدين بيبرس الناصري المعروف بطقصو، فأدركه، وجرح طقصو، ولم يقدر على رده فعاد عنه.
وفي يوم السبت تاسع عشره دخل الملك المنصور سيف الدين قلاوون دمشق ونزل بقلعتها، وخرج الناس كافة إلا من قل لتلقيه.
وفي عشية يوم الاثنين تاسع وعشرين منه صرف قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله عما كان يباشره من الحكم بالبلاد الشامية، وولى القضاء عز الدين محمد بن عبد القادر المعروف بابن الصائغ عوضه.
وفي العشر الأول من صفر ترتب بدمشق حاكم على مذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمة الله عليه بعد خلوها منه مدة، والذي ولى القضاء نجم الدين أحمد بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر المقدسي.
وفيه خرج قطعة جيدة من العسكر، مقدمهم الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسي، وأعقبهم مجانيق عدة جهزت على العجل لحصار شيزر.
وفي العشر المذكور من صفر أيضاً ولى بحلب وأعمالها القاضي تاج الدين يحيى بن محمد الشافعي مستقلاً من جهة الملك المنصور.
وفي هذا الشهر جاء الملك المنصور صاحب حماة إلى دمشق لخدمة السلطان الملك المنصور والسلام عليه، فخرج لتلقيه في موكبه، ونزل بداره المعروفة بابن المقدم داخل باب الفراديس، وترددت الرسائل بين الملك المنصور وشمس الدين سنقر الأشقر في تقرير قواعد الصلح، فلما كان يوم الأحد رابع ربيع الأول، وصل من جهة سنقر الأشقر الأمير علم الدين الدويداري، ومعه خزندار سنقر الأشقر في معنى إبرام الصلح والوقوف على اليمين، فحلف الملك المنصور يوم الاثنين خامسه، ونادت المنادية في دمشق بانتظام الصلح واجتماع الكلمة، فرجع الذين حضروا من جهة سنقر الأشقر، وصحبتهم الأمير فخر الدين اياز المقرى ليحضر يمين شمس الدين سنقر الأشقر، فحلفه، وعاد إلى دمشق يوم الاثنين ثاني عشره فضربت البشائر

---

(١) دليل الحاج ص/٨

بالقلعة، وسر الناس بذلك غاية السرور، وصورة ما انتظم عليه الصلح: أن سنقر الأشقر يرفع يده عن شيزر، ويسلمها إلى نواب الملك المنصور وعوضه عنها فامية، وكفرطاب، وأنطاكية، والسويدية، ولا سفر، وبكاس، ودركوش بأعمالها كلها، وعدة ضياع معروفة، وأن يقيم على ذلك، وعلى ما كان استقر بيده عند الصلح، وهو: صهيون وبلاطنس، وحصن مرزية، وجبلة واللاذقية، وست مائة فارس، وخوطب بالمقر العالي المولوي السيدي العادلي الشمسي، ولم يصرح في مخاطباته بالملك ولا بالأمير، وكان يخاطب قبل ذلك في مكاتباته من الملك المنصور بالجناب العالي الأميري الشمسي.

وفي العشر الأوسط منه دارت الجهة المفردة بدمشق وأعمالها، وضمنت، وأقام لها ديوان، ومشد، وكانت أبطلت من الشام في الأيام الظاهرية من مدة تزيد على خمس عشرة سنة، وأعيدت هذه الحالة في الديار المصرية قبل هذا التاريخ بمدة، فلما كان يوم الأحد الخامس والعشرين منه، خرج مرسوم السلطان بإبطال الجهة المفردة من دمشق، والبلاد الشامية، وباراقة الخمور، وإقامة الحدود على مرتكب ذلك، وبتعظيم الانكار في ذلك، فركب الولاة، وطافوا على مظان ذلك بدمشق وظاهرها، وأراقوا الخمور، وأزالوا ما يناسب ذلك، وشددوا غاية التشديد في ذلك، وتضاعفت الأدعية للسلطان على ذلك.

وفي بكرة يوم الأحد تاسع وعشرين منه عادت العساكر الشامية بكمالها، ويسير من العساكر المصرية من جهة سيزر إلى دمشق للاستغناء عنهم بالصلح. وفي اليوم المذكور انبرم الصلح بين الملك المنصور سيف الدين قلاوون والملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر صاحب الكرك، وحلف الملك المنصور على الصلح بما **استقر عليه** الحال، ونادت المنادية بذلك، ففرح الناس باجتماع الكلمة، ولله الحمد.". (١)

٧٤-"""""""" صفحة رقم ١٤١ """""""

فخرج إليهم نقيطاً قطبان أنطاكية ، وحاصرهم في المغاير ، ودخن عليهم ، وساعده على ذلك نصر بن صالح صاحب حلب ، ثم التمسوا الأمان بعد اثنين وعشرين يوماً ، فأخرجوهم بالأمان ، وقبضوا على دعاتهم وقتلوهم ، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

وفي هذه السنة استوحش سالم بن مستفاد الحمداني من شبل الدولة نصر ، وكان صالح بن مرداس قد ولاه رئاسة حلب بعد ما سلمها إليه ، وقدمه على الأحداث ، وأبقاه نصر بعده على حاله إلى هذا التاريخ **واستقر عليه** أحداث حلب ورعاعها ولبسوا السلاح ، وعولوا على محاربة القلعة .

وكان يتردد بين سالم وبين شبل الدولة كاتب نصراني يعرف بتوما وكان يحرف ما ينقله عن ابن مستفاد إلى نصر ، ويزيد في التجني ، ويسوم شططاً لا يمكن إجابته إليه ، وذلك من غير علم ابن مستفاد .

فلما رأى شبل الدولة نصر كثرة تعديه حمل نفسه على محاربته ، وركب إليه ، فلما رآه الحلبيون دعوا له وانقلبوا إليه ، وقاتلوا دار ابن مستفاب ، فطلب الأمان فحلف له أنه لا يجري له دماً وحبسه بالقلعة ، ونهبت داره ، ثم خاف استبقاءه فقتله خنقاً ، ليخرج عن يمينه بأنه لم يجر له دماً .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٨/٢

وتبين لنصر بعد قليل كذب ذلك النصراني الكاتب ، وما كان يحرفه في رسالته فقبض عليه ، وطالبه بمال ، فلما استصفى ماله دخل عليه بعض أجناد القلعة فخنقه في ذي القعدة . وقيل ذي الحجة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة .

نهاية نصر بن صالح بن مرداس

ودام نصر بن صالح في مملكة حلب إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

وقتل في المصاف بينه وبين أمير الجيوش الدزبري .". (١)

٧٥-"""""""" صفحة رقم ٤١١ """""""

ثم سار إلى عسقلان ، ونازلها يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة ، وتسلمها يوم السبت سلخ جمادى الآخرة ، بعد أن تسلم في طريقه مواضع كالرملة وينبا و الداروم . وأقام على عسقلان ، وتسلم أصحابه غزة ، وبيت جبرين ، والنطرون ، وبيت لحم ، ومسجد الخليل عليه السلام .

تسلم القدس من الفرنج

وسار إلى بيت المقدس ، فنزل عليه يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين ، فنزل بالجانب الغربي ، وكان مشحوناً بالمقاتلة من الخيالة والرجالة . وكان عليه من المقاتلة ما يريد على ستين ألفاً غير النساء والصبيان . ثم انتقل إلى الجانب الشمالي ، يوم الجمعة العشرين من شهر رجب ونصب عليه المنجنيقات ، وضايقه بالزحف ، والقتال ، وكثرة الرماة ، حتى أخذ النقب في السور ، مما يلي وادي جهنم ، في قرنة شمالية . ولما رأوا ذلك وعلموا أن لا ناصر لهم ، وأن جميع البلاد التي افتتحها السلطان صار من بقي من أهلها إلى القدس ، خرج عند ذلك إليه ابن بارزان ، ملقياً بيده ، ومتوسطاً لأمر قومه ، حتى استقر مع السلطان خزوج الفرنج عنها بأموالهم وعيالهم ، وأن يؤدوا عن كل رجل منهم عشرة دنانير ، وعن كل امرأة خمسة دنانير ، وعن كل طفل لم يبلغ الحلم دينارين . ومن عجز عن ذلك استرق ، فبلغ الحاصل من ذلك عن من خرج منهم مائتين وستين ألف دينار صورية ، واسترق بعد ذلك منهم نحو ستة عشر ألفا .

وكان السلطان قد رتب في كل باب أميراً أميناً لأخذ ما **استقر عليهم** ، فخانوا ، ولم يؤدوا الأمانة ، فإنه كان فيه ، على التحقيق ، العدة التي ذكرناها . وأطلق ابن". (٢)

٧٦-"وكسره ونهب الحلة، وهرب دبيس إلى الشام، فأجاره شهاب الدين ابن مالك بالدوسرية وأكرمه وسيّره إلى نجم الدين ابن أرتق إلى ماردين فأكرمه وصارت بينهما زيجة، وأعاده إلى الحلة.

- ٤١ - (١)

سنة٥١٥: وفي جمادى الأولى كانت كسرة المسلمين ببلاد الكرج، وذلك أن داود ملك الكرج كان قد ظهر على الملك طغرل من الدروب، فاستنجد بنجم الدين ابن ارتق وجموح التركمان وصحبتهم دبيس بن صدقة بن مزيد، فانكفت الكرج

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب ص/١٤١

(٢) زبدة الحلب من تاريخ حلب ص/٤١١

في الدروب الضيقة وتبعهم خلق من المسلمين، فأخذ الكرج عليهم الدروب ورضخوهم بالصخر فانكسروا.

- ٤٢ - (٢)

سنة ٥١٨: وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة عبر الأمير دبيس بن صدقة بن مزيد، من قلعة منبج ونزل بظاهر منبج، وكان له عمل في حلب ومكاتبة، فانكشفة على يد فضائل بن صاعد بن بديع، وقتل بعض القوم ونفى بعضاً، وكان بها التمرتاش حسام الدين بن نجم الدين إيلغازي بن أرتق.

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب كان خلاص البغدوين [ملك الفرنج] من شيزر، وكان **استقر عليه** ثمانون ألف دينار وقلعة عزاز، وحلف على ذلك ورهن جماعة من الفرنج أثني عشر نفساً، أخذهم الجوسلين، وعجل من المال عشرين ألف دينار، فما هو إلا أن خرج حتى غدر ونكث، ونفذ يعتذر إلى الأمير حسام الدين بن نجم الدين بأن البطريك لم يوافقه على تسليم عزاز، وأن خطية اليمين تلزمه، وترددت الرسل منهم إلى يوم الأحد ثامن عشر شعبان وعادة بنقض الهدنة. وخرج الملك إلى ارتاح وعزمه على حلب، فخرج التمرتاش من حلب

(١) بغية الطلب ٦: ٣٠٩ (انظر التاريخ الصغير ٣٨٨).

(٢) بغية الطلب ٦: ٣٠٩.". (١)

٧٧-"الآراء متضاربة سواء في الأندية والمجالس، أو المباحثات والمحاورات، نسمع أن العشائر ما زالوا على وضعهم، فلا أمل في تهذيبهم، والمحافظة على الحالة من أسباب بقائهم على الجهل والأمية، وكأن القوم في استقرار على وضع لا يستطيعون الخروج منه، أو أنهم قوم لا يقبلون التعليم وجماعة لا يفيد معها التهذيب، و (من التعذيب تعليم الذيب)، فلا أمل من مزاولة تهذيبهم... وآخرون يرون لزوم الانتقال بهم من حالة البداوة الى الحياة الريفية، وهؤلاء يريدون مطالب يرجون تحقيقها... ثم مراعاة تثقيفهم... ولعل هذا من نوع التعليق بالمحال، لأن الانتقال تابع لأحوال، وأوضاع طبيعية أو مشاريع قطعية... ولم يكونوا في حالة يمكن إفراغها بالشكل الذي نبتغيه متى شئنا... وإبقاء القوم في جهل يؤدي إلى قبول نتائجه الوخيمة والكثيرة طول هذه المدة... وأرى أن هذا الرأي مدخول، لا يوزن بميزان صحيح... ويكوّن عجزاً عن إيجاد طريقة لتعليم العشائر وهكذا يرى آخرون لزوم تعليق هذا الأمر الى ان يوجد مدرسون حائزون لأوصاف تلائم البادية، ورجال دينون مهذبون وان تتوازن القدرة بين المدرس والرجل الديني والا فأولى أن لا نعمل لإنجاز المشروع وحينئذ من السهل ان يحبط ويفرط التدبير... وهل استعصى وجود مدرس حائز لهذه الأوصاف...! وهناك آراء كثيرة أمثال هذه...

وإذا قبلنا أساس تعليمهم ولم نلتفت الى الأقوال المارة أو أمثالها أو نجهد لتحقيق بعضها.... فماذا نلاحظ؟ هل يصل أهل البادية إلى درجة مهمة من التعليم نظراً للاهتمام الذي نراه بحيث يضارعون أهل المدن في علومهم، ويجارونهم في ثقافته فنجعل منهاجهم كسائر مناهج المعارف؟ وهل لهم قدرة وصبر على اجتياز العقبات في هذا السبيل حتى يتساوى الحضري

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ٦٨/١

والبدوي في التعليم.!؟ قبل كل شيء يجب أن نفكر في ادخال التعليم البسيط بين ربوعهم ونجرب بعض التجارب التي استقر عليها رأينا... ثم نلاحظ تقويتها، وتوسيعها تدريجياً..! والتمنيات لا حدّ لها، ولكن على كل حال يتحتم علينا أن نزاول الموضوع من وجهته العملية الممكنة.

وهنا يعترضنا عند الكلام على طريقة التعليم الوقوف على اثر التعليم في البدو الدرجة التي يستحقون ان تبلغ بهم ليكونوا أعضاء فعالة لخير الأمة، وينالوا النصيب التام منها كغيرهم من اهل المدن؟ - لا أتطلب أن تنقلب البادية الى مدار س راقية بحيث لا تفترق في تشكيلاتها عن المدن، ولا يخطر ذلك ببالي في وقت بل ينبغي ان لا نزاول هذه الأمور، وإنما نسعى أن نمكنهم من أن يكونوا متعلمين لدرجة وافية بحاجتهم على الأقل، ومؤدية ما يتطلبونه من اغراض أو بالتعبير الأولى أن يكونوا عارفين بما عندهم وزيادة قليلة...

هؤلاء لم يشبعوا الخبز، فكيف نريد ان نوجد فيهم (تخمة) من العلوم وليس لهم مأوى ونحاول أن نعلمهم الكماليات وأصول ادارة المسكن وخدمه، والزوجة وحقوقها... أو آداب المعاشرة، وهكذا نسير معهم بطرق معوجة، وغير مثمرة... والأنكى من هذا أن ننزع الى لزوم تعليمهم بهارج الحضارة وزينة الملاهي، أو نزين لهم هذه الأمور...! وبهذا نكون قد قمنا بخدمة تدريبهم الى الخلاعة...

وعلى كل حال يجب أن نراعي فيهم منهجاً خاصاً في الحياة البدوية، وطريقة مرضية في لوازمها من معرفة بسيطة وثقافة بقدر ما تقتضيه حاجتهم... ليحافظوا على أوضاعهم ويقوموا بواجباتهم... فيعلموا طريق الحياة، ووسائل الانتهاج، وأن يلقنوا عقائدهم، وأن يقتصر فيها على الفروض والواجبات، وأن يعلموا علاقتهم بالحكومة من ناحية الأمن والضرائب مما يتعلق بهم، ونعين أوضاعهم... فلا نخرج عما يأتلف وهذه الأوضاع، وان يؤدي عملنا هذا الى ما يزيد في ثقافتهم العامة ويبين لهم فكرة عن الحضارة، ويكمل ما علموه من البداوة لحاجات رأوها...!". (١)

٧٨-"هو يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة وكان في أيام المقتدي بأمر الله، وقد جعل باسمه كثيراً من الكتب التي صنفها، وكان من المشهورين في علم الطب وعمله، وهو تلميذ أبي الحسن سعيد بن هبة الله، ولابن جزلة أيضاً نظر في علم الأدب، وكان يكتب خطاً جيداً منسوباً، وقد رأيت بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل على فضله، وتعرب عن معرفته، وكان نصرانياً ثم أسلم، وألف رسالة في الرد على النصارى، وكتب بها إلى إليا القس،ولابن جزلة من الكتب كتاب تقويم الأبدان وصنفه للمتقدي بأمر الله، كتاب منهاج البيان في ما يستعمله الإنسان، وصنفه أيضاً للمقتدي بأمر الله، كتاب الإشارة في تلخيص العبارة وما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ والبدن، لخصه في كتاب تقويم الأبدان، رسالة في مدح الطب وموافقته الشرع، والرد على من طعن عليه، رسالة كتب بها لما أسلم إلى إليا القس وذلك في سنة ست وستين وأربعمائة.

أبو الخطاب

---

(١) عشائر العراق ص/١٢٧

هو محمد بن محمد بن أبي طالب، مقامه ببغداد، وقرأ صناعة الطب على أبي الحسن سعيد بن هبة الله وكان متميزاً في الطب وعمله، ورأيت خطه على كتاب من تصنيفه قد قرئ عليه، وهو كثير اللحن، يدل على أنه لم يشتغل بشيء من العربية، وكان تاريخه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسمائة،ولأبي الخطاب من الكتب كتاب الشامل في الطب جعله على طريق المسألة والجواب في العلم والعمل، وهو يشتمل على ثلاث وستين مقالة،

ابن الواسطي

كان طبيباً للمشتظهر بالله، وكان عنده رفيع المنزلة، فاتفق أن أبا سعيد بن المعوج تولى صاحب ديوان **واستقر عليه** قرية مبلغها ثلاثة آلاف دينار، فوزن منها ألفي دينار، وبقي عليه ألف دينار، فسأل أنظاره بها سنة إلى أن يصل المستغل، فلما حل المبلغ نكبت الغلة والثمرة ولم يحصل له من ملكه ما يصرفه في ذلك.

وكان حاجبه وخاصته مظفر بن الدواتي، فأشار إليه بالمضي إلى ابن الواسطي الطبيب، ويقصده في داره ويسأله أن يخاطب الخليفة المستظهر بالله في إنظاره إلى سنة أخرى إلى أن تدخل الغلة.

فلما نهض من الديوان أشار إلى أصحابه بالعود وأنه يريد أن يمضي إلى داره، فلما عادوا مضى هو والحاجب مظفر بن الدواتي، فحيث وصل استأذن عليه، فخرج وقبل يده وقال الله يا مولان ومن ابن الواسطي حتى يجيئ مولانا إلى داره؟ فلما دخل جلس بين يديه فأشار ابن المعوج إلى الحاجب مظفر، وقال له تصرف الجماعة للخلوة وتعود أنت بمفردك، فلما صاروا بالدهليز قال له تصون الباب، ففعل، فلما عاد قال له، أتقول للحكيم فيماذا أتينيا؟ فقال له الحاجب إن مولانا جاء إليك يعرفك أنه كان قد **استقر عليه** قرية مبلغها ثلاثة آلاف دينار وأنه صح منها ألفا دينار وتخلف عليه ألف دينار، وكان سأل الخليفة إنظاره إلى أوان الغلة فلم يتحصل له من ملكه في هذه السنة شيء، وقد أنفذ الديوان وضايق على ذلك، وقد رهن كتب داره على خمسمائة دينار، وهو يسألك أن تسأل الخليفة أن يؤخر إلى سنة أخرى بالباقي إلى حين أوان الغلة، فقال السمع والطاعة، أخدم وأبالغ وأقول ما يتعين، فنهض من عنده فلما كان من الغد عند نهوضه من الديوان صرف الحاشية على العادة، وقال يا مظفر نمضي إليه، فإن كان قد خاطب الخليفة سمعنا الجواب، وإن لم يكن خاطبه فيكون على سبيل الإذكار، فمضى إليه واستأذن عليه فأذن له وخرج إلى الباب وقبل يده مثل ودعا له، فلما دخل وجلس أخرج له خط الخليفة بوصول الخمسمائة دينار، وقال له هذه كتب الدار التي رهنها مولانا يقبلها من الخادم وكان قد استفكها من ماله، فشكره وقبض الكتب والخط وانصرف.

فلما جاوز الدهليز صاح بالحاجب مظفر، وأخرج له منشفة فيها جبة خارا وبقيار قصب وقميص تحتاني أنطاكي ولباس دمياطي، وفيه تكة ابريسم وصرة فيها خمسون ديناراً، وقال له أريد من إنعام مولانا يلبس هذه الثياب وأراها عليه وهذه الخمسون ديناراً برسم الحمام؛ وأعطى الحاجب جبة عتابي وعشرين ديناراً، وأعطى الدواتي جبة عتابي وخمسة دنانير، وأعطى الركابي دينارين، وقال اسأل مولانا أن يشرف الخادم بقبول ذلك، فمضى الحاجب بالجميع إلى ابن المعوج، وشرح له الحال فقبله منه.

أبو طاهر بن البرخشي". (١)

٧٩-"قال وكان لي في معرفة تصحيح هيولى الطب الذي هو أصل الأدوية المركبة حرص شديد وبحث عظيم، حتى وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتي في إحياء ما خفتُ يُدرس وتذهب منفعته لأبدان الناس، فالله قد خلق الشفاء وبثه فيما انبتته الأرض، **واستقر عليها** من الحيوان المشاء، والسابح في الماء والمنساب، وما يكون تحت الأرض في جوفها من المعدنية، كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق، ابن البغونشولابن جلجل من الكتب كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، ألفه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة بمدينة قرطبة، في دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله، مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به، وما لا يستعمل لكيلا يغفل ذكره، وقال ابن جلجل إن ديسقوريدس أغفل ذلك ولم يذكره إما لأنه لم يره ولم يشاهده عياناً، وإما لأن ذلك كان غير مستعمل في دهره وأبناء جنسه، رسالة التبيين فيم غلط فيه بعض المتطببين، كتاب يتضمن ذكر شيء من أخبار الأطباء والفلاسفة ألفه في أيام المؤيد بالله.

أبو العرب يوسف بن محمد

أحد المتحققين بصناعة الطب والراسخين في علمه، قال القاضي صاعد حدثني الوزير أبو المطرف بن وافد وأبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش إنه كان محكماً لأصول الطب نافذاً في فروعه حسن التصرف في أنواعه، قال وسمعت غيرهما يقول لم يكن أحد بعد محمد بن عبدون يوازي أبو العرب في قيامه بصناعة الطب ونفوذه فيها، وكان غلب عليه في آخر عمره حب الخمر فكان لا يوجد صاحياً ولا يرى مفيقاً من خمار، وحرم بذلك الناس كثيراً من الانتفاع به وبعلمه، وتوفي وقد قارب تسعين سنة، وذلك بعد ثلاثين وأربعمائة.

ابن البغونش هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش، قال القاضي صاعد كان من أهل طليطلة، ثم رحل إلى قرطبة لطلب العلم بها، فأخذ عن مسلمة بن أحمد علم العدد والهندسة، وعن محمد بن عبدون الجبلي وسليمان بن جلجل وابن الشناعة ونظرائهم علم الطب، ثم انصرف إلى طليطلة واتصل بها بأميرها الظافر اسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرف بن ذي النون، وحظي عنده وكان أحد مديري دولته، قال ولقيته أنا فيها بعد ذلك في صدر دولة المأمون، ذي المجد بن يحيى بن الظافر اسماعيل بن ذي النون، وقد ترك قراءة العلوم وأقبل على قراءة القرآن، ولزم داره والانقباض عن الناس، فلقيت منه رجلاً عاقلاً، جميل الذكر والمذهب، حسن السيرة، نظيف الثياب، ذا كتب جليلة في أنواع الفلسفة وضروب الحكمة، وتبينت منه أنه قرأ الهندسة وفهمها، وقرأ المنطق وضبط كثيراً منه، ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها، وتناولها بتصحيحه ومعاناته، فحصل بتلك العناية على فهم كثير منها، ولم تكن له دربة بعلاج المرضى ولا طبيعة نافذة في فهم الأمراض، وتوفي عند صلاة الصبح من يوم الثلاثاء أول يوم من رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وأخبرني أنه ولد سنة تسع وستين وثلثمائة، فكان إذ توفي ابن خمس وسبعين سنة.

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص/٢٣٨

ابن وافد". (١)

٨٠-"ورُويَ أن كعبا قدم إيليا فَرَشَا " حبرا " من أحبار يهود بضعة عشر دينارا على أن دله على الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرغ من بناء المسجد. وصلّى مما يلي ناحية باب أسباط. فقال كعب: قام سليمان بن داود على هذه الصخرة ثم استقبل بيت المقدس كله. فدعا الله عز وجل بثلاث. فأراه تعجيل إجابته في دعوتين، وأرجو أن يستجيب في الثالثة. فقال: " اللهم هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي، إنك أنت الوهاب " فأعطاه الله " عز وجل " . وقال: " اللهم هب لي ملكا وحكما يوافق حكمك " . ففعل الله " عز وجل " ذلك به. ثم قال: " اللهم لا يأتي هذا المسجد أحد يريد الصلاة فيه، إلا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أُمّه " .

هذه نبذة يسيرة من ابتداء وضعه.

وأما ما يتعلق بفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب " رضي الله عنه " واستيلاء الفرنج عليه، ثم فتحه على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ وتسليمه إلى الفرنج بعد ذلك في أيام الملك الكامل، ثم استنقاذه منهم بعد ذلك على يد الناصر داود بن المعظَّم، فليس هذا موضعه. وسيأتي إن شاء الله تعالى في التاريخ التلويح بذلك والإشارة إليه. فهناك ذكره أنسب.

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصى، وما اشتمل عليه من المزارات، على ما **استقر عليه** بناؤه إلى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

وقد ألف في ذلك الصاحب تاج الدين أبو الفضل أحمد بن أمين الملك تأليفا صغيرا أسماه " سلسلة العسجد، في صفة الصخرة والمسجد " . نقلتُ منه ما يليق بهذا الموضع، معتمدا في ذلك على ما حرّره بالذراع.

ونبتدئ بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها، فنقول: أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول، فارتفاعه ثمانية عشر ذراعا، يعلو ذلك كرسيّ القبة، وارتفاعه عشرة أذرع وربع. ودوره مائة وثلاثة اذرع وثلثا ذراع. وفي دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شبابيك، وهي مثمنة الأركان. كل تثمينة تسعة وعشرون ذراعا وثلثا ذراع. والبناء من ظاهره مكسوّ منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجَّر المختلف. ومن أعلاه سبعة أذرع إلى الميازيب بالفصّ المُذهب المشجَّر المختلف. وتحتوي على تثمينة على سبع طاقات: اثنان في الطرفين مسدودتان، والخمسة مركّب عليها الزجاج، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد. ومن أعلى الميازيب حائط ارتفاعه أربعة أذرع. مكسوّ بالفص بالصفة المذكورة، مشخص في كل تثمينة منه ثلاثة عشر محرابا. ولها أبواب أربعة: فالقبليّ ارتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمن. وأمامه من خارج رواق مفروش بالرخام الأبيض المشجَّر وطوله من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف، وعرضه أربعة. سقفه بسط مدهون. والوسط أمام الباب قنطرة بالفص المذهب، محمول على ثمانية أعمدة من الرُّخام: منها غُرابيٌّ اثنان في طرفيه، وخُضر مرسينيٌّ تلوهما أربعة و " شحم ولحم " بين الأعمدة الغُرابيُّ والخُضرِ هَنابُ رخام منقوش الظاهر سعته

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص/٣٣٠

ذراعا وثلث. تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب.

ويُعلَّق على الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة من النحاس الأصفر المنقوش. وعلى يَمْنة الداخل ويَسْرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراع، في رؤوس التثمينة الأوّلة خاصة. ويُقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتي ذكرها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، بأعلاها سقف بسط مدهون بأنواع الدهان، ارتفاعه خمسة عشر ذراعا، محمول على حائط الصخرة. والأعمدة والحائط من باطن التثمينة مُلبَّس جميعه بالرخام بغير فص بامبِذاريه رخام منقوشة تقدير ذراع مذهبة.

كل تثمينة من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجَّر والملوَّن البديع. دور كل سارية أحد عشر ذراعا وثلثا ذراع. وطولها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، وجهها الذي يلي الصخرة بقُرنتين. ومع السارية عمودان: أحدهما " شحم ولحم " والآخر أخضر مرسينيّ. بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع. ودوره ذراعان وثلثا ذراع. وارتفاعه خارجا عن القواعد ستة ونصف يعلوها " بساتل " ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب فوق نقشه. يعلو " البساتل " قناطر بالفص المذهب البديع.

بهذه التثمينة الأولى، ثمانية سَوَار وستة عشر عمودا: منها أبيض وأزرق عشرة، وأخضر مرسينيّ ثلاثة، و " شحم ولحم " ثلاثة.". (١)

٨١-" ملك له ومختصر القول أن الكلاسة لم يبق لها من المدرسة إلا الاسم ثم أخنى عليها الزمان فهدمت كلها في أيامنا والله يقلب الأمور كيفما شاء الحلقة الكوثرية

تجاه شباك الكلاسة تحت مئذنة العروس بالجامع الأموي وقفها السلطان نور الدين على صبيان صغار وأيتام يقرؤون كل ليلة بعد العصر سورة الإخلاص ثلاث مرات ثم يهدون ثوابها للواقف ولهم على ذلك مرتب يتناولونه من ديوان السبع الكبير الذي كان بالجامع وان عدة من فيه يومئذ يعني في عصر التسعمائة على ما **استقر عليه** الحال ثلاثمائة وأربعون أو خمسون نفرا

قلت قد كان ذلك والحال تغير وأما الحلقة المذكورة فبناؤها باق وقد أضحت حجرة يسكنها متولي الجامع ويدرس بها أن كان عالما وألا جعلها منتدى لأشغاله وتلك حكمة الله حرف الميم والنون المدرسة المجاهدية الجوانية

بالقرب من باب الخواصين قاله في التنبيه والخواصين كان يسمى به قديما محل المدرسة النورية وقد أشكل محلها على العلموي المتوفى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة فقال في مختصره لعل هذه المدرسة هي التي وراء سوق جقمق وهي الآن سكن الشيخ ناصر الدين الحنفي وربما تكون المقابلة لباب قيسارية القواسين لأني اعلم أن اسمها قديما المجاهدية وأما الآن فيسمونها الحجازية لأنها كانت منزولا لهم وأما حينئذ فهي منزول نواب قاضي الشام وغيرهم من الاروام انتهى ويمكن أن تكون المحكمة المسماة الآن بمحكمة الباب ترجمة واقفها

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص/٤١

هو مجاهد الدين أبو الفوارس بزان بن ياسين بن علي بن محمد الجلالي الكردي كان من مقدمي الجيوش في دمشق في أيام نور الدين محمود بن زنكي ولما كان فتح

". (١)

٨٢-"وقال ابن عبد البر – رحمه الله – " وقف جماعة من أئمة أهل السنة والسلف في علي عثمان – رضي الله عنهما – فلم يفضلوا أحداً منهما على صاحبه منهم مالك بن أنس، ويحيى نب سعيد القطان،وأما اختلاف السلف في تفضيل علي فقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه من ذلك ما فيه كفاية، – ثم نقل ابن عبد البر إجماع عامة أهل السنة على تفيل عثمان فقال: وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي في الفضل على عمر، وتقديم عمر على عثمان، وتقديم عثمان على علي ، وعلى هذا عامة أهل الحديث من زمن أحمد ابن حنبل إلا خواص من جلّة الفقهاء وأئمة العلماء فإنهم على ما ذكرنا عن مالك ويحيي القطان وابن معين، فهذا ما بين أهل الفقه والحديث في هذه المسألة،وهم أهل السنة، وأما اختلاف سائر المسلمين في ذلك فيطول ذكره ، وقد جمعه القوم(١)(٤) .

وهذا الذي ذكره ابن عبد البر عن مالك في تقديم علي على عثمان ذكر ابن تيمية رحمه الله رواية أخرى عنه تخالفه، حين نقل ما **استقر عليه** أهل الحديث وأئمة الفقه في ذلك فقال: " وأما جمهور الناي ففضلوا عثمان، وعليه استقر أمر أهل السنة،وهو مذهب أهل الحديث، ومشايخ الزهد والتصوف،وأئمة الفقهاء كالشافعي وأصاحبه، وأحمد وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، وإحدى الروايتين عن مالك وأصحابه، قال مالك: لا أجعل من خاض في الدماء كمن لم يخض فيها، وقال الشافعي وغيره إنه بهذا قصد والي المدينة الهاشمي، ضرب مالك، وجعل طلاق المكره سببا ظاهراُ(٢)

كما نقل عن " مالك " – رحمه الله – رأياً ثالثاً يفيد توقفه وعدم تفضيل أحدهما على صاحبه وهو الذي حكاه ابن القاسم عن مالك عمن أدركه من المدنيين(٣).

---

(٢) منهاج السنة ٢٠٢/٤ .

(٣) المصدر السابق ٢٠٢/٤. وقال ابن تيمية معلقاً على هذا الرأي: وهذا يحتمل السكوت عن الكلام في ذلك فلا يكون قولا وهو الأظهر، ويحتمل التسوية بينهما .". (٢)

٨٣-"الأقليات الدينية وكذلك الأقليات العقدية هم من أهل دار الإسلام، ولهم الحرية في أن يسكنوا في أية ناحية أرادوا، ويظعنوا عنها متى ما أرادوا وينزلوا في مكان آخر كيفما شاءوا، ولهم أن يتجمعوا في أية بقعة من بقاع الدولة لا يحجر عليهم ذلك ولا يمنعون منه(١) ، إلا أن يظهر من ذلك ريبة ويُخاف منهم الخيانة فإنهم في هذه الحالة يتابعون، وإذا ثبت

---

(١) منادمة الأطلال ص/١٤٦

(٢) نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية ص/٣

عليهم شيء من ذلك بوسائل الإثبات الشرعية فإنهم يمنعون من ذلك ولا يمكنون منه، ويحاسبون بمقتضى الشريعة على ما تستحقه أعمالهم وتصرفاتهم، وقد انحاز بعض الناس على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقاموا ببناء مسجد بزعم مساعدة الضعفاء على الصلاة في الجماعة "فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية"(٢) و" قالوا: يا رسول الله ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادي، ويحول بيننا وبين القوم، فنصلي في مسجدنا، فإذا ذهب السيل صلينا معهم "(٣)ولكن حقيقتهم كانت مغايرة لذلك وإنما كانت للإضرار كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم " والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله" فمنع الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – من الصلاة فيه وأمر الرسول – صلى

---

(١) وذلك في غير ما منعت منه الشريعة كدخول الحرم قال الماوردي:" ليس لجميع من خالف دين الإسلام من ذمي أو معاهد أن يدخل الحرم لا مقيما ولا مارا به وهذا مذهب الشافعي رحمه الله وأكثر الفقهاء وجوز أبو حنيفة دخولهم إليه إذا لم يستوطنوه" الأحكام السلطانية ص ١٧٠ وأما الحجاز–دون الحرم– فلا يستوطنه مشرك من ذمي أو معاهد ، وإن جاز لمن قدم منهم تاجرا أو صانعا مقام ثلاثة أيام يخرجون بعد انقضائها كما عمل عمر رضي الله عنه **واستقر عليه** الحكم انظر الأحكام السلطانية ص ١٧١

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٢٢/١١

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٢٥/١١ وانظر أيضا أحكام القرآن للجصاص٣٦٧/٤". [١]

٨٤–"أبو الحسن الأشعري

تأليف

حماد بن محمد الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبة ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد : لما كان أكثر الناس في الاقطار الإسلامية ينتسب إلى أبي الحسن الأشعري ، مع ذلك لا يعرف شيئا عن أبي الحسن الأشعري ولا عن عقيدته التي **استقر عليها** أمره أخيراً واستحق بها أن يكون من الأئمة المقتدى بهم –أحببنا أن نفيد أولئك عن حقائق هذا الأمام الامام المجهول عند كثير ممن ينتسب اليه وينتحل عقيدته ، حسب ما تتبعنا من المراجع المعتبرة .

وقبل كل شيء أتحف القارئ بنبذة قليلة من ترجمة الأشعري فأقول وبالله أستعين:

التعريف بالامام وذكر أبرز المصادر التي ترجمت له :

---

(١) وضع الأقليات في الدولة الإسلامبة ص/٢٩

(أما أبو الحسن االأشعري) فهو: علي بن اسماعيل ابن اسحاق ابن سالم بن اسماعيل بن موسى الأشعري ، ولد سنة ستين ومئتين من الهجرة النبوية ، ترجمة أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي في كتابة "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري" والخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" وابن خلكان في وفيات الأعيان ، والذهبي في "تاريخ الإسلام" وابن كثير في "البداية والنهاية" وطبقات الشافعية والتاج السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" وابن فرحون المالكي في "الديباج المذهب في أعيان أهل المذهب" ومرتضي الزبيدي في "اتحاد السادة المتقين بشرح أسرار غحياء علوم الدين" زابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب في أعيان من ذهب" وغيرهم.

عمن أخذ الأشعري العلم والكلام:". (١)

٨٥-"وممن ذكر أن الابانة تأليف أبي الحسن الأشعري أبو القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس الشافعي قال في رسالته ((الذب عن أبي الحسن الاشعري)) : إعلموا معشر الاخوان أن كتاب الابانة عن أصول الديانة، الذي الفه الامام أبو الحسن علي بن إسماعيل الاشعري هو الذي **استقر عليه** أمره فيما كان يعتقده وبه كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه من الاعتزال بمن الله ولطفه ، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف مافيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها وكيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها: وروي أثبت أنه ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين ، وأن مافيه هو الذي يدل علية كتاب الله وسنة رسولة صلى الله علية وسلم ، فهل يسوغ أن يقال إنه رجع عن هذا إلى غيره فإلى ماذا يرجع أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون وقد علم أنه مذهبهم ، ورواه عنهم؟؟!! هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين وكيف بأئمة الدين أوهل يقال:: إنه جهل الأمر فيما نقلة عن السلف الماضين مع افنائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات ، هذا مما لا يتوهمه منصف ، ولا يزعمه إلا مكابر مسرف ، وقد ذكر الابانه واعتمد عليها وأثبتها عن الامام أبي الحسن الأشعري وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نسبت إليه ، ونقل منها إلى تصنيفه جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الاسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم.". (٢)

٨٦-"وكأن الأجسام الكماة تسربلت ... مذ غبرت منه جسوم صلال

وكأنما العقبان الفلا ... منقصة لتخطف الضلال

وكأن منتصب القنا مهتزه ... أشطان نازحةٍ بعيدة جال

وكأنما خيل التجافيف اكتست ... ناراً توهجها بلا إشعال

و تتبع مثل هذه الأخبار لا آخر له؛ والله المستعان.

و كان القاضي منذر بن سعيد السابق ذكره، سمع بالأندلس من عبيد الله أبن يحي بن يحيي ونظرائه، ثم رحل حاجاً سنة

---

(١) أبو الحسن الأشعري ص/١

(٢) أبو الحسن الأشعري ص/١٣

ثمان وثلاث مائة، فسمع من عدة أعلام، منهم محمّد بن المنذر النيسابوري، سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء، المسمى بالإشراف، وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبي العباس بن ولاد وروى عن أبي جعفر بن النحاس؛ وكان متفنناً في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني، المعروف بالقياسي وبالظاهري؛ فكان منذر بن سعيد يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به في نفسه وذويه؛ فإذا جلس ببحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه، بالذي **استقر عليه** العمل في بلدهم، وحمل عليه السلطان أهل مملكته.

و له تواليف مفيدة؛ منها كتاب أحكام القرآن؛ والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك في الفقه والكلام والرد على أهل المذاهب؛ وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل، حاذقاً فيه، شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لأهل الطلب وانحطاط لهم وإقبال عليهم؛ وكان مع وقاره التام فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة لولا السآمة لجلبنا طرفاً. وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة، ولبث قاضياً من ذلك التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته، ثم للخليفة الحكم المستنصر، إلى أن توفى رحمه الله ، عقب ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مائة، رحمه الله ورضى عنه. ودفن بمقبرة قريش بالربض الغربي من قرطبة، أعادها الله ، جوفي مسجد السيدة الكبرى بقرب داره.

قال القاضي أبو الحسن: كان شيخنا القاضي أبو عبد الله بن عياش الخزرجي يستحسن من كلام القاضي منذر قوله في التزكية: اعلم إنَّ العدالة من أشد الأشياء تفاوتاً وتبايناً ومتى حصلت ذلك عرفت حالة الشهود لأن بين عدالة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدالة التابعيين رضي الله عنهم فوتاً عظيماً وتبايناً شديداً وبين عدالة أهل زماننا وعدالة أولئك مثل ما بين السماء والأرض؛ وعدالة أهل زماننا على ما هي عليه بعيدة التباين أيضاً . والأصل في هذا عندي، والله الموفق، أنَّ من كان الخير أغلب عليه من الشر، وكان متنزها عن الكبائر فواجب أن تعمل شهادته، فإنَّ الله تعالى قد أخبرنا بنص الكتاب أنَّ من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وقال في موضع آخر:)فأولئك هم المفلحون(؛ فمن ثقلت موازين حسناته بشيء لم يدخل النار؛ ومن استوت حسناته وسيئاته لم يدخل الجنة في زمرة الداخلين أولاً، وهم أصحاب الأعراف، فذلك عقوبة لهم، إذ تخلفوا عن أن تزيد حسناتهم على سيئاتهم ؛ فهذا حكم الله في عباده. ونحن إنما كلفنا الحكم بالظاهر، فمن ظهر لنا أنَّ خيره أغلب عليه من شره حكمنا له بحكم الله في عباده، ولم نطلب له علم الباطن ولا كلفه محمّد صلى الله عليه وسلم فقد ثبت عنه أنه قال " إنّما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحكم له على نحو مما أسمع " . فأحكام الدنيا على ما ظهر، وأحكام الآخرة على ما بطن؛ لأن الله تعالى يعلم الظاهر والباطن، ونحن لا نعلم إلاّ الظاهر؛ وأهل كل قوم قد تراضى عليهم عامتهم فبهم تنعقد منكحهم وبيعهم وقد قدموهم في المساجد ولجمعهم وأعيادهم، فالواجب على من استقصى على موضع أن يعمل شهادة أمثالهم وفقهائهم، وأصحاب صلواتهم، وإلاّ ضاعت حقوق ضعيفهم وقويهم، وبطلت أحكامه. ويجب عليه أنَّ يسأل إنَّ استراب في بعضهم في بعضهم في الظاهر والباطن عنهم، فمن لم يلبث عنده عليه اشتهار في كبيرة، فهو على عدالة ظاهرة، حتى يثبت غير ذلك. انتهى.
قلت: تذكرت هنا ما رأيته بخط الأمام الحافظ سيدي أحمد الونشريشي رحمه الله على ظهر كتاب أبن الخطيب: " مثلى

الطريقة في ذم الوثيقة " ، وقد مدينة فيه أبن الخطيب الباع في ذم الموثقين، وذكر مثالبهم، ونص ما ألفيته بخط المذكور:". (١)

٨٧-"... أما عن الشيخ أبي بكر فالذى يطالع كتابه " ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة الهوسا" يخرج بنتيجه غير النتيجة التي يخرج بها المطالع في تفسيره " رد الأذهان إلى معاني القرآن". فهو في الكتاب الأول جري على ترجمة ما يتعلق بصفات الله تعالي على مقتض ظاهرها فيترجمها بما يقابلها في لغة الهوسا، ولم يكد يخالف هذا، وإن كان في بعض الأحايين يعلق أسفل الصفحة بما يعود بالآية إلى تأويل المتكلمين ولكنه في الكتاب الآخر خالف هذا المنهج وتابع المنهج وتابع في أكثره تفسير الإمامين الجيلين السيوطي و المحلي في تفسيرهما لآيات الصفات على منهج الأشاعرة المؤولين. (١)
... ومن العجيب أنه في دروسه يؤيد مذهب السلف ويقول في آيات الاستواء بتفويض كيفيتها إلى علم الله مع إثباتها. فيقول: إن الله استوى على العرش استواء بيلق به.
... ومما يدلك على أن ذلك مذهبه قوله في خاتمة تفسيره:(...... ففي آيات الصفات و الأسماء اتبعت العقيدة السلفية وانتفعت في ذلك بكتب شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب وإرشادات الشيخ عبد العزيز ابن باز جري الله الجميع عني وعن الإسلام خيرا....) (٢)

المطلب الرابع: موقفه من التصوف.

---

(١) تجدر الإشار إلى أن المذهب الأشعري الكلامي ليس هو الذى **استقر عليه** الإمام أبو الحسن الأشعري (ت ٣١٥ هـ) بل كان مذهبا له في إحدى مراحل حياته، ثم هداه الله إلى سلوك مذهب السلف وإثبات صفات الله تعالي من غير تأويل. وهذا المذهب هو الذي مات عليه و ألف فيه أواخر كتبه ومنها " الإبانة في تبيين الديانة" و " رسالة إلى أهل الثغر" و غيرها.
(٢) رد الأذهان ٢، ٨٢٨.". (٢)

٨٨-"- الإمام والحكم: إذ أتلف شيئاً من النفوس أو الأموال في تصرفها للمصالح فإنه يجب على بيت المال دون الحاكم والإمام ودون عواقلهما لأنها لما تصرفا للمسلمين صار كأن المسلمين هم المتلفون ولأن ذلك يكثر في حقهما فيتضررون به ويتضرر عواقلهما..
- ويرى ابن عبدالسلام: أن من أمثلة الأفعال المشتملة على المصالح والمفاسد مع رجحان مصالحهما على مفاسدها؛ وجوب إجارة رسل الكفار مع كفرهم، لمصلحة ما يتعلق بالرسالة من المصالحة الخاصة والعامة، ولعل ابن عبدالسلام يكون — بهذه

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص/٢٠٥
(٢) الشيخ أبوبكر محمود جومي: حياته مواقفه وآراؤه ص/١٢٣

القاعدة الأخيرة، قد أشار إلى مبدأ حصانة وحرمة السفراء والمبعوثين الدبلوماسيين وهو مبدأ استقر عليه القانون الدولي المعاصر (١)[١٥٩]).

هذه بعض الخطوط العريضة فيما يتعلق في جهد الشيخ عز الدين في تطوير قواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية.

سادساً: أعماله في التدريس والإفتاء والقضاء والخطابة:

---

(١) [١٥٩])المصدر نفسه (٣٩١/١٣).". (١)

٨٩-"أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم التقي أبو العباس بن العلاء بن المحيوي الحسيني العبيدي البعلي الأصل القاهري سبط ابن الصائغ ويعرف بابن المقريزي - وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة وكان أصله من بعلبك وجده من كبار المحدثين فتحول ولده إلى القاهرة وولي بها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء وكتب التوقيع في ديوان الإنشاء وأنجب صاحب الترجمة. وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين، وقال شيخنا أنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع من جده لأمه الشمس بن الصايغ الحنفي والبرهان الآمدي والعز بن الكويك والنجم بن رزين والشمس بن الخشاب والتنوخي وابن أبي الشيخة وابن أبي المجد والبلقيني والعراقي والهيثمي والفرسيسي وغيرهم بل كان يزعم أنه سمع المسلسل على العماد بن كثير. ولا يكاد يصح وحج فسمع بمكة من النشاوري والأميوطي والشمس بن سكر وأبي الفضل النويري القاضي وسعد الدين الاسفرايني وأبي العباس بن عبد المعطي وجماعة، وأجاز له الأسنوي والأذرعي وأبو البقاء السبكي وعلي بن يوسف الزرندي وآخرون ومن الشام الحافظ أبو بكر بن المحب وأبو العباس بن العز وناصر الدين محمد بن محمد بن داود وطائفة؛ واشتغل كثيراً وطاف على الشيوخ ولقي الكبار وجالس الأئمة فأخذ عنهم وتفقه حنفياً على مذهب جده لأمه وحفظ مختصراً فيه ثم لما ترعرع وذلك بعد موت والده في سنة ست وثمانين وهو حينئذ قد جاز العشرين تحول شافعياً واستقر عليه أمره لكنه كان مائلاً إلى الظاهر ولذلك قال شيخنا أنه أحب الحديث فواظب على ذلك حتى كان يتهم بمذهب ابن حزم ولكنه كان لا يعرفه انتهى. هذا مع كون والده وجده حنبليين. ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل وخط بخطه الكثير وانتقى وقال الشعر والنثر وحصل وأفاد وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة غير مرة أولها في سنة إحدى وثمانمائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة حسن والإمامة بجامع الحاكم ونظره وقراءة الحديث بالمؤيدية عوضاً عن المحب بن نصر الله حين استقراره في تدريس الحنابلة بها وغير ذلك، وحمدت سيرته في مباشراته وكان قد اتصل بالظاهر برقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر في سنة عشر وعاد معه وعرض عليه قضاؤها مراراً فأبى وصحب يشبك الدوادار وقتاً ونالته منه دنيا بل يقال أنه أودع عنده نقداً. وحج غير مرة وجاور وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان النوري مع كون شرط نظره لقاضيها الشافعي وتدريس

---

(١) الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ص/٦٢

الأشرفية والإقبالية وغيرها ثم أعرض عن ذلك وأقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الأوحدي كما سبق في ترجمته فأخذها وزادها زوائد غير طائلة، ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ذكر فيه من عاصره، وإمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأخوال والحفدة والمتاع وكان يحب أن يكتب بمكة ويحدث به فتيسر له ذلك، والمدخل له وعقد جواهر الأسفاط في ملوك مصر والفسطاط والبيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب والإلمام فيمن تأخر بأرض الحبشة من ملوك الإسلام والطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة ومعرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم وإيقاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء والسلوك بمعرفة دول الملوك يشتمل على الحوادث إلى وفاته؛ والتاريخ الكبير المقفي وهو في ستة عشر مجلداً وكان يقول أنه لو كمل على ما يرومه لجاوز الثمانين، والأخبار عن الإعذار والإشارة والكلام ببناء الكعبة بيت الحرام ومختصره وذكر من حج من الملوك والخلفاء، والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم وشذور العقود وضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري والأوزان والأكيال الشرعية وإزالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء وحصول الإنعام والمير في سؤال خاتمة الخير والمقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية وتجريد التوحيد ومجمع الفرائد ومنبع الفوائد يشتمل على علمي العقل والنقل المحتوى على فني الجد والهزل بلغت مجلداته نحو المائة وما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب وشارع النجاة يشتمل". (١)

٩٠-"ولما ملك جوهر مصر كان الحسن بن عبيد الله بن الإخشيذ المقدم ذكره بالشام وهو بيده إلى الرملة، فبعث إليه جوهر بالقائد جعفر بن فلاح المقدم ذكره أيضاً، فقاتل ابن فلاح حسناً المذكور بالرملة حتى ظفر به، وبعث به إلى مصر، حسب ما تقدم ذكره، وبعثه القائد جوهر إلى المغرب، فكان ذلك آخر العهد به. ثم سار جعفر بن فلاح إلى دمشق وملكها بعد أمور، وخطب بها للمعز في المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. ثم عاد ابن فلاح إلى الرملة، فقام الشريف أبو القاسم إسماعيل بن أبي يعلى بدمشق وقام معه العوام ولبس السواد ودعا للمطيع، وأخرج إقبالاً أمير دمشق الذي كان من قبل جوهر القائد، فعاد جعفر بن فلاح إلى دمشق في ذي الحجة ونازلها، فقاتله أهلها، فطاولهم حتى ظفر بهم، وهرب الشريف أبو القاسم إلى بغداد على البرية. فقال ابن فلاح: من أتى به فله مائة ألف درهم، فلقيه ابن غلبان العدوي في البرية فقبض عليه وجاء به إلى ابن فلاح، فشهره على جمل وعلى رأسه قلنسوة من لبود، وفي لحيته ريش مغروز ومن ورائه رجل من المغاربة يوقع به، ثم حبسه، ثم طلبه ابن فلاح ليلاً وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ وسأله من ندبه إلى ذلك، فقال: ما حدثني به أحد إنما هو أمر قدر، فرق له جعفر بن فلاح ووعده أنه يكاتب فيه القائد جوهراً، واسترجع المائة ألف درهم من الذين أتوا به، وقال لهم: لا جزاكم الله خيراً غدرتم بالرجل. وكان ابن فلاح يحب العلويين، فأحسن إليه وأكرمه. واستمر جوهر حاكم الديار المصرية إلى أن قدم إليها مولاه المعز لدين الله معد في يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فصرف جوهر عن الديار المصرية بأستاذه المعز، وصار من عظماء القواد في دولة المعز وغيره. ولا زال

---

(١) الضوء اللامع ٢٥٨/١

جوهر على ذلك إلى أن مات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ورثاه الشعراء. وكان جوهر حسن السيرة في الرعية عادلاً عاقلاً شجاعاً مدبراً.

قال ابن خلكان رضي الله عنه: توفي يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. وكان ولده الحسين بن جوهر قائد القواد للحاكم صاحب مصر، ثم نقم عليه فقتله في سنة إحدى وأربعمائة، وكان الحسين قد خاف على نفسه من الحاكم، فهرب هو وولده وصهره القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان، وكان زوج أخته، فأرسل الحاكم من ردهم وطيب قلوبهم وآنسهم مدة. ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة، فتقدم الحاكم إلى راشد وكان سيف النقمة، فاستصحب عشرة من الغلمان الأتراك، فقتلوا الحسين بن جوهر وصهره القاضي وأحضروا رأسيهما إلى بين يدي الحاكم. وقد ذكرنا الحسين هنا حتى يعرف بذكره أن جوهراً المذكور فحل غير خصي، بخلاف الخادم بهاء الدين قراقوش والأستاذ كافور الإخشيذي والخادم ريدان وغيرهم.

بناء جوهر القائد القاهرة وحاراتها

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتابه الروضة البهية الزاهرة، في الخطط المعزية القاهرة قال: اختط جوهر القصر وحفر أساسه في أول ليلة نزوله القاهرة، وأدخل فيه دير العظام، وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض جامع الأقمر، قريب من بئر العظام، والمصريون يسمونها بئر العظمة، ويزعمون أن طاسة وقعت من شخص في بئر زمزم وعليها اسمه، فطلعت من هذه البئر. ونقل جوهر القائد العظام التي كانت في الدير المذكور والرمم إلى دير في الخندق فدفنها، لأنه يقال: إنها عظام جماعة من الحواريين، وبنى مكانها مسجداً من داخل السور، وأدخل أيضاً قصر الشوك في القصر المذكور، وكان منزلاً تنزله بنو عذرة، وجعل للقصر أبواباً: أحدها باب العيد وإليه تنسب رحبة باب العيد، وإلى جانبه باب يعرف بباب الزمرد، وباب آخر قبالة دار الحديث يعني المدرسة الكاملية وباب آخر قبالة القطبية وهي البيمارستان الآن، يعرف الباب المذكور بباب الذهب، وباب الزهومة، وباب آخر من ناحية قصر الشوك، وباب آخر من عند مشهد الحسين، ويعرف بباب التربة، وباب آخر يعرف بباب الديلم، وهو باب مشهد الحسين الآن قبالة دار الفطرة. قال: وأما أبواب القاهرة التي **استقر عليها** الحال الآن فيأتي ذكرها.". [1]

٩١-"ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى إلا في جماعة وكان إذا عزم على أمر توكل على الله ولا يفضل يوماً على يوم وكان كثير سماع الحديث النبوي وقرأ مختصراً في الفقه تصنيف سليم الرازي وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكرهه كثير التغافل عن أصحابه يسمع من أحدهم ما يكرهولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه. كان يوماً جالساً فرمى بعض المماليك بعضاً بالسر موزة فأخطأته ووصلت إلى السلطان ووقفت بالقرب منه فالتفت إلى الجهة الأخرى ليتغافل عنها وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحداً بمجلسه إلا بخير وطاهر اللسان فما ولع يشتم قط. قال العماد الكاتب: مات بموت السلطان الرجال. وفات بفواته الأفضال. وغاضت الأيادي. وفاضت الأعادي. وانقطعت الأرزاق. وادلهمت الآفاق. وفجع الزمان بواحده

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤٠٠/١

وسلطانه. ورزئ الإسلام بمشيد أركانه.

ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان

ولما توفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين استقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها ولده الملك فيصل نور الدين علي وبالديار المصرية الملك العزيز عثمان وبحلب الملك الظاهر غياث الدين غازي وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر وببعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي وبيد الملك خضر بن السلطان صلاح الدين بصرى وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون منهم سابق الدين عثمان ابن الداية بيد شيزر وأبو قبيس وناصر الدين بن كورس بن خماردكين بيده صهيون وحصن برزية وبدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياورق بيده تل باشر وعز الدين سامة بيده كوكب وعجلون وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين المقدم بيد بغراس وكفرطاب وفامية.

والملك الأفضل هو الأكبر من أولاد السلطان والمعهود إليه السلطنة أو استوزر الملك الأفضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير مصنف المثل السائر وهو أخو عز الدين بن الأثير مؤلف التاريخ المسمى بالكامل فحسن الملك الأفضل طرد أمراء أبيه ففارقوه إلى أخويه العزيز والظاهر قال اجتمعت أكابر الأمراء بمصر وحسنوا للملك العزيز الانفراد بالسلطنة ووقعوا في أخيه الأفضل فمال إلى ذلك وحصلت الوحشة بين الأخوين الأفضل والعزيز.

تم بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.". (١)

٩٢-"مولاهم المدني يقال أبو بكر ويقال أبو عبد الله الأحوال أحد الأعلام وصاحب المغازي، رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وحدث عن أبيه وعمه موسى ابن يسار وعطاء والأعرج وسعيد بن أبي الهند والقسم بن محمد وفاطمة بنت المنذر والمقبري ومحمد بن ابرهيم التيمي وعاصم بن عمر بن قتادة وابن شهاب وعبيد الله بن عبد الله بن عمر ومكحول ويزيد بن أبي حبيب وسليمن بن سحيم وعمرو بن شعيب ونافع وأبي جعفر الباقر وخلق سواهم، قال العجلي: ابن اسحق ثقة، وقال ابن معين: ثقة لكن ليس بحجة رواه عباس عن ابن معين ومرة قال: ليس به بأس ومرة قال: ذاك ضعيف وروى عنه أنه قال: هو صدوق، وقال أحمد بن حنبل: حسن الحديث، وقال شعبة: هو أمير المؤمنين في الحديث، قال الشيخ شمس الدين: الذي استقر عليه الأمر أنه صالح الحديث وأنه في المغازي أقوى منه في الأحكام، توفي سنة اثنتين وخمسين وماية، روى عنه الأربعة ومسلم متابعة، قال ابن خلكان: لم يخرج مسلم عنه إلا حديثاً واحداً في الرجم لأن مالك بن أنس قال لما بلغه عنه أنه قال هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله فقال مالك وما ابن اسحق إنما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة يشير والله أعلم أن الدجال لا يدخل المدينة، حدث هرون ابن عبد الله الزهري قال: سمعت ابن أبي خازم قال كان ابن اسحق في حلقته فأغفى ثم انتبه فقال رأيت حماراً أقتيد بحبل حتى أخرج من المسجد فلم يبرح حتى أتته

(١) النوادر السلطانية ص/١٤٠

رسل الوالي فأقتادوه بحبل فأخرجوه من المسجد، وكان يروى عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير وهي امرأة هشام بن عروة بن الزبير فبلغ ذلك هشاماً فأنكره وقال أهو كان يدخل على أمرأتي، ومن كتب محمد بن اسحق أخذ عبد الملك بن هشام سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب المبدأ، كتاب الخلفاء

المسيبي محمد بن اسحق المسيبي

روى عنه مسلم وأبو داود وأبو زرعة وغيرهم، توفي سنة وثلثين وماتين

ابن أبي يعقوب اللؤلؤي محمد بن اسحق بن حرب أبو عبد الله اللؤلؤي السهمي

مولاهم من أهل بلخ يعرف بابن أبي يعقوب، كان حافظا لعلوم الحديث والأدب عارفاً بأيام الناس، قدم بغداذ وجالس الحفاظ من أهلها وذاكرهم وحدث عن مالك بن أنس وخارجة بن مصعب وبشر بن السري ويحيى بن اليمان وخالد بن عبد الرحمن المخزومي وغيرهم، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا والفضل بن محمد اليزيدي وأبو عبد الله بن أبي الأحوص الثففي وعبيد الله ابن أحمد بن منصور الكسائي الرازي، قال الخطيب: ولم يكن يوثق في علمه ابن رفاعة نقيب الأنصار محمد بن اسحق بن ابرهيم ابن أفلح بن رافع ينتهى إلى رفاعة الذي شهد العقبة وأحدا أبو الحسن الأنصاري الزرقي، كان نقيب الأنصار ببغداذ عارفاً بأمورهم ومناقبهم وكان ثقة حسن السيرة، توفي في بغداذ في جمدى الآخرة سنة ست وستين وثلث ماية". (١)

٩٣-"والظاهريّ لا يقول بذلك، فعاد الأمر إلى أنه إما أن يدع العامّيَّ يخبِّط في دينه لما لم ينزل الله به سلطاناً، أو يكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أو يلزم الناس بهفواته. والثلاثة لا يقولها ذو لبّ معاذ الله. ولعلَّ الشيخ شمس الدين يحاول اعتبار خلافهم في الإجماع، ومن ابن الشيخ شمس الدين شيخنا وأستاذنا رضي الله عنه. وهذه المسائل يا مسلمين عاقل يقول في قوله عليه أفضل الصّلاة والسّلام لا يبولنَّ أحدكم في الماء الدّائم ثم يغتسل فيه، إنه إذا بال الإنسان في ماءٍ دائمٍ ألف مرةٍ حلَّ لغيره التَّوضِّي فيه وحرم على البايل. وينسب ذلك إلى مراد أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم في قوله: لا يبولنَّ أحدكم. وهذا ابن حزم يقول هذا ويغوّش على من لا يقول به. فالإنسان إذا ترك التعصُّب وعلم أنه يتلكم في دين الله، علم أن قول إمام الحرمين في النهاية وعلماؤنا لا يقيمون لأهل الظاهر وزناً قول سديد. أو أحد يقول في قوله تعالى: ولا تقل لهما أفٍّ أنه يحرم على الإنسان أن يقول لأبويه أف ولا يحرم عليه أن يأخذ المقارع ويضربهما بها؟ هذا هذيانٌ، معاذ الله أن يدخل في شريعة الإسلام، وما أحسن قول الحافظ ابن مفوّزٍ كما حكى عنه الشيخ تقيّ الدين في شرح الإلمام بعد أن حكى كلام أبي محمد ابن حزم في مسألة البايل. فتأمَّل رحمك الله ما جمع هذا القول من السُّخف وحوى من الشَّناعة، ثم يزعمون أنه الدين الذي شرَّعه الله وبعث به محمد صلى الله عليه وسلم. وكان اللائق بشيخنا شيخ الإسلام شمس الدين أحسن الله إليه أن لا يدخل نفسه فيما لا يعنيه ولا يعرفه ولا يفهمه.

دين الله ما فيه تعصب ولا سلام، أي والله ما الشيخ شمس الدين إلا مقاوم إمام الحرمين، العاقل يعرف مقدار روحه

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٢٩/١

ويسكت إذا حسن السكوت. وأنا لا أقول أن خلاف داود لا يعتبر معاً والله، وإنما الحق التفصيل كما ذكر وحسبنا الله وكفى.

وقال ابن الصّلاح: الذي اختاره أبو منصور الأستاذ وذكر أنه الصحيح من المذهب، أنه يعتبر خلاف داود، قال: وهذا الذي استقر عليه الأمر آخراً كما هو الأغلب الأعرف من صفو الأئمة المتأخرين الذي أوردوا مذهب داود في مصنَّفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامدٍ الإسفراييني والماوردي والقاضي أبي الطيِّب، قال: وأرى أن يعتبر قوله إلا فيما خالف فيه القياس الجليّ، وما اجتمع عليه القياسيون من أنواعه، وبناه على أصوله التي قام الدليل القطاع على بطلانها. فاتفاق من سواه إجماع منعقد، لقوله في التغوُّط في الماء الراكد، وتلك المسائل الشنيعة، وقوله: لا ربا إلا في الستة المنصوص عليها، فخلافه في هذا ونحوه غير معتبر، لأنه مبني على ما يقطع ببطلانه. وقال ولده أبو بكر محمد بن داود: رأيت أبي داود في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وسامحني فقلت: غفر لك، فبم سامحك؟ يا بنيّ، الأمر عظيم والويل كل الويل لمن لم يسامح.

شرف الدين الشيخ السَّديد الطّيب

داود بن عليّ بن داود بن المبارك، الحكيم الفاضل، الشيخ السّديد أبو منصور ابن الشيخ السَّديد، ويقال: اسمه عبد الله. قرأ الطبَّ على والده وأبي نصر عدلان بن عين زربيّ. وسمع بالإسكندرية من أبي الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف. وانتهت إليه رئاسة الأطباء بمصر. وخدم ملوكها، وحصّل مالاً كثيراً وتخرَّج به جماعة. وغلب عليه لقب أبيه السّديد ولقبه: شرف الدين، وخدم العاضد وجماعةً قبله. ونال الحرمة الوافرة والجاه العريض، وأخذ عنه نفيس الدين بن الزبير شيخ الأطباء. حصل له في يومٍ واحدٍ من الدولة ثلاثون ألف دينار. وظهَّر ابني الحافظ لدين الله، فحصل له من الذّهب نحو خمسين ألف دينار. وكان صلاح الدين يحترمه ويعتمد عليه في الطِّب. توفي سنة إحدى وتسعين وخمس مائة.

الكاتب ابن أبي يعقوب

داود بن عليّ بن داود الكاتب، هو ابن أبي يعقوب بن داود وزير المهدي، قال يرثي الحسن بن علي صاحب فخٍّ: من البسيط

يا عين جودي بدمعٍ منك مهتتنٍ ... فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن

صرعى بفخٍّ تجر الريح فوقهم ... أذيالها وغوادي دلَّج المزن

حتى عفت أعظماً لو كان شاهدها ... محمدٌ ذبَّ عنها ثم لم تهن". (١)

٩٤-" وفيها توجه قرقماس الشعباني وهو يومئذ الحاجب الكبير إلى الصعيد فلاقاه موسى بن عمر شيخ عرب هوارة وقدم له تقدمة فلما رجع بلغ موسى أن ابن عمه عمران استقر مكانه وعزله فخاف موسى ودخل البرية بمن أطاعه وتوجه الوزير إلى قرقماس ليتعاونوا على رجوع موسى فعجزا عنه . ثم لم يزل الوزير يراسل موسى ويتلطف به حتى عاد وأحضره إلى

(١) الوافي بالوفيات ٤١٠/٤

السلطان فخلع عليه ثم أمسكه بعد أيام ثم حبسه فبلغ ذلك عربه فأفسدوا في البلاد وأحرقوا الغلال ووصل عبد الدائم شيخ الفقراء ومعه طائفة من الفقراء في شوال فهرع الناس للسلام عليه والتبرك به وكان قد أذن لموسى بن عمر في التوجه إلى السلطان وضمن له السلامة فلما سمع بحبسه جاء للشفاعة فيه فأرسل لهم السلطان القاضي بدر الدين العيني فأحضرهم عنده وتأدب معهم وكانوا ثلاثة : عبد الدائم وشجاع والعريان وأتباعهم وقبل السلطان شفاعتهم وأذن لهم في تسليم ابن عمر بعد أن يحلفه كاتب السر عند العيني ففعل ذلك ورجعوا

وفي جمادى الأولى شاع عن أهل التقويم أنهم اتفقوا أن الشمس تكسف في ثامن عشري هذا الشهر بعد الزوال فتأهب السلطان وغيره لذلك وترقبها إلى أن غربت ولم يتغير منها شيء البتة

وفي يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب تزوج سيدي محمد ولد الأمير جقمق بنت أحمد بن أرغون شاه وعمل له أبوه وليمة عظيمة وقدم له السلطان ومن دونه تقادم سنية

وفي شوال أرسل السلطان ثلاثمائة مملوك إلى جزيرة قبرس بمطالبة صاحبها بما **استقر عليه** من المال في كل سنة وأوصاهم أن يرسوا على بعض الجزائر ويراسلوه فإن أجاب بالامتثال رجعوا وصحبتهم ما يوصله لهم وإن امتنع اعتصموا ببعض الجزائر وراسلوا السلطان فعادوا بعد بضعة وعشرين يوما وصحبتهم أثواب صوف بقيمة ثلاثة آلاف دينار

وفيها حجب خوند جلبان زوج السلطان وكانت أمته فأعتقها وتزوجها وصيرها أكبر الخوندات وجهزها في هذه السنة تجهيزا عظيما وأرسل صحبتها جوهر اللالا وناظر الجيش ونصب في الودك المتعلق بها على شاطئ النيل وكان امرا مهولا وسافروا بالمحمل من أجلها في ٧ شوال ورحلوا به من البركة يوم الحادي والعشرين منه قبل العادة بثلاثة أيام

وفي ١٢ ذي القعدة أوفى النيل ستة عشر ذراعا ونودي عليه بزيادة نصف ذراع بعد الستة عشر وذلك في تاسع عشري أبيب وقد تقدم في سنة خمس وعشرين انه أوفى في تاسع عشري أبيب أيضا ولكن بزيادة اصبعين على الستة عشر فقط وأوفى قبل ذلك في سنة ست عشرة آخر يوم من أبيب وهي من النوادر وافسد تعجيل الزيادة من الزروع التي بالجزائر شيئا كثيرا كالبطيخ والسمسم

وفيها قدم الامير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك في ذي القعدة فأخبر أن نائب الشام اقام أياما محتجبا فأنكر عليه وسباي الحاجب الكبير فأجابه بالشتم والضرب والإهانة وخرج النائب إلى ظاهر البلد فأقام هناك فوقع الراي على رجوع ابن منجك بخلعة استمرار للنائب وأخرى للحاجب وأن يصلح بينهما فبادر وصحبته سودون ميق وهو يومئذ أمير آخور ثاني فاصلحا بينهما واستمر الحال واشتهر فيها وقوع زلزلة بالأندلس هدم بها من الأمكنة شيء كثير

وفيها نودي على الذهب بأن كل أشرفي بمائتين خمسة وثلاثين ومن خالف ذلك شنق في يده فاستمر على ذلك

وفها قدم غادر بن نعير على السلطان مفارقا لاخيه قرقماس فأكرمه وأمره عوضا عن أخيه فلما رجع عصى وآذى بعض الناس فأرسل السلطان إلى نائب حلب ونائب حماة أن يركبوا عليه فبلغه ذلك فهرب وأحاطوا بما وجدوه من ماله

وفيها أرسل شاه رخ قرايلك في طلب إسكندر بن قرا يوسف فواقعه فانهزم اسكندر وفر إلى بلاد الكرج فنزل بقلعة سلماس وبعث إليه شاه رخ عسكرا فقاتلوه إلى أن انهزم ونجا بنفسه جريحا فاتفق أنه وقع الغلاء ثم الوباء في عسكر شاه رخ فكر راجعا إلى بلاده

وفي العشرين من ذي الحجة مات فارس الذي كان رأس المماليك المقيمين بمكة لكف أذى وكان غيره قد توجه عوضه مع الحاج ورجع هو مبشرا فمات في الطريق وتاخر قدوم المبشرين بسبب ذلك يومين عن العادة فقدموا في ثامن عشري ذي الحجة وأخبروا بالرخاء لكن كان الماء قليلا

ذكر من مات

في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة من الأعيان ". (١)

٩٥-" سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة

المحرم - أوله الأحد العشرين من بونة من أشهر القبط - وفي ليلة السبت تراءوا هلال المحرم فلم يظهر مع الصحو الشديد فلما كان صبيحة هذا اليوم استقر القاضي محب الدين بن الأشقر ناظر الجيش وركب الناس معه وكان الجمع وافرا واستقر معه محمد بن أبي الفرج عبد الرزاق أخو فخر الدين في الأستادارية فركب معه فوصله إلى منزله برأس حارة زويلة وتوجه إلى منزله بقرب قنطرة سنقر وتوجه غالب الناس معه

وفي هذا اليوم وصل رأس تغري برمش ورفيقه ونودي عليهما بالقاهرة ثم علقا بباب زويلة - وقد تقدم أنه ضربت عنقه في سابع عشر ذي الحجة من الحالية - بقلعة حلب وقدم مبشر الحاج وأخبر أنهم وقفوا يوم السبت وأن بعض الناس تحدث برؤية الهلال ليلة الجمعة ولم يثبت ذلك لكن سار الركب من مكة فباتوا بعرفات ليلة الجمعة احتياطا

وفي هذا اليوم نقلت الشمس من برج السرطان وهو أول يوم من الصيف ومن يومئذ نقص النهار وأخذ الليل منه وهذا اليوم هو أطول أيام السنة وأقصر لياليها

وفي يوم الاثنين ثاني المحرم استقر الشيخ ولي الدين السفطي شيخ المدرسة الجمالية في نظر الكسوة مضافة إلى وكالة بيت المال وركب الناس معه أيضا

وفي الثالث منه أمر عبد الباسط ناظر الجيش دويداره بإحضار ما في منزله من الذهب فكان ثلاثين ألف دينار فاستقلها السلطان فاستأذنه ناظر الجيش المذكور في بيع موجوده فأذن له وشرعوا في بيع جميع ما عنده من الحواصل فوصلت مصادرته في اليوم العاشر إلى مائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار والطلب مستمر وقيل إنه طلب منه ألف ألف دينار وإن بعض الوسائط أنزلها إلى خمسمائة ألف دينار ولم يثبت ذلك وصودر كاتبه على عشرة آلاف دينار ثم خفف عنه منها الخمس والأستادار جانب بك مملوكه - على عشرة آلاف دينار فباع دوره واثاثه وشرع في وزنها وضمن عليهم وأطلقوهم ثم

---

(١) انباء الغمر ص/٥٧٩

أطلق ضفدع وإبراهيم الكاتب بغير شيء وكثرت الأمتعة والملابس الفاخرة بأيدي الناس من كثرة من يبيع ذلك من حواشي المشار إليه – إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار

ومن أعجب ما يذكر أن جميع منادميه صاروا ملازمين لكاتب السر طمعا في استمرار جهاتهم وجاههم – والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأحضر الشريف بدر الدين حسن الإسكندراني التاجر وكان يتوكل عن ناظر الجيش في بيع النبهار من الإسكندرية في هيئة شنيعة فحبس بالبرج وحوسب إلى إن **استقر عليه** شيء يسير وأطلق ثم لما كان بعد ذلك تقرر على عبد الباسط ثلاثمائة ألف دينار وكان السلطان ألزمه بستمائة ثم بخمسمائة ثم بأربعمائة فتكلموا معه في ذلك فأظهر العجز عن ذلك وقرروا مع السلطان أن يكون ثلاثمائة وأعلموه بذلك ثم شاوروا السلطان فأنكر أن يكون رضي بذلك وتغيظ عليهم وعليه وأمر بحبسه في البرج فحبس في برج مظلم وضيق عليه فأقام إلى أن قلب الله قلبه وأمر بإخراجه منه وتسلمه نائب القلعة فأنزله في غرفة علية وهي أعلى بناء في القلعة فأقام بهاأكثر من شهر إلى أن افرج عنه

وتوجه إلى مكة في أثناء ربيع الآخر – كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى

وفي التاسع عشر منه وصل سابق الحاج وذكر أنه فارقهم من عيون القصب وأنهم بخير

وفيه ابتدأت الزيادة في النيل

وفي يوم الجمعة سادسه رفع أمين النيل الخبر بأنه يومئذ كان على أربعة أذرع وعشرة أصابع فزاد على العام الماضي في النقص خمسة وأربعين إصبعا واستمرت الزيادة فكان في أبيب وهو يوم الجمعة العشرين من المحرم أنقص من العام الذي قبله بأحد وستين إصبعا فلم يزل يزيد حتى كان في العشرين من صفر أزيد من الذي قبله بأربعة تسعين إصبعا – فسبحان القادر

وفي السادس والعشرين منه خلع على نور الدين ابن آقبرص أحد نواب الحكم بوظيفة نظر البيوت عوضا عن ناظر الجيش وكانت الخلعة جبة سمور ". (١)

٩٦–"قال: وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب كان خلاص البغدوين يعني ملك الفرنج من شيزر، وكان **استقر عليه** ثمانون ألف دينار وقلعة عزاز، وحلف على ذلك، ورهن جماعة من الفرنج اثنى عشر نفساً أحدهم ابن الجوسلين، وعجل من المال عشرين ألف دينار فما هو إلا أن خرج حتى غدر ونكث ونفذ يعتذر إلى الأمير حسام الدين بن نجم الدين بأن البطريرك لم يوافقه على تسليم عزاز، وأن خطيئة اليمين تلزمه وترددت الرسل بينهم إلى يوم الأحد ثامن عشر شعبان، وعادت بنقض الهدنة، وخرج الملك إلى أرتاج وعزمه على حلب، فخرج التمرتاش من حلب بتاريخ الخامس والعشرين من رجب نحو ماردين ووعد بجمع العساكر، ورحل بغدوين من أرتاح إلى نهر فويق وأفسد كلما عليه، وضايق حلب واجتمع على باب حلب ثلاثة ألوية: لواء الملك إبراهيم بن رضوان، ولواء الأمير دبيس بن صدقه، ولواء الملك بغدوين، وكان الجوسلين ودبيس قد برزا من تل باشر، وقصدوا ناحية الوادي، وأفسد كلما فيه ما قيمته ألف دينار، ثم نزلا على باب حلب، وكان نزولهم

(١) انباء الغمر ص/٦٦٦

على حلب على مضي ساعة وكسر من نهار يوم الاثنين سادس عشر من شعبان، والطالع من العقرب عشر درج والمريخ في الطالع في درجة واحدة، وقبل نزولهم بساعتين عند اتساع الفجر انفتح من السماء من نحو المشرق باب من نور ودام حتى هال الناس ولما كان في اليوم الثاني في ذلك الوقت عاد انفتح ذلك الباب، ولكن كان أضيق من الأول، وخرج من شيء كاللسان، ينعطف ويتطوق، ونزل الفرنج غربي البلد، وغربي قويق ومعهم علي بن سالم بن مالك، وصاحب بالس أخو بدر الدولة فقطعوا الشجر، وأخرجوا المشاهد الظاهرة، وكان عدد الخيم ثلاثمائة خيمة مائة للمسلمين، ونبش الفرنج القبور وأخرجوا الموتى بأكفانهم، وعمدوا إلى من كان طرياً فشدوا الحبال في أرجلهم وسحبوهم مقابل المسلمين.

أخبرني القاضي عز الدين أبو علي حسن بن محمد بن إسماعيل القيلوي قال: حدثني والدي قال: أخبرني الشيخ أبو سعد بن النعماني قال: كان المسترشد قد جمع أرباب دولته وسيرهم في الصلح بينه وبين دبيس، واتفق أن ابن أبي العودي الشاعر دخل على دبيس في ذلك اليوم وكنت حاضراً المجلس فأنشده قصيدة أولها:

جدك يا تاج الملوك قد علا، حتى بلغ إلى قوله:

دونك صفين فهذي قد أتت ... آل زياد والحقوق تقتضى

قال: فتغيرت وجوه الجماعة أصحاب المسترشد، وتغير وجه دبيس وأمر بصفعه فصفع وأخرج من بين يديه وحبس وأمر بالجماعة فأنزلوا في الدور، وأكرموا غاية الإكرام، وحمل إليهم كلما يحتاجون إليه، فلما أتى الليل أخرجه من الحبس خلوة وقال له: ويحك أنا قد اجتهدت حتى ينتظم الصلح بيني وبين الخليفة وقد أرسل أرباب دولته لإتمام هذا الأمر فجئت أنت وقلت ما قلت لتفسد الحال فأنشده:

هم زرعوا العداوة لا لجرم ... فدونك واصطلمهم بالحصاد

ولا ترهب قعاقعهم فليست ... قعاقعهم سوى لبس السواد

إذا لي تشف في الدنيا غليلاً ... فتذخره إلى يوم المعاد

فقال: أنشدني بقية القصيدة فأنشده:

فهذه يا ذا الفخار دول ... ينزعها الله إلى حيث يشا

فانتهز العزيمة قبل فوتها ... وناد بالثأر فقد آن الندا

ولا تكن في النائبات هلعاً ... ولا جباناً ذرعاً يخشى الوغى

إما يقال أدرك العز الذي ... ما مثله أو خانه صرف الردى

فالداء لو يحسمه صاحبه ... إذا بدا أغناء عن شرب الدوا

فهل ترى السلطان إلا رجلاً ... يدركه الموت ويرديه البلا

لحم وعظم ودم مركب ... في صورة كبعض أبناء الورى

تنته العرقة أو تؤلمه ... في قرصها البقة شاء أو أبى

لا يستطيع مع حمى سلطانه ... دفع الأذى عنه إذا هم القضا

فهو وإن عز حمى سلطانه ... يخشى المنايا في الصباح والمسا

قال: فأمر له بمائة دينار وصرفه في تلك الليلة إلى بلدة النيل وجرت بين دبيس والرسل أرباب دولة المسترشد مقاولات واحتجوا بمراجعة الخليفة في ذلك ومضوا ولم تقض لهم حاجة.". (١)

٩٧-"""""""" صفحة رقم ١٨٢ """""""

ويسلمونه إليه مختوماً ؛ وهو عندي مما لا يجوز العمل به ، ولا إنفاذه ، لا سيما إذا كان حامله صاحب الحكومة . وقد ذكر ابن حبيب عن ابن القاسم وغيره : إذا كان حامل الكتاب صاحب القضية ، لم يجر فيما هو أخف من هذا في تحمله من عند الأمين ، أو من عند الفقيه وشبهه . فكيف في نفس الحكومة ومن قاضي بلده إلى قاضي بلدة أخرى ؟ هذا لا يجوز عند أحد ، والقضاء به مفسوخ ؛ والله أعلم وأما إذا تحمل الكتاب شاهدان ، وشهدا به عند المكتوب إليه ، وأثنى عليهما بخير ، وأن لم تكن تعديلاً بيناً وزكى أحدهما ، ولم يزك الآخر ، أو توهم فيهما الصلاح ، وكان الختم والخط مشهورين معروفين عند المكتوب إليه ؛ فأنا لا أستحسن إجازة مثل هذا أو إنفاذه له ، لتعذر موافقة العدول عن الطالب ، ولما قد جرى به العمل في صدر السلف الصالح من إجازة الخاتم . والله أعلم بالصواب ومن هذا الأصل : إن محمد بن شماخ ، قاضي غافق ، خاطب صاحب الأحكام بقرطبة محمد بن الليث بخطاب أدرج فيه إليه كتاب عيسى بن عتبة فقيه مكناسة ، وعقد استرعاء بملك بغل بعث فيه ثبت استحقاقه عند ابن عتبة فقيه مكناسة على عين البغل وعين مستحقه ؛ وقال ابن شماخ في كتابه إلى صاحب الأحكام : ثبت عندي كتاب الفقيه ابن عتبة مستخلف قاضي الجوف ، المدرج في طي كتابي إليك . ولم يسم القاضي الذي استخلفه من هو ، ولا سمي ابن عتبة ولا كناه ، ولا أن ثبوته كان عنده على عين البغل ومستحقه ؛ وشاور صاحب الأحكام في ذلك ؛ فأفتى ابن عتاب وابن القطان وابن مالك أن إعمال خطاب ابن شماخ هذا واجب ، وأن الحكم فيه نظر منه محمول على الإكمال ؛ وفي اتفاقهم على الجواب عجب ، وفيه من الضعف ما فيه ؛ وقد كانوا يختلفون فيما هو أصح من هذا في النظر ؛ وما جوابهم هذا إلا مسامحة . والله أعلم قلت : والذي **استقر عليه** العمل لهذا العهد ، بالأندلس والمغرب ، ما تعرفناه عن كثير من بلاد المشرق من الاقتصار على معرفة الخطوط بالشهادة عليها ؛ فإذا أثبت عند الحاكم المكتوب إليه أن الخطاب هو بخط يد القاضي الذي خاطبه به ، وكتب اسمه فيه قبله ، إن كان عنده من أهل القبول ، وأمضاه ، وحكم بمقتضاه . وما استأهل المتأخرون الأخذ". (٢)

٩٨-"٢-إن قيم الرحمة الإنسانية والرفق التي زكاها الإسلام تحمل المسلمين على مد جسور الحوار والتعاون مع عامة البشر خاصة أهل الحكمة والأبرياء. ولقد استخلصت هذه القاعدة من وقفة للأستاذ سعيد النورسي يتأمل فيها حال البشر وتقلبات الزمان وصروف الدهر وخطوبه. فقد استوقف عقله حال الأبرياء من الكفار الذين لا ناقة لهم ولا جمل فيما يقترف الظالمون، وما مصيرهم في ما يصيبهم من البلايا والمصائب؟ ووقفته هذه قد لا يوافق البعض أو الكثير منا على ما قاله فيها، غير أنه مهما كان الأمر فإنها صالحة لما سقناها من أجله. يقول رحمه الله: ((لقد مس مسا شديدا مشاعري وأحاسيسي

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٤٢٦/٣

(٢) تاريخ قضاة الاندلس ص/١٨٢

المفرطة في الرأفة والعطف ما أصاب الضعفاء المساكين من نكبات وويلات ومجاعات ومهالك من جراء هذه الطامة البشرية التي نزلت بهم... ولكن على حين غرة نبهت إلى أن هذه المصائب وأمثالها ينطوي تحتها نوع من الرحمة والمجازاة–حتى على الكافر– بحيث يهون تلك المصيبة، فتظل هينة بسيطة بالنسبة إليهم، وأصبح هذا التنبيه مرهما شافيا لإشفاقي المؤلم على الأطفال والعوائل في أوربا وروسيا.. نعم إن الذين نزلت بهم هذه الكارثة العظمى–التي ارتكبها الظالمون– إن كانوا صغارا وإلى الخامسة عشرة من العمر فهم في حكم الشهداء من أي دين كانوا، فالجزاء المعنوي العظيم الذي ينتظرهم يهون عليهم تلك المصيبة. أما الذين تجاوزوا الخامسة عشرة من العمر فإن كانوا أبرياء مظلومين فلهم جزاء عظيم ربما ينجيهم، لأن الدين–ولاسيما الإسلام– يستر بستر الا مبالاة في آخر الزمان... وقد بلغني من الحقيقة أن تلك النكبات والويلات كفارة بحقهم من الذنوب المتأتية في سفاهات المدنية وكفرانها بهذه النعم ومن ضلالات الفلسفة، وبهذا وجدت السلوان والعزاء من ذلك الألم النابع من العطف المتزايد فشكرت الله شكرا لا نهاية له))(١). فإذا كان هذا هو ما **استقر عليه** من حال هؤلاء في الآخرة، فبالأولى أن يستقر

(١) –((سيرة ذاتية)) ص ٣١٢.". (١)

٩٩–"إلى تاله وتنسك. وتعلق بأسباب العرفان وتمسك. وعفة وزهاده. وصلاح وطد به مهاده. وعمل زان به علمه. ووقار حلى به حلمه. وبلاغة وبراعه. ثقف بها لسانه ويراعه. وأخبرني غير واحد أن سلطان العجم الشاه عباس قصد يوماً زيارة الشيخ بهاء الدين محمد فراي بين يديه من الكتب ما ينوف على الألوف فقال له السلطان هل في العالم عالم يحفظ جميع ما في هذه الكتب فقال الشيخ لا وإن يكن فهو الميرزا إبراهيم وناهيك بها شهادة بفضله. واعترافاً بسمو مقداره ونبله. وكانت وفاته سنة ست وعشرين وألف ومن انشائه الذي بلغ من البلاغة الأرب. وعجز عن الحوك على مواله مدارة العرب. ما كتبه إلى الشيخ بهاء الدين المذكور وهو الاتحاد الحقيقي يقتضي سماحة توشيج مفتتح الخطاب. وترشيج مبتدا الكتاب. بما **استقر عليه** العرف العام. واستمر عليه الرسم بين الأنام. من ذكر المحامد والألقاب. ونشر المزايا في كل باب. مع أن ذلك أمر كفت شهرته مؤنة التصدي لتحريره. وأغنى ارتكازه في الأذهان عن شرحه وتقريره. فلو أطلقت عنان القلم في هذا المضمار. وأجريت فلك التبيان في ذلك البحر الزخار لكنت كم يصف الشمس بالضياء. ويثني على حاتم بالسخاء. فلذلك ضربت صفحاً عن ذلك. وطويت كشحاً عن سلوك تلك المسالك. واقتصرت على الايماء إلى نبذة من عموم مديده. سلم برهان السلم عدم انحصارها. وشرذمة من غموم عديه. لا ينطبق دليل التطبيق على عشر معشارها. واكتفيت عن الاطناب في هذا الباب. بما تضمنه قول بعض ذوي الألباب. وأظنه العارف النسائي

جفاى جرخ وغم دهر انجنانم كرد ... كه ازدوكس بودم حسرت ازجكر خارى

يكى برانكه زراهى عدم بملك وجود ... بنامد وخبرش نيست زين كرفتارى

(١) رسائل عن النورسية ٤٨/١

دبكر برنكه درين خاكدان غم برور ... بخواب رفت ونكر دار زوى بيدارى
نسأل الله سبحانه مفتح أبواب السرور. بقطع علائق عالم الزور وحسم عرائق دار مغرور. وتبديل الأصدقاء المجازيين. بالاخلا الروحانيين. والانزوا في زاوية العزله. والانفراد عن جلسا السوء والذله. وصرف الأوقات. في تلافي ما فات. واعداد الزاد. ليوم المعاد. فإن ذلك أعظم المقاصد وأعلاها. وأهم المطالب وأولاها.
نان جوين وخرفه بشمين اب شور ... سى باره كلام حديث بيمبرى
هم نسخه سرجارز علمه كه نافع است
وزدين ان لغوبو على وزاز بحترى ... رين مردمان كه ديوان شياف حرز كند
در كوشيه نهان شده بنشته دون برى
بايك دو اشتكاه نيرزد بنيم جو ... در بيش ملك همت شان ملك سنجرى
اين ان سعاد تست كه بروى حسد برد ... آب حيات ورونق ملك سكندرى
وهذه لمعة من كثير. وجرعة من غدير في القلب أشياء كثيره. لا سبيل إلى تقريرها. ولا طريق إلى تحريرها. زبان حموش وليكن ذهان براز عربست هذا ولقد أوجع قلبي. وأزعج لبي. ما صرحتم من حكاية السقطة التي ألمت قدم قدوة المتأهلين. وأوهنت رجل سلطان المتولهين. لكن ألقى هاتف الغيب في بالي أن السقوط مبشر بالارتقا. والهبوط مخبر عن غاية الاعتلا. فإن القطرة لما هبطت صارت لؤلؤه والحبة لما سقطت على الأرض صارت سنبله. مع أن المصيبة والابتلا. موكل بالانبيا ثم الأوليا. فيجب الشكر على التشبه بهم. والتهنئة بالانخراط في سلكهم.
تهنيت جزدر مصيبت بيش ما عيب است ... عيب عيد رادر مارسم مبارك بادنيست
ثم نسأل الله تعالى التوفيق لانتظام الأحوال وتحقيق الآمال هذا وابلاغ السلام إلى ثمرات دوحة السيادة والنقابه. وأغصان شجرة الامامة والنجابه. بلغهم الله أرفع معارج الكمال مأمول مسئول والسلام عليكم أولاً وآخراً. وباطناً وظاهراً
الحكيم أبو الحسن بن إبراهيم
الطبيب الشيرازي". (١)

١٠٠-"بغداد إبراهيم الحربي.
بل سكتوا له، حتى لقد قال قاسم بن أصبغ: ذاكرت الطبري - يعني ابن جرير - وابن سريج، فقلت لهما: كتاب ابن قتيبة في الفقه أين هو عندكما ؟ قالا: ليس بشئ، ولا كتاب أبي عبيد، فإذا أردت الفقه فكتب الشافعي، وداود، ونظرائهما (١).
ثم كان بعده ابنه أبو بكر، وابن المغلس، وعدة من تلامذة داود، وعلى أكتافهم مثل: ابن سريج، شيخ الشافعية، وأبي بكر الخلال، شيخ الحنبلية، وأبي الحسن الكرخي شيخ الحنفية، وكان أبو جعفر الطحاوي بمصر.

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص/٢٨٣

بل كانوا يتجالسون ويتناظرون، ويبرز كل منهم بحججه، ولا يسعون بالداودية إلى السلطان.

بل أبلغ من ذلك، ينصبون معهم الخلاف، في تصانيفهم قديما وحديثا، وبكل حال، فلهم أشياء أحسنوا فيها، ولهم مسائل مستهجنة، يشغب عليهم بها، وإلى ذلك يشير الامام أبو عمرو بن الصلاح، حيث يقول: الذي اختاره الاستاذ أبو منصور، وذكر أنه الصحيح من المذهب، أنه يعتبر خلاف داود.

ثم قال ابن الصلاح: وهذا الذي استقر عليه الامر آخرا، كما هو الاغلب الاعرف من صفو الائمة المتأخرين، الذين أوردوا مذهب داود في مصنفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد الاسفراييني، والماوردي، والقاضي أبي الطيب، فلولا اعتدادهم به لما ذكروا مذهبه في مصنفاتهم المشهورة.

قال: وأرى أن يعتبر قوله إلا فيما خالف فيه القياس الجلي، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه، أو بناه على أصوله التي قام الدليل القاطع على

بطلانها، فاتفاق من سواه إجماع منعقد، كقوله في التغوط في الماء

---

(١) تقدم الخبر قبل صفحات.

(*)".(١)

١٠١-"أخبرنا أبو حفص بن القواس، أخبرنا أبو القاسم ابن الحرستاني حضورا، أخبرنا ابن المسلم، أخبرنا الحسين بن طلاب، أخبرنا محمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن علي، حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا سفيان عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أفرد الحج (١).

١٠٣ - الشهرزوري * الامام الحافظ الثبت، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن عبيد بن جهينة، الشهرزوري (٢).

---

(١) وأخرجه مالك ١ / ٣٣٥ في الحج: باب إفراد الحج، ومن طريقه مسلم (١٢١١) (١٢٢) عن عبدالرحمن بن القاسم بهذا الاسناد.

قلت: وقد ثبت عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر مع حجته، فقد روى أبو داود (١٩٩٢) من طريق أبي إسحاق عن مجاهد قال: سئل ابن عمر: كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مرتين، فقالت عائشة: لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع، وقال الحافظ في " الفتح " ٣ / ٣٤١: إن كل من روى عنه الافراد، حمل على ما أهل به في أول الحال، وكل من روى عنه التمتع، أراد ما أمر به أصحابه، وكل من روى عنه القران، أراد ما استقر عليه أمره، وتترجح رواية من روى عنه القران بأمور: منها أن معه زيادة علم على

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠٦/١٣

من روى الافراد وغيره، وبأن من روى الافراد والتمتع اختلف عليه في ذلك، فأشهر من روى عنه الافراد عائشة، وقد ثبت عنها أنه اعتمر مع حجته، وابن عمر، وقد ثبت عنه أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بالعمرة، ثم أهل بالحج، وثبت أنه جمع بين حج وعمرة، ثم حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك، وجابر، وقد تقدم قوله: إنه اعتمر مع حجته أيضا.

وروى القران عنه جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبأنه لم يقع في شئ من الروايات النقل عنه من لفظه أنه قال: أفردت ولا تمتعت، بل صح عنه أنه قال: " قرنت " وصح أنه قال: " لولا أن معي الهدي لاحللت ".

* تاريخ ابن عساكر " ٢ / ٢٦٩ أ - ٢٦٩ ب، تذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٤٦، طبقات الحفاظ: ٣٥٠، تهذيب ابن عساكر: ٢ / ٢٨٧.

(٢) ضبطت في الاصل بفتح الراء، وما أثبتناه من " الانساب ": ٧ / ٤١٧.

(*)".(١)

١٠٢-"ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَابْنُ المُغَلِّسِ، وَعِدَّةٌ مِنْ تَلاَمِذَةِ دَاوُدَ، وَعَلَى أَكْتَافِهِم مِثْلُ: ابْنِ سُرَيْجٍ شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ، وَأَبِي بَكْرٍ الخَلاَّلِ شَيْخِ الحَنْبَلِيَّةِ، وَأَبِي الحَسَنِ الكَرْخِيِّ شَيْخِ الحَنَفِيَّةِ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ بِمِصْرَ.

بَلْ كَانُوا يَتَجَالَسُوْنَ وَيَتَنَاظَرُوْنَ، وَيَبْرُزُ كُلٌّ مِنْهُم بِحُجَجِهِ، وَلاَ يَسْعَوْنَ بِالدَّاوِدِيَّةِ إِلَى السُّلْطَانِ.

بَلْ أَبلغُ مِنْ ذَلِكَ، يَنْصِبُوْنَ مَعَهُم الخِلاَفَ فِي تَصَانِيفِهِم قَدِيْماً وَحَدِيْثاً، وَبِكُلِّ حَالٍ فَلَهُم أَشْيَاءُ أَحْسَنُوا فِيْهَا، وَلَهُم مَسَائِلُ مُسْتَهْجَنَةٌ، يُشْغَبُ عَلَيْهِم بِهَا، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيْرُ الإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو بنُ الصَّلاَحِ، حَيْثُ يَقُوْلُ: الَّذِي اختَارَهُ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُوْرٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ الصَّحِيْحُ مِنَ المَذْهَبِ، أَنَّهُ يُعْتَبَرُ خِلاَفُ دَاوُدَ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الصَّلاحِ: وَهَذَا الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الأَمْرُ آخِراً، كَمَا هُوَ الأَغْلَبُ الأَعْرَفُ مِنْ صَفْوِ الأَئِمَّةِ المُتَأَخِّرِينَ، الَّذِيْنَ أَوْرَدُوا مَذْهَبَ دَاوُدَ فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ المَشْهُوْرَةِ، كَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الإِسْفَرَايِيْنِيِّ، وَالمَاوَرْدِيِّ، وَالقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ، فَلَوْلاَ اعتِدَادُهُم بِهِ لَمَا ذَكَرُوا مَذْهَبَهُ فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ المَشْهُوْرَةِ.

". (٢)

١٠٣-"فأهل السنة والجماعة يُثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤوها ويقدر عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا، فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها (١) ، ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري (٢) ، وهذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب دفع الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السلف إلى أن يحذروا منه ومن أتباعه الكلابية (٣) ، وهذه الطريقة التي أحدثها ابن كلاب البصري لم يسبقه إليه غيره، ووافقه عليها الأشعري وردَّ من خلالها على الجهمية والمعتزلة (٤) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٤٩/١٥

(٢) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع] ٩٩/٢٥

الطور الثالث: مكث الأشعري زمناً على طريقة ابن كلاب يرد على المعتزلة وغيرهم من خلال ما اعتقده في هذه الطريقة ولكن الله تعالى مَنَّ عليه بالحق فنَّور بصيرته وذلك بالرجوع التام إلى مذهب أهل السنة والجماعة، والتزام طريقتهم، واتباع منهجهم ومسلكهم وكان هذا هو الذي أراد أن يلقى الله تعالى عليه، متبرئاً من المذاهب التي عاشها، وداعياً إلى طريقه السلف ومذهبهم، ومنتسباً إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهذا الطور نظراً لأهميته في المجتال الاعتقادي فقد أثبتناه له – بعد توفيق الله بثلاثة وجوه (٥) :-

الوجه الأول : أقوال العلماء: لقد شهد كثير من العلماء والأئمة برجوع الأشعري الرجوع التام إلى مذهب السلف الصالح، وهؤلاء الأئمة ما قالوا هذه الشهادة إلا بعد أن سبروا حياته وعرفوا ما كان عليه وما **استقر عليه**. ومن هؤلاء العلماء (٦)

.

شيخ الإسلام ابن تيمية (٧) .

---

(١) الفتاوى (١٣/١٣١ – ١٥٤).

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (٢/٤ – ٥) على هامش منهاج السنة.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/٣٦٨).

(٤) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري ص ٤٥.

(٥) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص ٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ص ٤٧.

(٧) الفتاوى (٦/٥٣)." [١]

١٠٤-"الوجه الثالث : تأليفه كتاب الإبانة وإثباته له: إن آخرً الكتب التي ألفها الأشعري رحمه الله هو كتاب الإبانة وقد ذكر في هذا الكتاب إنتسابه للإمام أحمد رحمه الله، والتزامه بعقيدة السلف الصالح، واتباع أئمة الحديث، وذكر بعد هذا عقيدة السلف الصالح في أمور الدين، ولقد أثبت هذا الكتاب للأشعري جمع كثير من الأئمة، من المتقدمين والمتأخرين (١) ، وأقرب العلماء زمناً بزمن الأشعري هو ابن النديم ت ٣٨٥هـ فقد ذكر في كتابه الفهرست ترجمة للأشعري وذكر جملة من كتبه التي ألفها، ومنها كتاب "التبيين عن أصول الدين" وجاء بعده ابن عساكر وانتصر للأشعري، وأثبت له كتاب "الإبانة" ونقل منها كثيراً في كتابه "التبيين" للإشادة بحسن عقيدة الأشعري. قال ابن عساكر عن الأشعري: وتصانيفه بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كابه المسمى "الإبانة عرف موضعه من العلم والديانة (٢) ثم جاء ابن درباس ت ٦٥٩هـ، وألف كتاباً في الذب عن الأشعري وأثبت له كتاب الإبانة. وقال : أما بعد .. فاعلموا معشر الإخوان وفقنا الله وإياكم للدين القويم وهدانا جميعاً للصراط المستقيم بأن كتاب "الإبانة

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ٣٦٦/١

عن أصول الديانة" الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي **استقر عليه** أمره فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال بِمَنِّ الله ولطفه، وكل مقالة تُنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها، وتبرأ إلى الله سبحانه وتعالى بها. وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين، وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، فهل يسوع أن يُقال : أنه رجع إلى غيره ؟ فإلي ماذا يرجع تراه، يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله،

(١) كتب الشيخ حماد الأنصاري رسالة أثبت فيها رجوع الأشعري إلى مذهب السلفِ.

(٢) تبيين كذب المفتري ص ٢٨.". [١]

١٠٥-"ويرون التشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكر من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير (١).

هذه عقيدة الإمام الأشعري التي **استقر عليها** وصرح بها، وهي من الآثار التي تركها بعد وفاته وقد ساهمت بلا شك في توعية الأمة وتربيتها على أصول أهل السنة والجماعة سواء في المدارس النظامية في عهد السلاجقة أو في عهد الزنكيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين وإلى يومنا هذا ومن الإنصاف العلمي القول بأن المذهب الأشعري لم يستقر على ما مات عليه الإمام أبو الحسن الأشعري بل حدث تطور في المذهب الأشعري بحيث أن أقوال الأشاعرة تعددت واختلفت في مسائل عديدة ومن أشهر الذين اجتهدوا وخالفوا أبا الحسن الأشعري، في بعض المسائل، أبي بكر الباقلاني وابن فورك وعبد القاهر البغدادي، والبيهقي والقشيري، والجويني والغزالي وغيرهم على درجات متفاوت بينهم في ذلك وقد قام الدكتور عبدالرحمن بن صالح بن صالح المحمود بتتبع هذا التطور بنوع من التفصيل في كتابه القيم موقف ابن تيمية من الأشاعرة.

(١) اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث شرح جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري وقرّره في مقالاته د.محمد عبدالرحمن الخميس ص ١١ إلى ١٧١ وقد قام الدكتور بشرح هذه الأصول.". [٢]

١٠٦-"الطرفين (١) . والتمس مساعدة كل من قزل أرسلان صاحب أذربيجان (٢) ، وبهلوان بن إيلدكز أتابك همذان (٣) ، وبكتمر سقمان صاحب خلاط (٤) ، فلم ينجده سوى بكتمر الذ أرسل إلى صلاح الدين يطلب منه الشفاعة والكف عن الموصل(٥) ، وعلى الرغم من أن صلاح الدين ردَّ رسل بكتمر، إلا أن كل هذه العوامل، دفعته إلى

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ٣٦٩/١

(٢) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ٣٧٩/١

إعادة النظر بخططه لضَّم الموصل بالقوة المسلحة، ومال إلى استعمال الأسلوب السياسي، ويبدو أنه وجد نفسه في موقف حرج، وخشي أن يفقد مكانته، كمجاهد في سبيل الإسلام، بسبب ظهوره بمظهر القامع في دولة الموصل، لذلك عرض على عز الدين مسعود الأول الصلح، فطلب هذا إعادة البلاد التي أخُذت منهم، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك بشرط عدم اعتراضه على ضّم حلب، فرفض الموصل خيانة أخيه وحرص على التمسك بسيادته على حلب، وأعلن عن استعداده لمساعدته إذا تعرَّض للخطر (٦).

ضمُّ سنجار: نتيجة لفشل المفاوضات بين الطرفين، رأى صلاح الدين أن يضيِّق الخناق على الموصل وعَزْلها على حلب، وكانت سنجار هي المدينة التي توفر له هذه السياسة لذلك فكَّ الحصار عن الموصل وتوجه إلى سنجار في ١٦ شعبان عام ٥٧٨هـ/١٥ كانون الأول عام ١١٨٢م، أخطر الخليفة بما **استقر عليه** رأيه، فحاصرها مدة خمسة عشر يوماً حتى سقطت في يده (٧)

---

(١) مفرج الكروب (١/١٢٢) تاريخ الأيوبيين ص ٧١.

(٢) أذربيجان : أقليم واسع قصبته تبريز الحموي (١٢٨).

(٣) همذان : أكبر مدينة في إقليم الجبال.

(٤) خلاط : البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة.

(٥) الكامل في التاريخ نقلاً عن تاريخ الأيوبيين ص ٧٢.

(٦) تاريخ الأيوبيين ص ٧٢.

(٧) الكامل في التاريخ نقلاً عن تاريخ الأيوبيين ص ٧٢.". [1]

١٠٧-"""" صفحة رقم ٢٠٠ """

أمر دينهم ذكره الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقال عقيبة نظرت في سنة مائة فإذا هو رجل من آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمر بن العزيز ونظرت في رأس المائة الثانية فإذا هو رجل من آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) محمد بن إدريس الشافعي

قلت وهذا ثابت عن الإمام أحمد سقى الله عهده

ومن كلامه إذا سئلت عن مسألة لا أعلم فيها خبرا قلت فيها يقول الشافعي لأنه عالم قريش وذكر الحديث وتأوله عليه كما قلناه

ولأجل ما في هذه الرواية الثانية من الزيادة لا أستطيع أن أتكلم في المئين بعد الثانية فإنه لم يذكر فيها أحد من أهل النبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن هنا دقيقة ننبهك عليها

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ٢/١٣٦

فنقول لما لم نجد بعد المائة الثانية من أهل البيت من هو بهذه المثابة ووجدنا جميع من قيل إنه المبعوث في رأس كل مائة ممن تمذهب بمذهب الشافعي وانقاد لقوله علمنا أنه الإمام المبعوث الذي استقر أمر الناس على قوله وبعث بعده في رأس كل مائة من يقرر مذهبه وبهذا تعين عندي تقديم ابن سريج في الثالثة على الأشعري فإن أبا الحسن الأشعري رضي الله عنه وإن كان أيضا شافعي المذهب إلا أنه رجل متكلم كان قيامه للذب عن أصول العقائد دون فروعها وكان ابن سريج رجلا فقيها وقيامه للذب عن فروع هذا المذهب الذي ذكرنا أن الحال **استقر عليه** فكان ابن سريج أولى بهذه المنزلة لاسيما ووفاة الأشعري تأخرت عن رأس القرن إلى بعد العشرين

وقد صح أن هذا الحديث ذكر في مجلس أبي العباس بن سريج فقام شيخ من أهل العلم فقال أبشر أيها القاضي فإن الله تعالى بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وعلى الثانية الشافعي وبعثك على رأس الثلاثمائة ثم أنشأ يقول". (١)

١٠٨-""""" صفحة رقم ٢٨٩ """

ومن حديث داود أيضا من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة

رواه الخطيب فى ترجمة داود والحمل فيه على الراوى عنه العباس بن أحمد بن المذكر

ذكر اختلاف العلماء فى أن داود وأصحابه هل يعتد بخلافهم فى الفروع

الذى تحصل لى فيه من كلام العلماء ثلاثة أقوال أحدها اعتباره مطلقا وهو ما ذكر الأستاذ أبو منصور البغدادى أنه الصحيح من مذهبنا وقال ابن الصلاح إنه الذى **استقر عليه** الأمر آخرا

والثانى عدم اعتباره مطلقا وهو رأى الأستاذ أبى إسحاق الإسفراينى ونقله عن الجمهور حيث قال قال الجمهور إنهم يعنى نفاة القياس لا يبلغون رتبة الاجتهاد ولا يجوز تقليدهم القضاء وإن ابن أبى هريرة وغيره من الشافعيين لا يعتدون بخلافهم فى الفروع

وهذا هو اختيار إمام الحرمين وعزاه إلى أهل التحقيق فقال والمحققون من علماء الشريعة لا يقيمون لأهل الظاهر وزنا وقال فى كتاب أدب القضاء من النهاية كل مسلك يختص به أصحاب الظاهر عن القياسيين فالحكم بحسنه منصوص

قال وبحق قال حبر الأصول القاضى أبو بكر إنى لا أعدهم من علماء الأمة ولا أبالى بخلافهم ولا وفاقهم

وقال فى باب قطع اليد والرجل فى السرقة كررنا فى مواضع فى الأصول والفروع أن أصحاب الظاهر ليسوا من علماء الشريعة وإنما هم نقلة إن ظهرت الثقة

انتهى". (٢)

١٠٩-""""" صفحة رقم ٢٥٠ """

قال الأولون وهذا لا يصح لأنه يجوز أن يكون صادقا فى القذف فيصير بكذبه عاصيا كما كان بقذفه عاصيا

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى. موافق للمطبوع ٢٠٠/١

(٢) طبقات الشافعية الكبرى. موافق للمطبوع ٢٨٩/٢

وقال بعضهم هو أن يقول ما كنت محقا فى القذف ولا أعود إليه وكلام الشافعى رحمه الله محمول على تكذيب نفسه فى قوله أنا محق فى إظهاره والمجاهرة بغير حجة انتهى

وقوله القذف باطل حرام ذكره لفظ حرام مع باطل تبع فيه من قدمنا ذكره إياها وهى لفظة محمولة على التوسع فى العبارة وإلا فكل قذف خرج مخرج الشتم فهو حرام وإن خرج مخرج الشهادة ولم يتم العدد وقد كان يحسبه تم فليس بحرام فما للفظة موقع

فإن قلت ما الذى **استقر عليه** رأيكم فى صيغة توبة القاذف أيترجح عندك قول أبى سعيد أم قول الجمهور

قلت إن كان القاذف يعلم أنه كاذب فالأرجح عندى قول أبى سعيد لأن مدار التوبة على نحو ما مضى ما أمكن وتدارك ما يمكن تداركه ولا يتدارك ثلبه عرض أخيه ونيله منه إلا بذلك فهو نظير وفاء الدين ورد الظلامة ولا يغنى عن لفظ الكذب لفظ مجمجج ليس بصريح فى معناه بل من نال من أخيه قذفا وهو يعلم أنه برئ فتوبته بأن يبين للناس أنه برئ ولا يبين ذلك إلا بتسجيله على نفسه بصريح الكذب والبهت وإن علم أنه صادق أو شك فالمسألة محتملة يحتمل أن يكفيه قذفى باطل كما قاله الجمهور ويدل له نص الشافعى دلالة واضحة على رواية من روى فى لفظ النص بأنه أذنب بأن نطق بالقذف إلى آخره فكأن الشافعى رحمه الله فسر إكذابه نفسه بهذا ويحتمل أن يشترط لفظ الكذب ليجبر ما كان منه وما ذكروه من أنه قد يكون صادقا قد قدمنا جوابه وهو أن الصدق هنا ليس مطابقة ما فى نفس الأمر بل كل قاذف". (١)

١١٠-""""" صفحة رقم ٣٧٧ """

ذكر كلام أبى العباس قاضى العسكر الحنفى

كان أبو العباس هذا رجلا من أئمة أصحاب الحنفية ومن المتقدمين فى علم الكلام وكان يعرف بقاضى العسكر

وقد حكى الحافظ أبو القاسم فى كتاب التبيين جملة من كلامه فمنه قوله وقد وجدت لأبى الحسن الأشعرى كتبا كثيرة فى هذا الفن يعنى أصول الدين وهى قريب من مائتى كتاب والموجز الكبير يأتى على عامة ما فى كتبه وقد صنف الأشعرى كتابا كبيرا لتصحيح مذهب المعتزلة فإنه كان يعتقد مذهبهم ثم بين الله له ضلالتهم فبان عما اعتقده من مذهبهم وصنف كتابا ناقضا لما صنف للمعتزلة وقد أخذ عامة أصحاب الشافعى بما **استقر عليه** مذهب أبى الحسن الأشعرى وصنف أصحاب الشافعى كتبا كثيرة على وفق ما ذهب إليه الأشعرى إلا أن بعض أصحابنا من أهل السنة والجماعة خطأ أبا الحسن الأشعرى فى بعض المسائل مثل قوله التكوين والمكون واحد ونحوها على ما نبين فى خلال المسائل إن شاء الله فمن وقف على المسائل التى أخطأ فيها أبو الحسن وعرف خطأه فلا بأس له بالنظر فى كتبه وقد أمسك كتبه كثير من أصحابنا من أهل السنة والجماعة ونظروا فيها انتهى

ذكر البحث عن تحقيق ذلك

سمعت الشيخ الإمام رحمه الله يقول ما تضمنته عقيدة الطحاوى هو ما يعتقده الأشعرى لا يخالفه إلا فى ثلاث مسائل

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع ٣/٢٠٠

قلت أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثنى أحدا والشافعية غالبهم أشاعرة". [(١)]

١١١-"٢ . الجزية: ما يؤخذ من أهل الذمة، وهي ضريبة على الذمي المستوفي لشروطها مقابل الدفاع عنه، وكانت تمثل أحد الموارد الثابتة للدولة الأموية، عملاً بقوله تعالى: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)) (التوبة ، الآية : ٢٩). وهي ثابتة في السنة لما قاله المغيرة بن شعبة لترجمان عامل كسرى:.. فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤتوا الجزية(١). وهي ثابتة أيضاً بالإجماع(٢)، ولم يضف الأمويون شيئاً يذكر بالنسبة لتنظيم الجزية، ويمكن القول بأن جبايتها خضعت لما **استقر عليه** تنظيمها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن حيث ضوابطها تمثلت في أربعة هي: تحديد الشريحة التي تؤخذ منها الجزية متمثلة في الذكور العقلاء البالغين(٣)، ثم تحديد الفئات المعفاة منها: وهم: الصبيان والنساء، المرضى المزمنون، العبيد، المجانين، العميان، الشيوخ، الرهبان الذين لا مورد لهم(٤)، وكذلك مراعاة مستوى دخل الممول يساراً وإعساراً، حيث كانت تفرض على الفرد الغني (٤٨) درهماً سنوياً، وعلى المتوسط (٢٤) درهماً سنوياً وعلى ما دون ذلك (١٢) درهماً سنوياً بشرط أن يكون ذا حرفة(٥)، وأما عن تصنيفها فيمكن تقسيم الجزية وفق المعيارين التاليين:

---

(١) فتح الباري (٣١٧/٦) .

(٢) المغني ، ك الجزية (٥٦٧/١٠) .

(٣) التطور الاقتصادي في العصر الأموي صـ٦٦ .

(٤) الأحكام السلطانية صـ١٤٤ .

(٥) التطور الاقتصادي في العصر الأموي صـ٦٧ .". [(٢)]

١١٢-"عصمة فيما يراه النائم، بل لا بد من عرضه على الشرع فإن وافقه فالحكم بما استقر، لأن الأحكام ليست موقوفة على ما يرى من المنامات، وإن خالف رد مهما كان حال الرائي أو المرئي، ويحكم على تلك الرؤيا بأنها حلم من الشيطان وأنها كاذبة وأضغاث أحلام(١). ولكن يبقى أن يقال: ما فائدة الرؤيا الموافقة للشريعة، إذا كان الحكم بما **استقر عليه** الشرع(٢)؟. فائدتها التنبيه والبشرى كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة(٣)، فإن الرجل الصالح قد يرى في النوم ما يؤنسه أو يزعجه فيكون ذلك دافعاً له إلى فعل مطلوب أن ترك محظور(٤).

سادساً : أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتل الحسين رضي الله عنه:

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى . موافق للمطبوع ٣٧٧/٣

(٢) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد ٣٨٥/١

عن أم سلمة قالت: كان جبريل عند النبي صلى اله عليه وسلم والحسين معي فبكى الحسين فتركته فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فدنى من النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: أتحبه يا محمد؟ فقال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها كربلاء(٥)، وقد وقع الأمر كذلك بعد مضي سنين طويلة، وهذه معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وأنه رسول الله حقاً وصدقاً، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عن طريق الوحي(٦).

سابعاً : انتقام الله من قتلة الحسين رضي الله عنه:

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/٦٨٧) .

(٢) المصدر نفسه (٢/٦٨٧) .

(٣) البخاري رقم ٦٩٩٠ .

(٤) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/٦٨٧) .

(٥) فضائل الصحابة رقم ١٣٩١ بسند حسن .

(٦) سير الشهداء صـ٢٤٤ ." [١]

١١٣-" قال : لا خلاف بين الأئمة أن كل بلد صولح أهله على الخراج المعلوم أنه لا يجوز تغيير ما **استقر عليه** . وقد صح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمضى لأهل مدينة دمشق الصلح لكنه لما أشكل عليه الحال في الفتح وهل سبق من دخلها عنوة أو من دخلها بالصلح أمضاها كلها صلحا لأهلها وقبل منهم شروطا بذلوها فأما ما ظهر عليه المسلمون عنوة من أعمالها ونواحيها وحووه بالقهر والغلبة من أرضيها فقد اختلف فيه : فذهب عمر وعلي ومعاذ بن جبل إلى أنها وقف على المسلمين لا تقسم بين من غلب عليها من الغانمين وتجري غلتهم عليهم وعلى من بعدهم . وذهب الزبير بن العوام وبلال بن رباح إلى أنها ملك للغانمين فتقسم بينهم على ما يراه الإمام . وذهب أبو حنيفية وسفيان الثوري إلى أن الإمام في ذلك بالخيار إن شاء وقفها وإن شاء قسمها ووزعها على ما يراه بين من غنمها . وذهب مالك إلى أنها تصير وقفا بنفس الاغتنام . ولا يكون فيها اختيار للإمام . وذهب الشافعي إلى أنه ليس للإمام أن يقفها بل يلزمه أن يقسمها إلا أن يتفق على وقفها المسلمون فيرضى بذلك من غنمها

فأما ما روي عن عمر وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال : لولا آخر المسلمين ما فتحت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه و سلم خيبر

وعنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس ببانا ليس لهم شيء ما فتحت علي قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه و سلم خيبر ولكن أتركها لهم حراثة

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد ٢/٣١٠

ومعنى ببانا أي باجا واحدا وشيئا واحدا

وعن يزيد بن أبي حبيب قال : كتب عمر إلى سعد حين افتتح العراق : أما بعد . فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عز و جل عليهم فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس به عليك إلى العسكر من كراع أو مال فاقسمه بن من حضر من المسلمين . واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقي بعدهم شيء

وعن إبراهيم السلمي قال : لما افتتح المسلمون السواد قالوا لعمر : اقسمه بيننا فإنا فتحناه غنوة . فأبي وقال : فما لمن جاء بعدكم من المسلمين ؟ وأخاف إن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه . قال : فأقر أهل السواد في أرضيهم وضرب على رؤوسهم الجزية وعلى أرضيهم الطسق

قال أبو عبيدة : يعني بالطسيق : الخراج

وعن عتبة بن فرقد قال : اشتريت عشرة أجربة من أرض السواد على شاطئ الفرات لقضب لدوابي فذكرت ذلك لعمر فقال لي : اشتريتها من أصحابها ؟ قلت : نعم . قال : رح إلي فرحت إليه فقال : يا هؤلاء أبعتموه شيئا ؟ قالوا : لا قال : ابتغ مالك حيث وضعته

وأما ما روي عن علي رضي الله عنه وعن حارثة بن مضرب عن عمر أنه أراد أن يقسم السواد بني المسلمين فأمر أن يحصوا فوجد الرجل يصيبه ثلاثة من الفلاحين فشاور في ذلك فقال له علي بن أبي طالب : دعهم يكونوا مادة للمسلمين فتركهم . وبعث عليهم عثمان بن حنيف فوضع عليهم ثمانية وأربعين وأربعة وعشرين واثني عشر وبهذا كان يأخذ سفيان بن سعيد وهو معروف من قوله إلا أنه كان يقول : الخيار في أرض الغنوة إلى الإمام إن شاء جعلها غنيمة فخمس وقسم وإن شاء جعلها فيئا عاما للمسلمين ولم يخمس ولم يقسم

قال أبو عبيد : وليس الأمر عندي إلا على ما قال سفيان إن الإمام مخير في العنوة بالنظر للمسلمين والحيطة عليهم بين أن يجعلها غنيمة أو فيئا

وأما ما روي عن معاذ ولما قدم عمر الجابية أراد قسم الأرضين فقال له معاذ : والله إذن ليكونن ما تكره إنك إن قسمتها اليوم كان الربع العظيم في أيدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسدا وهم لا يجدون شيئا . فانظر أمرا يسع أولهم وآخرهم . فسار عمر إلى قول معاذ

وأما ما روي عن الزبير قال سفيان بن وهب الخولاني : لما افتتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام فقال : يا عمرو بن العاص أقسمها فقال عمرو : لا أقسمها فقال الزبير : والله لتقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه و سلم خيبر قال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فكتب إلى عمر فكتب إليه عمر أن أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة ". (١)

---

(١) مختصر تاريخ دمشق – مفهرس ص/٨٤

١١٤-"[١] ذكر حكم الأرضين وما جاء فيه قال لا خلاف بين الأئمة أن كل بلد صولح أهله على الخراج المعلوم أنه لا يجوز تغيير ما استقر عليه وقد صح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمضى لأهل مدينة دمشق الصلح لكنه لما أشكل عليه الحال في الفتح وهل سبق من دخلها عنوة أو من دخلها بالصلح أمضاها كلها صلحاً لأهلها وقبل منهم شروطاً بذلوها فأما ما ظهر عليه المسلمون عنوة من أعمالها ونواحيها وحووه بالقهر والغلبة من أرضيها فقد اختلف فيه فذهب عمر وعلي ومعاذ بن جبل إلى أنها وقف على المسلمين لا تقسم بين من غلب عليها من الغانمين وتجري غلتهم عليهم وعلى من بعدهم وذهب الزبير بن العوام وبلال بن رباح إلى أنها ملك للغانمين فتقسم بينهم على ما يراه الإمام وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري إلى أن الإمام في ذلك بالخيار إن شاء وقفها وإن شاء قسمها ووزعها على ما يراه بين من غنمها وذهب مالك إلى أنها تصير وقفاً بنفس الاغتنام ولا يكون فيها اختيار للإمام وذهب الشافعي إلى أنه ليس للإمام أن يقفها بل يلزمه أن يقسمها إلا أن يتفق على وقفها المسلمون فيرضى ببذلك من غنمها فأما ما روي عن عمر وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال لولا آخر المسلمين ما فتحت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وعنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بباناً ليس لهم شيء ما فتحت علي قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ولكن أتركها لهم حراثة ومعنى بباناً أي باجاً واحداً وشيئاً واحداً وعن يزيد بن أبي حبيب قال كتب عمر إلى سعد حين افتتح العراق أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس ﷺ". [٢]

١١٥-"الفصل الثالث

المبحث الثاني: تحقيق الحق من علم أصول الفقه

المطلب الأول: مبررات تجديد علم الأصول عند الشوكاني:

لقد كان الأساس الثاني الذي أقام عليه الشوكاني تجديد المنهج الفقهي هو تجديد علم أصول الفقه بتحقيق الحق منه.
وتمثلت مبررات هذا العمل المنهجي في أمرين:

الأول: أن أصول الفقه هو منهج استنباط الأحكام الفقهية، وأي تجديد في الفقه يقتضي تجديداً في أصوله.

الثاني: أن التراث الأصولي صار يؤخذ مسلمات لا مجال لنقاشها، وبالتحقيق والتمحيص يتبيّن أن منه ما لا مستند له من الشرع، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «علم أصول الفقه لما كان هو العلم الذي يأوي إليه الأعلام، والملجأ الذي يلجأ إليه عند تحرير المسائل وتقرير الدلائل في غالب الأحكام، وكانت مسائله المقررة وقواعده المحررة تؤخذ مسلمة عند كثير من الناظرين، كما تراه في مباحث الباحثين وتصانيف المصنفين، فإن أحدهم إذا استشهد لما قاله بكلمة من كلام أهل الأصول، أذعن له المنازعون وإن كانوا من الفحول، لاعتقادهم أن مسائل هذا الفن قواعد مؤسسة على الحق الحقيق بالقبول، مربوطة بأدلة علمية من المعقول والمنقول، تقصر عن القدح في شيء منه أيدي الفحول وإن تبالغت في الطول»([٦٩]).

---

(١) ٢٣١

(٢) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ١/٢٣١

وقد نتج عن هذا التصور الذي استقر في العقل الفقهي والأصولي عن علم أصول الفقه تكريس التقليد، وهو ما جعل الرأي البحث في نظر الشوكاني يحل محل الدليل في التفكير الأصولي والفقهي حيث قال: «....هذا الفن الذي رجع كثير من المجتهدين بالرجوع إليه إلى التقليد من حيث لا يشعرون، ووقع غالب المتمسكين بالأدلة بسببه في الرأي البحث وهم لا يعلمون»([٧٠]).

فهذه المبررات حملت الشوكاني على تصنيف كتابه "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول"، والذي التزم فيه منهجاً خاصاً قوامه عدم ذكر «المبادئ التي يذكرها المصنفون في هذا الفن، إلا ما كان لذكره مزيد فائدة يتعلق بها تعلقاً تاماً وينتفع بها فيه انتفاعاً زائداً»([٧١]).

المطلب الثاني: مجالات تجديد علم الأصول عند الشوكاني:

لقد أفصح الإمام الشوكاني في مقدمة كتابه إرشاد الفحول عن المقصد الذي توخاه من تحقيق علم أصول الفقه، وعن مجالات هذا التحقيق فقال: «حملني ذلك بعد سؤال جماعة لي من أهل العلم على هذا التصنيف في هذا العلم الشريف قاصداً به إيضاح راجحه من مرجوحه، وبيان سقيمه من صحيحه، موضحاً لما يصلح منه للرد إليه وما لا يصلح للتعويل عليه، ليكون العالم على بصيرة في علمه، يتضح له بها الصواب، ولا يبقى بينه وبين درك الحق الحقيق بالقبول حجاب»([٧٢]).

وهذه المقالة تبين أن تجديد علم أصول الفقه عنده هو تحقيقه وتمحيصه، وأنه يكون من خلال مجالين اثنين:

المجال الأول: بيان الراجح من المرجوح والسقيم من الصحيح.

والمجال الثاني: بيان ما يصلح للرد إلى علم أصول الفقه وما لا يصلح.

وفي الآتي تفصيل المجالين:

المجال الأول: بيان الراجح من المرجوح والسقيم من الصحيح:

وأهم ما قام به الشوكاني في هذا المجال تحقيق بعض المفردات الأصولية نظراً لأهميتها، ويمكن الاكتفاء في هذا المقام بالتمثيل لأهم المفردات التي تساعد على تصور فكره الأصولي.

المفردة الأولى: نظرية الاجتهاد:

وتناولها من زوايا متعددة أهمها:

أولاً: ضبط مفهوم الاجتهاد والمجتهد:

لقد أورد الشوكاني في تحديده لمفهوم الاجتهاد تعريفات عديدة، منها تعريف ابن الحاجب: استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي»([٧٣])، وتعريف الآمدي: «استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه»([٧٤]) وغيرها من التعريفات التي اشتملت على قيود مانعة من دخول أفراد غير المعرّف فيها.

لكن التعريف الذي ارتضاه الإمام الشوكاني وتولى شرح قيوده قيداً قيداً هو: «بذل الوسع في سبيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط»([٧٥]). والفارق بين التعريفات التي ساقها وبين هذا التعريف الذي تبناه أن الأولى ليست شاملة لجميع

أفراد المعرّف، إذ أنها ركزت على عنصرين: المستثمر للحكم، أي المجتهد، وثمرة الاجتهاد، ولم تتضمن طرق استثمار الأحكام أي الاستنباط، وهو ما اشتمل عليه التعريف الذي تبناه. وقد استثمر الشوكاني هذا القيد في ضبط مفهوم المجتهد حيث قال: «ويخرج بطريق الاستنباط نيل الأحكام من النصوص ظاهراً، أو حفظ المسائل، أو استعلامها من المفتي، أو بالكشف عنها في كتب العلم، فإن ذلك وإن كان يصدق عليه الاجتهاد اللغوي، فإنه لا يصدق عليه الاجتهاد الاصطلاحي»([٧٦]).

وفحوى كلامه هذا أن المجتهد هو الذي يستطيع نيل الحكم الشرعي بطريق الاستنباط من الكتاب والسنة، وأن مجرد حفظ فروع الفقه ومسائله في مذهب ما، لا يجعل من صاحبه مجتهداً. من هذا المنطلق لم يعد الشوكاني ما اصطلح على تسميته – بعد استقرار المذاهب وشيوع التقليد– بمجتهدي المذهب (وهم نوعان: مجتهدو التخريج ومجتهدو الفتيا) من أهل الاجتهاد.

والسبب في ذلك أن النوع الأول يقتصر عمله على تطبيق العلل الفقهية التي استخرجها إمامه فيما لم يعرض له من مسائل، وليس له أن يجتهد في مسائل قد نص عليها في المذهب إلا في دائرة معيّنة، وهي أن يكون استنباط الإمام فيها مبنياً على اعتبارات لا وجود لها في عرف المتأخرين([٧٧]).فالاستنباط عند هذا النوع من العلماء لا يكون من الكتاب والسنة، بل من أقوال الإمام المتبّع. أما النوع الثاني أي مجتهدو الفتيا فعملهم يقتصر على ترجيح بعض الأقوال على بعض بقوة الدليل أو بغيره مما لا يعد استنباطاً أصلاً([٧٨]).

ثانياً: ضبط شروط الاجتهاد:

تعرض الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة" إلى شروط الاجتهاد بشكل إجمالي([٧٩])، ثم توسّع الأصوليون بعده في تفصيل هذه الشروط، ويعد عمل الإمام الغزالي خلاصة ما انتهى إليه العلماء السابقون في ضبط شروط الاجتهاد، كما أصبح قدوة لمن بعده في اعتماد منهج التخفيف في الشروط الأساسية. وبعد استقرار المذاهب وشيوع التقليد توسعت كتب المتأخرين في الحديث عن شروط الاجتهاد، وسبب ذلك أن العلماء قسّموا الاجتهاد بالنسبة إلى المجتهد إلى: اجتهاد مطلق، واجتهاد مقيّد، وقسّموا هذا الأخير إلى مراتب، الأمر الذي اقتضى منهم بيان شروط كل مرتبة.

أما الشوكاني فقد اعتمد منهجاً خاصاً في بيان شروط الاجتهاد يتوافق ونظريته العامة في التقليد والاجتهاد، ويخدم دعوته التجديدية للفقه وأصوله.. ويمكن تحديد معالم هذه المنهجية في النقاط الآتية:

– حصر حديثه في شروط الاجتهاد على المجتهد المطلق، لأنه لا يدرج باقي الأقسام والمراتب ضمن دائرة الاجتهاد.

– تأكيده الشروط التأهيلية الأساسية التي يجب تحققها في المجتهد، بحيث إذا تخلف أحدها لم يكن أهلاً لهذا المنصب، وهي: العلم بنصوص الكتاب والسنة؛ معرفة مسائل الإجماع لمن يقول بحجيته؛ العلم باللغة العربية؛ العلم بأصول الفقه؛ العلم بالناسخ والمنسوخ؛ وأعرض عن الشروط التي لا يتوقف عليها وجود ملكة الاجتهاد، وبلوغ درجة المجتهد، وإنما تسمو بصاحبها إلى درجة الكمال. وهي شروط أدى التمسك بها عند المتأخرين إلى الحكم باستحالة تحقيق جميعها في عالم واحد، ومن ثمّ الإعلان عن شغور منصب الاجتهاد.

– عدم الإطناب في شرح الشروط غير المكتسبة، كالبلوغ، والعقل، والاكتفاء بذكرها فقط لأنها شروط التكليف فهي

بدهية.

- النظر الاجتهادي في مناقشة الشروط الأساسية، وتحقيق ما يراه الحق بعد مناقشة آراء العلماء في تفاصيل هذه الشروط.

ففي الشرط الأول، وهو العلم بنصوص الكتاب والسنة، وافق ما **استقر عليه** العلماء من تخفيف فقال: «ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب والسنة بل بما يتعلق منهما بالأحكام»([٨٠])، ولكن كانت له بعض الاعتراضات في التفاصيل. ففي العلم بالكتاب، اعترض على الغزالي وابن العربي تقديرهما آيات الأحكام بخمسمائة آية فقال: «ودعوى الانحصار في هذا المقدار إنما هي باعتبار الظاهر للقطع بأن في الكتاب العزيز من الآيات التي تستخرج منها الأحكام الشرعية أضعاف ذلك، بل من له فهم صحيح، وتدبر كامل يستخرج الأحكام من الآيات الواردة لمجرد القصص والأمثال»([٨١]).

وفي العلم بالسنة، علّق على اختلاف العلماء في القدر الذي يكفي المجتهد من السنة، إذ قيل خمسمائة، وقيل ألفٌ ومائتين، وقيل غير ذلك، فقال: «ولا يخفاك أن كلام أهل العلم في هذا الباب من قبيل الإفراط، وبعضه من قبيل التفريط. والحق الذي لا شك فيه، ولا شبهة أن المجتهد لابد أن يكون عالماً بما اشتملت عليه مجاميع السنة التي صنفها أهل الفن، كالأمهات الست وما يلحق بها، مشرفاً على ما اشتملت عليه المسانيد، والمستخرجات، والكتب التي التزم مصنفوها الصحة، ولا يشترط في هذا أن تكون محفوظة له مستحضرة في ذهنه، بل يكون ممن يتمكن من استخراجها من مواضعها بالبحث عنها عند الحاجة إلى ذلك»([٨٢]).

وقد ردّ الشوكاني بكلامه هذا على ما ذهب إليه الغزالي، وجماعة من الأصوليين، من أن المجتهد يكفيه أن يكون عنده أصلٌ يجمع أحاديث الأحكام كسنن أبي داود([٨٣]). كما عدّ الشوكاني من مستلزمات العلم بالسنة، العلم بمصطلح الحديث فقال: «وأن يكون ممن له تمييز بين الصحيح منها والحسن والضعيف، بحيث يعرف حال رجال الإسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث بأحد الأوصاف المذكورة»، وذكر تخفيفاً في هذا الشرط فقال:

«وليس من شرط ذلك أن يكون حافظاً لحال الرجال عن ظهر قلب، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث في كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال مع كونه ممن له معرفة تامة بما يوجب الجرح وما لا يوجبه من الأسباب، وما هو مقبول منها، وما هو مردود، وما هو قادح من العلل، وما هو غير قادح»([٨٤]).

وفي الشرط الثالث وهو العلم باللغة العربية، أكد أنه على المجتهد «أن يكون عالماً بلسان العرب، بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب ونحوه»([٨٥])، ولا يشترط في نظره «أن يكون حافظاً لها عن ظهر قلب، بل المعتبر أن يكون متمكناً من استخراجها من مؤلفات الأئمة المشتغلين بذلك»([٨٦])، ولكنه رفض التخفيف الذي هو محل اتفاق جميع الأصوليين، وهو أنه يكفي المجتهد أن يعلم من اللغة والنحو القدر الذي يفهم به خطاب العرب، وعاداتهم في الاستعمال، ولا يشترط أن يبلغ درجة الخليل والمبرّد([٨٧]). وإنما اشترط على المجتهد في الأحكام أن يبلغ درجة الاجتهاد في العربية وعلومها إذ قال:

«وإنما يتمكن من معرفة معانيها، وخواص تراكيبها، وما اشتملت عليه من لطائف المزايا، من كان عالماً بعلم النحو والصرف والمعاني والبيان، حتى يثبت له في كل فن من هذه ملكة يستحضر بها كل ما يحتاج إليه عند وروده عليه، فإنه عند ذلك

ينظر في الدليل نظراً صحيحاً، ويستخرج منه الأحكام استخراجاً قوياً»([٨٨]).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الرأي لم يذهب إليه من الأصوليين غير الإمام الشوكاني والإمام الشاطبي([٨٩]).وإذا حاولنا فهم خلفية هذا الموقف من خلال كلامه السابق يتبيّن أن الشوكاني اشترط الاجتهاد في علم اللغة للمجتهد، لأن ذلك يمكنّه من النظر المستقل في الأدلة، ويعصمه من التقليد. ذلك لأنه إذا وقع نزاع، أو خلاف في معنى، أو حكم توقف عليه فهم نص شرعي، تعيّن عليه بذل الوسع في معرفة الحق بين المختلفين، ولا يسوغ له أن يعمل على أحد المذاهب النحوية، أو البيانية في تقرير حكم إلاّ أن يستبين له رجحانه بدليل، وإلا كان مقلداً. فالتقليد في اللغة في نظر الشوكاني يخلّ بحقيقة الاجتهاد.

ومما ترتب على موقفه هذا، رفض ما ذهب إليه بعض الأصوليين، كابن عرفة وابن الوزير([٩٠])من جواز اكتفاء المجتهد بقراءة مختصر في اللغة العربية، فقال: «ومن جعل المقدار المحتاج إليه من هذه الفنون – النحو والصرف والبيان – هو معرفة مختصراتها أو كتاب متوسط من المؤلفات الموضوعة فيها فقد أبعد، بل الاستكثار من الممارسة لها والتوسع في الإطلاع على مطوّلاتها مما يزيد المجتهد قوة في البحث، وبصراً في الاستخراج، وبصيرة في حصول مطلوبه. والحاصل أنه لابد أن تثبت له الملكة القوية في هذه العلوم، وإنما تثبت هذه الملكة بطول الممارسة وكثرة الملازمة لشيوخ هذا الفن».

واستثنى الشوكاني من علوم اللغة علم البلاغة، فلم ير ضرورة الإحاطة به لفهم كتاب الله تعالى، لأنها ليست لازمة لاستخراج الأحكام، وإنما هي لمعرفة بلاغة القرآن الكريم وما عليه من إعجاز([٩١]).

أما في الشرط الرابع وهو العلم بأصول الفقه، فقد أكد الشوكاني أنه على المجتهد «أن يكون عالماً بعلم أصول الفقه؛ لأنه عماد الاجتهاد، وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه»([٩٢]).. ومقصوده بالعلم هنا هو النظر المستقل وعدم التقليد، وهو ما جعله يقول: «وعليه أن ينظر في كل مسألة من مسائله نظراً يوصل إلى ما هو الحق فيها، فإنه إذا فعل ذاك تمكن من رد الفروع إلى أصولها بأيسر عمل، وإذا قصر في هذا الفن صعب عليه الرد وخبط فيه وخلط»([٩٣]).

وفحوى كلام الشوكاني أنه من كان مقلداً في القضايا الأصولية، لن يكون مستقلاً في استنباطه للفروع الفقهية، ذلك لأن النتائج تتبع المقدمات، فمن لم يكن مجتهداً في إحدى مقدمات الاجتهاد، فليس بمجتهد.

إن الدراسة التحليلية لشروط الاجتهاد عند الشوكاني تبيّن أن العلوم التي ضمّنها تلك الشروط هي المطلوبة لبلوغ رتبة الاجتهاد، وأن التبحر في غيرها ليس مراداً للقدرة على الاجتهاد، ولا مانع منه عند الإمكان، فإن به فقط يظهر التفاوت بين المجتهدين، وهذا يؤكد قناعة أساسية في فكر الشوكاني التجديدي، وهي أن الاجتهاد يسّره الله تعالى لعباده وشروطه مقتدر على تحصيلها، فلا رخصة في التزام التقليد، ولا مبرر للحكم بغلق باب الاجتهاد بدعوى عدم وجود من هو أهل لممارسته، وهو ما لخصه بقوله:

«والذي أدين الله به أنه: لا رخصة لمن علم لغة العرب، ما يفهم به كتاب الله، بعد أن يقيم لسانه بشيء من علم النحو والصرف، وشطر من مهمات كليات أصول الفقه في العمل بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز، أو السنة المطهرة، ولا يحل التمسك بما يخالفه من الرأي، سواء كان قائله واحداً أو جماعة أو الجمهور» ([٩٤]).

ثالثاً: مراتب الاجتهاد:

فرق الشوكاني في حديثه عن شروط الاجتهاد بين نوعين من العلوم: علوم مطلوبة لبلوغ رتبة الاجتهاد، وهي التي ضمّها شروط الاجتهاد الخمسة، وعلوم ليست شرطاً لبلوغ رتبة الاجتهاد، ولكن يظهر بها التفاوت بين المجتهدين. من هذا المنطلق جعل مراتب الاجتهاد مرتبتين:

المرتبة الأولى: هو المجتهد الذي كملت له جميع أنواع علوم الدين، وصار قادراً على استخراج الأحكام من الأدلة متى شاء، وكيف شاء، فيصير ببلوغه هذه المرتبة من العلم إماماً مرجوعاً إليه، مستفاداً منه مأخوذاً بقوله، مدرساً ومفتياً ومصنفاً، وهذه الطبقة العالية من طبقات المجتهدين([٩٥]).

وعلو هذه المرتبة تقتضي في نظر الشوكاني الإحاطة بعلوم أخرى غير تلك التي حوتها شروط الاجتهاد، منها علم المنطق الذي يمكّن المجتهد من إدراك الحجج العقلية واستيعاب المباحث المنطقية التي يوردها المؤلفون في علوم الاجتهاد([٩٦]).ومنها علم الكلام لمعرفة حقيقة الاعتقادات وإنصاف كل فرقة بالترجيح أو التجريح على بصيرة([٩٧])،كما يفيد في حسن فهم علوم أخرى كعلم التفسير وعلم تفسير الحديث. ومنها علم التاريخ، عده من العلوم المطلوبة لهذه الطبقة من المجتهدين([٩٨]).وكثيراً ما يوظّف الشوكاني هذا العلم في تحقيق بعض المسائل الفقهية أو الأصولية، كما فعل في مسألة خلو العصر عن المجتهد، إذ أثبت بالدليل التاريخي عدم وقوع الخلو، كما سيأتي بيانه([٩٩]).ومنها العلوم الفلسفية كالعلم الرياضي والطبيعي والهندسة والهيئة والطب.

هذا، وقد حذر المجتهد من أن يثنيه تنفير بعض أهل العلم من هذه العلوم عن الاشتغال بها قائلاً: « ودع عنك ما تسمعه من التشنيعات، فإنها كما قدمنا لك من التقليد، وأنت بعد العلم بأي علم من العلوم حاكم عليه بما لديك من العلم، غير محكوم عليك، واختر لنفسك ما يحلو، وليس يخشى على من قد ثبت قدمه في علم الشرع من شيء»([١٠٠]).

كما رفض أن يحصر مجتهد هذه المرتبة نفسه في دائرة العلوم الشرعية دون التفتح على باقي العلوم، فقال: « ولقد وجدنا لكثير من العلوم التي ليست من علم الشرع نفعاً عظيماً وفائدة جليلة في دفع المبطلين، والمتعصبين، وأهل الرأي البحت، ومن لا اشتغال له بالدليل». وقرر في الأخير أن « العلم بكل فن خير من الجهل به بكثير، ولا سيما من رشح نفسه للطبقة العلية والمنزلة الرفيعة»([١٠١]).

المرتبة الثانية: المجتهد الذي بإمكانه معرفة ما طلبه منه الشارع من أحكام التكليف والوضع على وجه يستقل فيه بنفسه، ولا يحتاج إلى غيره، ودون أن تتعدى فوائد معارفه إلى غيره كما هو الحال عند مجتهد المرتبة الأولى([١٠٢]). وشروط هذا الصنف من المجتهدين هي شروط الاجتهاد الخمسة التي حددها الشوكاني، إذ قال:

«فمن علم بهذه العلوم علماً متوسطاً يوجب ثبوت مطلق الملكة في كل واحد منها صار مجتهداً مستغنياً عن غيره، ممنوعاً من العمل بغير دليل، وعليه أن يبحث عند كل حادثة يحتاج إليها في دينه عن أقوال أهل العلم وكيفية استدلالهم في تلك الحادثة، وما قالوه، وما رد عليهم به، فإنه ينتفع بذلك انتفاعاً كاملاً، ويضم إلى علمه علوماً، وإلى فهمه فهوماً، وهو وإن قصر عن أهل الطبقة الأولى فليس بمحتاج فيما يتعلق به من أمر الدين إلى زيادة على هذا المقدار([١٠٣])».

رابعاً: إشكالية جواز خلو العصر عن المجتهد:

لقد أخذت إشكالية جواز خلو العصر عن المجتهد حيزاً كبيراً في نظرية الاجتهاد عند الشوكاني، وذلك لاعتبارات ثلاثة:

الاعتبار الأول: أنها كانت المقدمة النظرية التي أُسست عليها دعوى غلق باب الاجتهاد. فقد ادعى من قال بخلو العصر عن المجتهد بجواز ذلك شرعاً وعقلاً([١٠٤]). من هنا أقام الشوكاني استدلاله ببطلان هذه الدعوى على عدم جوازها شرعاً وعقلاً.

أما الأول فقد استفاده من الحكم الشرعي للاجتهاد، وهو أنه فرض كفاية إذا لم يوجد من يقوم به أثم الجميع، فهو إذن واجب على الأمة الإسلامية، وقد لخص هذا في قوله: «لا يخفاك أن القول بكون الاجتهاد فرضاً يستلزم عدم خلو الزمان عن مجتهد، ويدل على ذلك ما صح عنه e من قوله: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة».

وأما عدم الجواز العقلي فاحتج له بأن من طبيعة العلوم والمعارف أن تزداد وتتطور، فقال معترضاً على من ادعوا جواز خلو العصر من مجتهد:

«إن قالوا ذلك باعتبار أن الله عز وجلّ رفع ما تفضل به على من قبل هؤلاء من هذه الأئمة من كمال الفهم، وقوة الإدراك، والاستعداد للمعارف، فهذه دعوى من أبطل الباطلات، بل هي جهالة من الجهالات، وإن كان ذلك باعتبار تيسر العلم لمن قبل هؤلاء المنكرين وصعوبته عليهم، وعلى أهل عصورهم، فهذه أيضاً دعوى باطلة، فإنه لا يخفى على من له أدنى فهم أن الاجتهاد قد يسره الله للمتأخرين تيسيراً لم يكن للسابقين، لأن التفاسير للكتاب العزيز قد دوّنت، وصارت في الكثرة إلى حد لا يمكن حصره، والسنة المطهرة قد دوّنت، وتكلم الأئمة على التفسير والتخريج والتصحيح والترجيح بما هو زيادة على ما يحتاج إليه المجتهد، وقد كان السلف الصالح من قَبْل هؤلاء المنكرين، يرحل للحديث الواحد من قطر إلى قطر. فالاجتهاد على المتأخرين أيسر وأسهل من الاجتهاد على المتقدمين، ولا يخالف في هذا من له فهم صحيح وعقل سوي» ([١٠٥]).

الاعتبار الثاني: تغيّر مضمون الإشكالية من جواز الخلو وعدمه إلى جواز وجود المجتهد وعدمه. ذلك لأن الذين قالوا بجواز خلو العصر عن مجتهد لم يكتفوا به، بل تجاوزوا ذلك في الواقع إلى عدم جواز وجود مجتهد في عصرهم، وما بعده، فقد نقل الشوكاني عن الرافعي قوله: «الخلق كالمتفقين على أنه لا مجتهد اليوم»([١٠٦])، كما نقل عن القَفّال والغزالي والرازي أنه قد خلا العصر عن المجتهد([١٠٧]).

والملاحظ هنا أن الإشكالية قد أخذت بعداً آخر، إضافة إلى الإمكان الشرعي والعقليّ، وهو الوقوع التاريخي، وما دام الأمر تعلق بالوقوع الفعلي، لم يجد الشوكاني بداً من الاستناد إلى علم التاريخ لإبطال هذه الدعوى فقال: «إن قالوا ذلك باعتبار المعاصرين لهم فقد عاصر القفال والغزالي والرازي والرافعي من الأئمة القائمين بعلوم الاجتهاد على الوفاء والكمال جماعة منهم. ومن كان له إلمام بعلم التاريخ والإطلاع على أحوال علماء الإسلام في كل عصر لا يخفى عليه مثل هذا، بل قد جاء بعدهم من أهل العلم من جمع الله له من العلوم فوق ما اعتده أهل العلم في الاجتهاد»([١٠٨]).

وزيادة في البيان والتأكيد، لم يقف الشوكاني عند حد استقراء التاريخ الإسلامي عموماً، بل انتقل إلى تاريخ المذهب الشافعي، باعتبار أن العلماء الذين صرحوا بعدم وجود مجتهد شافعية، فقال:

«ولما كان هؤلاء الذين صرحوا بعدم وجود المجتهدين شافعية فها نحن نصرّح لك من وجد من الشافعية بعد عصرهم ممن لا يخالف مخالف في أنه جمع أضعاف علوم الاجتهاد، فمنهم ابن عبد السلام، وتلميذه ابن دقيق العيد، ثم تلميذه ابن سيد

الناس، ثم تلميذه زين الدين العراقي، ثم تلميذه ابن حجر العسقلاني، ثم تلميذه السيوطي. فهؤلاء ستة أعلام، كلُ واحدٍ منهم تلميذ من قبله، قد بلغوا من المعارف العلمية ما يعرفه من يعرف مصنفاتهم حق معرفتها، وكل واحد منهم إمام كبير في الكتاب والسنة، محيط بعلوم الاجتهاد إحاطة متضاعفة، عالم بعلوم خارجة عنها. ثم في المعاصرين لهؤلاء كثير من المماثلين لهم، وجاء بعدهم من لا يقصر عن بلوغ مراتبهم، والتعداد لبعضهم فضلاً عن كلهم يحتاج إلى بسط طويل»([١٠٩]).

كما حاول الشوكاني أن يفنّد دعوى عدم وجود مجتهد من داخل المذهب الشافعي ذاته، إذ نقل عن الزركشي قوله: «ولم يختلف اثنان في أن ابن عبد السلام بلغ رتبة الاجتهاد، وكذلك ابن دقيق العيد»، ثم علّق قائلاً: «وهذا الإجماع من هذا الشافعي يكفي في مقابلة حكاية الاتفاق من ذلك الشافعي الرافعي»([١١٠]). يقصد قول الرافعي: «الخلق كالمتفقين على أنه لا مجتهد اليوم».

الاعتبار الثالث: إن القول بعدم جواز وجود مجتهد اقتضى القول بوجوب تقليد المذاهب المبتدعة وحصر الحق فيها وحدها واستقر في العقل الفقهي، كما قال الشوكاني: «أنه لا اجتهاد بعد استقرار المذاهب وانقراض أئمتها» ([١١١]).فأصبح التقليد أمراً واجباً، والاجتهاد أمرًا منكراً.

يؤكد هذا ما نقله الشوكاني على لسان أنصار المذاهب إذ قال: «فقالت طائفة منهم ليس لأحد أن يجتهد بعد أبي حنيفة، وأبي يوسف، وزفر، والهذيل، ومحمد بن الحسن الشيباني، والحسن ابن زياد اللؤلؤي، وإلى هذا ذهب غالب المقلدة من الحنفية، وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي: "ليس لأحد أن يجتهد بعد المائتين من الهجرة"، وقال آخرون: ليس لأحد أن يجتهد بعد الأوزاعي، وسفيان الثوري، ووكيع بن الجراح، وعبد الله بن المبارك، وقال آخرون ليس لأحد أن يجتهد بعد الشافعي»([١١٢]).

والملاحظ في هذا الاستشهاد أن الشوكاني ركز على مدعي خلو العصر عن المجتهد المطلق المستقل، لأنه لا يعتبر غيره من مجتهدي المذاهب من أهل الاجتهاد كما سبق بيانه. ولكن في الحقيقة، الأمر تعدى الحكم بانعدام المجتهد المطلق إلى الحكم بانعدام مجتهد المذهب أيضاً. قال صاحب "فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت": «ثم إن من الناس من حكم بوجوب الخلو من بعد العلامة النسفي، واختتم الاجتهاد به، وعنوا الاجتهاد في المذهب. وأما الاجتهاد المطلق، فقالوا اختتم بالأئمة الأربعة، حتى أوجبوا تقليد واحد من هؤلاء الأربعة»([١١٣]).

وقال عالم الأقطار الشامية ابن أبي الدم، بعد سرده شروط الاجتهاد المطلق: «هذه الشرائط يعز وجودها في زماننا في شخص من العلماء، بل لا يوجد في البسيطة اليوم مجتهد مطلق... بل ولا مجتهد في مذهب إمام تعتبر أقواله وجوهاً مخرجة على مذهب إمامه»([١١٤]).

والحاصل أن الشوكاني بعد دراسته التحليلية لأبعاد ومرتكزات إشكالية جواز خلو العصر عن المجتهد، خلص إلى أن وقوع الخلو ممنوع شرعاً وعقلاً وواقعاً، و أنها دعوى باطلة لا يلزم بها أحد فقال:

«وبالجملة فتطويل البحث في مثل هذا لا يأتي بكثير فائدة، فإن أمره أوضح من كل واضح، وليس ما يقوله من كان من أُسراء التقليد بلازم لمن فتح الله عليه أبواب المعارف، ورزقه من العلم ما يخرج به عن تقليد الرجال.. ومن حصر فضل الله على بعض خلقه، وقصر فهم هذه الشريعة المطهرة على من تقدم عصره، فقد تجرأ على الله عزّ وجلّ، ثم على شريعته

الموضوعة لكل عباده، ثم على عباده الذين تعبّدهم الله بالكتاب وبالسنة»([١١٥]).

خامساً: تجزؤ الاجتهاد:

من المسائل التي ميّزت نظرية الاجتهاد عند الشوكاني وجعلتها أساس التجديد الفقهي، قضية تجزؤ الاجتهاد. والمقصود بتجزؤ الاجتهاد أن يجتهد العالم في استنباط بعض الأحكام دون بعض([١١٦]).وأول من أثار هذه الإشكالية وحكم بجوازها الإمام الغزالي في كتابه المستصفى([١١٧]) وتبعه في ذلك جمهور الأصوليين كالآمدي، والقرافي، وابن القيم، وابن الهمام، وابن دقيق العيد، وابن السبكي، وابن قدامة، وغيرهم([١١٨]).حجتهم في ذلك أنه قد تمكُّن العناية بباب من الأبواب الفقهية حتى تحصل المعرفة بمأخذ أحكامه، وإذا حصلت المعرفة بالمآخذ أمكن الاجتهاد([١١٩]).

أما الإمام الشوكاني فقد ذهب إلى عدم جواز تجزئة الاجتهاد لسببين: أولهما: تعلق علوم الاجتهاد بعضها ببعض.. وثانيهما: أن ثبوت ملكة الاجتهاد تجعل العالم قادراً على الاجتهاد في جميع أبواب ومسائل الفقه. وهو ما سطره في قوله:

«إن من لا يقتدر على الاجتهاد في بعض المسائل لا يقتدر عليه في البعض الآخر، وأكثر علوم الاجتهاد يتعلق بعضها ببعض، ويأخذ بعضها بحجزة بعض، ولا سيما ما كان من علومه مرجعه إلى ثبوت الملكة، فإنها إذا تمت كان مقتدراً على الاجتهاد في جميع المسائل، وإن احتاج بعضها إلى فريد بحث، وإن نقصت لم يقتدر على شيء من ذلك، ولا يثق من نفسه لتقصيره، ولا يثق به الغير. لذلك فإن ادعى بعض المقصرين بأنه قد اجتهد في مسألة، فتلك الدعوى تبين بطلانها بأن يبحث معه من هو مجتهد اجتهاداً مطلقاً، فإنه يورد عليه من المسالك والمآخذ ما لا يتعقله»([١٢٠]).

ثم إن شدة تمسك الشوكاني بمنع تجزء الاجتهاد جعلته يرفض التفريق بين معرفة باب من أبواب الفقه، وبين معرفة مسألة من مسائله، إذ أجاز بعض العلماء الاجتهاد في الأول ومنعوا من الثاني. وقد سجل هذا الرفض بقوله:

«ولا فرق عند التحقيق في امتناع تجزؤ الاجتهاد، فإنهم قد اتفقوا على أن المجتهد لا يجوز له الحكم بالدليل حتى يحصل له غلبة الظن بحصول المقتضى وعدم المانع، وإنما يحصل ذلك للمجتهد المطلق، وأما من ادعى الإحاطة بما يحتاج إليه في باب دون باب، أو في مسألة دون مسألة، فلا يحصل له شيء من غلبة الظن بذلك، لأنه لا يزال يجوّز الغير ما قد بلغ إليه علمه، فإن قال قد غلب ظنه بذلك فهو مجازف، وتتضح مجازفته بالبحث معه»([١٢١]).

إن محاولة فهم موقف الشوكاني هذا فهماً يحقق الارتباط العضوي والانسجام الداخلي بين هذا العنصر والعناصر السابقة في نظرية الاجتهاد، يؤكد أن رفض الإمام الشوكاني لمبدأ تجزؤ الاجتهاد سببه أمرين: أولهما: إزالة فكرة صعوبة الاجتهاد وتعذره، وتأكيد يسر شروطه، وتحصيل ملكته، فإذا ثبتت ملكة الاجتهاد، تمكن العالم من الاجتهاد في كل الأحكام. ثانيهما: أن الاجتهاد الجزئي كان هو المنفذ الذي يتنفس منه العلماء بعد غلق باب الاجتهاد. قال الزحيلي: «.... كان – الاجتهاد الجزئي– هو النافذة التي استطاع بها العلماء تخفيف غلو أو سد باب الاجتهاد، نزولاً تحت عامل الضرورة أو الحاجة التي تصادف العلماء في كل زمن للإفتاء في حكم الحوادث المتجددة»([١٢٢]).

وحيث إن الإمام الشوكاني قد أبطل هذه الدعوى وفنّد مرتكزها الشرعي، وهو جواز خلو العصر عن المجتهد، فما الداعي إلى فتح هذا المنفذ – القول بتجزؤ الاجتهاد – خاصة وأنه لا يرى قيام فرض الاجتهاد إلاّ بالمجتهد المطلق، وغيره ليس معدوداً من أهل الاجتهاد؟

المفردة الثانية والثالثة: الإجماع والقياس:

من المفردات الأصولية التي راجعها الشوكاني وحقق مباحثها: الإجماع والقياس. أما الإجماع، فلم يعده دليلاً شرعياً، لعدم ورود دليل على حجيته، حيث قال: «إنه ليس بدليل شرعي على فرض إمكانه، لعدم ورود دليل يدل على حجيته»([١٢٣]). وهذا الموقف جعله يركز في دراسته التحقيقية للإجماع على موضوع الحجية أكثر من تركيزه على إمكانية الإجماع في نفسه، وإمكان العلم به، وإمكان نقله.

ومرتكزه في نفي حجية الإجماع أنه لم يرد دليل على حجيته، وأن أدلة القائلين بحجيته خارجة عن محل النزاع ولا تدل على مطلوب المستدلين بها، وهو اعتبار قول المجمعين حجة شرعية تصير ديناً ثابتاً على كل الأمة إلى يوم القيامة. إذ علّق على استدلالهم بقوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى لنَّاسِ)) (البقرة:١٤٣) بقوله:

«ليس في الآية دلالة على محل النزاع أصلاً، فإن ثبوت كون أهل الإجماع بمجموعهم عدولاً لا يستلزم أن يكون قولهم حجة شرعية تعم بها البلوى، فإن ذلك أمر إلى الشارع لا إلى غيره، وغاية ما في الآية أن يكون قولهم مقبولاً إذا أخبرونا عن شيء من الأشياء، وأما كون اتفاقهم على أمر ديني يصير ديناً ثابتاً عليهم وعلى من بعدهم إلى يوم القيامة فليس في الآية ما يدل على هذا، ولا هي مسوقة لهذا المعنى، ولا تقتضيه بمطابقة ولا تضمن ولا التزام»([١٢٤]).

كما علّق على استدلالهم بحديث النبي e: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» بقوله: «إن غاية ما فيه أنه e أخبر عن طائفة من أمته بأنهم يتمسكون بما هو الحق، ويظهرون على غيرهم، فأين هذا من محل النزاع؟»([١٢٥]).

وقد استند الشوكاني في موقفه الرافض لعدّ الإجماع مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي بعدم إمكان وقوعه، لعدة موانع أهمها: اتساع البلاد الإسلامية، وكثرة الحاملين للعلم، وتعذر الاستقراء التام لما عند كل واحد منهم، فإن الأعمار الطويلة – كما قال– لا تتسع لذلك فضلاً عن الأعمار القصيرة([١٢٦]).

وأما القياس: فلم يعده الإمام الشوكاني – خلافاً لما ذهب إليه الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء والمتكلمين – أصلاً من أصول الشريعة يُستدل به على الأحكام التي يرد بها السمع، حيث قال: «فالقياس الذي يذكره أهل الأصول ليس بدليل شرعي تقوم به الحجة على أحد من عباد الله، ولا جاء دليل شرعي يدل على حجيته، وإن زعم ذلك من لا خبرة له بالأدلة الشرعية ولا بكيفية الاستدلال بها»([١٢٧]).

والإمام الشوكاني لم ينف كل ما يسمى قياساً، بل استثنى ما كان منصوصاً على علته، أو مقطوعاً فيه بنفي الفارق، أو كان من فحوى الخطاب، أو لحن الخطاب، فقال: «فاعلم أن القياس المأخوذ به هو ما وقع النص على علته، وما قطع فيه بنفي الفارق، وما كان من باب فحوى الخطاب، أو لحن الخطاب، على اصطلاح من يسمى ذلك قياساً، وقد قدمنا أنه من مفهوم الموافقة»([١٢٨]).

إنّ الدراسة المستفيضة لنظرية القياس عند الإمام الشوكاني تبيّن أنه رفض القياس على مستويين. أولاً: رفضه كدليل شرعي، أي بوصفه مصدراً للأحكام.. ثانياً: رفضه كمنهج للبحث عن الحكم الشرعي.

أما رفضه للقياس كدليل شرعي مستقل فيعود إلى سببين:

السبب الأول: أن المثبتين للقياس قد استدلوا بآيات لا تدل في نظره على حجيته، لا بمطابقة، ولا تضمن، ولا التزام([١٢٩]) منها قوله تعالى: ((فَٱعْتَبِرُواْ يَٰأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ)) (الحشر:٢)، وقوله تعالى: ((فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ)) (المائدة: ٩٥)، وقوله عز وجلّ: ((وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)) (النساء: ٨٣) ، كما استدلوا بأحاديث خارجة عن محل النزاع؛ مثل: حديث النبي e لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن، إذ اعتبروا قوله «أجتهد رأيي ولا آلوا» دليل على حجية القياس، لكن الشوكاني فسّر الاجتهاد بالرأي بأنه استفراغ الجهد في الطلب للحكم من النصوص الخفية؛ وعلى التسليم بأنه يدل على القياس فإنه كما قال:

«لا دلالة للحديث إلا على العمل بالقياس في أيام النبوة، لأن الشريعة إذ ذاك لم تكمل، فيمكن عدم وجدان الدليل في الكتاب والسنة، وأما بعد أيام النبوة فقد كمل الشرع لقوله تعالى: ((ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)) (المائدة:٣)، ولا معنى للإكمال إلاّ وفاء النصوص بما يحتاج إليه أهل الشرع، إما بالنص على كل فرد، أو باندراج ما يحتاج إليه تحت العمومات الشاملة، ومما يؤيّد ذلك قوله تعالى: ((مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ)) (الأنعام:٣٨) »([١٣٠]).

كما رد الإمام الشوكاني استدلالهم بما ثبت عن النبي e من قياسات قائلاً: «هذه الأقيسة صادرة عن الشارع المعصوم، الذي يقول الله سبحانه فيما جاءنا به عنه: ((إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَىٰ)) (النجم:٤)، ويقول في وجوب اتباعه: ((وَمَا ءاتَٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ)) (الحشر:٧)، وذلك خارج عن محل النزاع، فإن القياس الذي كلامنا فيه إنما هو قياس من لم تثبت له العصمة، ولا وجب اتباعه، ولا كان كلامه وحياً، بل من جهة نفسه الأمارة وبعقله المغلوب بالخطأ. وقد قدمنا أنه وقع الاتفاق على قيام الحجة بالقياسات الصادرة عنه e»([١٣١]).

أما استدلالهم بإجماع الصحابة على حجية القياس، فقد نفى الإمام الشوكاني حصوله، وأكد أنه لوحدث «لكان ذلك إنما هو على القياسات التي وقع النص على علتها، والتي قطع فيها بنفي الفارق، فما الدليل على أنهم قالوا بجميع أنواع القياس الذي اعتبره كثير من الأصوليين وأثبتوه بمسالك تتغلغل فيها العقول حتى تأتي بما ليس من الشرع في ورد ولا صدر؟»([١٣٢]).

السبب الثاني: أن الأقيسة الثلاثة التي استثناها من النفي العام، وقال بحجيتها، مدلول عليها بدليل الأصل، مشمولة به، مندرجة تحته، حيث قال في بيان ذلك:

«وأما ما كانت العلة فيه منصوصة، فالدليل هو ذلك النص على العلة، لأن الشارع كأنه صرح باعتبارها إذا وجدت في شيء من المسائل من غير فرق بين كونه أصلاً أو فرعاً. وهكذا ما وقع القطع فيه بنفي الفارق، فإنه بهذا القدر قد صار الأمران اللذان لا فارق بينهما شيئاً واحداً، ما دل على أحدهما دلّ على الآخر من دون تعدية، ولا اعتماد أصلية ولا فرعية. وأما فحوى الخطاب ولحنه، فهذان راجعان إلى المفهوم والمنطوق، وإن سماهما بعض أهل العلم بقياس الفحوى»([١٣٣]).

من هنا استنتج الشوكاني أن تسمية هذا النوع بالقياس إنما هو مجرد اصطلاح فقال: «وإن كان – القياس– مع القطع بنفي الفارق، أو كان بثبوت الفرق بفحوى الخطاب أو كانت العلة منصوصة، فهذا وإن أطلق عليه اسم القياس فهو داخل دلالة الأصل، مشمول بما دلّ عليه، مأخوذ منه، وتسميته قياساً إنما هو مجرد اصطلاح»([١٣٤]).. وبهذا الاعتبار لم يعد الشوكاني القياس دليلاً شرعياً مستقلاً، بل صرّح في موضع آخر بأنه من مفهوم الموافقة([١٣٥]).

أما رفضه للقياس كمنهج للبحث عن الحكم الشرعي، فيرجع كذلك إلى سببين:
السبب الأول: أن المسائل الأصولية تستفاد من لغة العرب، أو من دليل شرعي، أو من علم من العلوم المعتبرة في الترجيح، وما لا يرجع من مسائل هذا الفن إلى هذه الأصول الثلاثة فهو من علم الرأي المذموم([١٣٦]).
ومدلول مصطلح الرأي المذموم عند الشوكاني هو ما «كان في معارضة أدلة الكتاب والسنة، أو كان بالخرص والظن مع التقصير عن معرفة النصوص، أو كان متضمناً تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته، أو كان مما أحدثت به البدع وغيرت به السنن»([١٣٧]). وما دام العلم هو معرفة الحق بدليله، وكل ما لا يبنى على دليل فهو من علم الرأي المذموم([١٣٨])، فإن مسالك العلة التي أثبت بها الأصوليون القياس – إلا ما كان راجعاً منها إلى العلة المنصوصة، والقطع بنفي الفارق، وفحوى الخطاب – فهي في نظر الشوكاني «شعبة من شعب الرأي، ونوع من أنواع الظنون الزائفة، وخصلة من خصال الخيالات المختلفة" لأنه "لم يدل عليها دليل من الشرع»([١٣٩]).
السبب الثاني: أن القياس قد اتُخِذَ ذريعة عند كثير من أهل الرأي للتلاعب بنصوص الكتاب والسنة، فلم يعد بهذا المنحى الذي اتخذه منهجاً سليماً في استنباط الأحكام الشرعية. قال الشوكاني:
«ولقد تلاعب كثير من أهل الرأي بالكتاب والسنة تلاعباً لا يخفى إلاّ على من لا يعرف الإنصاف بهذه الذريعة القياسية، وعوّلوا على ما هو منه أوهن من بيت العنكبوت، وقدموه على آيات قرآنية وأحاديث نبوية (...) ومن أنكر هذا، فلينظر المصنفات في الفقه، ويتتبع مسائلها المبنية على مجرد القياس، المبني على غير أساس، مع وجود أدلة نيرة، وبراهين مرضية، ومن هذا الباب دخل أهل الرأي، وإليه خرجوا من أبواب الأدلة الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله»([١٤٠]).
مما سبق، يتبيّن أن الإمام الشوكاني رفض القياس من منطلقين، منطلق نقلي، لأنه لم يثبت دليل شرعي يدل على حجيته، ومنطلق منهجي لأن جل مسالك العلة التي أثبت بها الأصوليون القياس هي –في نظر الشوكاني – مجرد خيال ليس على ثبوتها إشارة من علم.
تعليق:
إن دراسة الشوكاني الأصولية التحقيقية لمفردة القياس كشفت عن التزامه بثلاثة مبادئ في الاجتهاد الأصولي التجديدي:
المبدأ الأول: عدم الاعتداد بمجرد الاسم دون النظر في معاني المسميات وحقائقها. فقد نظر الشوكاني في معاني مفردة القياس وحقّقها، وأثبت ما رآه صواباً منها، وفنّد ما لم يكن كذلك. وهذا المبدأ يعصم الأصولي المحقق من التسليم المسبق بكل مسائل هذا الفن، ويساعده على النظر المستقل فيها.
المبدأ الثاني: دفع النزاع بإيجاد مخرج من الخلاف، ومن ثمّ تصحيح بعض المفاهيم التي أنتجتها حدّة الخلاف. فقد حاول الشوكاني تضييق الهوة بين النافين للقياس، والمثبتين له، فقال:
«ثم اعلم أن نفاة القياس لم يقولوا بإهدار كل ما يسمى قياساً، وإن كان منصوصاً على علته، أو مقطوعاً فيه بنفي الفارق، بل جعلوا هذا النوع من القياس مدلولاً عليه بدليل الأصل، مشمولاً به، مندرجاً تحته، وبهذا يهون عليك الخطب، ويصغر عندك ما استعظموه، ويقرب لديك ما بعدوه، لأن الخلاف في هذا النوع الخاص صار لفظياً، وهو من حيث المعنى متفق على الأخذ به والعمل عليه، واختلاف طريقة العمل لا يستلزم الاختلاف المعنوي، لا عقلاً ولا شرعاً ولا عرفاً»([١٤١]).

وبناءً على هذا الموقف التقريبي، هوّن الشوكاني من بعض المواقف الأصولية التي أفرزها الخلاف الحاد بين نفاة القياس ومثبتيه، التي منها عدم الاعتداد بخلاف من أنكر القياس؛ وقد نسب هذا القول إلى القاضي أبي بكر، والغزالي، والأستاذ أبي إسحاق الذي نسبه بدوره إلى الجمهور. حجتهم في ذلك أن من أنكر القياس لا يعرف طرق الاجتهاد، وإنما هو متمسك بالظواهر، فهو كالعامي الذي لا معرفة له([١٤٢])، وكذلك قول الجويني: «إن منكري القياس ليسوا من علماء الأمة ولا من حملة الشريعة، لأن معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها»([١٤٣]).

ولقد انتقد الإمام الشوكاني هذا الرأي وتعليلاته قائلاً: «ولا يخفاك أن هذا التعليل يفيد خروج من أنكر القياس وأنكر العمل به كما كان من كثير من الأئمة، فإنهم أنكروه عن علم به لا عن جهل له»([١٤٤])، ثم أكد أن دعوى نصوص الشريعة لا تفي بعشر معشارها لا تصدر إلا عمن لم يعرف نصوص الشريعة حق معرفتها»([١٤٥]).

المبدأ الثالث: إن المعرفة الحقة لمفردات الأصول هي السبيل السليم لاتخاذ موقف علمي تجاهها، وأن رفض أي دليل من الأدلة لا يعني بحال من الأحوال الزهد أو التزهيد في العلم به، هذا ما أكده الشوكاني في قوله: «وإني وإن حذرته – أي طالب العلم – عن العمل بهذا القياس، فلا أحذره عن العلم به، وتطويل الباع في معرفته، والإحاطة بما جاء به المصنفون من أهل الأصول في مباحثه، فإنه لا يعرف صحة ما قلته إلا من عرفه حق معرفته»([١٤٦]).

المجال الثاني: بيان ما يصلح للرد إلى علم أصول الفقه وما لا يصلح(—) .

لقد بيّن الشوكاني أن فرز القضايا الأصولية الأصيلة عن القضايا الدخيلة على هذا العلم، تفيد في معرفة المسائل التي يصلح رد الفروع إليها وتحكيمها عند تعارض الأدلة، فقال عند حديثه عن التباس ما هو من الرأي البحت بشيء من العلوم التي هي مواد الاجتهاد:

«وكثيراً ما يقع ذلك في أصول الفقه، فإنه قد اختلط فيها المعروف بالمنكر، والصحيح بالفاسد، والجيّد بالردئ، فربما يتكلم أهل هذا العلم على مسائل من مسائل الرأي ويحررونها ويقررونها وليست منه في شيء، ولا تعلق لها به بوجه، فيأتي الطالب لهذا العلم إلى تلك المسائل فيعتقد أنها منه، فيرد إليها المسائل الفروعية، ويرجع إليها عند تعارض الأدلة، ويعمل بها في كثير من المباحث، زاعماً أنها من أصول الفقه ذاهلاً عن كونها من علم الرأي»([١٤٧]).

أما الضابط المنهجي الذي تعرف به المسائل التي هي من علم الأصول، والمسائل التي هي عارية عليه، فيتمثل في رد مسائل هذا الفن إلى المصادر المستفادة منها، ذلك أن مسائل الأصول تستفاد في نظر الشوكاني من لغة العرب، أو من دليل شرعي، أو من علم من العلوم التي لها دخل في الترجيح، فيرد المسألة إلى الأصل المستفادة منه فيتبيّن هل هي من علم أصول الفقه أم دخيلة عليه.

لقد حاول الشوكاني تطبيق هذا الضابط المنهجي على المباحث الأساسية في علم الأصول، مبتدئاً بمبحث الدلالات، مبيّناً أن من مسائله ما هو راجع إلى لغة العرب رجوعاً ظاهراً، ومثّل لذلك بقوله:

« كبناء العام على الخاص، وحمل المطلق على المقيد، ورد المجمل إلى المبيّن، وما يقتضيه الأمر والنهي، ونحو هذه الأمور، فالواجب على المجتهد أن يبحث عن مواقع الألفاظ العربية، وموارد كلام أهلها، وما كانوا عليه في مثل ذلك. فما وافقه فهو الأحق بالقبول والأولى بالرجوع إليه... هذا على فرض عدم وجود دليل شرعي يدل على ذلك، فإن وجد فهو المقدم على

كل شيء»([١٤٨]).

ومنها ما هو مختلف فيه مثل: هل يبنى العام على الخاص مطلقاً، أم مشروطاً بشرط أن يكون الخاص متأخراً؟ وهل يحمل المطلق على المقيّد مع اختلاف السبب أم لا؟ ومعنى الأمر الحقيقي، هل هو الوجوب أم غيره؟ ومعنى النهي الحقيقي، هل هو التحريم أم غيره؟([١٤٩])

في مثل هذه القضايا قال: « فإذا أردت الوقوف على الحق في بحث من هذه الأبحاث فانظر في اللغة العربية، واعمل على ما هو موافق لها، مطابق لما كان عليه أهلها، واجتنب ما خالفها، فإن وجدت ما يدل على ذلك من أدلة الشرع، كما تقف عليه في الأدلة الشرعية – من كون الأمر يفيد الوجوب، والنهي يفيد التحريم– فالمسالة أصولية، لكونها قاعدة كلية شرعية لكون دليلها شرعياً، كما أن ما يستفاد من اللغة من القواعد الكلية أصولية لغوية».

ثم أضاف: « فهذه المباحث، وما شابهها من مسائل النسخ ومسائل المفهوم والمنطوق، الراجعة إلى لغة العرب، المستفادة منها على وجه يكون قاعدة كلية، هي مسائل الأصول، والمرجع لها، الذي يعرف به راجحها من مرجوحها، هو العلم الذي هي مستفادة منه، مأخوذة من موارده ومصادره»([١٥٠]).

كما طبق الشوكاني الضابط نفسه على مباحث القياس واستخلص أن المعتبر منه هو ما كان راجعاً إلى الشرع، أو معلوماً من لغة العرب فقال: «وأما مباحث القياس فغالبها من بحت الرأي، الذي لا يرجع إلى شيء مما تقوم به الحجة.. وبيان ذلك أنهم جعلوا للعلة مسالك عشرة لا تقوم الحجة بشيء منها إلا ما كان راجعاً إلى الشرع، كمسلك النص على العلة، أو ما كان معلوماً من لغة العرب كالإلحاق بمسلك إلغاء الفارق، وكذلك قياس الأولى المسمى عند البعض بفحوى الخطاب»([١٥١]).

وعن مباحث الكتاب والسنة والإجماع قال: « فما كان من تلك المباحث الكلية مستفاداً من أدلة الشرع، فهو أصولي شرعي، وما كان مستفاداً من مباحث اللغة فهو أصولي لغوي، وما كان مستفادا من غير هذين، فهو من علم الرأي»([١٥٢]). كما اعتبر من محض الرأي، الاستحسان، والاستصحاب، والتلازم([١٥٣]).

وأما المباحث المتعلقة بالاجتهاد والتقليد، وشرع مَنْ قبلنا، وقول الصحابي، فهي في نظره «... شرعية، فما انتهض عليه دليل الشرع منها فهو حق، وما خالفه فباطل» ([١٥٤]).. وأما المباحث المتعلقة بالترجيح فيرى أنه: « إن كان المرجح مستفاداً من علم من العلوم المدونة، فالاعتبار بذلك العلم، فإن كان له مدخل في الترجيح، كعلم اللغة، فإنه مقبول، وإن كان لا مدخل له إلا لمجرد الدعوى كعلم الرأي فإنه مردود»([١٥٥]).

إن استيعاب هذا الضابط المنهجي، وحسن تطبيقه على مباحث علم أصول الفقه، يمكّن الباحث في نظر الشوكاني من فائدتين: الأولى: تنبيهه إلى أن بعض ما دونه أهل الأصول في الكتب الأصولية ليس من الأصول في شيء، الثانية: إرشاده إلى العلوم التي تستمد منها المسائل المدونة في الأصول، ليرجع إليها عند النظر في تلك المسائل، حتى يكون على بصيرة ويصفو له هذا العلم([١٥٦]).

([٨٧]) أبو حامد الغزالي، المستصفى، ط٢ (لبنان: دار الكتب العلمية،١٩٨٣م)٢/٣٥٢.

([٨٨]) محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، ص٢٥١-٢٥٢.

([٨٩]) أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، ٤/١١٤- ١١٧.

([٩٠])الوافي المهدي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ط١ (المغرب:دار الثقافة،١٩٨٤م) ص٤٣١.

([٩١]) إبراهيم إبراهيم هلال، الإمام الشوكاني والاجتهاد والتقليد، تحقيق القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٩م) ص٥٤.

([٩٢]) محمد بن علي الشوكاني، المرجع السابق، ص٥٢.

([٩٣]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

([٩٤]) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،٢/٨٤،وما بعدها.

([٩٥]) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأرب، ص١٢٦-١٥٢.

([٩٦]) المرجع السابق، ص١٤٣.

([٩٧]) المرجع السابق، ص١٤٥.

([٩٨]) المرجع السابق، ص١٥١.

([٩٩]) محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، ص٢٥٣-٢٥٤.

([١٠٠]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

([١٠١]) المرجع السابق، ص١٥٦.

([١٠٢]) المرجع السابق، ص١٧٠.

([١٠٣]) المرجع السابق، ص١٧٣.

([١٠٤]) نادية شريف العمري، الاجتهاد في الإسلام، ص٢٢٣-٢٢٤.

([١٠٥]) المرجع السابق، ص٢٥٤.

([١٠٦]) المرجع السابق، ص٢٥٣.

([١٠٧]) نفسه.

([١٠٨]) نفسه.

([١٠٩]) المرجع السابق، ص٢٥٤.

([١١٠]) نفسه.

([١١١]) محمد بن علي الشوكاني، القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، ص٦٣.

([١١٢]) محمد بن علي الشوكاني، قطر الولي على حديث الولي، ص٣٤٦.

([١١٣]) محمد بن نظام الدين الأنصاري، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م) ٢/٣٩٩.

([١١٤]) يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ط٢ (الكويت: دارالقلم،١٩٨٩م) ص٩٤.

([١١٥]) محمد بن علي الشوكاني،إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص٢٥٤.

([١١٦]) نادية شريف العمري، الاجتهاد في الإسلام، ص١٦٤.

([١١٧]) أبو حامد الغزالي، المستصفى، ٣٥٣/٢.

([١١٨]) نادية شريف العمري، الاجتهاد في الإسلام، ص١٦٦.

([١١٩]) محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص٢٥٥.

([١٢٠]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

([١٢١]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

([١٢٢]) وهبة الزحيلي، الوسيط في أصول الفقه، ط٢(دمشق:المطبعة العلمية،١٩٦٩م) ص٥٢٧.

([١٢٣]) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص٢٠٤.

([١٢٤]) محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، ص٧٧.

([١٢٥]) المرجع السابق، ص٧٨.

([١٢٦]) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص٢٠٤.

([١٢٧]) محمد بن علي الشوكاني،أدب الطلب، ص٢٠٨.

([١٢٨]) محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، ص٢٠٣-٢٠٤.

([١٢٩]) المرجع السابق، ص٢٠١.

([١٣٠]) المرجع السابق، ص٢٠٢-٢٠٣.

([١٣١]) المرجع السابق، ص٢٠٣.

([١٣٢]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

([١٣٣]) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص٢٠٨-٢٠٩.

([١٣٤]) محمد بن علي الشوكاني، قطر الولي على حديث الولي، ص٣٢٠.

([١٣٥]) محمد بن علي الشوكاني،إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص٢٠٤.

([١٣٦]) انظر: محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص١١٩-١٢٠.

([١٣٧]) محمد بن علي الشوكاني، قطر الولي على حديث الولي، ص٣٢٠.

([١٣٨]) المرجع السابق ص٣٢١.

([١٣٩]) محمد بن على الشوكاني، إرشاد الفحول، ص٢٠١-٢٠٢.

([١٤٠]) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص٢٠٩.

([١٤١]) محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، ص٢٠٤.

([١٤٢])المرجع السابق، ص٨٠.

([١٤٣]) المرجع السابق، ص٢١٠.

([١٤٤]) المرجع السابق، ص٨١.

([١٤٥]) المرجع السابق، ص٢١٠.

([١٤٦]) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص٢١٠.

(—) لقد التزم الشوكاني مبدأ بيان ما ليس من علم الأصول، في كتابه إرشاد الفحول، لكن في كتابه "أدب الطلب ومنتهى الأرب" بيّن أهمية هذا النوع من التحقيق، ووضع الضابط المنهجي لمعرفة ما يصلح للرد إلى علم الأصول وما لا يصلح، وحاول تطبيقه على المباحث الأساسية في علم أصول الفقه.

([١٤٧]) المرجع السابق، ص١١٩-١٢٠.

([١٤٨]) المرجع السابق، ص١٢٠.

([١٤٩]) المرجع السابق، ص١٢٠-١٢١.

([١٥٠]) المرجع السابق، ص١٢١.

([١٥١]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

([١٥٢]) المرجع السابق، ص١٢١-١٢٢.

([١٥٣]) المرجع السابق، ص١٢٢.

([١٥٤]) نفسه.

([١٥٥]) نفسه.

([١٥٦]) نفسه.". [١]

١١٦-"الفصل الخامس – محددات منهجية للبحث في تجديد المنهج الفقهي

المحدد الأول: بيان مفهوم تجديد المنهج الأصولي »

لا شك أن أهم إشكالية أثارتها قضية تجديد الفقه الإسلامي هي تجديد علم أصول الفقه، والسبب في ذلك العلاقة التلازمية بين العلمين. وبما أن قضية تجديد أصول الفقه تعد عند الكثيرين الخطوة الأولية للكلام عن تجديد الفقه، فقد تناولها كثير من الباحثين بالدراسة والتحليل. وقد أفرزت هذه الدراسة وذلك التحليل إشكاليات فرعية، بعضها يمس مبدأ التجديد في حد ذاته، وبعضها يمس منهج التجديد وتطبيقاته. لكن أهم خطوة منهجية يجب على الباحثين الفصل فيها هي المشروعية التاريخية لتجديد علم أصول الفقه، لأن هذه القضية تمثل المقدمة المنهجية الأولى لبحث الموضوع. وذلك؛ لأن حصول أي اتفاق على مستواها سيجنب الباحثين الكثير من الاختلافات اللفظية الخارجة عن محل النزاع، والذي يكون فيها مورد الإثبات غير مورد النفي. كما ستمكّن هذه الخطوة الباحث في الموضوع أن ينظر إليه نظرة موضوعية مجردة عن ردود الأفعال التي تفرزها الأطروحات المختلفة في الموضوع.

---

(١) معالم تجديد المنهج الفقهي نموذج الشوكاني ص/٨

والحقيقة أن الدراسة لتاريخ علم أصول الفقه تبين أنه مر بمراحل تاريخية مختلفة، عالج في كل مرحلة منها إشكاليات وأبعاداً جديدة اختلفت عن تلك التي عالجها في المرحلة السابقة لها، وذلك بغية تحقيق الاستجابة المطلوبة للتحديات الفكرية والواقعية التي واجهته في كل مرحلة.. والذي يؤكد هذه الحقيقة التاريخية محطات بارزة في حركية الفكر الأصولي. فإذا اعتبرنا الإمام الشافعي المحطة الأولى، نجد أن جهده في كتابه "الرسالة" تمثل في ضبط مسيرة الاجتهاد بجمع أشتات مناهج الاستنباط التي كانت في عصره، وعرضها في صورة منظمة، وجعلها علماً متناسق الأجزاء، إلا أن تدوين الإمام الشافعي لعلم أصول الفقه لا يعنى اكتمال هذا العلم بحيث لم يُبق مجالاً لمن بعده، بل إن الفكر الأصولي شهد بعد الإمام الشافعي تطوراً في الشكل والمضمون، بسبب تنوع مدارك وتخصصات العلماء الذين بحثوا في هذا العلم – محدثون، ولغويون، وعلماء كلام، وغيرهم– وكذلك بسبب دخول فن التصنيف، والترتيب على كل العلوم، بما فيها علم أصول الفقه.

ولعل أهم محطة في التجديد الأصولي بعد الإمام الشافعي هو الإمام الرازي الجصاص (م٣٧٠هـ) في كتابه "الفصول في الأصول"([١])، الذي تضمن إضافات على مستوى المضمون والشكل. فعلى مستوى المضمون أكمل المباحث اللغوية، ومدلولات الألفاظ، والموضوعات المشتركة بين الكتاب والسنة، والمباحث التي تستقل بها السنة عن الكتاب، كما طور البحث في دليل الإجماع، والقياس، والاستحسان، ومبحث الاجتهاد. أما على مستوى الشكل والصياغة، فقد تجاوز العرض المتفرق لمباحث الأصول الذي شهده كتاب "الرسالة" للشافعي، وذلك بترتيبه للأبواب والفصول ترتيباً منطقياً، وعرضه لمباحث الكتاب عرضاً علمياً منظماً.

كما مثل كتاب "المستصفى" لأبى حامد الغزالي (م ٥٠٥هـ) محطة مهمة في تجديد علم أصول الفقه، إذ تضمن إضافة نوعية على مستوى المضمون تمثلت في مقدمة في مدارك العقول، واحتوت مباحث كلامية ولغوية هي من صميم علم المنطق. واعتبر الإمام الغزالي هذه المقدمة مدخلاً ضرورياً لجميع العلوم بما فيها علم أصول الفقه، وأن من لم يُحِطْ بها فلا ثقة بعلومه أصلاً. كما بحث بمنهجية جديدة موضوع القياس، وباقي الأدلة المختلف فيها. أما على مستوى الصياغة، فقد رتب الغزالي في كتابه "المستصفى" المادة الأصولية في إطار هيكلة لم يسبق إليها، حيث قسم الموضوعات الأصولية على أربعة محاور، المحور الأول: الحكم، والثاني: أدلة الأحكام، والثالث: كيفية استثمار الأحكام، والرابع: حكم المستثمر.

وقد تبنى الأصوليون بعد الإمام الغزالي هذه الهيكلة، الأمر الذي جعل كتاب "المستصفى" نقطة الاستقرار لكل من المضمون والشكل في مجال أصول الفقه إلى غاية القرن الثامن الهجري، حيث مثل كتاب "الموافقات" للإمام الشاطبي نقلة نوعية في علم أصول الفقه. وذلك لأن الفكر الأصولي بعد القرن الخامس وجد نفسه أمام معضلتين:

المعضلة الأولى: هي تركيز التأليف الأصولي على الركن الأول من ركني هذا العلم، أي علوم اللسان العربي، وإهمال الركن الثاني، ألا وهو علم أسرار التشريع ومقاصده. وقد سجل الدكتور عبد الله دراز هذه الحقيقة في مقدمة كتاب الموافقات حيث قال:

«وقد وقف الفن منذ القرن الخامس عند حدود ما تكون منه في مباحث الشطر الأول، وما تجدد من الكتب بعد ذلك دائر بين تلخيص، وشرح، ووضع له في قوالب مختلفة، وهكذا بقي علم أصول الفقه فاقداً قسماً عظيماً، وهو شطر هذا العلم الباحث عن أحد ركنيه، حتى هيأ الله سبحانه وتعالى أبا إسحاق الشاطبي في القرن الثامن الهجري لتدارك هذا النقص

وإنشاء هذه العمارة الكبرى في هذا الفراغ المترامي الأطراف في نواحي هذا العلم الجليل»([٢]).

المعضلة الثانية: تميز واقع الاستدلال الفقهي في معظم أصوله بالظن، وعدم تقارب المدارك فيه بسبب تبعية أصول الفقه لمقتضيات المذاهب الفقهية المختلفة، فاقتضى هذا الوضع الذي **استقر عليه** علم أصول الفقه، أن يمس جهد الشاطبي التجديدي صلب المنهج الأصولي، لينعكس بعد ذلك على موضوعاته وهيكله.

فقد بنى الشاطبي المنهج الأصولي على ركيزتين:

الركيزة الأولى: استجلاء مقاصد الشريعة لعظيم أهميتها في عملية استنباط الأحكام.

الركيزة الثانية: بناء علم أصول الفقه على منهج الاستقراء، أي استقراء الفروع الفقهية لاستخلاص قواعد الاستنباط، وذلك عن طريق البحث في جملة من الأصول المقاصدية التشريعية التي من شأنها التقريب بين مدارك الفقهاء، وتوحيد منطلقاتهم النظرية.

مما سبق يتبين أن جهد الشاطبي الأصولي التجديدي جاء لإكمال الشطر الثاني من علم الأصول، وهو العلم بمقاصد الشرع، كما جاء أيضاً لتصحيح المنهج الأصولي، بتقريب هوة الاختلاف النظري فيه، وفي ذلك إحياء لهذا المنهج، وإعطاؤه دفعة جديدة تجعله منهجاً فعالاً منتجاً، جامعاً لا مفرقاً.

إن هذا الهدف الذي وجه الإمام الشاطبي جهده إليه أنتج إضافات نوعية كانت فتحاً لعلم أصول الفقه، ذلك أن اعتبار الشاطبي المقاصد أساس النظر الأصولي، وسعيه لتقعيدها كعلم قائم بذاته، جعلته يؤسس لفقه التنزيل، هذا الجانب الذي كان يمثل البعد الغائب في الفكر الأصولي. وبهذا العمل الجبار انتقل الشاطبي بعلم أصول الفقه من دائرة التنظير للفهم إلى دائرة التنظير للتنزيل، وقد مكنّه هذا المنحى الذي اتخذه من تطوير البحث في بعض الأدلة، كالاستحسان، والمصلحة، وسد الذرائع، إذ خرج بها من دائرة المناقشة النظرية حول المفهوم والحجية إلى استثمارها كمناهج وآليات لفهم الواقع، واعتبارها عند تنزيل الأحكام الشرعية.

كما راجع نظرية الاجتهاد، ففرق بين الاجتهاد النظري والاجتهاد التطبيقي الذي عبر عنه بالاجتهاد في تحقيق المناط، وعرفه بقوله: «أن يثبت الحكم الشرعي بمدركه الشرعي، لكن يبقى النظر في تعيين محله»([٣]). واقتضى التأصيل لهذا النوع من الاجتهاد من الإمام الشاطبي ضبط أصوله، وهي في نظره ثلاثة: تحقيق المناط، واعتبار مآلات الأفعال، واعتبار المقاصد. كما راجع شروط المجتهد، إذ عد معرفة الواقع أساس الاجتهاد التطبيقي، وهذا شرط لم يذكره الأصوليون في شروط الاجتهاد بالتنصيص عليه صراحة وإن كان متضمناً في اجتهاداتهم(—).

لكن الجدير بالذكر في هذا المقام أن جهد الإمام الشاطبي لم يكن له أي أثر في التطبيق، نظراً للوضعية التي كان يعيشها الفقه الإسلامي في تلك الفترة، ذلك أنه بسبب استفحال دعوى غلق باب الاجتهاد في عصور التقليد المتأخرة، لم يبق متداولاً من علم أصول الفقه إلا القسم المتعلق بدلالة الألفاظ، مع طغيان المجادلات اللفظية عليه.

وإضافة إلى هذه المحطات الرئيسة التي تؤكد ملازمة حركة التجديد للفكر الأصولي عموماً، فقد لازم النظر التجديدي بعض الموضوعات الحساسة لعلم أصول الفقه، كان أهمها مصدر الإجماع، والقياس. فالقول بالإجماع انتقل من القول بحجيته

بإطلاق، إلى القول بحجيته عند الصحابة فقط، واستحالة تحققه بعدهم، كما هو القول عند ابن حزم الأندلسي، والإمام أحمد بن حنبل، والشوكاني، وغيرهم. والقياس اختلف في مفهومه، ثم في حجيته. فهو عند الشافعي رديف الاجتهاد، وهو عند غيره ليس كذلك، وهو عند بعضهم حجة، وهو عند بعضهم الآخر ليس بحجة، كابن حزم، وداود الظاهري، والشوكاني، كما تردد فيه آخرون كالغزالي، وقد ظهر تردده بوضوح في كتابه "أساس القياس" الذي يفهم منه بقوة عدم اعتباره القياس دليلاً مستقلاً، لأنه في الحقيقة مدلول النص، أو عموم النص([٤]).

والمجال في هذا البحث ليس مجالاً للترجيح بين هذه الآراء أكثر منه لبيان استساغة فقهائنا الأجلاء الاختلاف في مفردات هذا العلم، واقتراح آراء متباينة في شأنها، لأنها ليست مفردات معصومة، بل هي اجتهادات بشر مستقاة من نصوص الكتاب والسنة، واجتهادات البشر قد تزل أحياناً وتصيب أحياناً أخرى، فلا ضير من التعليق عليها، ومخالفتها، شريطة أن تكون المخالفة مؤسسة على حجج علمية، لا على هوى.

وإذا تأكد أن التحقيق، والتجديد، والتطوير، قد لازم الفكر الأصولي، ومفرداته منذ نشأته، احتاج المقام بعد ذلك إلى تأكيد حقيقة تاريخية أخرى، وهي أن توقف حركة الاجتهاد أثرت سلباً في نمو علم أصول الفقه، إذ اقتصر الباحثون فيه في عصر التقليد على شرح الكتب السابقة دون أي إضافة، أو اختصارها اختصاراً مخلاً أحالها إلى ألغاز([٥]). من هنا لم يشهد علم أصول الفقه في عصور التقليد، لاسيما المتأخرة منها نمواً نوعياً – تستثنى من هذا نماذج معينة كابن تيمية، والشاطبي، والشوكاني رحمهم الله تعالى– بل فقد وظيفته؛ لأن باب الاجتهاد قد أقفل، فلم تعد ثمّة حاجة إلى بذل مجهود في تنظير قواعد الاستنباط أو التنزيل.

إن هذا الأمر يؤكد أن فتح باب الاجتهاد من جديد، والسعي إلى تجديد الفقه الإسلامي، يقتضيان بالضرورة تجديد علم أصول الفقه ليستوعب المستجدات، ويحقق الاستجابة المطلوبة للتحديات الفكرية، والواقعية، والتشريعية التي تواجه المشروع الإسلامي، وهو ما جعل دعوة تجديد علم أصول الفقه تبرز بقوة في الساحة الفقهية، والفكرية المعاصرة.

غير أن المتأمل في الأطروحات النقدية للمنهجية الأصولية يجدها تفتقر إلى إشكالية واضحة وموحدة، الأمر الذي أفرز تيارين رئيسين داخل الحركة النقدية، لكل منها تصور خاص للإشكالية، ولمنهج معالجتها.

التيار الأول: يمثله في الغالب الأعم المتخصصون في الفقه وأصوله، أطروحتهم تمثل نقداً للمنهجية الأصولية من داخل المنظومة الأصولية([٦]).

و إشكالية علم أصول الفقه في نظر هذا التيار تتركز في مفرداته، وهيكلة مادته، وهذا لا يمنع من أن يقدم هذا العلم – إن تمت قراءته قراءة إسلامية واعية – مؤشرات هامة على طريق معالجة إشكالية المنهج، وذلك من خلال الالتزام بما يأتي:

– تطوير مفهوم هذه المفردات، وضبطها، وجعلها أقرب إلى الواقع العملي، ومثاله: تطوير مفردة الإجماع بالتنازل عن بعض شروطه حتى لا يبقى مثالاً نظرياً؛ والقياس باعتماد قياس المصلحة، والعدول عن القياس الجزئي؛ والاجتهاد بمراجعة شروطه وأدواته.

– إعادة هيكلة المادة الأصولية، أي بحثها تحت تقسيمات جديدة، ليتولد عنها مفاهيم أعمق، واستعمال أفضل لأدوات الأصول، مما سيؤدي في النهاية إلى فقه متجدد خادم للموضوعات المثارة في عصرنا الحاضر.

ومن مقتضيات إعادة هيكلة المادة الأصولية، إلغاء ما ليس من علم الأصول، وإعطاء الأولوية لمقاصد الشريعة، وتنمية دراستها، والعمل على وضع قواعد وضوابط لها.

كما أكد هذا التيار على استخدام علم أصول الفقه لأدوات المنهج التجريبي، والاستفادة منها في معرفة العرف، والعادة، والمصلحة، والضرر، والحاجة. فكل هذه القضايا قواعد أصولية، وجزء من قضايا هذا المنهج، ولا يمكن أن يستغنى فيها عن الوسائل والأدوات المستعملة في المنهج التجريبي([٧]).

وما يلاحظ على هذا التيار، اتفاق كبير بين ممثليه على موضوع تطوير المفردات الأصولية، في حين يلاحظ اختلاف واضح بينهم في منهج إعادة هيكلة علم أصول الفقه، كما يلاحظ غموض بعض عناصر منهج تجديد المنهجية الأصولية عند بعضهم.

التيار الثاني: يمثله كثير من المفكرين المهتمين بإشكالية إصلاح مناهج الفكر، وهم في الغالب من خارج دائرة التخصص الشرعي، وأطروحتهم تمثل نقداً للمنهجية الأصولية من الخارج([٨])؛ واعتبروا أن إشكالية المنهج الأصولي في بنيته ومفرداته، فقدموا تصوراً لمفهوم التجديد مغايراً لتصور التيار الأول، تمثّل هذا التصور في إعادة بناء منهجية اجتهادية جديدة، تقوم على مستويين:

المستوى الأول: تجاوز المفردات الأصولية التي هي عبارة عن مفاهيم نظرية لا تنتج علماً ولا تواكب واقعاً مثل القياس والإجماع، ومبدأ الضرورة.

المستوى الثاني: العودة مباشرة إلى النظر في النص القرآني لاستلهام الأدوات المعرفية الكفيلة بصياغة منهجية تساعد على فهم قضايانا، وتطوير معارفنا.

ولعل أهم ملاحظة يمكن تقديمها على هذا التصور لتجديد علم أصول الفقه، هي أن الدعوة إلى اجتياز المحك المنهجي التقليدي – المنهجية الأصولية – دون إعطاء بديل منهجي واضح محدد ومضبوط هو علاج لأزمة بإثارة أزمة أخرى، ذلك أن مثل هذه الدعوة تحاول معالجة "الفراغ التشريعي" الذي سببه – كما يقرر هذا التيار – عجز المنهج الأصولي عن الاستجابة للمستجدات، بـ "فراغ منهجي" عن طريق الدعوة إلى البحث في النص القرآني والواقع الإنساني دون استحداث منهج بحث كامل متكامل.

إن الناظر في المناهج المقترحة في تجديد المنهجية الأصولية – التي مثّلها بصفة إجمالية تياران– يجدها تفتقر إلى إشكالية واضحة وموحدة، وهذا الأمر أثّر سلباً في مبدأ تجديد علم الأصول، إذ شكّك بعضهم في مشروعية الدعوة وعلميتها، بينما تخوف بعضهم الآخر من أن تفتح هذه الدعوة باباً لكثير من الانحرافات المنهجية والفكرية، وإن كان الإنصاف العلمي يقتضي الإقرار بأن عدم اهتمام بعضهم بهذه الدعوة سببه افتقاد القدرة على التجديد والمراجعة. وذلك لأن دراسات أصول الفقه الحالية دراسات نظرية لا مجال فيها للدراسة التطبيقية التي تؤهل المتخصصين في هذا العلم لاستعمال معاييره وقواعده، واختبارها في معالجة الوقائع المستجدة، الأمر الذي جعل هذه الأدوات عبارة عن معرفة موروثة، وليس منهج بحث يمكن استخدامه لإنعاش الحياة التشريعية في العصر الحاضر.

وردود الأفعال هذه تجاه دعوة تجديد أصول الفقه، تفرض التأكيد على قضية هامة، وهي ضرورة اهتمام ذوي التخصصات

الشرعية بمراجعة المنهجية الأصولية، حتى لا ينتهي الأمر إلى قطيعة بين الفكر الديني الذي لا يتأسس على الأصول، والفكر الأصولي الذي لا يتعايش مع الواقع.

ومما يلاحظ أيضاً على التيارين الممثلين لدعوة تجديد أصول الفقه، عدم تطبيق أطروحاتهما النظرية على قضايا الواقع، واختبار مدى صحة نتائجها، الأمر الذي جعل هذه الدعوة لا تتجاوز الجدل النظري، بحيث ما قدّم إلى الآن أفكار، ومبادئ، وخطط، لم يتم اختبارها بشكل دقيق كامل في إطار أكاديمي، الأمر الذي أوجد صراعاً نظرياً يتعلّق كثيراً بالألفاظ والمصطلحات.. وهذه المرحلة يفترض أن تُتجاوز؛ لأن العلم في الحقيقة لا ينتج بالاكتفاء بالحوار حول كيفية إنتاج معرفة.

مما سبق يتبيّن أن المطلوب في موضوع تجديد المنهجية الأصولية هو: صياغة إشكالية ناظمة موحدة، ووضع بديل منهجي محدد ومنضبط. ومما يساعد على ذلك:

١- دراسة أصول الفقه، منهجاً: أي دراسة المنهج في ذاته، وليس موضوعاته، ومحاولة التعرف على مكوناته وعناصره من خلال بيان الأسس والمبادئ التي يقوم عليها، والمراحل والخطوات التي يمر بها الأصولي من بداية الاستدلال إلى آخره، والشروط التي ينبغي تحقيقها ليمكن الوفاء بمقتضيات هذا المنهج ومتطلباته.

فهذا النوع من الدراسة سيكون على النحو الذي يقوم به علماء المناهج في دراستهم لمختلف المناهج (التاريخي، والاستقرائي..إلخ)، وسيفيد في إعطاء تصور دقيق لعلم أصول الفقه، وللمشكلات التي يمكن أن تواجه الباحث فيه.

٢- صياغة المادة الأصولية في شكل نظريات، على غرار النظريات الفقهية، يتم من خلالها معالجة الموضوعات الأصولية في إطار كلي شمولي. وهذا النوع من التصنيف يمكّن من فهم أعمق وأشمل للقضايا الأصولية، ويظهر مبنى الخلاف، وسببه، كما يبين فائدة بعض الأدلة التي يثار حولها نقاش كبير([٩]).

([١]) الجصاص أحمد بن علي، الفصول في الأصول (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٨٥م).

([٢]) عبد الله دراز، مقدمة كتاب الموافقات للشاطبي، ٦/١.

([٣]) الشاطبي، الموافقات، ٨٩/٤ -٩٠.

(—) أكد ابن القيم أهمية معرفة عادات الناس للمفتي والحاكم، انظر كتابه: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط٢ (لبنان: دار الفكر،١٩٧٧م) ٢٠٤/٤-٢٠٥.

([٤]) انظر: الغزالي أبو حامد، أساس القياس، تحقيق فهد محمد السرحان (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٣م) ص١٠٨-١٠٩.

([٥]) انظر: محمد الخضري، أصول الفقه، ص١٠-١١.

([٦]) انظر: محمد الدسوقي، "نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه"، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثالث، ١٩٩٦م، ص١١١-١٤٨؛ طه جابر العلواني، أصول الفقه، منهج بحث ومعرفة، ط٢ (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥) و"قواعد في منهجية تجديد علم أصول الفقه"، المستقلة، العدد١٦٤، السنة ١٩٩٧م؛ جمال الدين عطية، النظرية العامة للشريعة الإسلامية، ط١، ١٩٩١م، ص١٨٩، "علم أصول الفقه والعلوم الاجتماعية" محاضرة قدمها في كلية الشريعة،

جامعة قطر، ١٩٨٨، طبع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص١٥-١٦.

([٧]) انظر: طه جابر العلواني، قواعد في منهجية تجديد علم أصول الفقه، ص٨؛ وجمال الدين عطية، علم أصول الفقه والعلوم الاجتماعية، ص١٤-١٦.

([٨]) من رموز هذا التيار الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، في كتابيه: "أزمة العقل المسلم" و"النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية".

([٩]) انظر في ذلك: علي جمعة محمد، علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية، ط١ (فرجينيا: المعهد العالمي للذكر الإسلامي، ١٩٩٦م) ص٢٧-٣١.". (١)

١١٧-"الفصل الخامس

المحدد الثاني: ضبط إشكالية تعليل الأحكام:

إن المتدبر في الإنتاج العلمي للنهضة الفقهية المعاصرة، يلحظ أن مبدأ تعليل الأحكام قد مثّل المقدمة المنهجية لجلّ الاجتهادات المعاصرة، لاسيما تلك التي اتخذت من مبدأ اعتبار المصلحة والمقاصد الشرعية منهجاً في استنباط الأحكام التي تستجيب لحاجات العصر ومتغيراته.

لكن الملفت لانتباه أي باحث في تلك الاجتهادات، هو الاختلاف في منهجية التعامل مع هذا المبدأ – أي مبدأ تعليل الأحكام – الأمر الذي أفرز اختلافاً كبيراً، وصل أحياناً إلى حد التناقض في تطبيقات هذا المبدأ على الوقائع الجزئية، ومن ثمّ في طبيعة المنهجية الاجتهادية الكفيلة بتجديد الفقه الإسلامي.

وقد مثّلت إشكالية «الاختلاف في منهجية التعامل مع مبدأ تعليل الأحكام» اتجاهات عديدة، بعضها تمسك بالإطار المنهجي الذي استقر في علم أصول الفقه تجاه هذه القضية، وبعضها انطلق من الإطار نفسه، لكنه اجتهد فيه وحوّره، وبعض آخر تجاوز هذا الإطار إلى إطار جديد.

وفي ما يلي عرض موجز للأطر المنهجية لهذه الاتجاهات:

الاتجاه الأول: مثّلت لديه المبادئ المستقرة في علم أصول الفقه حول أقسام النص الشرعي، من حيث الظن والقطع، ومعنى قاعدة «لا اجتهاد مع النص»، وقاعدة «الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً»، ومجال تطبيقهما، الإطار المنهجي الذي حكم تصوراته لمبدأ تعليل الأحكام.

فالنصوص الشرعية تنقسم – وفق التقسيم العقلي والواقعي– إلى أربعة أقسام: نصوص ظنية الثبوت والدلالة معاً؛ نصوص ظنية الثبوت قطعية الدلالة؛ نصوص قطعية الثبوت ظنية الدلالة؛ نصوص قطعية الثبوت والدلالة معاً.

وقاعدة «لا اجتهاد مع النص» إنما وضعت لضبط طبيعة الاجتهاد ومجالاته في القسم الأخير من النصوص، ومعناها أنه: لا اجتهاد مع النص القطعي الثبوت والدلالة، وأن هذا النوع من النصوص يكون الاجتهاد فيه، أي في فهمه والاستنباط

(١) معالم تجديد المنهج الفقهي نموذج الشوكاني ص/١٦

منه، ولا يكون الاجتهاد معه، أي في مقابلته ومعارضته.

وهذا المعنى محل إجماع الفكر الأصولي بجميع مذاهبه، لاعتبارات أهمها: أن معنى قطعية الدلالة في النص أنه لا يحتمل التأويل ولا النسخ، بل له معنى واحد لا يتسع لغيره، وأن الأحكام القطعية هي التي تمثّل الثوابت التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والحال، وهي التي تمثل الوحدة الفكرية والشعورية والعملية للأمة الإسلامية. وأمر آخر، أن القطعيات اليقينية في الثبوت والدلالة هي التي يحتكم إليها عند النزاع، ويرجع إليها عند الاختلاف في تعيين إحدى دلالات النص الظني أو ترجيحها، فإذا كانت هي موضع خلاف لم يبق ما يحتكم إليه.

وقد ترتب على هذا الضبط الاصطلاحي لمدلول قاعدة «لا اجتهاد مع النص» تحديد المجال التطبيقي لقاعدة «الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً»، إذ اختص تطبيقها بالنصوص الظنية الدلالة فقط([١٠]).

الاتجاه الثاني: انطلق في تطبيقه لمبدأ تعليل الأحكام على القضايا الاجتهادية من الإطار المنهجي الذي استقر في علم أصول الفقه، لكنه اجتهد فيه وحوّره([١١]).

الاتجاه الثالث: لم ينطلق هذا الطرف في اجتهاداته المبنية على مبدأ تعليل الأحكام من الإطار المنهجي الذي **استقر عليه** علم أصول الفقه وهو: تقسيم النصوص الشرعية إلى نصوص ظنية الثبوت والدلالة، ونصوص قطعية الثبوت ظنية الدلالة، ونصوص ظنية الثبوت قطعية الدلالة، ونصوص قطعية الثبوت والدلالة معاً، واعتبار القسم الأخير من الثوابت التي لا يلحقها تغيير أو تبديل، بل استبدل هذا الإطار بإطار منهجي آخر يقوم أساساً على مبدأ اعتبار أبعاد الزمان والمكان في النصوص التشريعية([١٢]).

والدراسة التحليلية النقدية لأطروحة هذا الاتجاه في التعامل مع مبدأ تعليل الأحكام تكشف عن نوع من الثورة على المنهجية الأصولية ودعوة تطبيقية لبناء منهجية اجتهادية جديدة من أهم مبادئها: بيان وظيفة النص التشريعي؛ إعطاء مفهوم جديد لوظيفة السنة النبوية؛ إعطاء مفهوم جديد لمصطلح الثوابت.

ومما يؤخذ على هذا الاتجاه أنه لم ينطلق في بناء منهجه البديل من نقد الأسس المنهجية التي يقوم عليها الفكر الأصولي في قضية تعليل الأحكام، بل انطلق في التنظير من أمثلة جزئية ملحة احتاجت إلى حلّ، والموقف المتخذ منها عمّمه على الجزئيات الأخرى ليستخرج منها نظرية جامعة.

والحقيقة أن من طبيعة الجزئيات أنها لا تتشابه، ولا تنضبط بضابط واحد. ومن ثمّ كان الأصل في التنظير المنهجي الانطلاق من القضايا المجردة ثم تطبيقها على الجزئيات فيُتحصل على قواعد عامة واستثناءات لهذه القواعد.

إن مبدأ مراعاة علل النصوص وظروفها لبنة هامة في بناء منهج أصيل في تجديد الفقه الإسلامي. والعرض السابق للاتجاهات المعاصرة الرئيسة في التعامل مع مبدأ تعليل الأحكام يبيّن أنه قد استقرت حول هذا المبدأ نظريات في الفكر الأصولي هي بحاجة إلى تحقيق وتنضيج، كما ظهرت أطروحات جديدة هي بحاجة إلى تمحيص وتقييم.

من هنا اقتضى البحث في إشكالية تجديد الفقه الإسلامي، تعميق البحث في موضوع تعليل الأحكام، وتجاوز مجرد الترجيح بين آراء المذاهب الفقهية والتقييم العام للأطروحات المعاصرة، إلى صياغة نظرية في التعليل تستوعب نظرية المتقدمين

وأطروحات المعاصرين وتأتي بما يفيد المنهجية الإسلامية.

ولعل مما يساعد على بناء نظرية في التعليل، الاهتمام بالقضايا الآتية:

– ضبط منهج في استخراج العلل: إن مبدأ تعليل الأحكام قائم في الأصل على استنباط العلل ومراعاتها في فهم الأحكام وتنزيلها، والملاحظ في الاجتهادات المعاصرة، المبنية على هذا المبدأ، اختلافها في تحديد علل النصوص والأحكام. ففي موضوع التصوير مثلاً، نجد أن بعضهم قد أباح بعض أنواع التصوير، كالفوتوغرافي والسينمائي والتلفزيوني، وحرّم المجسّم منه، أي التماثيل؛ لأن العلة في تحريم التصوير هي مضاهاة خلق الله([١٣])، في حين أباح آخرون كل أنواع التصوير حتى المجسّم منه؛ لأن علة تحريم التصوير في نظرهم هي مشابهة الوثنية، فالتصوير حُرّم لقرب العهد بالوثنية وما كان فيها من صور تعبد من دون الله تعالى([١٤]).

كما يلاحظ على بعض الاجتهادات أيضاً ترسيم فرضيات تحتاج إلى إثبات، واعتبارها عللاً، وبناء الحكم عليها، مثل موضوع تنصيف شهادة المرأة الوارد في قوله تعالى: ((وَسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مّن رّجَالِكُمْ فَإِن لّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ لشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكّرَ إِحْدَاهُمَا لأخْرَى)) (البقرة:٢٨٢). فقد اعتبر بعض الباحثين أن علة تنصيف شهادة المرأة، ومرجعه أن المرأة لم تكن وقت نزول الآية الكريمة ذات مشاركة فعالة في الحياة العامة، لاسيما ما يتعلق بالقضايا المالية والتجارية، مما جعلها تجهل هذا الميدان، فإذا أدركت المرأة قضايا التجارة أصبح الحكم الأصلي المساواة بينها وبين الرجل في الشهادة([١٥]).

إن الجزم بعدم دراية المرأة بقضايا المعاملات المالية والتجارية في الجاهلية وبداية الإسلام، افتراض يحتاج إثباته إلى دراسة تاريخية استقصائية، لاسيما وقد سجل التاريخ وجود نماذج لنساء تاجرات قبل البعثة كخديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وبعد البعثة لاسيما في سوق المدينة المنورة. ثم إن الآية الكريمة نزلت في المداينة، والشهادة إنما هي على دَيْنٍ مكتوب، وهذا لا يتطلب خبرة في المعاملات التجارية، بل كل ما يتطلبه معرفة القراءة والكتابة.. وعلى فرض أن الأمر يتطلب دراية تخصصية بشؤون التجارة، فهل كل امرأة مثقفة في العصر الحاضر على دراية كافية بالمعاملات الاقتصادية التي أصبحت أكثر تعقيداً مما كانت عليه أيام نزول آية المداينة؟

ومن دوافع ضبط منهج في استخراج العلل، ابتناء بعض الاجتهادات على علل قاصرة، كتعليل تحريم الربا باستغلال حاجة الفقير، وتعليل تحريم الزنا بمنع اختلاط الأنساب.

– ضبط مدلول مصطلح الثوابت والمتغيرات في تعليل الأحكام: إن اختلاف الدراسات المعاصرة في تحديد دلالة الثوابت والمتغيرات، ومنهج التعامل معهما، يقتضي بحثاً منهجياً يحدد ضوابط التفريق بين الثابت والمتغير، ويضبط علاقتهما بالأحكام العقدية والتعبدية والتشريعية.

– تطبيقات مبدأ تعليل الأحكام على السنة النبوية: ركز جل العلماء المعاصرين – المنطلقين من الإطار المنهجي الأصولي – في بحث تطبيقات مبدأ تعليل الأحكام على السنة النبوية؛ لأنها تمثّل الجانب التطبيقي والعملي للقرآن الكريم. فأقروا ابتداء تقسيم الإمام القرافي لتصرفات النبي e إلى ما صدر عنه بوصف الإمامة وما صدر عنه بوصف التبليغ والفتوى، وبناء على ذلك قسّموا السنة النبوية إلى تشريعية وغير تشريعية، وسعوا من هذا المنطلق إلى التنظير لتطبيقات مبدأ تعليل الأحكام

على السنة.
لكن الملاحظ في الجهود المبذولة في هذا المضمار اختلافها في طبيعة الموضوعات التي تندرج تحت كل قسم، وذلك بسبب اختلاف المنهجية المتبعة في تصنيف تصرفات النبي e ضمن ما هو تشريعي وما ليس بتشريعي([١٦]).
وتؤكد الرؤى المتقاربة أحياناً والمتباعدة أحياناً أخرى في تطبيق مبدأ تعليل الأحكام على السنة النبوية، أن هذا الجزء من النظرية مازال بحاجة إلى بحث وتحقيق، تضبط من خلالهما منهجية تصنيف تصرفات النبي e وضوابط التفريق بين القسم التشريعي وغير التشريعي من تصرفاته.

([١٠]) يعتبر د.يوسف القرضاوي أحسن من مثل هذا التيار من المعاصرين؛ انظر: يوسف القرضاوي، "الاجتهاد في الشريعة الإسلامية"، ص١٧٨-١٧٩، حوار حول العلاقة بين النص والاجتهاد، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية (الدوحة: العدد العاشر، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م) ص١٤-١٦.
([١١]) أبرز من مثّل هذا الطرف من المعاصرين الدكتور محمد عمارة في كتابه "معالم المنهج الإسلامي"، في محور "النص والاجتهاد"، حيث تبنى فيه التقسيم العقلي والواقعي للنص الشرعي الذي استقر في الفكر الأصولي، إلا أنه في تطبيق قاعدة «لا اجتهاد مع النص» على النصوص القطعية الثبوت والدلالة، فرّق بين الثوابت الدينية والمتغيّرات الدنيوية.
([١٢]) وممن حاول التنظير للاستعمال المنهجي لهذا المبدأ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، إذ أقام تصوره التنظيري على أساس التفريق بين نصوص القرآن الكريم ذاتها من جهة، والتفريق بينها وبين نصوص السنة النبوية من جهة أخرى. فأقر ابتداءً أن نصوص القرآن الكريم في الغالب الأعم تمثّل قواعد كلية تعلو عن الزمان والمكان، أما نصوص السنة التشريعية فكلها في نظره نسبية لا تعلو عن الزمان والمكان؛ انظر عبد الحميد أبو سليمان، النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية؛ السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة (عمان: مؤسسة آل البيت، بالتنسيق مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٩٨٩م).
([١٣]) انظر: يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ص١٤٣ و١٥٥.
([١٤]) انظر: طه جابر العلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، ط١ (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م)، ص١٦.
([١٥]) Taha Jabar Al-Alwani, "The Testimony of Women", American Journal of Islamic Social Sciences, Summer 1996. pp. 173-197.
([١٦]) انظر: محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ط١٧(القاهرة: دار الشروق،١٩٩٧م)؛ يوسف القرضاوي، السنة مصدر للمعرفة والحضارة، ط١ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٧م)؛ يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ط٣ (الرياض: مكتبة المؤيد، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م).". [(١)]

---

(١) معالم تجديد المنهج الفقهي نموذج الشوكاني ص/١٧

١١٨-"وقال ابن عبد البر – رحمه الله – " وقف جماعة من أئمة أهل السنة والسلف في علي عثمان – رضي الله عنهما – فلم يفضلوا أحداً منهما على صاحبه منهم مالك بن أنس، ويحي نب سعيد القطان،وأما اختلاف السلف في تفضيل علي فقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه من ذلك ما فيه كفاية، - ثم نقل ابن عبد البر إجماع عامة أهل السنة على تفيل عثمان فقال: وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي في الفضل على عمر، وتقديم عمر على عثمان، وتقديم عثمان على علي ، وعلى هذا عامة أهل الحديث من زمن أحمد ابن حنبل إلا خواص من جلّة الفقهاء وأئمة العلماء فإنهم على ما ذكرنا عن مالك ويحي القطان وابن معين، فهذا ما بين أهل الفقه والحديث في هذه المسألة،وهم أهل السنة، وأما اختلاف سائر المسلمين في ذلك فيطول ذكره ، وقد جمعه القوم (٤) .وهذا الذي ذكره ابن عبد البر عن مالك في تقديم علي على عثمان ذكر ابن تيمية رحمه الله رواية أخرى عنه تخالفه، حين نقل ما **استقر عليه** أهل الحديث وأئمة الفقه في ذلك فقال: " وأما جمهور الناي ففضلوا عثمان، وعليه استقر أمر أهل السنة،وهو مذهب أهل الحديث، ومشايخ الزهد والتصوف،وأئمة الفقهاء كالشافعي وأصاحبه، وأحمد وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، وإحدى الروايتين عن مالك وأصحابه، قال مالك: لا أجعل من خاض في الدماء كمن لم يخض فيها، وقال الشافعي وغيره إنه بهذا قصد والي المدينة الهاشمي، ضرب مالك، وجعل طلاق المكره سببا ظاهراُ ..(٥) كما نقل عن " مالك " – رحمه الله – رأياً ثالثاً يفيد توقفه وعدم تفضيل أحدهما على صاحبه وهو الذي حكاه ابن القاسم عن مالك عمن أدركه من المدنيين (٦) ويحدد ابن تيمية مصطلح الشيعة الأولى ورأيهم في تقديم الصحابة فيقول: وكانت الشيعة الأولى لا يشكون في تقديم أبي بكر وعمر، وأما عثمان فكثير من الناس- يقصد من هؤلاء- يفضل عليه علياً، وهذا قول كثير من الكوفيين وغيرهم، وهذا القول الأول للشورى ثم رجع عنه..". (١)

١١٩-"أما الخلف فإنهم وإن تباينت آراؤهم في الظاهر إلا أنهم في الحقيقة متفقون على إنكار كلام الله تعالى الحقيقي، وأنه لا يتكلم بكلام يسمع، بل بكلام يخلقه في غيره، وينسب إليه على سبيل المجاز، وهو عرض مخلوق ٤.
وحقيقة قول هؤلاء أن الله تعالى لم يتكلم إذ لم يقم به كلام، ولا

----

١ سورة التوبة، الآية (٦)
٢ رواه البخاري معلقاً، ك: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ...﴾ الآية، (١٣/٤٦١) ورواه: أحمد: المسند (٣/ ٤٤٩٥)، والحاكم: المستدرك (٢/ ٤٣٧ و ٤/ ٥٧٤) مرفوعاً موصولاً.
٣ رواه الترمذي: ك: فضائل القرآن، باب:فيمن قرأ حرفاً من القرآن..، ح: ٢٩١٠ (٥/١٧٥) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وانظر: السجزي: مصدر سابق (ص: ١٥٤ . ١٥٥)

(١) مقتل حجر بن عدي ص/٦٦

٤ انظر: الدارمي: الرد على المريسي (ص: ١٢٠)، و ابن تيمية: شرح الأصفهانية (ص: ٨٧) ومن كتب القوم: المغني في أبواب العدل والتوحيد (٧/ ٨٤)، وشرح الأصول الخمسة (ص: ٥٢٨) كلاهما للقاضي عبد الجبار. ومن كتب الأشعرية: البغدادي: أصول الدين (ص: ١٠٦ ـ ١٠٨)، والشهرستاني: نهاية الإقدام (ص: ١٠٦ و٣١٠)، والبيجوري: تحفة المريد (ص: ٨٦)،

يكلم كذلك، وهذه كانت بداية مقالتهم كما حكي عن الجعد بن درهم ١، فكل من قال القرآن مخلوق فحقيقة قوله أن الله لم يتكلم ولا يكلم ولا يأمر ولا ينهى، ولما رأوا ذلك مخالفاً للقرآن، وإجماع المسلمين قالوا إنه يتكلم مجازاً يخلق شيئاً يعبر عنه لا أنه في نفسه يتكلم، فلما شنع عليهم المسلمون قالوا: يتكلم حقيقة ولكن المتكلم هو من أحدث الكلام وفعله ولو في غيره، لا من قام به الكلام، وهو الذي استقر عليه قول المعتزلة. وهذه مغالطة كلامية، فإن المتكلم هو من قام به الكلام، وإليه ينسب لا إلى غيره ويشتق له اسم المتكلم ولا يسمى غيره بما قام به من الكلام متكلماً ٢.". (١)

١٢٠-"وأخيراً يبين الشيخ رشيد موقفه من الفرق المختلفة في كلام الله تعالى، فيقول: "ولا يغترن أحد بتلك النظريات التي بنى عليها الجهمية والمعتزلة وبعض الأشاعرة والكلابية وغيرهم أقوالهم في الكلام النفسي واللفظي وجعل بعضه حقيقياً وبعضه مجازاً، ووصف بعضه بالقديم وبعضه بالحادث أو تسميته مخلوقاً. فكل ذلك مبني على الهرب من وصف الخالق بصفات المخلوقين لئلا يكونوا مشبهين له بخلقه. ومذهب السلف بني على وصفه تعالى بكل ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وإسناد ما أسنده إليه كلامه وكلام رسوله مع الجزم بالتنزيه وكونه ليس كمثله شيء كما نزه نفسه. وقامت البراهين العقلية على تنزيهه ولا تنافي بين الأمرين ولا تناقض..." ١.
وهذا الموقف الذي اتخذه الشيخ رشيد في مسألة القرآن موقف سديد، موافق لما كان عليه السلف وصالحو الخلف، وهذا هو ما استقر عليه الشيخ رشيد ٢.
وقبل أن أختم هذا المبحث أريد أن أقف قليلاً لأبين موقف الشيخ رشيد في مسألة هامة في "علم الكلام". ذلك أن قول الشيخ رشيد رحمه الله عن الله: "أنه تعالى يخاطب من شاء بما شاء ومتى شاء، وأن خطابه لموسى في مصر في شأن فرعون كان بعد خطابه له في الطور..." ٣ يشير إلى مسألة هامة؛ وهي مسألة "حلول الحوادث بذاته تعالى".
مسألة "حلول الحوادث بذاته تعالى":
هذه المسألة من المسائل الهامة التي شغلت وقتاً كثيراً في النقاش بين السلف والمتكلمين. وقد بنى المتكلمون فيها مذهبهم على مسألة "حدوث

----

١ مجلة المنار (٢١/ ٤٧٣)

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص/٥

٢ وقارن مع: مجلة المنار (١/ ٨٥١ ـ ٨٥٤) وأيضاً (٣/ ٨١٠) لتعرف الموقف القديم.
٣ مجلة المنار (٣٤/ ٢٢٢)". [١]

١٢١-"١ مجلة المنار (١٩/٣٤١.٣٤٣) وانظر الرأي القديم: مجلة المنار (٧/ ٦١٢ و٦/٥٥ و ٧/٣٧٨)، والتفسير (٣/٢٩٢ و ٧/٦٠٦) ورأي محمد عبده: المجلة (٧/٤٣٨).
*** ١٣٤***

الكذب إنما يقع لأسباب عارضة... بل أقول: إن من هذه الأخبار ما يجزم العقل بصدقه وامتناع نقيضه وأعني بالعقل هنا... العقل البشري الذي يبني حكمه على الاختيار ويزنه بميزان رعاية المصالح ودفع المضار، لا عقل واضعي المنطق والفلسفة الذي يجيز وقوع كل ما يمكن تصوره، ويحصر وقوع المحال في اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما..." ١.

وخلص الشيخ رشيد بعد شرح لما سبق واستطراد في علم المصطلح واصطلاحاته إلى أنّ أكثر الأحاديث الاحادية المتفق على صحتها لذاتها كأكثر الأحاديث المسندة في صحيحي البخاري ومسلم، جديرة بأن يجزم بها جزماً لا تردد فيه ولا اضطراب، وتعد أخبارها مفيدة لليقين بالمعنى اللغوي الذي تقدم، ولا شك في أن أهل العلم بهذا الشأن قلّما يشكّون في صحة حديث، فكيف يمكن لمسلم يجزم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بكذا ولا يؤمن بصدقه فيه؟... وليُعلم أنّي أعني بالمتفق عليه هنا ما لم ينتقد أحد من أئمة العلم متنه ولا سنده فيخرج من ذلك ما انتقده مثل الدارقطني..." ٢.

وهذا الذي ذهب إليه الشيخ رشيد هو أحد ثلاثة أقوال في "خبر الواحد" من حيث إفادته العلم أو الظن، وبناءً عليه يؤخذ به في العقائد أو لا؟ الأول: عدم إفادته العلم مطلقاً، والثاني: إفادته العلم مطلقاً، والثالث: إفادته العلم إذا احتف بالقرائن وهذا هو الذي ذهب إليه الشيخ رشيد، وتبعه على ذلك تلامذته من بعده ٣، وهذا هو المذهب الصحيح الموافق لما **استقر عليه** رأي المحدثين وعمل السلف ٤. ويعد هذا الموقف من الشيخ

----

١ مجلة المنار (١٩/ ٣٤٢.٣٤٨) باختصار.
٢ مجلة المنار (١٩/ ٣٤٨).
٣ انظر: أحمد محمد شاكر: شرح ألفية السيوطي (ص:٣.٥)، والباعث الحثيث (ص:٣٥.٣٧) ط. دار الكتب العلمية بدون تاريخ.". [٢]

١٢٢-"والحق أن مذهب الأشعرية في القدر ليس واحداً، وقد تطور المذهب من الأشعري ومروراً بالباقلاني إلى الجويني، والذي **استقر عليه** مذهبهم ـ بعد إثبات علم الله تعالى وكتابته، وقدرته وإرادته وخلقه ١، أن العباد لهم قدرة وإرادة

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص/١٠
(٢) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص/١١١

في الفعل، لكنها غير مؤثرة فيه، بل الله تبارك وتعالى هو الخالق لها وقدرته هي المؤثرة وحدها ٢. وإذا كانت قدرة الإنسان ليس لها تأثير بحال، فهي قدرة غير مؤثرة، فحقيقة مذهب الأشعرية هو الجبر إذ أن القدرة غير المؤثرة كلا قدرة، ويسمي الأشعرية مذهبهم هذا بمذهب الجبر التوسط، أي الجبر بواسطة الاختيار ٣.

ب) ـ مذهب الماتريدية:

وكما حاول الأشعرية التوسط بين المعتزلة والجبرية، إلا أن القدر لم يساعدهم فحالوا إلى الجبر، فقد حاول كذلك الماتريدية التوسط، إلا أنهم مالوا إلى المعتزلة. فبالرغم من إقرار الماتريدية بعلم الله تعالى وإرادته وخلقه لأفعال العباد ٤، إلا أنهم قالوا بوجود إرادة جزئية للعبد يوجه بها فعله المترجح بالإرادة الكلية، نحو جانب معين. وهذا هو نقطة الفرق بينهم وبين الأشعرية، فالإرادة عند الماتريدية تنقسم إلى إرادة كلية هي مخلوقة لله تعالى، وهي اسم لصفة الإرادة التي من شأنها ترجيح أحد المقدورين على الآخر، وإلى إرادة جزئية غير مخلوقة لله، وهي ـ كما فسروها ـ تعلق تلك الصفة ـ الإرادة الكلية ـ بجانب معين، فالجزئية تأتيها من تعينها بتعين متعلقها ٥،

ـــ

١ انظر: الباقلاني: التمهيد (ص: ٣١٧)، والبغدادي: أصول الدين (ص: ١٣٤)، والشهرستاني: الملل والنحل (ص: ٨٤ ـ ٨٥)

٢ انظر: الباقلاني: المصدر السابق (ص: ٣٤٧)، والبغدادي: المصدر السابق (ص: ١٣٣ ـ ١٣٤)، والبيجوري: تحفة المريد (ص: ١٢٢ ـ ١٢٣)

٣ انظر: مصطفى صبري: موقف البشر (ص: ٥٠ و ٥٦)، وحاشية الدواني على العقائد العضدية (١/ ٢٦٢) وما بعدها، ت: سليمان دنيا.

٤ انظر: اللامي: التمهيد لقواعد التوحيد (ص: ٩٧)". (١)

١٢٣-"جاء عصر ابن تيمية، وكان صوت السنة قد خفت وعلت أصوات المتكلمين، فجاء ابن تيمية ونصر مذهب السلف وأعلنه بقوة وأتى من ذلك بشيء عجيب. وانتشرت أقواله ابن تيمية وفتاواه في كل مكان وظهر مذهب السلف بعد ما كاد أن يندثر،ولقد اطلع الشيخ رشيد رضا على كتب ابن تيمية وعرف منها مذهب السلف بعدما كان نشأ على كتب المتكلمين المشتملة على آراء المريسي،واقتنع رشيد رضا بمذهب السلف وتقريرات ابن تيمية وكان حريصاً على مطالعة كتب ابن تيمية ومدرسته،ويقول عن نفسه: "إنني لم يطمئن قلبي بمذهب السلف إلا بممارسة هذه الكتب" ١.

وفيما يلي أصور المذهب الذي **استقر عليه** رشيد رضا مبيناً مدى تأثره بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية،والذي كان هو السبب في تعرف رشيد رضا واقتناعه بهذا المذهب،وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث: الأول: في الأسماء الحسنى، والثاني: في الصفات الإلهية، والثالث: في مفردات الصفات التي تكلم عنها رشيد رضا وتحت كل مبحث مطالب.

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص/١١٧

----

١ تفسير المنار (١/ ٢٥٣)

تمهيد:

لقد ورد إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى في القرآن الكريم مجملاً ومفصلاً. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ١. وقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ٢ وورد ذكر هذه الأسماء تفصيلاً، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾٣.". (١)

١٢٤-"وبعد؛ فهذا الموقف من الشيخ رشيد تجاه التأويل عموماً، وقانونه الذي وضعه المتكلمون خصوصاً، هو الحق الموافق لمنهج أهل السنة والجماعة، ويكون إذاً ما ذهب إليه صاحب "أصول المبتدعة" ١، من حشر اسم الشيخ رشيد ضمن أسماء أنصار هذا القانون بعد اسم شيخه، هو بسبب الاستقراء الناقص، فإن هذا الذي ذكرته عن الشيخ هو الموقف الذي **استقر عليه**، وقد كان أول أمره يردد العبارات المشتهرة على الألسنة آنذاك، ومنها عبارات هذا القانون الفاسد ٢. ولكن ها أنت ترى هذا الموقف المؤيد لمذهب السلف، والذي ينقل فيه الشيخ عن شيخ الإسلام نقولاً طويلة تصل إلى عشرات الصفحات لتقريره، وهو الموقف الأخير والصحيح أيضاً.

انتقاد على الشيخ رشيد:

فإن قيل: إنه قد وجد في كلام الشيخ بعض تأويل ٣، فكيف يتفق هذا مع ما ذكرته عنه من موقفه العام من رفض للتأويل؟

قلت: الجواب ما يقوله الشيخ رشيد نفسه.

يقول الشيخ: "إن ما أدين الله تعالى به في صفات الله تعالى وأخبار عالم الغيب وغيرهما من كل ما كان عليه السلف من أمر الدين هو اتباع جمهورهم في إثبات ما أثبته الله تعالى ورسوله، ونفي ما نفياه من غير تعطيل و لا تأويل، وإنني إن ذكرت لبعض الآيات في ذلك تأويلاً فإنما أذكره لما أعلم بالاختبار من أن من الناس من لا يقتنع بحقية النص بدونه،

----

١ هو أخي الدكتور عبد القادر عطا صوفي ـ متخرج في قسم العقيدة ـ الجامعة الإسلامية ومؤلفه هذا من أحسن ما كتب. وانظر الموضع المنتقد في (١/ ١٦٧) ط.الأولى ١٤١٨هـ. وأرجو أن يتم التصحيح في الطبعات التالية إن شاء الله ويحذف اسم الشيخ رشيد منها.

٢ انظر: مجلة المنار (١/ ٢٩٣ـ ٢٩٤ و٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ و٢/ ٦٠٣ و٥/ ٨٠٩ و ٦/ ٢٥٢ و ٧/ ٣٩٠) وكل هذه

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص/١٢٩

المواضع لم يتجاوز " عام التمييز" وهو العام السابع للمنار.

٣ أحمد بن عبد الرحمن القاضي: مذهب أهل التفويض (ص: ٢٧٦) ط. دار العاصمة الرياض، الأولى ١٤١٦هـ.". [١]

١٢٥-"العكي فضمه إليه (١).

وفي نجران قسم جيشه إلى فرقتين: فرقة تولت القضاء على فلول «الأسود العنسي» المتناثرة بين نجران وصنعاء، وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان عليها أخوه «عبد الله»، وكانت مهمتها تطهير منطقة تهامة اليمن من بقية المرتدين (٢).

وحينما استقر المهاجر في صنعاء كتب إلى أبي بكر بما قام به وبما **استقر عليه** وبقي ينتظر الرد منه، وفي الوقت نفسه كتب معاذ بن جبل وبقية عمال اليمن الذين كانوا على عهد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، -ما عدا زياد بن لبيد- إلى أبي بكر يستأذنونه بالعودة إلى المدينة، فجاءت كتب أبي بكر مطلقة حق الاختيار لمعاذ ومن معه من العمال بالبقاء أو العودة، والاستخلاف على عمل كل من رجع فرجعوا جميعًا (٣)، وأما المهاجر فقد تلقى الأمر بالتوجه لملاقاة عكرمة وأن يسيرا معًا إلى حضرموت لمعاونة زياد بن لبيد وإقراره على ما هو عليه، وأمره أن يأذن لمن معه من الذين قاتلوا بين مكة واليمن في العودة إلا أن يؤثر قوم الجهاد (٤).

كان زياد بن لبيد الأنصاري واليًا لرسول الله على كندة بحضرموت، وأقره الصديق - رضي الله عنه - على ذلك، وكان حازمًا شديدًا وكان لحزمه وشدته سبب كبير في أن يتمرد عليه حارثة بن سراقة، وخلاصة ذلك -كما يذكر الكلاعي- أن زيادًا أعطى من ضمن الصدقة ناقة معينة لفتى من كندة على سبيل الخطأ، فلما أراد صاحبها استبدالها بأخرى لم يقبل منه ذلك زياد، فاستنجد الفتى بزعيم لهم هو حارثة بن سراقة، وعندما طلب ابن سراقة من زياد استبدال الناقة أصر زياد على موقفه، فغضب ابن سراقة وأطلق الناقة عنوة، فوقعت الفتنة بين أنصار زياد وأنصار ابن سراقة، ودارت الحرب وانهزم ابن سراقة وقتل ملوك كندة الأربعة وأسر زياد عددًا من جماعة ابن سراقة، واستنجد الأسرى وهم في طريقهم إلى المدينة بالأشعث بن قيس فنجدهم حمية وعبية، واتسعت رقعتها

---

(١) تاريخ الردة للكلاعي: ص ٥٤ - ٥٨.

(٢) طبقات فقهاء اليمن: ص ٣٦.

(٣) طبقات فقهاء اليمن: ص ٣٦.

(٤) اليمن في صدر الإسلام: ص ٢٨٣.". [٢]

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص/١٧٣

(٢) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق ص/٢٢٦

١٢٦-"يخص به، هي التجارة التي دل عليها، ونجى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة (١).

ي- أن يشاور ذوي الرأي منهم:

وهذا ما فعله الصديق في حروب الردة وفتوحات الشام وكثير من القضايا الفقهية والمستجدات التي تحدث في المجتمع المسلم، وقد طلب من القادة أن يتناصحوا ويتشاوروا. (٢) وقد كان الصديق قدوة في ذلك؛ ففي حروب الردة دعا عمرو بن العاص وقال له: يا عمرو، إنك ذو رأي في قريش وقد تنبأ طليحة، فما ترى؟ واستشاره ثم سأله عن خالد بن الوليد عند اختياره لقيادة الجند فأجابه: يسوس للحرب، يصبر للموت، له أناة القطاة ووثوب الأسد، فعقد له. (٣) وسار خالد بن الوليد لما كلف به، وأخذ يستشير من معه لإعداد الخطة لمحاربة المرتدين ويخبر القيادة العليا بما استقر عليه رأي الجند (٤)، وحين أراد أبو بكر - رضي الله عنه - أن يغزو الروم ويعد الجيوش لفتح بلاد الشام، شاور في ذلك جماعة من أصحاب رسول الله، وبعد أن أخذ رأيهم وما أجمعوا عليه أمر الجند بالتجهيز للتوجه لما أمروا به (٥)، وكان مما أوصى به الصديق - رضي الله عنه - أمراء وقادة جند الشام بأن يعملوا بالمشورة، فمن ذلك ما قاله ليزيد ابن أبي سفيان: هذا ربيعة بن عامر (٦) من ذوي العلاء والمفاخر، قد علمت صولته وقد ضممته إليك وأمرتك عليه، فاجعله في مقدمتك، وشاوره في أمرك ولا تخالفه. (٧) قال يزيد: حبًا وكرامة. وأضاف أبو بكر - رضي الله عنه - قائلا: إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك، ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك، وشاورهم في الأمر، واستعمل العدل. (٨)

كما قال ليزيد: وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة، ولا تكتم

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٢٠٨.

(٢) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين: ص ١٤٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٢٩.

(٤) الفتوح، ابن أعتم: ١/ ٢٩.

(٥) تاريخ فتوح الشام: ص ٢. الفتوح، ابن أعتم: ١/ ٨١.

(٦) ربيعة بن عامر القرشي العامري، له ذكر في الفتوح، صحابي، يعد من أهل فلسطين.

(٧) فتوح الشام للواقدي: ١/ ٢٢.

(٨) فتوح الشام للواقدي: ١/ ٢٢.". [1]

١٢٧-"٢٦ - م ٤: حَمْزَةُ الزَّيَّاتُ، حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، الإِمَامُ الْعَلَمُ أَبُو عُمَارَةَ التَّيْمِيُّ الْكُوفِيُّ الزَّيَّاتُ، [الوفاة: ١٥١ - ١٦٠ ه]

أحد السبعة القراء، مَوْلَى آلِ عِكْرِمَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ.

---

(١) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق ص/٣٨٧

كَانَ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي وَقْتِهِ عِلْمًا وَعَمَلا، قَيِّمًا بِكِتَابِ اللَّهِ، رَأْسًا فِي الْوَرَعِ.
قَرَأَ عَلَى: حِمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ، وَالأَعْمَشِ، وَجَمَاعَةٍ،
وَحَدَّثَ عَنْ: الْحَكَمِ، وَطَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، وَعَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، وَعَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، وَحَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، وَمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، وَعِدَّةٍ.
وَكَانَ يَجْلِبُ الزَّيْتَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى حُلْوَانَ، وَيَجْلِبُ إِلَى الْكُوفَةِ الْجُبْنَ وَالْجَوْزَ.
وَأَصْلُهُ مِنْ سَبْيِ فَارِسَ، وَقِيلَ: وَلاؤُهُ لِبَنِي عِجْلٍ، وَقَالَ سُلَيْمُ بْنُ عِيسَى: وَلاؤُهُ لِتَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ، وَتَيْمُ اللَّهِ مِنْ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ.
قَرَأَ عَلَى حَمْزَةَ: سُلَيْمُ بْنُ عِيسَى الْحَنَفِيُّ، وَهُوَ أَنْبَلُ أَصْحَابِهِ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْكِسَائِيُّ أَحَدُ السَّبْعَةِ، وَعَائِذُ بْنُ أَبِي عَائِذٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ، وَشُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْعِجْلِيُّ، وَعَدَدٌ كَثِيرٌ.
وَحَدَّثَ عَنْهُ: الثَّوْرِيُّ، وَشَرِيكٌ، وَجَرِيرٌ، وَأَبُو الأَحْوَصِ، وَابْنُ فُضَيْلٍ، وَيَحْيَى بْنُ آدَمَ، وَقَبِيصَةُ، وَبَكْرُ بْنُ بَكَّارٍ، وَحُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ.
قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: مَا قَرَأَ حَمْزَةُ حرفا إلا بأثر.
وقال عبد الله العجيلي: قَرَأَ رَجُلٌ عَلَى حَمْزَةَ فَجَعَلَ يَمُدُّ، فَقَالَ: لا تَفْعَلْ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا كَانَ فوق البياض فهو برص، وما فَوْقَ الْجُعُودَةِ فَهُوَ قَطَطٌ، وَمَا كَانَ فَوْقَ الْقِرَاءَةِ فَلَيْس بِقِرَاءَةٍ.
قَالَ أَسْوَدُ بْنُ سَالِمٍ: سَأَلْتُ الْكِسَائِيَّ عَنِ الْهَمْزِ وَالإِدْغَامِ: أَلَكُمْ فِيهِ إِمَامٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، حَمْزَةُ، كَانَ يَهْمِزُ وَيَكْسَرُ، وَهُوَ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَيِّدُ الْقُرَّاءِ وَالزُّهَّادِ، لَوْ رَأَيْتَهُ لَقَرَّتْ عَيْنُكَ بِهِ مِنْ نُسُكِهِ.
وَقَالَ حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ: رُبَّمَا عَطِشَ حَمْزَةُ فَلا يَسْتَسْقِي كَرَاهِيَةَ أَنْ يُصَادِفَ مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ. -[٤٢]-
وَذَكَرَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَنَّ حَمْزَةَ مَرَّ بِهِ فَطَلَبَ مَاءً قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَلَمْ يَشْرَبْ مِنِّي لِكَوْنِي أَحْضُرُ الْقِرَاءَةَ عِنْدَهُ.
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: سَمِعْتُ ابْنَ فُضَيْلٍ يَقُولُ: مَا أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ الْبَلاءَ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلا بِحَمْزَةَ.
وَكَانَ شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ: أَلا تَسْأَلُونِي عَنِ الدُّرِّ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ. وَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلا قَالَ لِحَمْزَةَ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، رَأَيْتُ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِكَ هَمَزَ حَتَّى انْقَطَعَ زِرُّهُ، فَقَالَ: لَمْ آمُرْهُمْ بِهَذَا كُلِّهِ.
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ: أَدْرَكْتُ الْكُوفَةَ وَمَسْجِدُهَا الْغَالِبُ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ الزَّيَّاتُ.
وَرَوَى عَنْ حَمْزَةَ قَالَ: إِنَّ لِهَذَا التَّحْقِيقِ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَكُونُ قَبِيحًا.
وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّمَا الْهَمْزُ رِيَاضَةٌ فَإِذَا حَسَّنَهَا الرجل سلها.
وَقِيلَ: إِنَّ حَمْزَةَ أَمَّ النَّاسَ سَنَةَ مِائَةٍ.
وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنِ ابْنِ مَعِينٍ قَالَ: حَمْزَةُ ثِقَةٌ.
وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ
وَقَدْ كَرِهَ قُرَاءَةَ حَمْزَةَ: ابْنُ إِدْرِيسَ الأَوْدِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَجَمَاعَةٌ؛ لِفَرْطِ الْمَدِّ وَالإِمَالَةِ وَالسَّكْتِ عَلَى السَّاكِنِ قَبْلَ الْهَمْزِ،

وَغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى إِعَادَةَ الصَّلاةِ إِذَا كَانَتْ بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ، وَهَذَا غُلُوٌّ، وَالَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الاتِّفَاقُ وَانْعَقَدَ الإِجْمَاعُ عَلَى ثُبُوتِ قِرَاءَتِهِ وَصِحَّتِهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهَا أَفْصَحَ مِنْهَا إِذِ الْقِرَاءَاتُ الثَّابِتَةُ فِيهَا الْفَصِيحُ وَالأَفْصَحُ، وَبِالْجُمْلَةِ إِذَا رَأَيْتَ الإِمَامَ فِي الْمِحْرَابِ لَهِجًا بِالْقِرَاءَاتِ وَتَتَبَّعَ غَرِيبَهَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ فَارِغٌ مِنَ الْخُشُوعِ، مُحِبٌّ لِلشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلامَةَ فِي الدِّينِ.

قِيلَ: إِنَّ حَمْزَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَاتَ بِحُلْوَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ، وَكَانَ أيضا رأسا في الفرائض.

وقيل: إنه مات سنة ثمان وخمسين، فالله أَعْلَمُ.

وَقَدِ اسْتَوْفَيْتُ تَرْجَمَتَهُ فِي طَبَقَاتِ الْقُرَّاءِ. -[٤٣]-

وَمَاتَ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.". (١)

١٢٨-"٣٢٦ - ٤ م تبعاً: محمد بْن إسحاق بْن يسار الْمُطَّلِبيُّ المَخْرَميُّ مولاهم الْمَدَنِيّ أَبُو بكر، ويقال: أَبُو عَبْد الله الأحول [الوفاة: ١٥١ - ١٦٠ هـ]

أحد الأعلام، وصاحب المغازي.

كَانَ يسّار من سبي عين التمر، مَوْلَى لقيس بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَ بْنِ قُصَيٍّ.

وقال الهيثم بْن عدي، والمدائني: مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يسّار بْن خيار، وكان خيار مَوْلَى لقيس بْن مخرمة.

قُلْتُ: رأى أنس بْن مالك، وسعيد بْن المسيب، ومولده سنة نيف وثمانين،

وَحَدَّثَ عَنْ: أبيه، وعمه موسى بْن يسار، وعطاء، والأعرج، وسعيد بْن أَبِي هند، والقاسم بْن محمد، وفاطمة بنت المنذر، والمقبري، ومحمد بْن -[١٩٤]- إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قتادة، وابن شهاب، وعبيد الله بْن عَبْد الله بْن عمر، ومكحول، ويزيد بْن أَبِي حبيب، وسليمان بْن سحيم، وعمرو بْن شعيب، ونافع، وأَبِي جعفر الباقر، وخلق سواهم.

وَعَنْهُ: جرير بْن حازم، والحمادان، وإبراهيم بْن سعد، وزياد بْن عَبْد الله، وعبد الأعلى بْن عَبْد الأعلى، وعبدة بْن سُلَيْمَان، وسلمة بْن الفضل، ومحمد بْن سلمة الحراني، ويونس بْن بكير، ويعلى بْن عُبَيْد، وأحمد بْن خالد الوهبي، ويزيد بْن هارون، وعدد كثير.

وكان بحرًا فِي العلم حِبْرًا فِي معرفة أيام النَّبِيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

رَوَى عَنْ: سلمة بْن الفضل، عَن ابْن إِسْحَاق قَالَ: رَأَيْت أَنَسًا عَلَيْهِ عمامة سوداء، والصبيان يشتدون ويقولون: هذا رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يموت حَتَّى يلقى الدجّال.

وقال عَبَّاس الدوري: قد سَمِعَ ابْن إِسْحَاق مِن أبان بْن عُثْمَان، ومن أَبِي سلمة بْن عَبْد الرَّحْمَن، قاله لنا ابْن معين.

وقال يحيى بْن كثير وغيره، عَن شُعْبَة قَالَ: ابْن إِسْحَاق أمير المؤمنين فِي الحديث.

وقال الخطيب: حدّث عَنْهُ يحيى بْن سَعِيد الأنصاري، وابن جُرَيْج، والثوري، وشعبة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٤١/٤

وقال الزُّهْرِيّ: لا يزال بالمدينة عِلْم جَمٌّ مَا كَانَ فيهم مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، وكذا قَالَ عاصم بْن عُمَر بْن قَتَادَةَ، وهما شيخاه.

وقال البخاري: حدثنا عليّ بْن عَبْد اللَّه سَمِعَ سُفْيَان يَقُولُ: مَا رَأَيْت أحدًا يتّهم ابْن إِسْحَاق.

قَالَ الْبُخَارِيّ: ينبغي أن يكون لَهُ ألف حديث ينفرد بها.

قَالَ يُونُس بْن بُكَيْر: سَمِعْت شُعْبَة يَقُولُ: ابْن إِسْحَاق أمير المؤمنين فِي الحديث، فَقِيلَ لَهُ: ولِمَ؟ فَقَالَ: لحفظه. -[١٩٥]-

وقال يعقوب بن شيبة: سألت علي ابن المديني عن إِسْحَاقَ فَقَالَ: حَدِيثُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ، قُلْتُ: فَكَلامُ مَالِكٍ؟ قَالَ: مَالِكٌ لَمْ يُجَالِسْهُ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ، وَأَيَّ شَيْءٍ حَدَّثَ بِالْمَدِينَةِ، قُلْتُ: فَهِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ، قَالَ: الَّذِي قَالَ هِشَامٌ لَيْسَ بِحُجَّةٍ، لَعَلَّهُ دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ وهو غلام، وأن حديثه ليتبين فِيهِ الصِّدْقُ، يَرْوِي مَرَّةً: حَدَّثَنِي أَبُو الزِّنَادِ، وَمَرَّةً: ذَكَرَ أَبُو الزِّنَادِ، وَيَقُولُ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ فِي سَلَفٍ وَبَيْعٍ، وَهُوَ مِنْ أَرْوَى النَّاسِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، وَلَمْ أَرَ لَهُ إلا حَدِيثَيْنِ مُنْكَرَيْنِ أَحَدَهُمَا عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: " إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ "، وَالآخَرُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ: " مَنْ مَسَّ فَرْجَهُ فليتوضأ ".

وقال أحمد العجلي: ابْن إسحاق ثقة.

وقال عباس، عَن ابْن معين: ثقة لكن ليس بحجة.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، عَنِ ابْنِ مَعِينٍ: ليس بِهِ بأس، ومرة قَالَ: ليس بذاك ضعيف.

وقال يعقوب بْن شيبة، عَن ابْن معين: هُوَ صدوق.

وقال هارون بْن معروف: سَمِعْت أَبَا مُعَاوِيَة يقولُ: كَانَ ابْن إِسْحَاق من أحفظ الناس، فكان الرجل إذا كَانَ عنده خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها ابنَ إِسْحَاق، وقال احفظها عليّ، فَإِن نسيتها كنت قد حفظتها عليّ.

وقال عَبْد الرَّحْمَن بْن مهدي: تكلّم أربعة فِي ابْن إِسْحَاق، فأما سُفْيَان، وشعبة فكانا يقولان: أمير المؤمنين فِي الحديث.

وقال أحمد بْن حنبل: حسن الحديث. -[١٩٦]-

وقال الحسن بن علي الحلواني: سمعت يزيد بْن هارون يَقُولُ: لو كَانَ لِي سلطان لأمَّرت ابْن إسحاق عَلَى المحدّثين.

وقال أَبُو أمية الطرسوسي: حدثنا علي بن الحسن النسائي، قال: حدثنا فياض بن محمد الرقي، قال: سَمِعْت ابْن أَبِي ذئب يَقُولُ: كُنَّا عند الزُّهْرِيّ فنظر إِلَى ابْن إِسْحَاق يُقْبِلُ، فَقَالَ: لا يزال بالحجاز علم كثير مَا دام هَذَا الأحول بين أظهرهم.

وقال ابْن عَلية: سَمِعْت شُعْبَة يَقُولُ: هُوَ صدوق.

وقال ابْن المديني: قُلْتُ لسفيان: أكان ابْن إسحاق جالس فاطمة بِنْت المنذر؟ فَقَالَ: أخبرني أنها حدّثته، فإنه دخل عليها.

قُلْتُ: الَّذِي استقر عَلَيْهِ الأمر أن ابْن إسحاق صالح الحديث، وأنه فِي المغازي أقوى مِنْهُ فِي الأحكام.

وقد قَالَ يحيى بْن سَعِيد: سَمِعْت هشام بْن عروة يكذبه.

وقال أبو الوليد: حدثنا وُهَيْب بْن خَالِد سَأَلت مالكًا عَن ابْن إِسْحَاق فَقَالَ: واتّهمه.

وقال أَحْمَد بْن زهير: سَمِعْت ابْن مهدي يَقُولُ: كَانَ يحيى بْن سَعِيد الأَنْصَارِيّ، ومالك يجُرّحان مُحَمَّد بْن إِسْحَاق.

وقال العقيلي: حدثني الفضل بن جعفر، قال: حدثنا عبد الملك بن محمد، قال: حدثنا سليمان بن داود قال: قَالَ لِي يحيى

بْن سَعِيد القطَّان: أشهد أن مُحَمَّد بْن إِسْحَاق كذّاب، قُلْتُ: وما يدريك؟ قَالَ: قَالَ لِي وُهَيْب، فَقُلْتُ لوهيب: مَا يدريك؟ قَالَ: قَالَ لِي مالك، فَقُلْتُ لمالك: وما يدريك؟ قَالَ: قَالَ لِي هشام بن عروة، قلت له: وما يدريك؟ قَالَ: حدّث عَن امرأتي وأُدْخِلَتْ عليّ وهي بِنْت تسع سنين وما رآها رَجُل حَتَّى لَقِيتِ اللَّه.

قُلْتُ: هَذِهِ حكاية باطلة، وَسُلَيْمَان الشاذكوني ليس بثقة، وما أُدْخِلت فاطمة عَلَى هشام إلا وهي بِنْت نيّفٍ وعشرين سنة فإنها أكبر مِنْهُ بنحوٍ من تسع سنين، وقد سَمِعْت من أسماء بنت الصديق، وهشام لم يسمع من أسماء مَعَ أنها جدتهما.

وأيضا فَلَمَّا سَمِعَ ابْن إِسْحَاق منها كَانَتْ قد عجزت وكبرت، وهو -[١٩٧]- غلام، أو هُوَ رَجُل من خلف الستر، فإنكار هشام بارد.

قَالَ ابْن المديني: سَمِعْت يحيى يَقُولُ: قُلْتُ لهشام: ابْن إِسْحَاق يحدّث عَن فاطمة بِنْت المنذر، فَقَالَ: أهو كَانَ يصل إليها؟!.

وقال يحيى بن آدم: حدثنا ابْن إدريس قَالَ: كنت عند مالك فَقَالَ لَهُ رَجُل: إن مُحَمَّد بْن إِسْحَاق يقول: اعْرِضُوا عليّ عِلْم مالك فإني بيطاره، فَقَالَ مالك: انظروا إِلَى دجّال من الدجاجلة يَقُولُ: اعرضوا عليّ علم مالك، قَالَ ابْن إدريس: مَا رَأَيْت أحدًا جمع الدجّال قبله.

وقال عَبْد الْعَزِيز الدراوَرْدي، وابن أَبِي حازم: كُنَّا فِي مجلس ابْن إِسْحَاق فنعس ثُمَّ رفع رأسه فَقَالَ: رَأَيْت كأن حمارًا أخرج من دار مروان فِي عنقه حبل، فَمَا لبثنا أن دخل أعوان السلطان فوضعوا فِي عنق ابْن إِسْحَاق حبلا، وذهبوا بِهِ فَجُلِد، زاد سعيد الزنبري راويها عَن الدراوردي قَالَ: من أجل القدر، فَقَالَ هارون بْن معروف: كَانَ ابْن إِسْحَاق قدريا.

وقال الجوزجاني: ابن إسحاق يشتهون حديثَه، وهو يُرْمَى بغير نوع من البِدَع.

وأما مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن نمير فقال: رُمي بالقدر، وكان أبعد الناس مِنْهُ.

وقال مكي بْن إِبْرَاهِيم: جلست إِلَى ابْن إِسْحَاق، وكان يُخَضّب بالسواد فذكر أحاديث فِي الصِّفَة فَنَفَرْتُ منها فلم أعد إِلَيْهِ.

وقال ابْن معين: كَانَ يحيى القطَّان لا يَرْضَى ابْن إِسْحَاق، ولا يروي عَنْهُ.

وقال عَبْد اللَّه بْن أَحْمَد: لم يكن أَبِي يحتج بابن إِسْحَاق فِي السُّنَن.

وقال النسائي: ليس بالقويّ.

وقال الدارقطني: لا يُحتَج بِهِ.

وقال مُحَمَّد بْن يحيى بْن سَعِيد القطَّان: قَالَ أَبِي: سَمِعْت مالكًا يَقُولُ: يَا أَهْل العراق لا يغت عليكم بعد مُحَمَّد بْن إِسْحَاق أحد. -[١٩٨]-

وَفِي لفظ: من يَغُتُّ عليكم بعد مُحَمَّد بْن إِسْحَاق.

وقال مُحَمَّد بْن أَبِي عديّ: كَانَ ابْن إِسْحَاق يلعب بالديوك، وقال القطَّان: تركت ابْن إِسْحَاق عمدا فلم أكتب عَنْهُ.

وقال أَبُو حاتم: ليس بالقويّ عندهم.

وقال مُحَمَّد بْن سلام الجمحي: وممن هجَّنَ الشعرَ وأفسده وحمل كل غثاء، وقبل الناس مِنْهُ أشعارًا لا أصل لها ابْن إِسْحَاق، وكان يعتذر من ذَلِكَ، ويقول: لا علم لِي بالشعر إنما أوتي بِهِ فأحمله، ولم يكن ذَلِكَ عذرًا لَهُ.

قُلْتُ: لا ريب أن فِي السيرة شعرًا كثيرًا من هَذَا الضَّرْب.

قَالَ أَبُو حَفْص الصيرفي: سَمِعْت يحيى بْن سَعِيد يَقُولُ لعبيد اللَّه القواريري: أَيْنَ تذهب؟ قَالَ: إِلَى وهب بْن جرير، أكتب " السيرة "، قَالَ: تكتب كذبًا كثيرًا.

قُلْتُ: وكذا فِي " السيرة " عجائب ذكرها ابْن إِسْحَاق بلا إسناد تلقَّفَها، وفيها خير كثير لمن لَهُ نقْد ومعرفة.

وقال ابْن أَبِي فديك: رَأَيْت ابْن إِسْحَاق كثير التدليس فإذا قَالَ: حدّثني، وأخبرني، فهو ثقة.

مات ابْن إِسْحَاق سنة إحدى وخمسين ومائة، قاله عدة.

وقال المدائني، وغيره: مات سنة اثنتين وخمسين.". (١)

١٢٩-"-فصل من قوله في أُصول الدين

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص. البر كله من الإيمان، والمعاصي تنقص من الإيمان.

وقال إسحاق بن إبراهيم البَغَويّ: سمعتُ أحمد بن حنبل، وَسُئِلَ عمّن يقول: القرآن مخلوق، فقال: كافر.

وقال سَلَمَةُ بن شبيب: سمعت أحمد يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. -[١٠٢٥]-

وقال أبو إسماعيل التِّرْمِذيّ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر.

وقال إسماعيل بن الحسن السّرّاج: سألت أحمد عمّن يقول: القرآن مخلوق. فقال: كافر. وعمن يقول: لفْظي بالقرآن مخلوق. فقال: جَهْميّ.

وقال صالح بن أحمد: تناهى إلى أبي أنّ أبا طالب يحكي أنّه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق. فأخبرت أبي بذلك، فقال: مَن أخبرك؟ قلت: فلان. فقال: ابعث إلى أبي طالب. فوجهت إليه، فجاء وجاء فوران، فقال له أبي: أنا قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب وجعل يرعد، فقال: قرأت عليك: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص] فقلت لي: ليس هذا بمخلوق. فقال: فَلِمَ حكيت عنّي أنّي قلت لك: لفْظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبَلَغَني أنّكَ وَضَعْتَ ذلك في كتاب، وكتبتَ به إلى قومٍ. فامْحه، واكتب إلى القوم أني لم أقل لك. فجعل فوران يعتذر إليه، وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد أبو طالب، فذكر أنّه قد حَكَّ ذلك من كتابه، وأنّه كتب إلى القوم يخبرهم أنّه وهِمَ على أبي.

قلتُ: الَّذي استقرّ عليه قول أبي عبد الله: أنَّ مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جَهْميّ، ومَن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع.

وقال أحمد بن زَنْجَوَيْه: سمعت أحمد بن حنبل يقول: اللّفظيّة شرٌّ من الْجَهْميّة.

وقال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: افترقت الجَهْميّة على ثلاث فِرَق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: القرآن كلام الله تعالى، وسكتوا، وفرقة قالوا: لفْظُنا بالقرآن مخلوق. وقال أبي: لا يُصلِّي خلف واقِفيّ، ولا خلْف لفْظيّ.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١٩٣/٤

وقال المَرُّوذيّ: أخبرتُ أبا عبد الله أنّ أبا شُعيب السُّوسيّ الذي كان بالرَّقَّة فرّق بين ابنتِهِ وزوجها لما وقف في القرآن. فقال: أحسَن، عافاه الله. وَجَعَل يدعو له.
وقد كان أبو شُعيب شاور النُّفَيْليّ، فأمره أن يفرّق بينهما.
قال المَرُّوذيّ: ولمّا أظهر يعقوب بن شيبة الوقف حذَّر أبو عبد الله عنه، وأمَرَ بهجرانه وهجران من كلّمه.
قلت: ولأبي عبد الله في مسألة اللَّفظ نصوصٌ متعددَة، وأولَ مَن أظهر اللّفظ الحسين بن عليّ الكرابيسيّ، وذلك في سنة أربعٍ وثلاثين ومائتين، وكان -[١٠٢٦]- الكرابيسي من كبار الفقهاء، فقال المَرُّوذيّ في كتاب القَصَص: عزم حَسن بن البزّاز، وأبو نصر بن عبد المجيد، وغيرهما على أن يجيئوا بكتاب المدلّسين الّذي وضعه الكرابيسيّ يطعن فيه على الأعمش، وسليمان التَّيْميّ. فمضيتُ إليه في سنة أربعٍ وثلاثينِ، فقلت: إنّ كتابك يريدُ قومٌ أن يعرضوه على أبي عبد الله، فأظْهِر أنّك قد ندِمتَ عليه، فقال: إنّ أبا عبد الله رجلٌ صالح، مثله يوفَّق لإصابة الحقّ. قد رضيتُ أن يُعرض عليه. لقد سألني أبو ثور أنْ أمحوَهُ، فأبيت، فجيء بالكتاب إلى أبي عبد الله، وهو لا يعلم لمن هو، فعلَّموا على مُسْتَبْشَعات من الكتاب، وموضعٍ فيه وضْع على الأعمش، وفيه: إنْ زعمتم أنّ الحَسَن بن صالح كان يرى السّيف فهذا ابن الزُّبَير قد خَرَج، فقال أبو عبد الله: هذا أراد نُصْرة الحَسَن بن صالح، فوضع عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد جمع للرّوافض أحاديثَ في هذا الكتاب، فقال أبو نصْر: إنّ فتياننا يختلفون إلى صاحب هذا الكتاب، فقال: حذروا عنه، ثم انكشف أمره، فبلغ الكرابيسيّ، فبلغني أنه قال: سمعت حسينا الصائغ يقول: قال الكرابيسيّ: لأقولنَّ مقالة حتّى يقول أحمد بن حنبل بخلافها فيكفر، فقال: لفْظي بالقرآن مخلوق، فقلت لأبي عبد الله: إنّ الكرابيسيّ قال: لفْظي بالقرآن مخلوق. وقال أيضًا: أقول: إنّ القرآن كلام الله غير مخلوق من كلّ الجهات، إلا أنّ لفظي بالقرآن مخلوق. ومن لم يقل إنّ لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر، فقال أبو عبد الله: بل هو الكافر، قاتَلَه الله، وأيُّ شيءٍ قالت الجَهْميّة إلا هذا؟ قالوا كلام الله، ثمّ قالوا: مخلوق. وما ينفعه وقد نقض كلامه الأخير كلامه الأوّل حين قال: لفظي بالقرآن مخلوق، ثمّ قال أحمد: ما كان الله لَيدَعَه وهو يقصد إلى التّابعين مثل سليمان الأعمش، وغيره، يتكلّم فيهم. ماتَ بشر المَرِيسيّ، وخَلفَه حسين الكرابيسي، ثم قال: أيش خبر أبي ثَوْر؟ وافقَه على هذا؟ قلت: قد هجره، قال: قد أحسن، قلت: إنّي سألت أبا ثَوْر عمن قال: لفْظي بالقرآن مخلوق، فقال: مبتدع، فغضبَ أبو عبد الله وقال: أيْش مبتدع؟! هذا كلام جَهْمٍ بعينه. ليس يُفْلح أصحاب الكلام.
وقال عبد الله بن حنبل: سُئِل أبي وأنا أسمع عن اللّفظيّة والواقفة فقال: من كان منهم يُحسن الكلام فهو جَهْميّ.
وقال الحَكَم بن مَعْبَد: حدَّثني أحمد أبو عبد الله الدّوْرقيّ قال: قلت لأحمد بن حنبل: ما تقول في هؤلاء الذين يقولون: لفْظي بالقرآن مخلوق؟ -[١٠٢٧]- فرأيته استوى واجتمع، وقال: هذا شرّ من قول الجَهْميّة. مَن زعم هذا فقد زعم أنّ جبريل تكلَّم بمخلوق، وجاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمخلوق.
وَقَالَ ابْنُ أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي: سَمِعْتُ أَبَا طَالِبٍ أَحْمَدَ بْنَ حُمَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: قَدْ جَاءَتْ جَهْمِيَّةٌ رَابِعَةٌ، فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: قَالَ إِنْسَانٌ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي صَدْرِهِ الْقُرْآنَ، فَقَدْ زعم أن في صدره من الإلهية شيء، فقال: من قال هذا فقد قَالَ مِثْلَ قَوْلِ النَّصَارَى فِي عِيسَى أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ فِيهِ. مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِ هَذَا قَطُّ. قُلْتُ: أَهَذِهِ الْجَهْمِيَّةُ؟ قَالَ: أَكْبَرُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «يُنْزَعُ الْقُرْآنُ مِنْ صُدُورِكُمْ.».

قلتُ: الملفوظ كلام الله، وهو غير مخلوق، والتّلفُّظ مخلوق لأنّ التُّلفُّظ من كسْب القارئ، وهو الحركة، والصّوت، وإخراج الحروف، فإنّ ذلك ممّا أحدثه القارئ، ولم يُحْدِث حروف القرآن ولا معانيه، وإنّما أحدث نُطْقُهُ به. فاللّفظ قَدر مشتَرك بين هذا وهذا، ولذلك لم يجوّز الإمام أحمد: لفْظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق، إذ كلّ واحدٍ من الإطلاقيْن مُوهِمٌ. والله أعلم.
وقال أبو بكر الخلال: أخبرني أحمد بن محمد بن مَطَر، وزكريّا بن يحيى، أنّ أبا طالب حدَّثهم أنّه قال لأبي عبد الله: جاءني كتاب من طرسوس أنّ سَرِيًا السَّقَطيّ قال: لّما خلق الله الحروف سَجَدَتْ إلا الألِف فإنّه قال: لا أسجد حتّى أُومر. فقال: هذا كُفْر. فرحم الله الإمام أحمد ما عنده في الدّين محاباة.
قال الخلال: أخبرنا محمد بن هارون أنّ إسحاق بن إبراهيم حدثهم قال: حضرت رجلا يسأل أبا عبد الله فقال: يا أبا عبد الله إجماع المسلمين على الإيمان بالقَدَر خيره وشرّه؟ قال أبو عبد الله: نعم، قال: ولا نكفّر أحدًا بذنب؟ فقال أبو عبد الله: أسكُتْ، من ترك الصّلاة فقد كفَر، ومَن قَالَ: القرآن مخلوق فهو كافر. -[١٠٢٨]-
وَقَالَ الْخَلالُ: أَخْبَرَنِي محمد بْنُ سُلَيْمَانَ الْجَوْهَرِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُوسُ بْنُ مَالِكٍ الْعَطَّارُ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: أُصُولُ السنة عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَتَرْكُ الْبِدَعِ وَتَرْكُ الْخُصُومَاتِ، وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ، وَتَرْكُ الْمِرَاءَ وَالْجَدَلِ. وَلَيْسَ فِي السنة قِيَاسٌ، وَلا يُضْرَبُ لَهَا الأَمْثَالُ، وَلا تُدْرَكُ بِالْعُقُولِ، وَالْقُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ لَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ. وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ، وَمَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيْرِهِ، وَمَنْ وَقَفَ فِيهِ فَقَالَ: لا أدري، مخلوق أو ليس مخلوقا، وَإِنَّمَا هُوَ كَلامُ اللَّهِ؛ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ. وَالإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ؛ فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهُ قَتَادَةُ وَالْحَكَمُ بْنُ أَبَانٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالْحَدِيثُ عِنْدَنَا عَلَى ظَاهِرِهِ عَلَى مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْكَلامُ فِيهِ بِدْعَةٌ. وَلَكِنْ نُؤَمِّنُ عَلَى مَا جَاءَ عَلَى ظَاهِرِهِ. وَإِنَّ اللَّهَ يُكَلِّمُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانُ.
قال حنبل بن إسحاق: قلت لأبي عبد الله: ما معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد ٤]، و ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة ٧]؟ قال: عِلمُه عِلمُه. وسمعته يقول: ربُّنا على العرش بلا حَدٍّ ولا صفة.
قلت: معنى قوله بلا صفة أي بلا كيف ولا وصْف.
وقال أبو بكر المَرُّوذيّ: حدَّثني محمد بن إبراهيم القيسيّ قال: قلت لأحمد بن حنبل: يُحكى عن ابن المبارك أنّه قيل له: كيف نعرف ربَّنا؟ قال: في السّماء السّابعة على عرشه، قال أحمد: هكذا هو عندنا.
وقال صالح بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر.
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي كتاب الرّدّ على الجَهْمِيّة تأليفه: سألت أبي عن قومٍ يقولون: لّما كلّم الله موسى لم يتكلّم بصوت. فقال أبي: بلى تكلّم - جلّ ثناؤه - بصوت. هذه الأحاديث نرويها كما جاءت.
وقال أبي: حديث ابن مسعود: إذا تكلّم الله سُمِع له صوت كمرّ السّلسلة على الصَّفْوان. -[١٠٢٩]-
قال: وهذه الجَهْمِيَّة تنكره، وهؤلاء كُفّار يريدون أن يموهوا على الناس. ثم قال: حدثنا الْمُحَارِبِيُّ، عَنِ الأَعْمَشُ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا.
وقال عبد الله. وجدت بخطّ أبي ممّا يُحْتَجّ به على الجَهْمِيّة من القرآن: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ [يس

٨٢]، " ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ [آل عمران ٤٥] " " ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رسول الله وكلمته﴾ [النساء ١٧١]، " " ﴿وتمت كلمة رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام ١١٥]، " " ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل]، " " ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف ٥٤]، " " ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾ [القصص ٨٨]، " " ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن ٢٧]، " " ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه]، " " ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء]، " " ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه ١٢]، " " ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامة والسماوات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر ٦٧]، " " ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤].

قلت: وذكر آيات كثيرة في الصّفات، أنا تركت كتابتها هنا.

وقال يعقوب بن إسحاق المطّوّعيّ: سمعت أحمد بن حنبل، وَسُئِلَ عن التفضيل فقال: على حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أبو بكر، وعمر، وعثمان.

وقال صالح بن أحمد: سُئِل أبي، وأنا شاهد، عمّن يُقَدّم عليًا على عثمان يُبَدَّع؟ فقال: هذا أهلٌ أن يُبَدّع. أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدَّموا عثمان.

وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: قُلْتُ لِأَبِي: مَنْ الرافضيّ؟ قال: الّذي يشتم رَجُلا مِنْ أَصْحَابِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو يتعرَّض لهم، ما أراه على الإسلام.

وقال أبو بكر المَرُّوذيّ: قيل لأبي عبد الله ونحن بالعسكر، وقد جاء بعض رسُل الخليفة فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيما كان بين عليّ ومعاوية؟ فقال: ما أقول فيهم إلا الحُسنَى. -[١٠٣٠]-

وكلام الإمام أحمد كثير طيّب في أصول الدّين، لا يتّسع هذا الباب لسياقِهِ قد جمعه الخلال في مصَّنفٍ سماه كتاب السنة عن أحمد بن حنبل في ثلاث مجلّدات، فممّا فيه:

أخبرنا المَرُّوذيّ: سمعتُ أبا عبد الله يقول: مَن تعاطى الكلام لا يُفْلح، من تعاطى الكلام لم يَخْلُ من أن يتجهَّم.

وسمعتُ أبا عبد الله يقول: لست أتكلَّم إلا ما كان من كتاب أو سنة، أو عن الصّحابة والتّابعين. وأمّا غير ذلك فالكلام فيه غير محمود.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: مَن أحبّ الكلام لم يفلح، لا يؤول أمرُهم إلى خير.

وسمعته يقول: عليكم بالسنة والحديث وإيّاكم والخوض والجدال والمِراء، فإنّه لا يُفْلح من أحبّ الكلام.

وقال لي: لا تجالِسْهم، ولا تكلّم أحدًا منهم. ثم قال: أدركنا الناس وما يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام. عاقبة الكلام لا تؤول إلى خير.

وسمعته يقول: ما رأيتُ أحدًا طلب الكلام واشتهاه فأفلح؛ لأنه يخرجه إلى أمر عظيم. لقد تكلّموا يومئذٍ بكلام، واحْتَجّوا بشيءٍ ما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه.

قال الخلال: أخبرني محمد بن أبي هارون، قال: حدثنا أبو الحارث: سمعت أبا عبد الله يقول: قال أيّوب: إذا تمرّق أحدكم لم يَعد.

وقال الخلال: أخبرنا أحمد بن أصرم المُزَنيّ قال: حضرتُ أحمد بن حنبل قال له العبّاس الهَمْدانيّ: إنّي رُبّما رَدَدْت عليهم. قال

أحمد: لا ينبغي الجدال.

ودخل أحمد المسجد وصلّى، فلمّا انفتل قال: أنت عبّاس؟ قال: نعم. قال: اتقِ الله، ولا ينبغي أن تَنْصب نفسك، وتشتهر بالكلام ولا بوضْع الكُتُب. لو كان هذا خيرًا لتقدَّمنا فيه الصّحابة. لم أرَ شيئًا من هذه الكُتُب، وهذه كلّها بدعة. قال: مقبولٌ منك يا أبا عبد الله، استغفر الله وأتوبُ إليه، إنّي لست أطلبهم، ولا أدُقُّ أبوابهم؛ لكنْ أسمعهم يتكلّمون بالكلام، وليس أحدٌ يردّ عليهم فأغْتَمّ، ولا أصبر حتّى أرُدّ عليهم. قال: إن جاءك مسترشدٌ فأرشِدْه. قالها مِرارًا.

قال الخلال: أخبرنا محمد بن أبي هارون، ومحمد بن جعفر، أنّ أبا الحارث حدَّثهم، قال: سألت أبا عبد الله قلت: إن هاهنا من يناظر الجهمية -[١٠٣١]- ويبين خطأهم، ويُدقّق عليهم المسائل، فما ترى؟ قال: لستُ أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء، ولا أرى لأحد أن يُنَاظرهم. أليس قال معاوية بن قُرَّةَ: الخصومات تحبط الأعمال. والكلام رديء لا يدعو إلى خير. تجنَّبوا أهل الجدال والكلام، وعليكم بالسُّنَن، وما كان عليه أهل العلم قبلكم، فإنّهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل البِدَع. وإنّما السّلامة في تَرْك هذا، لم نؤمر بالجدال والخصومات.

وقال: إذا رأيتم من يحبّ الكلام فاحْذروه.

قال ابن أبي داود: حدثنا موسى أبو عمران الأصبهاني قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تجالس أصحاب الكلام، وإنْ ذَبُّوا عن السنة.

وَقَالَ الْمَيْمُونِيّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: ما زال الكلام عند أهل الخير مذمومًا.

قلت: ذمّ الكلام وتعلّمه قد جاء من طُرُقٍ كثيرة عن الإمام أحمد، وغيره.". (١)

١٣٠-"٢٢٢ - دَاوُد بْن عليّ بْن خَلَف، أبو سُلَيْمَان الْبَغْدَادِيّ الإصبهاني، مَوْلَى المهديّ، الفقيه الظّاهريّ، [الوفاة: ٢٦١ - ٢٧٠ هـ]

رأس أهل الظاهر.

ولد سنة مائتين،

وَسَمِعَ: سُلَيْمَان بْن حرب، والقَعْنَبِيّ، وعَمْرو بْن مرزوق، ومحمد بن كثير العبْديّ، ومُسَدّدًا، وأبا ثور الفقيه، وإسحاق بْن رَاهَوَيْه رحل إليه إِلَى نَيْسابور، فسمع منه الْمُسْنَد والتفسير؛ وجالس الأئمّة، وصنَّف الكُتُب. -[٣٢٨]-

قَالَ أبو بَكْر الخطيب: كان إمامًا ورِعًا ناسكًا زاهدًا. وَفِي كُتُبه حديث كثير. لكنّ الرواية عَنْهُ عزيزة جدًا.

روى عَنْهُ: ابنه محمد، وزكريّا السّاجيُ، ويوسف بْن يعقوب الداوديّ الفقيه، وعبّاس بْن أَحْمَد المذكّر، وغيرهم.

قَالَ ابنُ حزم: إنّما عُرِف بالإصبهانيّ لأنّ أمّه أصبهانيّة، وكان أَبُوهُ حنفيّ المذهب، يعني: وكان عراقيًا.

قَالَ: وكتب دَاوُد ثمانية عشر ألف ورقة.

ومن أصحاب دَاوُد أبو الْحَسَن عَبْد الله بن أَحْمَد بْن رُوَيْم أحد الأئمة، وأبو بَكْر ابن النّجّار، وأبو الطّيّب محمد بْن جَعْفَر

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١٠٢٤/٥

الدّيباجيّ، وأحمد بْن مَخْلَد الإياديّ، وأبو سَعِيد الْحَسَن بْن عُبَيْد الله، له تواليف كثيرة، وأبو بَكْر محمد بْن أَحْمَد الدّجاجيّ، وأبو نصر رآه بسجستان.

ثُمَّ سمّى ابنُ حزم جماعةً كثيرة من الفقهاء من تلامذة دَاوُد.

وقَالَ أبو إِسْحَاق الشّيرازيّ: وُلِد سنة اثنتين ومائتين، وأخذ العلم عن إِسْحَاق، وأبي ثور. وكان زاهدا متقللا.

وقال أبو الْعَبَّاس ثعلب: كان دَاوُد عقله أكثر من علمه.

قَالَ أبو إِسْحَاق: وقِيلَ: كان فِي مجلسه أربعمائة صاحب طَيْلَسان أخضر، وكان من المتعصّبين للشّافعي، صنَّف كتابين فِي فضائله والثّناء عليه. قَالَ أبو إسحاق: وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد، وأصله من أصفهان، ومولده بالكوفة، ومنشأه ببغداد وقبره بها.

وقال أبو عَمْرو أَحْمَد بْن الْمُبَارَك الْمُسْتَملي: رأيتُ دَاوُد بْن عليّ يردّ على إِسْحَاق بْن راهَوَيْه، وما رَأَيْتُ أحدًا قبله ولا بعده يردّ عليه هيبة له.

وقال عمر بْن محمد بْن بُجَيْر: سمعت دَاوُد بْن عليّ يقول: دخلت على إِسْحَاق بْن رَاهَوَيْه وهو يحتجم، فجلست فرأيت كُتُب الشّافعيّ، -[٣٢٩]- فأخذت أنظر، فصاح، إيش تنظر؟ فقلت: مَعَاذ الله أن نأخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده، فجعل يضحك ويتبسّم.

وقَالَ سَعِيد البَرْذَعيّ: كُنَّا عِنْدَ أبي زُرْعة فاختلف رجلان فِي أمر داود والمزني، والرجلان فَضْلَك الرّازيّ، وابن خِراش، فقال ابنُ خِراش: دَاوُد كافر. وقَالَ فَضْلَك: الْمُزَنِيّ جاهل.

فَأَقْبَلَ عليهما أبو زُرْعة يوبِّخهما وقَالَ: ما واحد منكما له بصاحب. ثُمَّ قَالَ: ترى داود هذا لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم لظننت أنه يكمد أَهْل البِدَع بما عنده من البيان والآلة. ولكنه تعدى. لقد قدم علينا من نَيْسابور، فكتب إِلَيّ محمد بْن رافع، ومحمد بن يحيى، وعَمْرو بْن زُرارة، وحسين بْن مَنْصُورٌ، ومشيخة نَيْسابور بما أحدث هناك، فكتمت ذلك لما خفت من عواقبه، ولم أبد له شيئا من ذلك. فقدِم بغداد، وكان بينه وبين صالح بْن أَحْمَد بْن حنبل حُسْن، فكلّم صالحًا أن يتلطّف له فِي الاستئذان على أَبِيهِ، فأتى وقَالَ: سألني رَجُل أن يأتيك. قَالَ: ما اسمه؟ قَالَ: دَاوُد. قَالَ: ابنُ من؟ قَالَ: هُوَ من أَهْل إصبهان، وكان صالح يروغ عن تعريفه، فَمَا زال أَبُوهُ يفحص حَتَّى فطن به، فقال: هذا قد كتب إليّ محمد بْن يحيى فِي أمره أنّه زعم أنّ القرآن مُحْدَث، فلا يقرَبنيّ. قال: إنه ينتفي من هَذَا ويُنْكره. قَالَ: محمد بْن يحيى أصدق منه، لا تأذن له.

أنبأنا ابن سلامة، عن اللبان، عن الشيرويي، قال: حدثنا عبد الكريم بن محمد أبو نصر الشيرازي قراءة، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن حكمويه المفسر الروياني، قال: أخبرنا والدي، قال: أخبرنا أبو علي بن عبد الله بن القاسم الْبَصْرِيُّ بالدينور، قال: حدثنا داود بن علي بن خلف البغدادي المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرنا أبو خيثمة، قال: حدثنا بشر بن السري، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صهيب عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى -[٣٣٠]- مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ألم يثقل موازيننا. . . الحديث.

قال الخلال: أخبرنا الْحُسَيْن بْن عَبْد الله قَالَ: سَأَلت المَرُّوذيّ عن قصّة دَاوُد الإصبهانيّ وما أنكر عليه أبو عبد الله، فقال: كان دَاوُد خرج إِلَى خُراسان إِلَى ابنُ رَاهَوَيْه، فتكلم بكلامٍ شهد عليه أبو نصر بن عبد المجيد وآخر، شهدا عليه أنّه قَالَ: القرآن مُحْدَث. فقال لي أبو عبد الله: مَن دَاوُد بْن عليّ لا فرّج عَنْهُ الله؟ قلت: هَذَا من غلمان أبي ثور. قَالَ: جاءني كتاب محمد بْن يحيى النَّيْسابوريّ أنّ دَاوُد الإصبهانيّ قَالَ ببلدنا: أنّ القرآن مُحْدَث.

قَالَ المَرُّوذيّ: حَدَّثَنِي محمد بن إِبْرَاهِيم النَّيْسَابوريُّ أنّ إِسْحَاق بن رَاهَوَيْه لّما سمع كلام دَاوُد فِي بيته وثب عليه إِسْحَاق فضربه وأنكر عليه.

قَالَ الخلّال: سمعت أَحْمَد بْن محمد بن صدقة يقول: سمعت محمد بن الحسين بن صبيح، يقول: سمعت دَاوُد الإصبهانيّ يقول: القرآن مُحْدَث ولفظي بالقرآن مخلوق.

وأخبرنا سعيد بن أبي مسلم، قال: سمعت محمد بْن عَبْدة يقول: دخلت إِلَى داود فغضب عليّ أَحْمَد بْن حنبل، فدخلت عليه فلم يكلّمني، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إنّه رَدّ عليه مسألة. قَالَ: وما هي؟ قال: قال: الخنثي إذا مات من يغسّله؟ فقال دَاوُد: يغسّله الخَدَم. فقال محمد بْن عَبْدة: الخدم رجال. ولكن يُيَمّم. فتبسَّم أَحْمَد، وقَالَ: أصاب أصاب. ما أَجْوَدَ ما أجابه.

قلت: كان دَاوُد موصوفًا بالدّين والتّعبُّد مع هَذَا.

وقَالَ القاضي المَحَامِليّ: رَأَيْت دَاوُد بْن عليّ يصلّي، فَمَا رَأَيْت مسلمًا يشبهه فِي حُسن تواضعه.

وقد اخْتَلَفَ محمد بْن جرير مدّة إِلَى مجلس دَاوُد، وأخذ عَنْهُ.

وقَالَ أَحْمَد بْن كامل القاضي: أخبرني أبو عبد الله الورّاق أنّه كان يورّق على دَاوُد، فسمعته يُسأل عن القرآن، فقال: أمّا الَّذِي فِي اللّوح -[٣٣١]- المحفوظ فغير مخلوق، وأمّا الَّذِي هُوَ بين النّاس فمخلوق.

قلت: للعلماء قولان فِي دَاوُد هَلْ يُعْتَدُّ بخلافه أَمْ لا؟ فقال أبو إسحاق الإسفراييني: قال الجمهور: إنهم، يعني نفاة القياس، لا يبلغون رُتبة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدهم القضاء.

ونقل الأستاذ أبو مَنْصُورٌ الْبَغْدَادِيّ، عن أبي علي بن أبي هريرة، وطائفة من الشافعيين أنه لا اعتبار بخلاف داود، وسائر نفاة القياس فِي الفروع دون الأصول.

وقَالَ أبو المعاليّ الْجُوَينيّ: الَّذِي ذهب إليه أَهْل التحقيق أنّ مُنْكري القياس لا يُعَدُّون من علماء الأمة، ولا مِن حملة الشريعة، لأنّهم معاندون مباهتون فيما ثبت استفاضةً وتواتُرًا؛ لأنّ مُعظم الشريعة صادر عن الاجتهاد، ولا تفي النّصوص بعُشْر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوامّ.

قلت: قول أبي المعالي رحمه الله فِيهِ بعض ما فِيهِ، فإنّما قاله باجتهاد، ونَفْيهم للقياس أيضًا باجتهاد، فكيف يُرَدّ الاجتهاد بِمِثْلِهِ؟ نعم، وأيضًا فإذا لم يُعْتَدّ بخلافهم لزمنا أن نقول: إنهم قد خرقوا الإجماع، ومن خالف الإجماع يُكَفَّر وَيُقْتَل حدا لعناده، فَإِن قلتم: خالفوا الإجماع بتأويل سائغ، قُلْنَا: فهذا هُوَ المجتهد، فلا نقول يجوز تقليده، إنما يحكى قوله، مع أن مذهب القوم أنه لا يحلّ لأحدٍ أن يقلّدهم ولا أن يقلّد غيرهم، فلأن نحكي خلافهم ونعدُّه قولًا أهْوَن وأسلم من تكفيرهم.

ونحن نحكي قول ابنِ عَبَّاس فِي الصرف، والْمُتْعَة، وقول الكوفيين فِي النّبيذ، وقول جماعة من الصّحابة فِي ترك الغُسْلِ من

الجِماع بلا إنزال، ومع هَذَا فلا يجوز تقليدهم فِي ذلك.

فهؤلاء الظاهرية كذلك، نعتد بخلافهم، فإنْ لم نفعل صار ما تفرّدوا به خارقًا للإجماع، ومن خرق الإجماع المتيقَّن فقد مَرَقَ مِن المِلَّة. لكنّ الإجماع المتيقَّن هُوَ ما عُلِم بالضرورة من الدّين: كوُجُوب رمضان، والحجّ، وتحريم الزِّنا والسَّرِقة، والرِّبا، واللِّواط. والظاهرية فلهم مسائل شنيعة، لكنّها لا تبلغ ذلك، والله أعلم.

وقال الإمام أبو عمرو ابن الصلاح: الذي اختاره الأستاذ أبو منصور -[٣٣٢]- وذكر أنّه الصّحيح من المذهب إنّه يعتبر خلاف داود.

قال ابن الصلاح: وهذا هو الذي **استقر عليه** الأمر آخرا كما هُوَ الأغلب الأعرف من صَفْو الأئمّة المتأخرين الذين أوردوا مذهب دَاوُد فِي مصنّفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد، والماوَرْديّ، وأبي الطّيّب، فلولا اعتدادهم به لَمَا ذكروا مذهبه فِي مصنَّفاتهم.

قال: وأرى أن يُعتبر قوله إلّا فيما خالف فِيهِ القياس الجليّ، وما أجمع عليه القياسون من أنواعه، أو بناه على أصوله الّتي قام الدليل القاطع على بطلانها، فاتفاق من سواه إجماع منعقد، كقوله في التَّغَوُّط فِي الماء الرّاكد، وتلك المسائل الشنيعة، وقوله لا ربا إلا في الستة المنصوص عليها، فخلافه فِي هَذَا ونحوه غير مُعْتَدّ به، لأنه مبنيّ على ما يقطع ببطلانه، والله أعلم.

قال ابن كامل: توفي في رمضان سنة سبعين.". (١)

١٣١-"ترجمة بعض روائع الأدب العالمي، وكتب القصة بنوعيها القصيرة والطويلة، ثم كتب النقد الأدبي **واستقرَّ عليه** (٢).

من مؤلفاته:

- أنور المعداوي: عصره الأدبي وأسرار مأساته. - الرياض: دار المريخ. ١٤٠٨ هـ، ٣٩٩ ص.
- البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٣٩٧ هـ، ٢٧٩ ص.
- حرب أكتوبر في الأدب العربي الحديث. - القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٣ هـ، ١٦٦ ص.
- كلمات من جزر اللؤلؤ: دراسة في أدب البحرين الحديث. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨ هـ، ٢٨٠ ص.
- أدب البحر. - القاهرة: دار المعارف، ١٤٠١ هـ،

---

(٢) أعضاء اتحاد الكتاب العرب ص ٥٠٨ - ٥٠٩.". (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٣٢٧/٦

(٢) تكملة معجم المؤلفين ص/٧٠

١٣٢-"كان آخر من خرج من المدينة من الجيوش الأحد عشر جيش المهاجر بن أبي أمية وكان معه سرية من المهاجرين والأنصار، فمر على مكة فانضم إليه (خالد بن أسد) -أخو (عتّاب بن أسد أمير مكة- ومر على الطائف فلحقه عبدالرحمن بن أبي العاص، ومن معه، ولما التقى (بجرير بن عبدالله البجلي بنجران ضمه إليه، ضم عكاشة بن ثورالذي جمع بعض أهل تهامة، ثم دخل في جموعه (فروة بن مسيك المرادي) الذي كان في أطراف بلاد مذحج ومر على بني الحارث بن كعب بنجران فوجد عليهم مسروق العكي فضمه إليه(٢٤٢).

وفي نجران قسم جيشه الى فرقتين: فرقة تولت القضاء على فلول (الأسود العنسي) المتناثرة بين نجران وصنعاء، وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان عليها أخوه (عبدالله) وكانت مهمتها تطهير منطقة تهامة اليمن من بقية المرتدين(٢٤٣).

وحينما استقر المهاجر في صنعاء كتب الى أبي بكر بما قام به وبما **استقر عليه** وبقى ينتظر الرد منه، وفي الوقت نفسه كتب معاذ بن جبل وبقية عمال اليمن الذين كانوا على عهد رسول الله (-ماعدا زياد بن لبيد- الى أبي بكر يستأذنونه بالعودة الى المدينة، فجاءت كتب أبي بكر مطلقة حق الاختيار لمعاذ ومن معه من العمال بالبقاء أو العودة والاستخلاف على عمل كل من رجع، فرجعوا جميعاً(٢٤٤)، وأما المهاجر فقد تلقى الأمر بالتوجه لملاقاة عكرمة وأن يسيرا معاً الى حضرموت لمعاونة زياد بن لبيد، وإقراره على ماهو عليه وأمره أن يأذن لمن معه من الذين قاتلوا بين مكة واليمن في العودة إلا أن يؤثر قوم الجهاد(٢٤٥)." [١]

١٣٣-"وهذا مافعله الصديق في حروب الردة، وفتوحات الشام، وكثير من القضايا الفقهية والمستجدات التي تحدث في المجتمع المسلم، وقد طلب من القادة أن يتناصحوا ويتشاوروا(٣٢٨) وقد كان الصديق قدوة في ذلك، ففي حروب الردة دعا عمرو بن العاص وقال له ياعمرو إنك ذو رأي في قريش وقد تنبأ طليحة فما ترى واستشاره ثم سأله عن خالد بن الوليد عند اختياره لقيادة الجند فأجابه يسوس للحرب نصير للموت له أناة القطاة ووثوب الأسد فعقد له(٣٢٩)، وسار خالد بن الوليد لما كلف به وأخذ يستشير من معه لإعداد الخطة لمحاربة المرتدين ويخبر القيادة العليا بما **استقر عليه** رأي الجند(٣٣٠)، وحين أراد أبو بكر (أن يغزو الروم ويعد الجيوش لفتح بلاد الشام شاور في ذلك جماعة من أصحاب رسول الله وبعد أن أخذ رأيهم وما أجمعوا عليه أمر الجند بالتجهيز للتوجه لما أمروا به(٣٣١)، وكان مما أوصى به الصديق (أمراء وقادة جند الشام بأن يعملوا بالمشورة، فمن ذلك ماقاله ليزيد بن أبي سفيان: هذا ربيعة بن عامر(٣٣٢) من ذوي العلاء والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته إليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في أمرك ولاتخالفه(٣٣٣)، قال يزيد حباً وكرامة، وأضاف أبو بكر (قائلاً: إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولاتغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الأمر واستعمل العدل(٣٣٤) كما قال ليزيد: وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة، ولاتكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك(٣٣٥)، إلى غير ذلك مما قاله ليزيد بن أبي سفيان حول مبدأ الشورى

---

(١) أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره ٥٥/٤

والإلتزام بها وقد أوصى أمراء جند الشام بما لايخرج عن ذلك(٣٣٦)، وامتثل قادة الصديق بما أمروا به من إجراء المشورة فيما بينهم فقد قال أبو عبيدة بن الجراح لعمرو بن العاص: ياعمرو لرب يوم لك قد شهدته فبورك فيه للمسلمين برأيك ومحضرك وإنما أنا رجل منكم ولست وإن كنت الوالي عليكم بقاطع أمراً دونكم فاحضرني رأيك في كل يوم بما ترى فإنه". (١)

١٣٤-"ومن مأثور قوله: لا خير في أمر أبرم من غير شورى(٤٠٨) ، وقوله الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض(٤٠٩) ،وقوله: ((شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل)) (٤١٠) ، وقوله: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي ورجل حائر بائر، لا يأتمر رشداً ولا يقطع مرشداً(٤١١)، وقوله: يحق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم(٤١٢)، وكان يحث قادة حربه على الشورى، فعندما بعث أبا عبيد الثقفي لمحاربة الفرس بالعراق قال له: أسمع وأطع من أصحاب النبي وأشركهم في الأمر وخاصة من كان منهم من أهل بدر(٤١٣)، وكان يكتب إلى قادته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا في أمورهم العسكرية عمرو بن معديكرب وطلحة الأسدي قائلاً: استشيروا واستعينوا في حربكم بطلحة الأسدي وعمرو بن معديكرب ولا تولهما من الأمر شيئاً فإن كل صانع أعلم بضاعته(٤١٤)، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: وليكن عندك من العرب أول من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عيناً لك(٤١٥)، ومما قاله عمر رضي الله عنه لعتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: قد كتبت إلى العلاء الحضرمي(٤١٦)، أن يمدك بعرفجة بن هرثمة(٤١٧)، وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدته فإذا قدم عليك فاستشره وقربه(٤١٨)، وكان مسلك الفاروق في الشورى جميلاً: فإنه كان يستشير العامة أول أمره فيسمع منهم، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله وأصحاب الرأي منهم ثم يفضي إليهم بالأمر ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأي محمود، فما **استقر عليه** رأيهم أمضاه: وعمله هذا يشبه الأنظمة". (٢)

١٣٥-"يصلحها إلا الرجل المكيث(١٢٧٠)، الذي يعرف الفرصة، ولا يمنعني أن أُؤَمّر سليطاً إلاّ سرعته إلى الحرب، والسرعة إلى الحرب إلاّ عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمَّرته(١٢٧١)، ثم قال: إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجَبْرية، تقدم على قوم تجرّؤوا على الشر فَعَلِموه، وتناسو الخير فجهلوه: فانظر كيف تكون؟ واحرز لسانك، ولا تفشين سرّك، فإن صاحب السرّ ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكره، وإذا لم يضبطه كان بمضيعة(١٢٧٢) ثم أمر المثنى بن حارثة أن يتقدم إلى أن يلحقه الجيش وأمره أن يستنفر(١٢٧٣)، من حسنت توبته من المرتدين، فسار مسرعاً

---

(١) أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره ١٠٢/٥

(٢) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ١١٨/١

حتى وصل الحيرة، وكان عمر رضي الله عنه يتابع جبهات العراق والفرس والشام ويمد الجيوش بالإمدادات ويرسل لهم التعليمات، والأوامر، ويضع الخطط للمعارك ويشرف بنفسه على تنفيذها.

سار المسلمون إلى أرض العراق وهم سبعة آلاف رجل، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة، وأرسل عمر، جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة، فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها أزرميدخت وفوضت بوارن أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرّخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك. وكان رستم هذا منجماً يعرف النجوم وعِلْمها جيداً فقيل له ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال: الطمع وحب الشرف(١٢٧٤).

ثانياً: وقعة النمارق، ومعركة السقاطية بكسكر ومعركة باروسما:

١- وقعة النمارق ١٣هـ :". [(١)]

١٣٦-"٨- من أسباب النصر المعنوية في رأي عمر رضي الله عنه:

كتب عمر رضي الله عنه إلى سعد يذكره بأسباب النصر المعنوية وهي التي تأتي في المقام الأول، وقد جاء في كتابه: أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثهما والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والأجر قدر الحسبة، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية، وأكثروا من قول ((لا حول ولا قوة إلا بالله)) واكتب إليَّ أين بلغ جمعكم، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم؟ فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها، واجعلني من أمركم على الجيلة وخف الله وارجه، ولا تُدِل بشيء، واعلم أن الله قد وعدكم، وتوكل لهذا الأمر بما لا تُخلف له، فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم(١٣٨٤)، ففي هذا الكتاب يوصي عمر رضي الله عنه بتعاهد القلوب، فإن القلب هو المحرك لجميع أعضاء الجسم والحاكم عليها فإذا صلح صلح الجسم كله، ثم يوصيه بموعظة جنده وتذكيرهم بالإخلاص لله تعالى واحتساب الأجر عنده، ويبين أن نصر الله مترتب على ذلك، ويحذره من التفريط في المسؤولية التي تحملها وما يستقبله من الفتوح، ويذكرهم بوجوب ارتباطهم بالله تعالى وأن قوتهم من قوته ويوصي قائد المسلمين بأن يكون بين مقام الخوف من الله تعالى والرجاء لما عنده، وهو مقام عظيم من مقامات التوحيد وينهاه عن الإدلال على الله بشيء من العمل أو ثناء الناس ويذكره بما سبق من وعد الله تعالى بانتصار الإسلام وزوال ممالك الكفر، ويحذره من التهاون في تحقيق شيء من أسباب النصر، فيتخلف النصر عنهم ليتم على يد غيرهم ممن يختارهم الله تعالى(١٣٨٥).

---

(١) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٣٢٩/١

٩- سعد رضي الله عنه يصف موقع القادسية لعمر رضي الله عنه ورد عمر عليه:". (١)

١٣٧-"النذارة خاصة، وأما استفاده الأحكام فلا٤٣٢. وعليه فلا عصمة فيما يراه النائم، بل لا بد من عرضه على الشرع فإن وافقه فالحكم بما استقر، لأن الأحكام ليست موقوفة على ما يرى من المنامات، وإن خالف رد مهما كان حال الرائي أو المرئي، ويحكم على تلك الرؤيا بأنها حلم من الشيطان وأنها كاذبة وأضغاث أحلام٤٣٣. ولكن يبقى أن يقال: ما فائدة الرؤيا الموافقة للشريعة، إذا كان الحكم بما **استقر عليه** الشرع٤٣٤؟. فائدتها التنبيه والبشرى كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة٤٣٥، فإن الرجل الصالح قد يرى في النوم ما يؤنسه أو يزعجه فيكون ذلك دافعاً له إلى فعل مطلوب أن ترك محظور٤٣٦.

سادساً : أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتل الحسين رضي الله عنه:

...عن أم سلمة قالت: كان جبريل عند النبي صلى اله عليه وسلم والحسين معي فبكى الحسين فتركته فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فدنى من النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: أتحبه يا محمد؟ فقال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها كربلاء٤٣٧، وقد وقع الأمر كذلك بعد مضي سنين طويلة، وهذه معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وأنه رسول الله حقاً وصدقاً، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عن طريق الوحي٤٣٨.

سابعاً : انتقام الله من قتلة الحسين رضي الله عنه:". (٢)

١٣٨-"ذكر المؤرخون أسباب هذه الغزوة فقالوا: وصلت الأنباء للنبي صلى الله عليه وسلم من الأنباط الذين يأتون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعا وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من مستنصرة العرب، وجاءت في مقدمتهم إلى البلقاء(١) فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزوهم قبل أن يغزوه(٢).

ويرى ابن كثير أن سبب الغزوة هو استجابة طبيعية لفريضة الجهاد؛ ولذلك عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: ١٢٣].

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب للصواب، إضافة إلى أن الأمر الذي **استقر عليه** حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة بمن فيهم أهل الكتاب، الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير(٣).

ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم أن يكون هذا حافزًا للخروج إليهم، لأن أصل الخروج كان واردًا.

---

(١) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٣٦٧/١

(٢) استشهاد الحسين ـ رضي الله عنه ـ بين الحقائق والأوهام ص/٩٣

(١) البلقاء: هي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى عاصمتها عمان.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٥/٢).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٣/٥).". (١)

١٣٩-"﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب إلى الربعة عظيم الهامة بالتخفيف رجل الشعر كأنه مشط فليس بسبط ولا جعد قال القرطبي والرواية في رجل بفتح الراء وكسر الجيم وهي المشهورة وقال الأصمعي يقال شعر رجل بفتح فكسر ورجل بفتح الجيم ورجل بسكونها ثلاث لغات إذا كان بين السبوطة والجعودة وقال غيره شعرمرجل أي مسرح وكان شعره بأصل خلقته مسرحا إن انفرقت عقيقته أي إن انقلبت عقيقته أي شعر رأسه انفرق بسهولة لخفة شعره حينئذ فرق بالتخفيف أي جعل شعره نصفين نصفا عن يمينه ونصفا عن شماله سمى عقيقة تشبيها بشعر المولود قبل أن يحلق فاستعير له اسمه وإلا بأن كان مختلطا متلاصقا لا يقبل الفرق بدون ترجل فلا يفرقه بل يتركه بحاله معقوصا أي وفرة واحدة والحاصل أنه إن كان زمن قبول الفرق فرقه وإلا تركه غير مفروق وهذا أفضل من قول جمع معناه أنه إن انفرق بنفسه تركه مفروقا لعدم ملاءمته لقوله وإلا فلا لمصير معناه وإلا فلا يتركه مفروقا وهو ركيك وهذا بناء على جعل قوله وإلا فلا كلاما تاما وجعل بعضهم قوله فلا يجاوز شحمة أذنيه إذا هو وفره كلاما واحدا وفسره تارة بأنه لا يجوز شحمة أذنيه إذا أعفاه من الفرق وقوله إذا هو وفره بيان لقوله وإلا وأخرى بأنه إذا انفرق لا يجوز شحمة أذنيه في وقت توفير الشعر قال وبه يحصل الجمع بين الروايات المختلفة في كون شعره وفرة وكونه جمة فيقال يختلف باختلاف أزمنة الفرق وعدمه واعلم أن المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كان أولا لا يفرق تجنبا لفعل المشركين وموافقة لأهل الكتاب ثم فرق **واستقر عليه** أزهر اللون أبيضه نيره وهو أحسن الألوان فالمراد أبيض اللون ليس بأمهق ولا آدم وحينئذ فاللون مستدرك واسع الجبين يعني الجبينين وهما ما اكتنف الجبهة عن يمين وشمال والمراد بسعتهما امتدادهما طولا وعرضا وذلك محمود محبوب أزج الحواجب أي مرققهما مع تقوس وغزارة شعر جمع حاجب وهو ما فوق العين بلحمه وشعره أو هو الشعر". (٢)

١٤٠-"شر الخلق ورزقه من حيث لا يحتسب وكان الله بكل خير إليه أسرع ابن أبي الدنيا أبو بكر في كتاب الفرج بعد الشدة من طريق الخليل بن مرة بضم الميم وشد الراء نقيض حلوة الضبعي بضم المعجمة وفتح الموحدة البصري نزيل الرقة ضعيف عن فقيه أهل الأردن بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملتين وتشديد النون من بلاد الغور من ساحل الشام وطبرية من الأردن بلاغا أي أنه قال بلغنا عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

١١٢ (كان إذا أصبح وإذا أمسى يدعو بهذه الدعوات اللهم إني أسألك من فجأة الخير وأعوذ بك من فجأة الشر فإن

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١٥٤/٤

(٢) الشمائل الشريفة ص/٢٢

العبد لا يدري ما يفجؤه إذا أصبح وإذا أمسى) ع وابن السني عن أنس ح
كان إذا أصبح وإذا أمسى أي دخل في الصباح والمساء يدعو بهذه الدعوات اللهم إني أسألك من فجاءة الخير بالضم والمد وفي لغة وزان تمرة أي عاجله الآتي بغتة وأعوذ بك من فجاءة الشر فإن العبد لا يدري ما يفجؤه إذ أصبح وإذا أمسى قال ابن القيم من جرب هذا الدعاء عرف قدر فضله وظهر له جموم نفعه وهو يمنع وصول أثر العائن ويدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان العبد القائل لها وقوة نفسه واستعداده وقوة توكله وثبات قلبه فإنه سلاح والسلاح بضاربه ع وابن السني في الطب عن أنس ابن مالك ورمز المصنف لحسنه
١١٣ (كان إذا أصبح وإذا أمسى قال أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين) حم طب عن عبد الرحمن بن أبزي ح كان إذا أصبح وإذا أمسى قال أصبحنا على فطرة الإسلام بكسر الفاء أي دينه الحق وقد ترد الفطرة بمعنى السنة وكلمة الإخلاص وهي كلمة الشهادة ودين نبينا محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الظاهر أنه قاله تعليما لغيره ويحتمل أنه جرد من نفسه نفسا يخاطبها قال ابن عبد السلام في أماليه وعلي له في مثل هذا
تدل على الأستقرار والتمكن من ذلك المعنى لأن الجسم إذا علا شيئا تمكن منه **واستقر عليه** ومنه أولئك على هدى من ربهم
". (١)

١٤١-"الرسول قد يحزن على فقد ولده

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) [يوسف/١١-١٣]
وَبَعْدَ أَنِ اتَّفَقُوا عَلَى الخُطَّةِ ، جَاؤُوا إلى أبِيهِمْ يَعْقُوبَ ، عَلَيهِ السَّلاَمُ ، يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيهِمْ بِأَخِيهِمْ يُوسفُ ، لِيُنَفِّذُوا فِيهِ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيهِ** رَأْيُهُمْ مِنْ إِلْقَائِهِ فِي البِئْرِ ، وَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالنُّصْحِ وَالمَحَبَّةِ لأَخِيهِمْ يُوسُفَ . وَقَالُوا لأَبِيهِمْ : لِمَاذَا لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَنَحْنُ لَهُ نَاصِحُونَ؟ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً إِلَى البَرِّيَّةِ لِيَسْتَمْتِعَ بِرِفْقَتِنَا وَيَلْعَبَ ، وَإِنَّنَا نَتَكَفَّلُ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ . قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ : إِنَّهُ لَيَشُقُّ عَلَيْهِ مُفَارَقَةُ يُوسُفَ مُدَّةَ ذَهَابِهِمْ بِهِ لِلرَّعْي لِفَرْطِ تَعَلُّقِهِ بِهِ ، وَلِمَا يَتَوَسَّمُهُ فِيهِ مِنَ الخَيْرِ العَظِيمِ ، ثُمَّ إِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَنْشَغِلُوا عَنْهُ فَيَأتِيَهُ الذِئْبُ وَيَأْكُلَهُ ، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ .

وقال تعالى :﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(١) الشمائل الشريفة ص/٨٣

(٨٦) [يوسف/٨٤-٨٦]

وَأَعْرَضَ يَعْقُوبُ عَنْ بَنِيهِ ، وَقَالَ مُتَذَكِّراً حُزْنَهُ القَدِيمَ عَلَى يُوسُفَ : (يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ) ، وَجَدَّدَ لَهُ حُزْنَهُ الجَدِيدُ عَلَى ابْنِهِ الأَصْغَرِ ، حُزْنَهُ الدَّفِينَ عَلَى يُوسُفَ ، وَعَمِيَتْ عَيْنَاهُ ، وَأَصَابَتْهُمَا غِشَاوَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ كَثْرَةِ البُكَاءِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَكْظُمُ غَيْظَهُ عَلَى بَنِيهِ ، وَيَحْمِلُ مَصَابَهُ وَهُوَ صَامِتٌ لاَ يَشْكُو إِلَى مَخْلُوقٍ مَا يُعَانِيهِ .

وَقَالَ لَهُ أَبْنَاؤُهُ : إِنَّكَ لاَ تُفَارِقُ ذِكْرَ يُوسُفَ ، وَإِنَّنَا لَنَخَافُ عَلَيْكَ ، إِن اسْتَمَرَّتْ بِكَ هذِهِ الحَالُ ، أَنْ يَحِلَّ بِكَ الهَلاَكُ وَالتَّلَفُ ، وَأَنْ تَتَدَهْوَرَ صِحَّتُكَ وَتَضْعَفَ قِوَاكَ

فَأَجَابَهُمْ أَبُوهُمْ عَمَّا قَالُوهُ لَهُ : إِنَّهُ لاَ يَشْكُو إِلَيْهِمْ أَمْرَهُ وَحُزْنَهُ ، وَإِنَّمَا يَشْكُو ذَلِكَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ ، وَإِنَّهُ يَرْجُو مِنْهُ وَحْدَهُ الخَيْرَ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنَ اللهِ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ ، وَأَنَّهَا لاَ بُدَّ لَهَا مِنْ أَنْ تَتَحَقَّقَ ، وَأَنَّهُ وَأَبْنَاءَهُ سَيَسْجُدُونَ لَهُ تَعْظِيماً لأَمْرِهِ ، وَأَنَّ الأَوْلاَدَ لاَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَلاَ يُدْرِكُونَهُ .

__". (١)

١٤٢-"وبهذه الأمثلة، ومثلها كثير، تظهر لنا ميزة " جوامع السيرة " ، وبم تنفرد عن غيرها من السير، وبم يتميز ابن حزم المؤرخ في طريقته التاريخية.

فهذه الدقة البالغة في تحليل النص المنقول، واختيار الرواية الصائبة بعد الفحص والنظر والمقارنة، وتصحيح الأوهام التي تنجم عن سرعة أو قلة تدقيق... هذه هي المميزات التي لا يستطيع أحد أن ينكرها على ابن حزم المؤرخ.

وهي مميزات لا يستكثر معها تلك اللهجة التقريرية القاطعة التي تغلب على كتابته، ولا يستنكر إزاءها قوله دائماً، " لا شك " و " لا بد " . فإن الثقة القائمة على التحري المخلص، والنقل الثابت قطعاً، هي وحدها التي تملى على ابن حزم هذه الألفاظ القوية الحاسمة.

ولقد عرف أبو محمد بين معاصريه بالضبط الدقيق في تقييد التواريخ، حتى إن تلميذه الحميدي لا يفتأ يقول كلما وجد رواية أستاذه تخالف رواية غيره: " وأبو محمد أعلم بالتواريخ " ، أو كلاماً بهذا المعنى (١) .

ولذلك جاءت هذه السيرة تحمل رأياً قاطعاً لا تردد فيه، في تأريخ الأحداث لا لأن ابن حزم مؤرخ شديد الدقة والضبط فحسب، (بل لأنه ذو رأي مستقل في طريقه التأريخ الهجري. فهو يعتبر شهر ربيع الأول وهو الشهر الذي هاجر فيه الرسول إلى المدينة أول السنة الهجرية، محرراً بذلك تأريخ وقائع السيرة، ينسبها إلى الوقت الذي وقعت فيه الهجرة فعلاً. لا يقصد بذلك مخالفة التاريخ الهجري الذي **استقر عليه** المسلمون جميعاً، منذ عهد عمر إلى الآن، وإلى ما شاء الله، وهو اعتبار شهر المحرم بدء السنة الهجرية.) فصنيعه هذا من الناحية التأريخية الصرفة أدق في التوقيت وأقرب إلى الواقع التاريخي.

وخاصةً حين أصبح المؤرخون يقولون: إن هذه الحادثة أو تلك حدثت في السنة الثانية أو الثالثة، وانصرفوا عن مثل قول الواقدي إنها حدثت مثلاً – على رأس خمسة عشر أو ستة عشر شهراً من مقدم الرسول إلى المدينة، وواضح أن بين التعبيرين

---

(١) النبوة والأنبياء في القرآن والسنة ص/٩٩

(١) انظر مثلاً ص: ٢٧٥ من جذوة المقتبس.". [١]

١٤٣-"إبن زبالة ويحيى في بيان حدّه من المشرق والمغرب ما لفظه وقال جمهور الناس من أهل العلم وغيرهم هو الفرضتين اللتين في الاسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتي في القبر وقد ألخص لنا من كلامه في مواضع إن مربعة القبر هي اللاصقة بجدار الحجرة الشريفة عندها مقام جبريل كما سيأتي وكانت ركن رحبة المسجد في المشرق عند نهاية السقف القبلي قبل زيادة الرواقين الآتي ذكرهما في مؤخره وإن المربعة الغربية هي التي كانت ركن رحبة المسجد في المغرب مقابلة لمربعة القبر كما يصرح به ما ذكروه في بيان الحاجز الذي عمل لمنع ماء المطر من الرحبة أن يغشى المسقف القبلي والمربعة الغربية اليوم مثمنة كما ثمنوا ما ظهر من مربعة القبر بالرخام وما يلي الحجرة منها في الحائز باق على تربيعه فالاسطوانة التي دون المربعة الغربية هي الخامسة من الأساطين التي في غربي المنبر لأن السادسة من المنبر في محاذاة صف المربعة المذكورة فالخامسة من القبر هي المشار إليها بالتحديد كما سيأتي إيضاحه والأسطوانة التي دون مربعة القبر هي اللاصقة اليوم بالشباك الدائر على الحجرة وهي بين أسطوان الوفود ومربعة القبر وهي الخامسة من الأساطين التي في شرق المنبر فجدار الحجرة الأوّل كان فيما بين مربعة القبر والتي في عربيها ولذا قال أبن زبالة عقب ما سبق وكان مالك بن أنس رحمه الله يقول الجدار من المشرق في حدّ القناديل التي بين الأساطين التي في صفها أسطوانة التوبة وبين الأساطين التي تلي القبر وأروقة عمر بن عبد العزيز من ورائها في الأسطوانة التي تلي القبر انتهى يوضحه ما نقله المرجاني عن الحرث المحاسبي لأنه ذكر في تحديد المسجد ستة أساطين شرقي المنبر وإن الجدار إلى القناديل ثم قال والروضة ما بين القبر والمنبر فما كان منها في الأسطوانة السادسة التي جددت هنالك عن يمين المنبر فليس من المسجد الأوّل إنما كان من حجرة عائشة رضي الله عنها فوسع به المسجد وهو من الروضة انتهى فيؤخذ منه إن الجدار كان في محاذاة القناديل الآخذة من القبلة إلى الشام في الرواق الذي بين مربعة القبر وبين الأسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم فعمر بن عبد العزيز هو الذي أخره إلى الأسطوانة اللاصقة بالقبر وقد أسند أبن زبالة أيضا عن غير واحد من أهل العلم إن مسجده صلى الله عليه وسلم كان ثلاث أساطين عن يمين المنبر من الشق الأخرى الشرقي إلى أسطوانة التوبة أي فأسطوانة التوبة وهي الرابعة من المنبر في المشرق كانت موضع الجدار فتكون الأساطين كانت ثلاثة في المشرق أيضا ويكون جدار المغرب كان في موضع الأسطوانة الرابعة من المنبر في المغرب وقد صرح في موضع آخر بأنه كان ثلاث أساطين مما يلي المشرق وثلاث أساطين مما يلي المغرب وهذا كله في البناء الأوّل لأنه ذكر عقبه علامات المسجد الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه من مكة ثم قال وعلامة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بناه مصدمة من خيبر قالوا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد من القبلة في تلك البنية على حدة الأوّل وزاد فيه من ناحية المشرق إلى الأسطوانة التي دون المربعة التي عند القبر وعلامة تلك الأسطوانة أنّ لها نجافا طالعا في الرحبة من بين الأساطين ومن المغرب إلى الأسطوانة التي تلي المربعة أي لكونها دون المربعة المذكورة في المغرب التي لها نجاف

(١) جوامع السيرة ص/٦

أيضا من بين الأساطين وشهر ذلك بحجارة تحت الحصباء منها أزقة عند الأسطوانة التي بين أسطوانة التوبة وبين القبر في صف الأساطين التي لها نجاف ومن المغرب مثل ذلك بأزقة من حجارة في الأرض اه ولم أفهم معنى قوله أزقة وقد صرح في موضع آخر ببنيان ما **استقرّ عليه** الأمر في المسجد النبوي فقال إنه عن شرقي المنبر أربع أساطين وعن غربيه أربع أساطين اه فتلخص إن جداره كان في موضع الأسطوانة الخامسة من الجهتين كما قدمناه إلا أنه يزيد على الأسطوانة الخامسة في المشرق شيئاً مما بينها وبين الأساطين اللاصقة بجدار القبر على ما سبق عن مالك وغيره في كونه كان في موازاة القناديل هناك قلت ويؤيد ذلك إنه قد ظهر عند تأسيس دعائم القبة الآتي ذكرها درج عند باب مقصورة الحجرة الشامي في موازاة الحدّ المذكور يقابل الباب المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام فالظاهر أنه كان هناك قبل نقله إلى محله اليوم وبهذا كله يظهر". (١)

١٤٤-"ردّ ما عليه المتأخرون في حدود المسجد النبوي وغلط من توهم منهم أنّ عمر بن عبد العزيز بنى حائزة على الحجرة من جهة المغرب في طرف الروضة الشريفة من المسجد وأنقصها به لأجل المصلحة فلم يبنه إلا في أرض الحجرة والظاهر أنّ الجدار الداخل الذي عليه الحائز هو جدار الصفة وقد ذرعت من جدار الحائز المذكور إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر في المغرب فكان نحو مائة ذراع إنما ينقص عنها نحو أربع أذرع أو خمس وقد كان في جدار القبلة تجاه الأسطوانة الخامسة من غربي المنبر التي كان أسفلها مربعا طراز آخذ من سقف المسجد إلى العصابة السفلى الظاهرية ذهب في حريق زماننا وبقى موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين لم تذهب إلا عند هدم الجدار فقد كان علامة لما يحاذي نهاية المسجد النبوي من هذه الجهة خلاف ما زعمه المطري من إنه علامة لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه وهو مردود بلا شك لما سيأتي من أن عمر رضي الله عنه زاد من جهة المغرب دون المشرق وأنه جعل عرض المسجد مائة وعشرين ذراعا فيكون زاد على المسجد الأصلي عشرين ذراعا في هذه الجهة وهي أسطوانتان كما يعلم مما ذكر في ذرع ما بين كل أسطوانتين ولما سيأتي من أن عثمان رضي الله عنه زاد بعده في المغرب أسطوانة فقط وأن الوليد زاد بعده أسطوانتين وعليه استقر أمر الزيادة في المغرب ولا شك إن من الأسطوانة الخامسة المحاذية للطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربي اليوم خمس أساطين فقط فثلاث منها لعمر وعثمان رضي الله عنه وثنتان للوليد فلو كان الطراز لمذكور نهاية زيادة عثمان رضي الله عنه لكان بعده أسطوانتان للوليد فتبقى ثلاث أساطين زيدت بعد الوليد ولا قائل به إنما أوقع المطري في ذلك اعتماده لأن نهاية المسجد النبوي في المغرب الأسطوانة التي بعد المنبر وهو عجيب لأنه جازم بأن موضع المنبر لم يغير باتفاق فكيف يجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم منبره الذي يقف عليه لمخاطبة أصحابه في طرف مسجده ر يتوسطهم وإنما الصواب ما قدمناه وإنما أطلنا في ذلك لدفع ما تقدّم من التوهم ولما تصح ما أسلفناه للمقر الشجاعي شاهين الجمالي ناظر الحرم النبوي اتخذ لأعالي الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التي في قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف بدلا عن الطراز الذي كان تجاهها في جدار القبلة ونقش فيه ما حاصله إن ذلك هو الذي **استقر عليه** الأمر في نهاية المسجد النبوي وحدّه وفقنا الله وإياه

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ص/١٠٤

لحفظ الحدود وألحقنا بالمقرّبين الشهود ويتفرع على ذلك ما قيل في اختصاص المضاعفة بالمسجد النبوي دون ما زيد فيه وقد حققنا المسألة في الأصل فراجعهليه المتأخرون في حدود المسجد النبوي وغلط من توهم منهم أنّ عمر بن عبد العزيز بنى حائزة على الحجرة من جهة المغرب في طرف الروضة الشريفة من المسجد وأنقصها به لأجل المصلحة فلم يبنه إلا في أرض الحجرة والظاهر أنّ الجدار الداخل الذي عليه الحائز هو جدار الصفة وقد ذرعت من جدار الحائز المذكور إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر في المغرب فكان نحو مائة ذراع إنما ينقص عنها نحو أربع أذرع أو خمس وقد كان في جدار القبلة تجاه الأسطوانة الخامسة من غربي المنبر التي كان أسفلها مربعا طراز آخذ من سقف المسجد إلى العصابة السفلى الظاهرية ذهب في حريق زماننا وبقى موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين لم تذهب إلا عند هدم الجدار فقد كان علامة لما يحاذي نهاية المسجد النبوي من هذه الجهة خلاف ما زعمه المطري من إنه علامة لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه وهو مردود بلا شك لما سيأتي من أن عمر رضي الله عنه زاد من جهة المغرب دون المشرق وأنه جعل عرض المسجد مائة وعشرين ذراعا فيكون زاد على المسجد الأصلي عشرين ذراعا في هذه الجهة وهي أسطوانتان كما يعلم مما ذكر في ذرع ما بين كل أسطوانتين ولما سيأتي من أن عثمان رضي الله عنه زاد بعده في المغرب أسطوانة فقط وأن الوليد زاد بعده أسطوانتين وعليه استقر أمر الزيادة في المغرب ولا شك إن من الأسطوانة الخامسة المحاذية للطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربي اليوم خمس أساطين فقط فثلاث منها لعمر وعثمان رضي الله عنه وثنتان للوليد فلو كان الطراز لمذكور نهاية زيادة عثمان رضي الله عنه لكان بعده أسطوانتان للوليد فتبقى ثلاث أساطين زيدت بعد الوليد ولا قائل به إنما أوقع المطري في ذلك اعتماده لأن نهاية المسجد النبوي في المغرب الأسطوانة التي بعد المنبر وهو عجيب لأنه جازم بأن موضع المنبر لم يغير باتفاق فكيف يجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم منبره الذي يقف عليه لمخاطبة أصحابه في طرف مسجده ر يتوسطهم وإنما الصواب ما قدمناه وإنما أطلنا في ذلك لدفع ما تقدّم من التوهم ولما تصح ما أسلفناه للمقر الشجاعي شاهين الجمالي ناظر الحرم النبوي اتخذ لأعالي الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التي في قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف بدلا عن الطراز الذي كان تجاهها في جدار القبلة ونقش فيه ما حاصله إن ذلك هو الذي **استقر عليه** الأمر في نهاية المسجد النبوي وحدّه وفقنا الله وإياه لحفظ الحدود وألحقنا بالمقرّبين الشهود ويتفرع على ذلك ما قيل في اختصاص المضاعفة بالمسجد النبوي دون ما زيد فيه وقد حققنا المسألة في الأصل فراجعه". (١)

١٤٥-"التاء الفوقية من أعلى هلالها لكن لما هدمت المنارة المقابلة لها في المشرق المعروفة بالرسيسة بسبب الحريق الحادث في زماننا أعيدت أعني الرسيسة أطول من هذه إذ طولها يزيد على المائة بعد أن كان ينقص عن الثمانين ثم ظهر في المنارة الرسيسة ميل للتساهل في المبالغة لتأسيسها ومؤنها فأعيدت بعد أن بلغ بأساسها الماء وزيد في طولها ثانيا مع الأحكام التام حتى صار طولها أزيد من مائة وعشرين ذراعا على يد الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدام بالحرم الشريف وشاد عمائره بأمر الإشراف قايتباي وذلك في عام أثنين وتسعين وثمانمائة وطول الشرقية الشامية المعروفة بالسنجارية ثمانون

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ص/١٠٥

إلا ذراعا وطول الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين كل ذلك من الهلال إلى الأرض خارج المسجد وهذا السياق ظاهر في أن الوليد أوّل من أتخذ المنارات ولأبي داود والبيهقيّ إن امرأة من بني النجار قالت كان بيتي من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر الحديث ولأبن زبالة حدثني محمد بن إسماعيل وغيره قال كان في دار عبد الله بن عمر أسطوانة في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب والأسطوانة مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار وهي في منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر وله عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبد العزيز استأجر حرسا للمسجد لا تحترق فيه وعن كثير بن زيد قال نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلي على الجنائز فيه وعن عثمان بن أبي الوليد إن عروة قال له تضربون الناس في الصلاة في المسجد على الجنائز قال قلت نعم قال إما إن أبا بكر قد صلى عليه في المسجد وليحيي ما يقتضي أن ذلك كان قبل زمن الوليد فإنه روى عن المقيري إنه رأى حرس مروان أبن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعوهم أن يصلوا على الجنائز وقد تلخص مما رواه أبن شبة أن الذي استقر عليه الأمر أنهم كانوا يحملون موتاهم حتى يصلي عليها النبي صلى الله عليه وسلم عند بيته في موضع الجنائز وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنه أنها أمرت أن يمرّ بجنازة أبن أبي وقاص في المسجد فيصلي عليه فأنكر الناس ذلك عليها فقالت ما أسرع ما نسى الناس ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهل بن بيضاء إلا في المسجد وفي رواية والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبني بيضاء في المسجد سهل وأخيه ويفهم منه أنه كان نادرا وليحيي بسند جيد عن أبن عمر رضي الله عنه إنه صلى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد وفي رواية له إن عمر بن الخطاب صلى على أبي بكر في المسجد وأن صهيبا صلى على عمر بن الخطاب في المسجد عند المنبر ولأبن شبة إن الجنازة وضعت تجاه المنبر وذكر أبن النجار ما سبق عن حرس عمر بن عبد العزيز ثم قال إن هذه السنة في الجنائز باقية إلى يومنا إلا في حق العلو بين ومن أراد الأمراء من الأعيان وغيرهم والباقون يصلي عليهم خلف الحائط الشرقي أي من المسجد أي موضع الجنائز وفي زماننا يصلي على الجنائز بالمسجد ويخص الأعيان بالروضة إلا ما كان من جنائز الشيعة غير الأشراف فأنهم منعوا من إدخال جنائزهم إلى المسجد في دولة جقمق وذكرنا في الأصل كلاما حسنا في كيفية وضع الجنازة بين القبر والمنبر فراجعه.وقية من أعلى هلالها لكن لما هدمت المنارة المقابلة لها في المشرق المعروفة بالرسيسة بسبب الحريق الحادث في زماننا أعيدت أعني الرسيسة أطول من هذه إذ طولها يزيد على المائة بعد أن كان ينقص عن الثمانين ثم ظهر في المنارة الرسيسة ميل للتساهل في المبالغة لتأسيسها ومؤنها فأعيدت بعد أن بلغ بأساسها الماء وزيد في طولها ثانيا مع الأحكام التام حتى صار طولها أزيد من مائة وعشرين ذراعا على يد الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدام بالحرم الشريف وشاد عمائره بأمر الإشراف قايتباي وذلك في عام أثنين وتسعين وثمانمائة وطول الشرقية الشامية المعروفة بالسنجارية ثمانون إلا ذراعا وطول الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين كل ذلك من الهلال إلى الأرض خارج المسجد وهذا السياق ظاهر في أن الوليد أوّل من أتخذ المنارات ولأبي داود والبيهقيّ إن امرأة من بني النجار قالت كان بيتي من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر الحديث ولأبن زبالة حدثني محمد بن إسماعيل وغيره قال كان في دار عبد الله بن عمر أسطوانة في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب والأسطوانة مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها

المطمار وهي في منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر وله عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبد العزيز استأجر حرسا للمسجد لا تحترق فيه وعن كثير بن زيد قال نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلي على الجنائز فيه وعن عثمان بن أبي الوليد إن عروة قال له تضربون الناس في الصلاة في المسجد على الجنائز قال قلت نعم قال إما إن أبا بكر قد صلى عليه في المسجد وليحيى ما يقتضي أن ذلك كان قبل زمن الوليد فإنه روى عن المقيري إنه رأى حرس مروان أبن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أن يصلوا على الجنائز وقد تلخص مما رواه أبن شبة أن الذي **استقر عليه** الأمر أنهم كانوا يحملون موتاهم حتى يصلي عليها النبي صلى الله عليه وسلم عند بيته في موضع الجنائز وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنه أنها أمرت أن يمرّ بجنازة أبن أبي وقاص في المسجد فيصلي عليه فأنكر الناس ذلك عليها فقالت ما أسرع ما نسى الناس ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهل بن بيضاء إلا في المسجد وفي رواية والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبني بيضاء في المسجد سهل وأخيه ويفهم منه أنه كان نادرا وليحيى بسند جيد عن أبن عمر رضي الله عنه إنه صلى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد وفي رواية له إن عمر بن الخطاب صلى على أبي بكر في المسجد وأن صهيبا صلى على عمر بن الخطاب في المسجد عند المنبر ولأبن شبة إن الجنازة وضعت تجاه المنبر وذكر أبن النجار ما سبق عن حرس عمر بن عبد العزيز ثم قال إن هذه السنة في الجنائز باقية إلى يومنا إلا في حق العلو بين ومن أراد الأمراء من الأعيان وغيرهم والباقون يصلي عليهم خلف الحائط الشرقي أي من المسجد أي موضع الجنائز وفي زماننا يصلي على الجنائز بالمسجد ويخص الأعيان بالروضة إلا ما كان من جنائز الشيعة غير الأشراف فأنهم منعوا من إدخال جنائزهم إلى المسجد في دولة جقمق وذكرنا في الأصل كلاما حسنا في كيفية وضع الجنازة بين القبر والمنبر فراجعه.". (١)

١٤٦-"يحي عن أبيه ولما شاهدناه من تصوير الحجرة الشريفة وقد أوضحنا ذلك في الأصل ولا شك أن البناء الذي في جوف الحائز الظاهر مربع وقد صوّره أبن النجار وأتباعه بصورة البناء الظاهر مخمسا فهو خطأ وقد ذرعت الحجرة الشريفة من داخلها بجريدة طويلة فكان ذرع مقدّمها الذي يلي القبلة بين المغرب والمشرق عشرة أذرع وثلثي ذراع وذرع مؤخرها مما يلي الشام أحد عشر ذراعا وربع وسدس وذرع عرضها من القبلة إلى الشام في كل من جانبيها الغربي والشرقي سبعة أذرع بتقديم السين ونصف وثمن وهو قريب من الذرع الذي ذكره أبن شبة ويحيى في تصويرهما وعرض منقبة الجدار الداخل من الجوانب كلها ذراع ونصف وقيراطان إلا الشرقي المجدّد فإنه ذراع وربع وثمن فقط وعرض منقبه الحائز الظاهر ذراع وربع وثمن وارتفاعه في السماء من أرض المسجد حوله ثلاثة عشر ذراعا وثلث ذراع يزيد في بعض الجهات يسيرا وهو مبنيّ بالحجر الغشيم ورؤيته من داخله شاهدة بأنه زيد في أعلاه نحو نصف ذراع بالآجر لما زيد في الجدار الداخل سترة للسقف الآتي ذكره ليساويه ولذا قال أبو غسان إنّ ارتفاعه عشر ذراعا غير سدس فوافق ذلك ذرعنا المتقدّم وأمّا ما ذكره أبن النجار ومن تبعه في ذرعه من أنه ثلاثة وعشرون ذراعا فقد أدخلوا في ذلك طول الشباك المتصل من رأس هذا الجدار إلى سقف المسجد

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ص/١٣٤

فإنّ عمر بن عبد العزيز لم يبلغ بحائزة سقف المسجد وقد ذكر أبن النجار أن الجمال الأصفهاني عمل للحجرة أي لحائزها مشبكا من الصندل والأبنوس وأداره حولها مما يلي السقف اه فهو الشباك المذكور ولعل الأصفهاني أوّل من أحدثه ولا ذكر له في كلام المتقدّمين وقد ذكرنا في الأصل ذرع كل صفحة من صفحات هذا الحائز المخمس وارتفاع الجدار الداخل في السماء من خارجه بين الجدارين خمسة عشر ذراعا ومع ذلك فتظهر مساواته للحائز الخارج وسببه علوّ أرض المسجد خارج الحائز على الأرض الداخلة بين الحائزين بأرجح من ذراع ونصف والرحبة التي شبه المثلث بين الجدارين خلف الجدار الشامي وجدت مجدولة بالحجارة وطولها من القبلة إلى الشام ثمانية أذرع والأرض من داخل الحجرة منخفضة أيضا عما بين الحائزين بذراع وربع وسيأتي في الرابع عشر ما أحدثه متولي العمارة الشمس بن الزمن من التغيير في ذلك وتصوير ما **استقرّ عليه** الأمر وذكر أبن النجار أن على الحجرة أي سقفها ثوبا مشمعا مقل الخيمة وفوقه سقف المسجد وفيه أي فيما تحت المشمع المذكور خوخة عليها ممرق أي طابق مقفول وفوق الخوخة في سقف السطح أي سقف المسجد خوخة أخرى فوق تلك الخوخة وعليها ممرق مقفول أيضا وبين سقف المسجد وبين سقف السطح فراغ نحو الذراعين أي بين السقف الثاني لسطح المسجد والأوّل فإنه سقفان كما سيأتي بينهما فراغ نحو الذراعين وهذا الذي ذكره كان قبل الحريق الأوّل وأما بعده فقد أدركت بين سقفي المسجد في سقفه الذي يلي الحجرة ألواحا مسمرة سمر عليها ثوب مشمع وفيها طابق مقفل في محاذاة وسط بناء الحجرة الداخل لا كما قال المطري إنه إذا فتح يكون النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحائز الذي بناه عمر بن عبد العزيز قال وسقف الحجرة بعد الحريق إنما هو سقف المسجد وهو خطأ أيضا بل شاهدت عليها سقفا متقنا عمل بعد الحريق الأوّل لأنّ آثار خشب السقف المحترق ظهرت لنا تحت هذا السقف المجدّد عليها سترة من لبن ولم ير من جدّد هذا السقف وضعه في محل تلك الأخشاب لما يترتب عليه من إخراج رؤوس تلك الأخشاب المحترقة من الجدار فجعله فوق تلك السترة وجدّد له سترة نحو نصف ذراع وجعله من ألواح ساج على حزم من الساج وجعله قطعا مكلبة بقضبان من الحديد بعضها في بعض ولم يجعل فيه طابقا وجعل عليه ستارة من المحابس اليمنية مبطنة وقال أبن رشد في بيانه ولقد أخبرني من أثق به أنه لا سقف للقبر الشريف اليوم تحت سقف المسجد اه ووفاة أبن رشد سنة عشرين وخمسمائة فهو قبل الحريق الأوّل بمدّة مديدة فهو مخالف لقضية كلام المؤرخين ولما سيأتي عن مالك رحمه الله في الكسوة ولا شك في كونه كان مسقوفا قبل الحريق لما سبق وقد وجدنا بقية ميزابه في العمارة التي أدركناها من عرعر ولا شك أيضا في كونه كان مسقوفا في الصدر الأوّل ولذا روى الدارميّ في صحيحه عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنه فقالت". (١)

١٤٧-"وكان ختم هذا البناء في يوم الخميس سابع شوّال عام أحد وثمانين وثمانمائة وصرفوا في ذلك وفي غيره من عمارة المسجد وترخيم الحجرة الشريفة وإعادة منارة مسجد قباء بعد سقوطها وبعض سقفه وإحكام مصرف مياه الأمطار التي كانت تجتمع حول المسجد وتسييرها إلى سروب وسنح عين الأزرق مالا جزيلا وقد صوّرنا ما **استقرّ عليه** الأمر في

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ص/١٤١

هيئة الحجرة المنيفة والقبور الشريفة بها وجعلنا صورة الحائز الظاهر بالأحمر والبناء الداخل بالأسود وجعلنا خطا لرأس القبر وخطوطا لما جعل عليه وعلى ما يحاذيه من الجدارات لأركان القبة فلا يتوهم إن ذلك بأرض الحجرة الشريفة " خاتمة فيما نقل من عمل خندق مملوء من الرصاص حول الحجرة الشريفة وما ناسب سببه " قال الجمال الأسنوي في رسالة له في منع الولاة من استعمال النصارى إن الملك العادل نور الدين الشهيد رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم في نومه في ليلة ثلاث مرات وهو يشير إلى رجلين أشقر بن ويقول أنجدني أنقذني من هذين فأرسل إلى وزيره وتجهزا في بقية ليلتهما على رواحل خفيفة في عشرين نفرا وصحب مالا كثيرا وقدم المدينة في ستة عشر يوما فزارا ثم أمر بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدّق عليهم ويتأمل تلك الصفة إلى أن انفضت الناس فقال هل بقى أحد قالوا لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين مغربيين يكثران الصدقة فطلبهما فرآهما فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما النبيّ صلى الله عليه وسلم فسأل عن منزلهما فأخبراهما في رباط بقرب الحجرة فأمسكهما ومضى إلى منزلهما فلم ير إلا خيمتين وكتبا في الرقائق ومالا كثيرا فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير فرفع السلطان حصيرا في البيت فرأى سردابا محفورا ينتهي إلى صوب الحجرة فارتاعت الناس لذلك وقال لهما السلطان أصدقاني وضربهما ضربا شديدا فاعترفا إنهما نصرانيان بعثهما سلطان النصارى في زي حجاج المغاربة وأمالهما بأموال عظيمة ليتحيلا في الوصول إلى الجناب الشريف ونقله وما يترتب عليه فنزلا بأقرب رباط وصارا يحفران ليلا ولكل منهما محفظة جلد والذي يجتمع من التراب يخرجانه في محفظتيهما إلى البقيع بعلة الزيارة فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاء شديدا وأمر بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقا عظيما إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص ومليء به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة كلها سورا رصاصا إلى الماء انتهى وأشار المطري لذلك مع مخالفة في بعضه ولم يذكر أمر الرصاص فقال ووصل السلطان نور الدين محمود زنكي بن آقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك إن السلطان المذكور رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة وهو يقول في كل مرة يا محمود أنقذني من هذين لشخصين أشقرين تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك له فقال هذا أمر حدث بالمدينة النبوية ليس له غيرك فتجهز على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ثم ذكر قصة الصدقة وإنه لم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم عند دار آل عمر المعروفة بدار العشرة فجدّ في طلبهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما فقالا جئنا للمجاورة فقال أصدقاني وعاقبهما فأقرا إنهما من النصارى وإنهما وصلا لكي ينقلا من بالحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم ووجدهما قد حفرا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي وهما قاصدان لجهة الحجرة يجعلان التراب في بئر عندهما في البيت فضرب أعناقهما عند الشباك الذي شرقي الحجرة خارج المسجد ثم أحرقا بالنار آخر النهار وركب السلطان متوجها إلى الشام انتهى ونقل أبن النجار في تاريخ بغداد وقوع ما يقرب من ذلك وهو إن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدي صاحب مصر بنقل النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من المدينة إلى مصر وقال متى تم لك ذلك شدّ الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر وكان منقبة لسكانها فأجتهد الحاكم

في مدّة وبنى بمصر". (١)

١٤٨-"وكان ختم هذا البناء في يوم الخميس سابع شوّال عام أحد وثمانين وثمانمائة وصرفوا في ذلك وفي غيره من عمارة المسجد وترخيم الحجرة الشريفة وإعادة منارة مسجد قباء بعد سقوطها وبعض سقفه وإحكام مصرف مياه الأمطار التي كانت تجتمع حول المسجد وتسييرها إلى سروب وسنح عين الأزرق مالا جزيلا وقد صوّرنا ما **استقرّ عليه** الأمر في هيئة الحجرة المنيفة والقبور الشريفة بها وجعلنا صورة الحائز الظاهر بالأحمر والبناء الداخل بالأسود وجعلنا خطا لرأس القبر وخطوطا لما جعل عليه وعلى ما يحاذيه من الجدارات لأركان القبة فلا يتوهم إن ذلك بأرض الحجرة الشريفة " خاتمة فيما نقل من عمل خندق مملوء من الرصاص حول الحجرة الشريفة وما ناسب سببه " قال الجمال الأسنوي في رسالة له في منع الولاة من استعمال النصارى إن الملك العادل نور الدين الشهيد رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم في نومه في ليلة ثلاث مرات وهو يشير إلى رجلين أشقر بن ويقول أنجدني أنقذني من هذين فأرسل إلى وزيره وتجهزا في بقية ليلتهما على رواحل خفيفة في عشرين نفرا وصحب مالا كثيرا وقدم المدينة في ستة عشر يوما فزارا ثم أمر بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدّق عليهم ويتأمل تلك الصفة إلى أن انفضت الناس فقال هل بقى أحد قالوا لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين مغربيين يكثران الصدقة فطلبهما فرآهما فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما النبيّ صلى الله عليه وسلم فسأل عن منزلهما فأخبراهما في رباط بقرب الحجرة فأمسكهما ومضى إلى منزلهما فلم ير إلا خيمتين وكتبا في الرقائق ومالا كثيرا فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير فرفع السلطان حصيرا في البيت فرأى سردابا محفورا ينتهي إلى صوب الحجرة فارتاعت الناس لذلك وقال لهما السلطان اصدقاني وضربهما ضربا شديدا فاعترفا إنهما نصرانيان بعثهما سلطان النصارى في زي حجاج المغاربة وأمالهما بأموال عظيمة ليتحيلا في الوصول إلى الجناب الشريف ونقله وما يترتب عليه فنزلا بأقرب رباط وصارا يحفران ليلا ولكل منهما محفظة جلد والذي يجتمع من التراب يخرجانه في محفظتيهما إلى البقيع بعلة الزيارة فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاء شديدا وأمر بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقا عظيما إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص ومليء به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة كلها سورا رصاصا إلى الماء انتهى وأشار المطري لذلك مع مخالفة في بعضه ولم يذكر أمر الرصاص فقال ووصل السلطان نور الدين محمود زنكي بن آق سنقر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك إن السلطان المذكور رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة وهو يقول في كل مرة يا محمود أنقذني من هذين لشخصين أشقرين تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك له فقال له هذا أمر حدث بالمدينة النبوية ليس له غيرك فتجهز على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ثم ذكر قصة الصدقة وإنه لم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ص/١٥٥

نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم عند دار آل عمر المعروفة بدار العشرة فجدّ في طلبهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما فقالا جئنا للمجاورة فقال اصدقاني وعاقبهما فأقرا إنهما من النصارى وإنهما وصلا لكي ينقلا من بالحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم ووجدهما قد حفرا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي وهما قاصدان لجهة الحجرة يجعلان التراب في بئر عندهما في البيت فضرب أعناقهما عند الشباك الذي شرقي الحجرة خارج المسجد ثم أحرقا بالنار آخر النهار وركب السلطان متوجها إلى الشام انتهى ونقل أبن النجار في تاريخ بغداد وقوع ما يقرب من ذلك وهو إن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدي صاحب مصر بنقل النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من المدينة إلى مصر وقال متى تم لك ذلك شدّ الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر وكان منقبة لسكانها فأجتهد الحاكم في مدّة وبنى بمصر". (١)

١٤٩-"" الأول " في مصلى الأعياد قال الواقدي أول عيد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصلى سنة ثنتين من مقدمة المدينة وحملت له العنزة وهو يومئذ يصلي إليها في الفضاء وكانت العنزة للزبير بن العوام أعطاه إياها النجاشي فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يخرج بها بين يديه يوم العيد وهي اليوم بالمدينة عند المؤذنين يعني يخرجون بها بين يدي الأئمة في زمانه ولأبن شبة وأبن زبالة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أول فطور وأضحى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل أي الذين يصنعونها ويبيعونها وفي رواية للثاني صلى في ذلك المسجد وهو خلف المجزرة التي بفناء دار العداء بن خالد قلت وهي دار ابنه حكيم بن العداء بن بكر بن هوازن ومنزلهم مع مزينة غربي المصلى فلعله المسجد الكبير المعروف بمسجد علي رضي الله عنه شامي المصلى مما يلي المغرب متصلا بشامي الحديقة المعروفة بالعريضي لأن سوق المدينة كان هناك ولعل نسبته إلى عمل علي رضي الله عنه لكونه صلى به العيد الذي صلاه للناس وعثمان رضي الله عنه محصور كما رواه ابن شبة ويبعد أن يبتكر علي رضي الله عنه الصلاة بموضع لم يصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا المسجد قد دثر حتى صار بعض الحاج يدفن فيه الموتى أيام نزولهم هناك فجدد بناءه أمير المدينة زين الدين ضغيم المنصوري في ولايته سنة أحدا وثمانين وثمانمائة ولأبن زبالة عن إبراهيم ابن أمية عن شيخ أهل السن والثقة أن أول عيد صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حارة الدوس عند بيت ابن أبي الجنوب ثم الثاني بفناء دار حكيم عند دار جفرة داخلا في البيت الذي بفنائه المسجد ثم الثالث عند دار عبد الله بن درة المزني داخلا بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن صلت ثم صلى حيث يصلي الناس اليوم قلت دار ابن أبي الجنوب كانت غربي وادي بطحان فالمصلى الأول في هذه الرواية هناك وأما الثاني فقد سبق الكلام فيه وأما الثالث فهو بمعنى قول ابن شهاب كما لأبن شبة أنه صلى الله عليه وسلم صلى في موضع آل درة وهم حي من مزينة ومنزل مزينة غربي المصلى إلى عدوة بطحان الشرقية إلى قبلة المصلى ودار كثير بن الصلت قبلة مصلى العيد كما قال ابن سعد يعني الذي **استقر عليه** الأمر وهو المسجد الآتي في ذكره ودار معاوية كانت في مقابلة دار كثير الأما من غربيها أو من شرقيها والأول أقرب لما

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ص/٢٠٥

سيأتي في مروره صلى الله عليه وسلم إلى قباء أنه كان يمر على المصلى ثم يسلك في موضع الزقاق بين الدارين المذكورتين وأما الرابع وما بعده فالظاهر أنها مواضع بقرب مصلى الناس اليوم سيما الرابع ولعله المسجد الذي شمالي مسجد المصلى اليوم جانحا إلى المغرب بوسط الحديقة المعروفة بالعريضي المتصلة بقبة عين الأزرق ويعرف اليوم بمسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولعله صلى فيه في خلافته وأهل الحديقة المذكورة اليوم يمتهنون مؤخره بحبس الدواب فيه وهو من المنكرات التي يجب إزالتها وقد أنهيت ذلك للناظر عليها شيخ الحرم كما في الأصل وقوله ثم صلى حيث يصلي الناس اليوم أي بالمسجد المعروف اليوم بمسجد المصلى وهو بمعنى ما رواه ابن شبة عن ابن باكية قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد عند دار الشفاء ثم صلى في حارة الدوس ثم صلى في المصلى فثبت يصلي فيه حتى توفاه الله تعالى ونقل ابن شبة عن شيخنا أبي غسان صاحب مالك أن ذرع ما بين باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عنده دار مروان أي باب السلام وبين المسجد الذي يصلي فيه العيد بالمصلى ألف ذراع اه وقد اختبرته إلى مسجد المصلى اليوم فكانت كذلك وهو المراد بقوله في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى في يوم عيد إلى العلم الذي عند دار كثير بن الصلت الحديث فالعلم كان قبل اتخاذ مسجدا ليعرف به المحل ودار كثير كانت قبلة للوليد ثم اشتهرت بكثير وهو تابعي فوقع التعريف بذلك ليقرب إلى ذهن المخاطب فهمه لقول ابن شبة أتخذ الوليد بن عقبة بن أبي معيط الدار التي صلى إليها النبي صلى الله عليه وسلم العيد وهو يصلي إليها اليوم لآل كثير بن الصلت الكندي فجلد عثمان الوليد في الشراب فحلف لا يساكنه إلا وبينهما بطن واد فعارض كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار كثير بشفير وادي بطحان العدوة الغربية وأما". [1]

١٥٠-"يقول بعض الباحثين(١): "تسلسل مدلول "السيرة" اللغوي من (المسلك) أو (طريقة الحياة). والمعنيان يعدان تطورا طبيعيا للأصل سير أي (سلك) أو (ذهب في الأرض). وفي القرآن الكريم نجد الكلمة قد وردت في موضع واحد (في سورة طه في الآية ٢١): ((((((((((((((((.

فدلت من خلال سياقها في الآية الكريمة على الهيئة والحالة. والذي استقر عليه الاصطلاح في العصور المتأخرة هو: تسليط الضوء على حياة شخص ما من يوم مولده إلى يوم وفاته، مع قراءة شخصيته على ضوء الأحداث التي مر بها.

وإذا كان الجميع – تقريبا – يتفق على هذا القدر من التعريف لمعنى "السيرة" فإن هناك وجهات نظر متعددة تتعلق بتفاصيل هذا المضمون المعرفي... فأول ما يثار حوله مِنْ تساؤلات: أية تسمية هي الأوفق "السيرة" أم "الترجمة"؟.. وتساؤل آخر يتعلق بطبيعتها: أين يجب تصنيفها؟

يقول إحسان عباس في كتابه فن السيرة(٢) « ففي أحضان التاريخ إذن نشأت السيرة وترعرعت، واتخذت سمتا واضحا، وتأثرت بمفهومات الناس عنه على مر العصور، وتشكلت بحسب تلك المفهومات، فكانت تسجيلا للأعمال والأحداث والحروب المتصلة بالملوك عند الصينيين والمصريين والأشوريين».

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ص/٢٣١

(١) الأستاذة مهدية أمنوح في بحث لها لم ينشر بعد تحت عنوان : "بين الإقصاء والإثبات : قراءة في كتابات إسبانية عن السيرة النبوية"؛ إحسان عباس ، فن السيرة ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٥٦م ، عبد المتعال محمد الجبري ، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، القاهرة مكتبة وهبة ، ١٩٨٨م .

(٢) إحسان عباس : فن السيرة : بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٥٦م ، ص٩ .". [١]

١٥١-"... ثم قال الحافظ ابن حجر : وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها – أى من روايات قصة الغرانيق – على شرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض.

... قلت : إن هذا التعميم فى الاحتجاج بالمرسل عند من يقول به، ومن لا يقول به غير مسلم، لأن الخلاف فى الاحتجاج بالمرسل إنما هو فى أحكام الفروع، ولا يمكن أن يكون جارياً فى أصول العقائد، لأنها لا تثبت إلا بدليل صحيح، والمرسل ضعيف عند جمهور المحدثين كما قال الإمام مسلم : "إن المرسل من الروايات فى أصل قولنا، وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة"(١) وقال ابن الصلاح : "ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه من وجه آخر، وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل، والحكم بضعفه هو المذهب الذى **استقر عليه** آراء جماهير حفاظ الحديث، ونقاد الأثر"(٢).

الوجه السادس : أن الأمام ابن حجر يرى فى القصة ما هو محال أن يقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الزيادة فى القرآن عمداً أو سهواً، بيد أنه لم يشأ أن يقف عند هذه النتيجة التى كانت أمراً طبيعياً يسوق إليها البحث العلمى، وينتهى بها إلى أن هذه الأقصوصة أكذوبة باطلة، ما كانت تستحق أن تجول ساحبة ذيولها فى ساحة سيرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه خضع لقواعد الصنعة فى غير محلها – حيث يمس الأمر العقائد – وراح يتشبث بالتأويل فيما رآه محالاً، وحكى من ضروب هذا التأويل أقوالاً كلها بعيدة عن نص روايات القصة. وحتى التأويل الذى استحسنه ورجحه بعض الأئمة، بالتأمل فيه ترى أنه غير مقبول، وترده نص روايات القصة(٣).

---

(١) مقدمة صحيح مسلم، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن ١/١٦٣ .

(٢) علوم الحديث ص٤٩ .

(٣) ينظر : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للشيخ عرجون ٢/٨١ – ٨٦ بتصرف.". [٢]

١٥٢-"وللصوم تأثيرٌ عجيبٌ في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، والمقصود: أن مصالح الصوم لما

---

(١) دراسات إسبانية للسيرة النبوية ص/٣

(٢) رد شبهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ص/٤٧٩

كانت مشهودةً بالعقول السليمة والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمةً بهم، وإحساناً إليهم، وحميةً لهم وجُنة.
وكان هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أكمل الهدي، وأعظم تحصيل للمقصود، وأسهلة على النفوس.
ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها؛ تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة،
وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدريج، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، فتُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات، وفُرض أولاً على وجه التخيير بينه وبين أن يُطعم عن كل يومٍ مسكيناً، ثم نُقل من ذلك التخيير إلى تحتم الصوم، وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة إذا لم يُطيقا الصيام، فإنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكيناً، ورخص للمريض والمسافر أن يُفطرا ويقضيا، وللحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما كذلك، فإن خافتا على ولديهما، زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم، فإن فطرهما لم يكن لخوف مرض، وإنما كان مع الصحة فجُبر بإطعام المسكين كفطر الصحيح في أول الإسلام.
وكان للصوم رتبٌ ثلاث: إحداها: إيجابه بوصف التخيير.
والثانية: تحتمه، لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة، فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة، وهي التي **استقر عليها** الشرع إلى يوم القيامة.". [1]

١٥٣-"لقد احتوى هذا العمل على مجموعة من الأخطاء الأساسية التي كان مصدرها تبني أسلوب المستشرقين وتبني وجهات نظرهم وهم أساسا لا يعترفون بالإسلام دينا خاتما ولا بالنبي محمد.
ولا يؤمنون بالوحي ولا يفرقون كما يفرق المسلمون بين الألوهية والنبوة.
وفي مقدمة هذا البحث، نؤكد أن كتابات العصريين في السيرة النبوية كانت في عصرها أمرا محببا أقبل الناس عليه وقدمت سيرة الرسول وعظمة الإسلام للجماهير التي كانت لا تلم بالدراسات العلمية إلا قليلا.
فقد كتبت هذه الفصول أول الأمر في المجلات الأسبوعية، الذائعة (السياسية الأسبوعية.
والرسالة) مما كان لها أثرها في الانتشار والذيوع.
وقد اختلفت فعلا عما سبقها من كتابات السيرة التي نشرت في مؤلفات لغلبة الأسلوب الصحفي الميسر.
ولقد كانت هذه الكتابات في تقدير المؤرخين والباحثين على حالتين: الحالة الأولى: العامل القريب والمباشر وهو ظهور حركة التبشير المسيحي الضخمة في القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية عام ١٩٣٢ وتنصير عدد من الطلاب المسلمين بها وكان ذلك جزءا من موجة ضخمة قام بها الغرب بعد أن استردت الفاتيكان الأموال الطائلة التي كانت قد احتجزتها الحكومة الإيطالية عنها.
الحالة الثانية: أثر الحرب العالمية الثانية في نفوس الناس بالدعوة إلى الرجعة إلى الدين والتطلع إلى آفاق جديدة تقدمها رسالا

---

(١) رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ص/٦٢

ت السماء وفي مقدمتها الإسلام.
غير أن هناك عوامل أخرى خفية وراء ظواهر الأحداث تحدثت عنها كتابات الباحثين والمراقبين لهذه الأحداث منها: أولا: رغبة حزب الأحرار الدستوريين في كسب مشاعر الوطنيين بعد أن عرف عنه أنه
الحزب الذي يجمع دعاة التغريب وأساطينه والذي صدرت من تحت عباءته الكتب التي أثارت الضجة وخالفت مفاهيم الإسلام الأساسية وهزت مشاعر الناس وفي مقدمتها (الشعر الجاهلي لطه حسين) و (الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق).
وكانت الفكرة التي **استقر عليها** الرأي هو الدخول إلى مشاعر المسلمين من طريق الكتابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم (هذا بالنسبة لكتاب حياة محمد للدكتور هيكل).
ثانيا: الموقف الذي أحدثته الحرب العالمية من ائتلاف بين البلاشفة والرأسماليين في". [١]

١٥٤-"فبقاؤهم في النوم مع السلامة في تلك المعركة من أدل الدلائل على حفظ الله تعالى لهم، ذلك مما يزيل الخوف من قلوبهم، ويورثهم الامن، ولانهم لو شاهدوا قتل إخوانهم الذين أراد الله تعالى إكرامهم بالشهادة لاشتد خوفهم.
السادس عشر: قوله: ونهى عن المثلة، قيل: فقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين فقطع
أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وتركهم بالحرة، وأجيب عن ذلك بأمرين: أحدهما: أنه فعل ذلك بهم قصاصا، لانهم قطعوا أيدي الرعاء وأرجلهم، وسملوا أعينهم، كما ذكر أنس، كما سيأتي ذلك في أبواب أحكامه صلى الله عليه وسلم في الحدود.
ثانيهما: أن ذلك كان قبل تحريم المثلة.
السابع عشر: وقع في رواية أبي الوقت والاصيلي من رواة البخاري في باب غزوة أحد من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: " هذا جبريل آخذ برأس فرسه [عليه أداة الحرب] ".
قال الحافظ: وهو وهم من وجهين: أحدهما: أن هذا الحديث تقدم سنده ومتنه في باب شهود الملائكة بدرا، ولهذا لم يذكره هنا أبو ذر ولا غيره من متقني رواة البخاري، ولا استخرجه الاسماعيلي ولا أبو نعيم.
الثاني: أن المعروف في هذا المتن يوم بدر لا يوم أحد.
الثامن عشر: قول عبد الرحمن بن عوف: قتل مصعب بن عمير هو خير مني.
لعله قاله تواضعا، ويحتمل أن يكون ما **استقر عليه** الامر من تفضيل العشرة على غيرهم، بالنظر إلى من لم يقتل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.
وقد وقع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه نظير ذلك، كما تقدم في قتل سعد بن الربيع.
التاسع عشر: قول أنس بن النضر: إني لاجد ريح الجنة دون أحد، يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة على ما يعهده، فعرف أنها الجنة، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين، حتى كأن الغائب

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١/ ١٨

عنه صار محسوسا عنده، والمعنى أن الموضع الذي قاتل فيه يؤول بصاحبه إلى الجنة.

العشرون: روى ابن إسحاق عمن لا يتهم عن مقسم عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فشجي ببردة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتي بالقتلى فوضعوا إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم ثنتين وسبعين صلاة.

قال السهيلي: هذا حديث ضعيف لضعف الحسن بن عمارة الذي أبهمه ابن إسحاق، وإن كان غيره فهو مجهول، ولم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد في شئ من مغازيه إلا في هذه الرواية، في غزوة أحد، وكذلك لم يصل أحد من الائمة بعده.

وروى الامام أحمد من طريق عطاء بن السائب، عن الشعبي، عن ابن مسعود، نحو رواية ابن عباس، قال في البداية: سنده ضعيف من جهة عطاء بن السائب، ويرده ما رواه الستة: إلا مسلما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين". (١)

١٥٥-"١١- تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل: الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة، حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد +اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" [الأنعام:١٢٤]، فهم قد امتازوا برتبة الرسالة عن سائر الناس(٣٩٤٣)، وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم، قال تعالى: +وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ" [النساء:٦٤] ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة: ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء(٣٩٤٤)، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي(٣٩٤٥) والقاضي عياض(٣٩٤٦)، وابن تيمية(٣٩٤٧)، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثنى عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة(٣٩٤٨)، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى(٣٩٤٩)، وفي بحار الأنوار للمجلسي عقد بابًا بعنوان "باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق" وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم(٣٩٥٠)، وهذا المذهب الذي **استقر عليه** مذهب الاثنى عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو، فإن الشيعة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق -كما يقول الأشعري-:

الفرقة الأولى: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

الفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة(٣٩٥١).". (٢)

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢٤٧/٤

(٢) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٤٠٩/٢

١٥٦-"لقد كانت مكانة عثمان في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- كمكانة الوزير من الخليفة، وإن شئت فقل: هي مكانة عمر من أبي بكر في خلافته. وقد صنع الله لأبي بكر بوزارة عمر لخلافته ما يصنعه لخير أهله، وصنع لعمر بوزارة عثمان لخلافته ما يصنعه لخير أهله، فقد كان أبو بكر أرحم الناس بالناس، وكان عمر أشدهم في الحق، فمزج الله رحمة الصديق بشدة عمر، فكانت منها خلافة الصدق وسياسة العدل، وقوم الحزم. وكان عثمان - رضي الله عنه - أشبه بالصديق في رحمته، وكان عمر على سننه في شدته، فلما تولى بعد أبي بكر جعل الله له في وزارة عثمان لخلافته عوضًا من رحمة الصديق ورفقه، فكان منهما تلك الأمثال المضروبة في أنظمة الحكم وسياسة الأمة أحكم سياسة وأعدلها. وقد عرف الناس هذه المكانة لعثمان في خلافة عمر، فهو الذي أشار على عمر بفكرة الديوان وكتابة التاريخ، كما جاء في بعض الروايات.

١ - الديوان:

لما اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال جمع عمر ناسا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليستشيرهم في هذا المال، فقال عثمان: أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، فأقر عمر رأي عثمان، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدواوين.(١)

٢ - التاريخ:

جاء في بعض الروايات أن الذي أشار على عمر بجعل السنة الهجرية تبدأ بالمحرم هو عثمان، وذلك أنهم لما اتفقوا بعد مشاورات على جعل مبدأ التاريخ الإسلامي من هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنها فرقت بين الحق والباطل، تعددت الآراء في أي الأشهر يجعل بداية للسنة، فقال عثمان: أرخوا من المحرم أول السنة، وهو شهر حرام، وأول الشهور في العدة، وهو منصرف الناس من الحج، فرضي عمر ومن شهده من أصحابه رأي عثمان **واستقر عليه** الأمر، وأصبح مبدأ تاريخ الإسلام.(٢)

٣- أرض الخراج:

---

(١) تاريخ الطبري (٢٠٣/٥)، عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص٦٠.

(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص٦٠.". [1]

١٥٧-"ذهب الشيخ المحقق صادق عرجون -رحمه الله- إلى أن صحف الصديق التي كانت أصلا للمصحف الإمام بإجماع المسلمين لم تكن جامعة للأحرف السبعة التي وردت صحاح الحديث بإنزال القرآن عليها، بل كانت على حرف منها، هو الذي وقعت به العرضة الأخيرة **واستقر عليها** الأمر في آخر حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإنما كانت الأحرف السبعة أولا من باب التيسير على الأمة، ثم ارتفع حكمها لما استفاض القرآن وتمازج الناس وتوحدت لغاتهم.

---

(١) سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٦٨/١

قال الإمام الطحاوي: إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم؛ لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، وسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا، فكانوا كذلك حتى كثرت منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد.(١)

---

(١) ، ٢، ٣) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص١٨٠.". [١]

١٥٨–"لقد كانت مكانة عثمان في خلافة عمر بن الخطاب –رضي الله عنهما– كمكانة الوزير من الخليفة، وإن شئت فقل: هي مكانة عمر من أبي بكر في خلافته. وقد صنع الله لأبي بكر بوزارة عمر لخلافته ما يصنعه لخير أهله، وصنع لعمر بوزارة عثمان لخلافته ما يصنعه لخير أهله، فقد كان أبو بكر أرحم الناس بالناس، وكان عمر أشدهم في الحق، فمزج الله رحمة الصديق بشدة عمر، فكانت منها خلافة الصدق وسياسة العدل، وقوم الحزم. وكان عثمان (أشبه بالصديق في رحمته، وكان عمر على سننه في شدته، فلما تولى بعد أبي بكر جعل الله له في وزارة عثمان لخلافته عوضًا من رحمة الصديق ورفقه، فكان منهما تلك الأمثال المضروبة في أنظمة الحكم وسياسة الأمة أحكم سياسة وأعدلها. وقد عرف الناس هذه المكانة لعثمان في خلافة عمر، فهو الذي أشار على عمر بفكرة الديوان وكتابة التاريخ، كما جاء في بعض الروايات.

١ – الديوان:

لما اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال جمع عمر ناسا من أصحاب رسول الله × ليستشيرهم في هذا المال، فقال عثمان: أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، فأقر عمر رأي عثمان، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدواوين.(١٩٦)

٢– التاريخ:

جاء في بعض الروايات أن الذي أشار على عمر بجعل السنة الهجرية تبدأ بالمحرم هو عثمان، وذلك أنهم لما اتفقوا بعد مشاورات على جعل مبدأ التاريخ الإسلامي من هجرة النبي × لأنها فرقت بين الحق والباطل، تعددت الآراء في أي الأشهر يجعل بداية للسنة، فقال عثمان: أرخوا من المحرم أول السنة، وهو شهر حرام، وأول الشهور في العدة، وهو منصرف الناس من الحج، فرضي عمر ومن شهده من أصحابه رأي عثمان واستقر عليه الأمر، وأصبح مبدأ تاريخ الإسلام.(١٩٧)

٣– أرض الخراج:

---

(١) سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٩١/١

كان عثمان ممن أيدوا رأي عمر بن الخطاب في عدم تقسيم أرض الفتوح على الفاتحين وإبقائها فيئًا للمسلمين وللذرية من بعدهم(١٩٨)." [١]

١٥٩-"وقال القرطبي: فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه؟ قيل له: إن عثمان (لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك؟ وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءة لتفرق الصحابة في البلدان، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة ((٩٤٨).

رابعًا: هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة:

ذهب الشيخ المحقق صادق عرجون -رحمه الله- إلى أن صحف الصديق التي كانت أصلا للمصحف الإمام بإجماع المسلمين لم تكن جامعة للأحرف السبعة التي وردت صحاح الحديث بإنزال القرآن عليها، بل كانت على حرف منها، هو الذي وقعت به العرضة الأخيرة **واستقر عليها** الأمر في آخر حياة رسول الله ×، وإنما كانت الأحرف السبعة أولا من باب التيسير على الأمة، ثم ارتفع حكمها لما استفاض القرآن وتمازج الناس وتوحدت لغاتهم. قال الإمام الطحاوي: إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم؛ لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، وسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا، فكانوا كذلك حتى كثرت منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ×، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد.(٩٤٩)". [٢]

١٦٠-"ثنا شريك عن قيس بن وهب عن ابى الكنود قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال ركعتان نزلت من السماء فان شئتم فردوها.

واما قول الحربى فبعيد غير انه قد قيل ان الصلاة قبل فرضها كانت كذلك وسيأتى.

قال أبو عمر وقد اجمع المسلمون ان فرض الصلاة في الحضر اربعا الا المغرب والصبح لا يعرفون غير ذلك عملا ونقلا مستفيضا ولا يضرهم الاختلاف فيما كان اصل فرضها إذ لا خلاف بينهم فيما آل إليه امرها **واستقر عليه** حالها، واما الصلاة طرفي النهار فروينا عن ابن الصواف بالسند المذكور آنفا ثنا ابراهيم بن اسحق الضبى ثنا محمد ابن ابان عن ابى اسحق عن عمارة بن رويبة الثقفى قال سمع اذناى ووعى قلبى من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى قبل طلوع

---

(١) عثمان بن عفان شخصيته وعصره ٥٦/١

(٢) عثمان بن عفان شخصيته وعصره ٢٤٧/١

الشمس وقبل غروبها وجبت له الجنة ومن ذلك قوله تعالى (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار).". [١]

١٦١-" روينا من طريق مسلم [حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : أتيت بالبراق و هو دابة أبيض طويل فوق الحمار و دون البغل علي بن أبي طالب يضع حافره عند منتهى طرفه قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال : فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر و إناء لبن فاخترت اللبن فقال جبريل صلى الله عليه و سلم : اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل قيل : و من معك ؟ قال محمد صلى الله عليه و سلم قيل : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي و دعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل قيل : و من و معك ؟ قال : محمد قيل : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه قال : ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم و يحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا بي و دعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل قيل : و من معك ؟ قال : محمد قيل : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه و سلم و إذا هو قد أعطي شطر الحسن قال : فرحب بي و دعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قال : و من معك ؟ قال : محمد قال : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي و دعا لي بخير قال الله عز و جل : ﴿ و رفعناه مكانا عليا ﴾ [مريم : ٥٧] ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : و من معك ؟ قال : محمد قيل : و قد بعث إليه قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه و سلم فرحب بي و دعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : و من معك ؟ قال : محمد قيل : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى الله عليه و سلم فرحب بي و دعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : و من معك ؟ قال : محمد قيل : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه و سلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور و إذا هو يدخله كل يوم سبعين ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة و إذا ثمرها كالقلال قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم و ليلة فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل و خبرتهم قال : فرجعت إلى ربي فقلت : يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت : حط عني خمسا قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فسله التخفيف قال : فلم أزل أرجع بين ربي تبارك و تعالى و بين موسى حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات في كل يوم و

---

(١) عيون الأثر ٢٠٠/١

ليلة بكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة و من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا و من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيئا فإن عملها كتبت السيئة واحدة قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه]

قال الشيخ : أبو أحمد حدثنا أبو العباس الماسرجسي حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة بهذا الحديث

و قد روينا [من طريق ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : فرج سقف بيتي و أنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة و إيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء] الحديث

قال ابن شهاب : [و أخبرني ابن حزم أن ابن عباس و أبا حبة الأنصاري يقولان : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام و فيه : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ و إذا ترابها المسك]

و في حديث مالك بن صعصعة : [فلما جاوزته ـ يعني موسى ـ بكى فنودي ما يبكيك ؟ قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي

و فيه : ثم رفع لي البيت المعمور فقلت : يا جبريل ! ما هذا ؟ قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم]

و في حديث أبي هريرة : [و قد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل : يا محمد : هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام]

و كلها في الصحيح و حديث ثابت عن أنس أحسنها مساقا

و روينا من طريق الترمذي [حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو تميلة عن الزبير بن جنادة عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بأصبعه فخرق بها الحجر و شد به البراق]

و ذكر ابن إسحاق [في حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه و سلم رؤيته آدم في سماء الدنيا تعرض عليه أرواح بنيه فيسر بمؤمنيها و يعبس بوجهه عند رؤية كافريها ثم قال : رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل في أيديهم قطع من نار كالأفهار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يعرضون على النار يطؤونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن و يتركون السمين الطيب قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله له من النساء و يذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم]

و قد اختلف العلماء في المعارج و الإسراء هل كانا في ليلة واحدة أو لا ؟ و أيهما كان قبل الآخر ؟ و هل كان ذلك كله في اليقظة أو في المنام أو بعضه في اليقظة و بعضه في المنام ؟ و هل كان المعراج مرة أو مرات ؟ و اختلفوا في تاريخ ذلك

و الذي روينا عن ابن سعد في المعراج [عن محمد بن عمر عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي سبرة و غيره من رجاله قالوا : كان عليه الصلاة و السلام يسأل ربه أن يريه الجنة و النار فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا و رسول الله صلى الله عليه و سلم نائم في بيته ظهرا أتاه جبريل و ميكائيل فقالا : انطلق إلى ما سألت الله فانطلقا به إلى ما بين المقام و زمزم فأتي بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظرا فعرجا به إلى السموات سماء سماء] الحديث

و ذكر السهيلي رحمه الله خلاف السلف في الإسراء : هل كان يقظة أو مناما ؟ و حكى القولين و ما يحتج به لكل قول منهما ثم قال : و ذهبت طائفة ثالثة منهم شيخنا أبو بكر ابن العربي إلى تصديق المقالتين و تصحيح المذهبين و أن الإسراء كان مرتين إحداهما في نومه توطئة له و تيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصالحة ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية و كذلك الإسراء سهله عليه الرؤيا لأن هوله عظيم فجاء في اليقظة على توطئة و تقدمة رفقا من الله بعبده و تسهيلا عليه و رجح هذا القول أيضا للجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك فإن في ألفاظها اختلافا و تعدد الواقعة أقرب لوقوع جميعها و حكى قولا رابعا قال : كان الإسراء بجسده إلى بيت المقدس في اليقظة ثم أسري بروحه عليه السلام إلى فوق سبع سماوات و لذلك شنع الكفار قوله : أتيت بيت المقدس في ليلتي هذه و لم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك

قال : و قد تكلم العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه و سلم لربه ليلة الإسراء فروي عن مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه قالت : و من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله و احتجت بقوله سبحانه و تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار ﴾ [الأنعام : ١٠٣]

و روينا من طريق الترمذي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي قال : لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم نقول إن محمدا رأى ربه فقال كعب : إن الله قسم رؤيته و كلامه بين محمد و موسى فكلم موسى مرتين و رآه محمد مرتين

و روينا من طريق مسلم [عن أبي ذر قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نورا] و في حديث آخر عند مسلم قال : [نور أنى أراه]

و في تفسير النقاش عن ابن عباس : أنه سئل هل رأى محمد ربه ؟ فقال رآه رآه حتى انقطع صوته

و في تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهري و ذكر إنكار عائشة أنه رآه فقال الزهري : ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس

و في تفسير ابن سلام عن عروة انه كان إذا ذكر إنكار عائشة يشتد ذلك عليه

و قول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه

قال أبو القاسم : و المتحصل من هذه الأقوال أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى و النعيم الأكبر و لكن دون ذلك و إلى هذا يومىء قوله : رأيت نورا

قلت : و قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ لا يعارض هذا لأنه لا يلزم من الرؤية الإدراك

و أما فرض الصلاة فكان ليلة المعراج و قد ذكرنا عن الواقدي من طريق ابن سعد : أنه كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا من مكة إلى السماء ومن يرى أن المعراج من بيت المقدس و أنه هو الإسراء في تاريخ واحد فقد ذكرنا في الإسراء أنه ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة و بعد المبعث بتسع أو اثنتي عشرة على حسب اختلافهم في ذلك و هذا هو المشهور

قال أبو عمر : و قد روى الوقاصي عن الزهري أن الإسراء و فرض الصلاة كان بعد المبعث بخمس سنين و أبعد من ذلك ما حكاه أبو عمر أيضا قال : و قال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم في تاريخه : ثم أسري بالنبي صلى الله عليه و سلم من مكة إلى بيت المقدس و عرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا قال : و لا أعلم أحدا من أهل السير قال ذلك و لا أسند قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم

و في صبيحة ليلة المعراج كان نزول جبريل و إمامته بالنبي صلى الله عليه و سلم ليريه أوقات الصلوات الخمس كما هو مروي من حديث ابن عباس و أبي هريرة و بريدة و أبي موسى و أبي مسعود و أبي سعيد و جابر وعمرو بن حزم و البراء و غيرهم و كان ذلك عند البيت و أم به مرتين مرة أول الوقت و مرة آخره ليعلمه بذلك كله

و أما عدد ركعاتها حين فرضت فمن الناس من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر فأكملت أربعا و أقرت صلاة السفر على ركعتين روي ذلك عن عائشة و الشعبي و ميمون بن مهران و محمد بن إسحاق و غيرهم

و منهم من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت أربعا إلا المغرب ففرضت ثلاثا و الصبح ركعتين كذلك قال الحسن البصري و نافع بن جبير بن مطعم و ابن جريج

و منهم من ذهب إلى أنها فرضت في الحضر أربعا و في السفر ركعتين و يروي ذلك عن ابن عباس

و قال أبو إسحاق الحربي : أول ما فرضت الصلاة بمكة فرضت ركعتين أول النهار و ركعتين آخره و ذكر في ذلك حديث عائشة : فرض رسول الله صلى الله عليه و سلم الصلاة ركعتين ركعتين ثم زاد فيها في الحضر هكذا حدث به الحربي عن أحمد بن الحجاج عن ابن المبارك عن ابن عجلان عن صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة حكى ذلك أبو عمر قال : و ليس في حديث عائشة دليل على صحة ما ذهب إليه الحربي و لا يوجد هذا في أثر صحيح بل فيه دليل على أن الصلاة التي فرضت ركعتين ركعتين هي الصلوات الخمس لأن الإشارة بالألف و اللام في الصلاة إشارة إلى معهود

و روينا عن الطبراني حدثنا الحسن بن علي بن الأشعث المصري حدثنا محمد بن يحيى بن سلام الإفريقي حدثني أبي حدثني عثمان بن مقسم عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن يسار عن عمر بن عبد العزيز حدثني عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين فزيد في صلاة المقيم و أثبتت صلاة المسافر كما هي

و قد روينا عن السائب بن يزيد مثل ذلك روينا عن أبي العباس بن السراج حدثنا قتيبة حدثنا عبد العزيز عن سعيد بن سعيد عن السائب بن يزيد أنه قال : فرضت الصلاة ركعتين ثم زيد في صلاة المقيم و أقرت صلاة المسافر

قال أبو عمر : قول الشعبي في هذا أصله من حديث عائشة و يمكن أن يكون قد أخذه عن مسروق أو الأسود عنها فأكثر ما عنده عن عائشة فهو عنهما

قلت : قد وقع لنا ذلك من حديثه عن مسروق كما ظن أبو عمر روينا من طريق السراج حدثنا أحمد بن سعيد الرباطي حدثنا محبوب بن الحسن حدثنا داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : فرضت صلاة الحضر و السفر ركعتين ركعتين فلما أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة و صلاة المغرب لأنها وتر النهار

و أما ابن إسحاق فخبر عائشة عنده عن صالح بن كيسان عن عروة عنها فيمكن أن يكون أخذه من هناك

و أما ميمون بن مهران فروي ذلك عنه من طريق سالم مولى أبي المهاجر و سالم غير سالم من الجرح و من قال بهذا من أهل السير قال : إن الصلاة أتمت بالمدينة بعد الهجرة بشهر و عشرة أيام و قيل بشهر

و أما من قال : فرضت أربعا ثم خفف عن المسافر فأخبرنا الإمام الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي قراءة عليه و أنا أسمع بسفح قاسيون أخبركم الشيخان أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب قراءة عليه و أنت تسمع بدمشق و أبو علي بن الحسن بن إسحاق بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي سماعا عليه ببغداد

قال الأول : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سلامة بن الرطبي قراءة عليه و أنا أسمع و قال الثاني : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني قالا : [أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البسري أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص حدثنا يحيى . يعني ابن محمد بن صاعد . حدثنا لوين بن محمد بن سليمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من بني عامر قال : و الرجل حي فاسمعوه منه يقال له أنس بن مالك قال ابن صاعد : هو القشيري : أن النبي صلى الله عليه و سلم بعث خيلا فغارت على إبل جار لي فانطلق في ذلك أبي و عمي أو قرابة لي قريبة قال : فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يطعم فقال : هلم إلى الغذاء قال : إني صائم قال صلى الله عليه و سلم : هلم أحدثك عن ذلك إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة و الصيام و عن الحبلى و المرضع] الحديث خالف أيوب يحيى بن أبي كثير فرواه عن أبي قلابة عن جعفر بن عمرو ابن أمية الضمري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه و سلم

و قد رويناه من طريق السراج حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عنه

و مع صحة الإسنادين فتصويب الأول من جعلهما حديثين عند أبي قلابة لاشتهار هذا الخبر من طريق أنس القشيري و بعد تعدد هذه الواقعة و الله أعلم

قالوا : و وضع لا يكون إلا من فرض ثابت و بما روينا [من طريق أبي العباس الثقفي حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الله بن إدريس حدثنا ابن جريج عن ابن أبي عمار عن عبد الله بن بابيه عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم ؟ فقد أمن الناس فقال عمر : عجبت مما عجبت منه

فسالت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك فقال : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته] رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم فوقع لنا مواققة عالية له

قالوا : و لم يقصر رسول الله صلى الله عليه و سلم آمنا إلا بعد نزول آية القصر في صلاة الخوف و كان نزولها بالمدينة و فرض الصلاة بمكة فظاهر هذا يقتضي أن القصر طارئ على الإتمام و أما قول ابن عباس إنما فرضت في الحضر أربعا و في السفر ركعتين و في الخوف ركعة فقرأت على أبي العباس أحمد بن هبة الله بن عساكر بجامع دمشق أخبرتكم زينب بن عبد الرحمن الشعري إجازة قالت : أخبرنا الشيخان أبو محمد إسماعيل بن القاسم ابن أبي بكر القارئ سماعا و أبو عبد الله الفراوي إجازة قالا : أخبرنا عبد الغافر الفارسي أخبرنا بشر بن أحمد الإسفرايني أخبرنا أبو سليمان داود بن الحسين البيهقي حدثنا يحي بن يحي حدثنا أبو عوانة عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن ابن عباس قال : فرض الله عز و جل الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعا و في السفر ركعتين و في الخوف ركعة رواه مسلم عن يحي فوافقناه بعلو

و قرأت على الشيخة الأصيلة مؤنسة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن أيوب إجازة أخبرتك أم هانئ عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الفارقانية إجازة أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد الصباغ أخبرنا أبو نعيم الحافظ أخبرنا ابن الصواف أخبرنا بشر بن موسى حدثنا محمد بن سعيد . يعني ابن الأصبهان . حدثنا شريك و أبو وكيع عن زبيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر قال : صلاة السفر ركعتان و صلاة الجمعة ركعتان و صلاة العيد ركعتان تمام غير قصر على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال أبو وكيع : على لسان نبيكم صلى الله عليه و سلم

و روينا عن الطبراني حدثنا محمد بن سهل الرباطي حدثنا سهل بن عثمان حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن أبي الكنود سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان نزلت من السماء فإن شئتم فردوها

و أما قول الحربي فبعيد غير أنه قد قيل : إن الصلاة قبل فرضها كانت كذلك و سيأتي

قال أبو عمر : و قد أجمع المسلمون أن فرض الصلاة في الحضر أربعا إلا المغرب و الصبح لا يعرفون غير ذلك عملا و نقلا مستفيضا و لا يضرهم الاختلاف فيما كان أصل فرضها إذ لا خلاف بينهم فيما آل إليه أمرها و **استقر عليه** حالها

و أما الصلاة طرفي النهار : فروينا عن ابن الصواف بالسند المذكور آنفا [حدثنا أبو علي بشر بن موسى حدثنا إبراهيم بن إسحاق الضبي حدثنا محمد بن أبان عن أبي إسحاق عن عمارة بن روبية الثقفي قال : سمع أذناي و وعى قلبي من رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : من صلى قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و جبت له الجنة و من ذلك قوله تعالى ﴿ و سبح بحمد ربك بالعشي و الإبكار ﴾ [غافر : ٥٥]] ". (١)

١٦٢-"وهكذا لما أخرجه المشركون المعاندون والمخالفون لأمره من مكَّة، قال أبو بكر رضي الله عنه: "أخرجوا نبيّهم، ليهْلَكُنَّ". فنزلت : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُون بِأَنَّهُم ظُلِمُوا وَإِنَّ الله عَلَى نَصْرِهِم لَقَدِيرٌ﴾. [سورة الحجّ، الآية: ٣٩].

---

(١) عيون الأثر ٢٤٥/١

فقال أبو بكر رضي الله عنه: "لقد علمت أنه سيكون قتال".

قال ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما .: "وهي أوّل آية أُنزلت في القتال"١.

وكان ذلك من باب المعاملة بالمثل، كما ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم عنه، قال: "إنّ الله أمرني أن أحَرِّق قريشاً، فقلت: ربّ إذن يثلغوا٢ رأسي فيدعوه خبزاً، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك مَن عصاك"٣.

وهكذا شرع الله الجهاد في الوقت الأليق به، لأنهم عندما كانوا بمكّة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أُمر المسلمون، وهم قليل، بقتال الباغين لشقّ عليهم، فلمّا بغى المشركون، وأخرجوه – عليه السلام – من بين أظهرهم، وهمّوا بقتله، **واستقرّ عليه** السلام بالمدينة، واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة دار إسلام، ومعقلاً يلجأون إليه،

١ أخرجه الترمذي وحسّنه. (انظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي ٩/١٤-١٥)، وأخرجه الحاكم (المستدرك ٢/٧٦، ٣/٨-٩)، وصحّحه. ووافقه البيهقي.

٢ ثلغ رأسه: شدخه.

٣ أخرجه مسلم (الصحيح ١٠/٣١٤)."(١)

١٦٣-"، أن يمدك بعرفجة بن هرثمة(١)، وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدته فإذا قدم عليك فاستشره وقربه(٢)، وكان مسلك الفاروق في الشورى جميلاً: فإنه كان يستشير العامة أول أمره فيسمع منهم، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله وأصحاب الرأي منهم ثم يفضي إليهم بالأمر ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأي محمود، فما **استقر عليه** رأيهم أمضاه: وعمله هذا يشبه الأنظمة الدستورية في كثير من الممالك النظامية إذ يعرض الأمر على مجلس النواب مثلاً ثم بعد أن يقرر بالأغلبية يعرض على مجلس آخر يسمى في بعضها مجلس الشيوخ وفي بعضها مجلس اللوردات فإذا انتهى المجلس من تقريره أمضاه الملك. والفرق بين عمل عمر وعمل هذه الممالك أن هنا الأمر كان اجتهاداً منه وبغير نظام متبع أو قوانين مسنونة(٣)، وكثيراً ما كان عمر يجتهد في الشيء ويبدي رأيه فيه ثم يأتي أضعف الناس فيبين له وجه الصواب وقوة الدليل فيقبله ويرجع عن خطأ ما رأى إلى صواب ما استبان له(٤)، وقد توسع نطاق الشورى في خلافة عمر رضي الله عنه لكثرة المستجدات والأحداث وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة فولدت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع مثل معاملة الأرض المفتوحة وتنظيم العطاء وفق قواعد جديدة لتدفع أموال الفتوح على الدولة، فكان عمر يجمع للشورى أكبر عدد من الصحابة الكبار(٥)، وكان لأشياخ بدر لهم مكانتهم الخاصة في الشورى لفضلهم وعلمهم وسابقتهم إلا أن عمر رضي الله عنه أخذ يشوبهم بشباب، فإنهم على دربهم ماضون لأجلهم ورحمة ربهم ومغفرته والدولة لابد لها من تجديد رجالاتها وكان عمر العبقري الفذ قد فطن إلى هذه الحقيقة فأخذ يختار من شباب الأمة من علم منهم علماً وورعاً وتقى فكان عبد الله بن عباس من أولهم،

---

(١) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ص/١٢

(١) الإصابة (٢/٤٩١).

(٢) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/٢٧٥).

(٣) الخلفاء الراشدون للنجار ص٢٤٦ .

(٤) نفس المصدر ص٢٤٧ .

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص٩٠ .". [1]

١٦٤-"سار المسلمون إلى أرض العراق وهم سبعة آلاف رجل، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة، وأرسل عمر، جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة، فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما **استقر عليه** أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها أزرميدخت وفوضت بوارن أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرّخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك. وكان رستم هذا منجماً يعرف النجوم وعِلْمها جيداً فقيل له ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال: الطمع وحب الشرف(١).

ثانياً: وقعة النمارق، ومعركة السقاطية بكسكر ومعركة باروسما:

١- وقعة النمارق ١٣هـ :

(١) البداية والنهاية (٧/٢٧).". [2]

١٦٥-"الأعداء، ثم رميهم بالسرايا التي تنغص عليهم حياتهم وتثير عليهم أتباعهم حتى يضطر المسلمون إلى منازلتهم في المكان الذي تم اختياره(١).

٨- من أسباب النصر المعنوية في رأي عمر رضي الله عنه:

كتب عمر رضي الله عنه إلى سعد يذكره بأسباب النصر المعنوية وهي التي تأتي في المقام الأول، وقد جاء في كتابه: أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثهما والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والأجر قدر الحسبة، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية، وأكثروا من قول ((لا حول ولا قوة إلا بالله)) واكتب إليَّ أين بلغ جمعكم، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم؟ فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي **استقر عليه** أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين

(١) فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب ١/١٣٩

(٢) فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب ١/٣٨٢

المدائن صفة كأني أنظر إليها، واجعلني من أمركم على الجيلة وخف الله وارجه، ولا تُدِل بشيء، واعلم أن الله قد وعدكم، وتوكل لهذا الأمر بما لا تُخلف له، فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم(٢)، ففي هذا الكتاب يوصي عمر رضي الله عنه بتعاهد القلوب، فإن القلب هو المحرك لجميع أعضاء الجسم والحاكم عليها فإذا صلح صلح الجسم كله، ثم يوصيه بموعظة جنده وتذكيرهم بالإخلاص لله تعالى واحتساب الأجر عنده، ويبين أن نصر الله مترتب على ذلك، ويحذره من التفريط في المسؤولية التي تحملها وما يستقبله من الفتوح، ويذكرهم بوجوب ارتباطهم بالله تعالى وأن قوتهم من قوته ويوصي قائد المسلمين بأن يكون بين مقام الخوف من الله تعالى والرجاء لما عنده، وهو مقام عظيم من مقامات التوحيد وينهاه عن الإدلال على الله بشيء من العمل أو ثناء الناس ويذكره بما سبق من وعد الله تعالى بانتصار الإسلام وزوال ممالك الكفر، ويحذره من التهاون في تحقيق شيء

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٧٩).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣١٥).". [١]

١٦٦-"وإلا تركناهم محروبين؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: فامضوا على اسم الله"١.

نلاحظ من خلال هذا النص حدة موقف المسلمين فرسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في الإغارة على أهالي أولئك الذين قاموا بتعزيز جانب قريش ثم يستقر رأيهم أخيراً على قتال كل من حاول صدهم عن البيت.

كان هذا موقف المسلمين الذي **استقر عليه** رأيهم بعد المشورة، لكن رأينا بعد ذلك تصريحاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يباين ذلك الموقف تماماً.

يقول صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها...".

بالمقارنة بين هذا النص والنص السابق نرى الفارق بينهما، ذلك أن النص السابق يشعر بالحزم والصرامة، أما الأخير فيوحي باللين والتسامح إلى حد بعيد.

فما الذي حول الموقف السابق يا ترى؟

هذه العبارة التي صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل في غضونها السماحة واللين سبقها في الحديث ما نصه: "حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس: حل، حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة..."٢ الخ.

فهذا النص يفسر لنا الحامل لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك التصريح الذي حول موقفه الأول، فما الذي جاء

---

(١) فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب ٤٢١/١

في هذا النص؟

جاء فيه حادثة بروك ناقته صلى الله عليه وسلم، وإذن فبروك الناقة هو السبب في تحويل موقفه، ولا أعني ببروك ناقته البروك ذاته لكن أقصد ما وراء البروك وهو ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة...".

---

١ صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي: ٤١٧٨ - ٤١٧٩، وتقدم تخريجه برقم (٣٥).

٢ صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الصلح: ٢٧٣١ - ٢٧٣٢ وتقدم سنده مع طرف من أوله برقم (٣٥).". [(١)]

١٦٧-"جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين قالت: "لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له وكاتبته على نفسها الحديث"١...

ورواه أيضاً خليفة بن خياط، وأبو يعلى الموصلي، وابن جرير الطبري، وابن الأثير، وابن كثير وابن حجر، جميعهم من طريق ابن إسحاق٢.

وعلى هذا فالحديث بجميع طرقه يدور على ابن إسحاق.

وقد صرح بالتحديث عند البيهقي وأحمد والسيرة الهشامية، وكذا عند ابن كثير وابن حجر. فأمن تدليسه.

قال ابن حجر: "ابن إسحاق حسن الحديث إلاَّ أنه لا يحتج به إذا خولف"٣.

وقال الألباني: "الذي **استقر عليه** رأي العلماء المحققين أن حديث ابن إسحاق في مرتبة الحسن بشرطين: أن يصرح بالتحديث وأن لا يخالف من هو أوثق منه"٤.

وبهذا التقرير يكون الحديث حسناً لذاته، وهو ظاهر في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدى عن جويرية كتابتها وكان ذلك صداقاً لها.

وقد ورد عند ابن سعد ما يخالف هذا وهو:

١- أخبرنا محمد بن عمر٥، حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح٦،

١ مسند أحمد ٢٧٧/٦.

٢ انظر تاريخ خليفة، ص ٨٠، ومسند أبي يعلى ٤/ق ٤٥٥ أ، وتاريخ الطبري ٦١٠/٢، أسد الغابة ٥٦/٧، والبداية والنهاية ١٥٩/٤، والإصابة ٢٦٥/٤.

٣ فتح الباري ٣٢/٤.

---

(١) مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة ص/١٥٩

٤ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على البوطي ص ٨٢.

٥ محمد بن عمر هو الواقدي.

٦ عبد الله بن أبي نجيح، يسار، أبو يسار، الثقفي، مولاهم، ثقة رمي بالقدر، وربما دلس، من السادسة (ت ١٣١) أو بعدها/ ع. التقريب ١/٤٥٦.". (١)

١٦٨-"عن الزبير بن العوام قال: "كان على النبي صلى الله عليه و سلم يوم أُحُد درعان فنهض إلى الصخرة فلم يستطع (أي فأسرع إلى الصخرة ليراه المسلمون فيعلمون أنه عليه الصلاة و السلام حيّ فيجتمعون عليه، فلم يقدر على الارتفاع على الصخرة قيل لما حصل من شج رأسه وجبينه الشريفين واستفراغ الدم الكثير منهما) فأقعد طلحة تحته (أي أجلسه فصار طلحة كالسلم) وصعد النبي صلى الله عليه وسلم (أي وضع رجله فوقه و ارتفع) حتى استوى على الصخرة (أي حتى **استقر عليها**)، قال: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: "أوجبَ طلحة" (أي فعل فعلاً أوجب لنفسه بسببه الجنة وهو إعانته له صلى الله عليه وسلم على الارتفاع على الصخرة الذي ترتب عليه جمع شمل المسلمين وإدخال السرور على كل حزين ويحتمل أن ذلك الفعل هو جعله نفسه فداء له صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم حتى أصيب ببضعٍ وثمانين طعنة و شلَّت يده في دفع الأعداء عنه) ". و قوله (كان عليه يوم أُحُد درعان) دليل على اهتمامه عليه الصلاة و السلام بأمر الحرب وإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون التوكل مقروناً بالتحصن لا مجرداً عنه. و لقد ورد في روايات أخرى أنه كان للنبي عليه الصلاة و السلام سبعة أدرعٍ.

صفة طيبه (أي عطره):

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ المِسك فيمسح به رأسه و لحيته و كان صلى الله عليه و سلم لا يردُّ الطيب، رواه البخاري. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه"، ورواه الترمذي في الأدب باب ما جاء في طيب الرجال والنساء، والنسائي في الزينة باب الفصل بين طيب الرجال والنساء، وهو حديث صحيح.

صفة كُحله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: "اكتحلوا بالإثمد فإنّه يجلو البصر و يُنبِت الشعر"، وزعم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم له مكحلة يكتحل منها كلَّ ليلةٍ ثلاثةً في هذه وثلاثة في هذه. قوله (اكتحلوا بالإثمد) المخاطَب بذلك الأصِحّاء أمّا العين المريضة فقد يضُرَّها الإثمِد، والإثمِد هو حجر الكحل المعدني المعروف ومعدنه بالمشرق وهو أسود يضرب إلى حمرة. وقوله (فإنّه يجلو البصر) أي يقوّيه و يدفع المواد الرديئة المنحدرة إليه من الرأس لاسيما إذا أُضيف إليه قليل من المسك. وأمّا قوله (يُنبت الشعر) أي يقوّي طبقات شعر العينين التي هي الأهداب وهذا إذا اكتحل به من اعتاده فإن اكتحل به من لم يعتده رمدت عينه.

---

(١) مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع ص/١١٧

صفة عيشه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما شَبِعَ آل محمد صلى الله عليه و سلم منذ قَدِموا المدينة ثلاثة أيام تِباعاً من خبز بُرّ، حتى مضى لسبيله أي مات صلى الله عليه وسلم".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً" (أي ما يسدُّ الجوع) متفق عليه.

صفة شرابه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " دَخَلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على يمينه وخالد عن شماله فقال لي: الشَّربة لك فإن شئتَ آثرتَ بها خالداَ، فقُلتُ ما كنتُ لأوثِرَ على سؤرك أحداً، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من أطعَمَهُ الله طعاماً فليقُل: "اللهم بارِك لنا فيه وأطعِمنا خيراً منه، ومن سقاه الله عزّ و جلّ لبَناً فليقُل: اللهم بارك لنا فيه وزِدنا منه"، ثم قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس شيء يُجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن ".

صفة شُربه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم شرب من زمزم وهو قائم.

وعن أنَس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه و آله سلم كان يتنفَّس في الإناء ثلاثاً إذا شرب ويقول هو أمرَأُ و أروى، قوله (كان يتنفس في الإناء ثلاثاً) وفي رواية لمسلم (كان يتنفس في الشراب ثلاثاً) المراد منه أنه يشرب من الإناء ثم يزيله عن فيه (أي فمه) ويتنفس خارجه ثم يشرب وهكذا لا أنه كان يتنفس في جوف الإناء أو الماء المشروب. وكان عليه الصلاة والسلام غالباً ما يشرب وهو قاعد.

صفة تكأته:

عن جابر بن سَمُرَة قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم مُتَّكئاً على وسادة على يساره ".

وعن عبد الرحمن بن أبي بَكرَة عن أبيه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أحدِّثكم بأكبر الكبائر؟! قالوا بلى يا ر سول الله ، قال: الإشراك بالله و عقوق الوالِدَين، قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مُتَّكِئاً، قال وشهادة الزور أو قول الزور، قال فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها حتى قلنا لَيته سكت ".

صفة فراشه:

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فراش من أدم. (أي من جلد مدبوغ) محشو بالليف.". (١)

١٦٩-"وَتَرْجِيحٌ خَامِسَ عَشَرَ وَهُوَ أَنّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنّ التّمَتّعَ أَفْضَلُ مِنْ الْإِفْرَادِ لِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ . مِنْهَا : أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَهُمْ بِفَسْخِ الْحَجّ إلَيْهِ وَمُحَالٌ أَنْ يَنْقُلَهُمْ مِنْ الْفَاضِلِ إلَى الْمَفْضُولِ الّذِي هُوَ دُونَهُ وَمِنْهَا : أَنّهُ تَأَسّفَ عَلَى كَوْنِهِ لَمْ يَفْعَلْهُ بِقَوْلِهِ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْت لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً وَمِنْهَا : أَنّهُ أَمَرَ بِهِ كُلّ مَنْ لَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢/٢٠٦

. وَمِنْهَا : أَنَّ الْحَجّ الّذِي **اسْتَقَرّ عَلَيْهِ** فِعْلُهُ وَفِعْلُ أَصْحَابِهِ الْقِرَانُ لِمَنْ سَاقَ الْهَدْيَ وَالتّمَتّعُ لِمَنْ لَمْ يَسُقْ الْهَدْيَ وَلِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ هَذِهِ وَالْمُتَمَتّعُ إذَا سَاقَ الْهَدْيَ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ مُتَمَتّعٍ اشْتَرَاهُ مِنْ مَكّةَ ، بَلْ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ لَا هَدْيَ إلّا مَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْحِلّ وَالْحَرَمِ . فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ، فَالْقَارِنُ السّائِقُ أَفْضَلُ مِنْ مُتَمَتّعٍ لَمْ يَسُقْ وَمِنْ مُتَمَتّعٍ سَاقَ الْهَدْيَ لِأَنّهُ قَدْ سَاقَ مِنْ حِينِ أَحْرَمَ وَالْمُتَمَتّعُ إنّمَا يَسُوقُ الْهَدْيَ مِنْ أَدْنَى الْحِلّ فَكَيْفَ يُجْعَلُ مُفْرِدٌ لَمْ يَسُقْ هَدْيًا ، أَفْضَلُ مِنْ مُتَمَتّعٍ سَاقَهُ مِنْ أَدْنَى الْحِلّ ؟ فَكَيْفَ إذَا جُعِلَ أَفْضَلُ مِنْ قَارِنٍ سَاقَهُ مِنْ الْمِيقَاتِ وَهَذَا بِحَمْدِ اللّهِ وَاضِحٌ .

فَصْلٌ [عُذْرُ مَنْ قَالَ حَجّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُتَمَتّعًا تَمَتّعًا حَلّ فِيهِ مِنْ إحْرَامِهِ]". (١)

١٧٠-"[ص ٢٧] كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ الصّيَامِ حَبْسَ النّفْسِ عَنْ الشّهَوَاتِ وَفِطَامَهَا عَنْ الْمَأْلُوفَاتِ وَتَعْدِيلَ قُوّتِهَا الشّهْوَانِيّةِ لِتَسْتَعِدّ لِطَلَبِ مَا فِيهِ غَايَةُ سَعَادَتِهَا وَنَعِيمِهَا وَقَبُولِ مَا تَزْكُو بِهِ مِمّا فِيهِ حَيَاتُهَا الْأَبَدِيّةُ وَيَكْسِرُ الْجُوعُ وَالظّمَأُ مِنْ حِدّتِهَا وَسَوْرَتِهَا وَيُذَكّرُهَا بِحَالِ الْأَكْبَادِ الْجَائِعَةِ مِنْ الْمَسَاكِينِ . وَتُضَيّقُ مَجَارِي الشّيْطَانِ مِنْ الْعَبْدِ بِتَضْيِيقِ مَجَارِي الطّعَامِ وَالشّرَابِ وَتَحْبِسُ قُوَى الْأَعْضَاءِ عَنْ اسْتِرْسَالِهَا لِحُكْمِ الطّبِيعَةِ فِيمَا يَضُرّهَا فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا وَيُسَكّنُ كُلّ عُضْوٍ مِنْهَا وَكُلّ قُوّةٍ عَنْ جِمَاحِهِ وَتُلْجَمُ بِلِجَامِهِ فَهُوَ لِجَامُ الْمُتّقِينَ وَجُنّةُ الْمُحَارِبِينَ وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرّبِينَ وَهُوَ لِرَبّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ فَإِنّ الصّائِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَإِنّمَا يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ فَهُوَ تَرْكُ مَحْبُوبَاتِ النّفْسِ وَتَلَذّذَاتِهَا إيثَارًا لِمَحَبّةِ اللّهِ وَمَرْضَاتِهِ وَهُوَ سِرّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبّهِ لَا يَطّلِعُ عَلَيْهِ سِوَاهُ وَالْعِبَادُ قَدْ يَطّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُفْطِرَاتِ الظّاهِرَةِ وَأَمّا كَوْنُهُ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَطّلِعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصّوْمِ . [ص ٢٨] أَيْدِي الشّهَوَاتِ فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى التّقْوَى كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ ﴾ [الْبَقَرَةُ ١٨٥] . وَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّوْمُ جُنّةٌ . وَأَمَرَ مَنْ اشْتَدّتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ النّكَاحِ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ بِالصّيَامِ وَجَعَلَهُ وِجَاءَ هَذِهِ الشّهْوَةِ . وَالْمَقْصُودُ أَنّ مَصَالِحَ الصّوْمِ لَمّا كَانَتْ مَشْهُودَةً بِالْعُقُولِ السّلِيمَةِ وَالْفِطَرِ الْمُسْتَقِيمَةِ شَرَعَهُ اللّهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ وَإِحْسَانًا إلَيْهِمْ وَحِمْيَةً لَهُمْ وَجُنّةً . وَكَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ وَأَعْظَمَ تَحْصِيلٍ لِلْمَقْصُودِ وَأَسْهَلَهُ عَلَى النّفُوسِ . [ص ٢٩] كَانَ فَطْمُ النّفُوسِ عَنْ مَأْلُوفَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا مِنْ أَشَقّ الْأُمُورِ وَأَصْعَبِهَا تَأَخّرَ فَرْضُهُ إلَى وَسَطِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ لَمّا تَوَطّنَتْ النّفُوسُ عَلَى التّوْحِيدِ وَالصّلَاةِ وَأَلِفَتْ أَوَامِرَ الْقُرْآنِ فَنُقِلَتْ إلَيْهِ بِالتّدْرِيجِ

[زَمَنُ فَرْضِيّةِ الصّيَامِ]

وَكَانَ فَرْضُهُ فِي السّنَةِ الثّانِيَةِ مِنْ الْهِجْرَةِ فَتُوُفّيَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ صَامَ تِسْعَ رَمَضَانَاتٍ وَفُرِضَ أَوّلًا عَلَى وَجْهِ التّخْيِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يُطْعِمَ عَنْ كُلّ يَوْمٍ مِسْكِينًا ثُمّ نُقِلَ مِنْ ذَلِكَ التّخْيِيرِ إلَى تَحَتّمِ الصّوْمِ وَجَعَلَ الْإِطْعَامَ لِلشّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ إذَا لَمْ يُطِيقَا الصّيَامَ فَإِنّهُمَا يُفْطِرَانِ وَيُطْعِمَانِ عَنْ كُلّ يَوْمٍ مِسْكِينًا وَرَخّصَ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ أَنْ يُفْطِرَا وَيَقْضِيَا وَلِلْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ إذَا خَافَتَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا كَذَلِكَ فَإِنْ خَافَتَا عَلَى وَلَدَيْهِمَا زَادَتَا مَعَ الْقَضَاءِ إطْعَامَ مِسْكِينٍ لِكُلّ يَوْمٍ فَإِنّ

---

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩٢/٣

فِطْرُهُمَا لَمْ يَكُنْ لِخَوْفِ مَرَضٍ وَإِنَّمَا كَانَ مَعَ الصّحّةِ فَجُبِرَ بِإِطْعَامٍ - ٣٠ - الْمِسْكِينِ كَفِطْرِ الصّحِيحِ فِي أَوّلِ الْإِسْلَامِ . وَكَانَ لِلصّوْمِ رُتَبٌ ثَلَاثٌ إحْدَاهَا : إيجَابُهُ بِوَصْفِ التّخْيِيرِ . وَالثّانِيَةُ تَحَتّمُهُ لَكِنْ كَانَ الصّائِمُ إذَا نَامَ قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ حَرُمَ عَلَيْهِ الطّعَامُ وَالشّرَابُ إلَى اللّيْلَةِ الْقَابِلَةِ فَنُسِخَ ذَلِكَ بِالرّتْبَةِ الثّالِثَةِ وَهِيَ الّتِي **اسْتَقَرّ عَلَيْهَا** الشّرْعُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَصْلٌ [إكْثَارُ الْعِبَادَاتِ فِي رَمَضَانَ]". (١)

١٧١-"وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه إذا خرجوا لسفر أن يجعلوا عليهم أميراً، حتى يكون رأيهم واحداً، ولا يقع بينهم الاختلاف، وكل ذلك حرصاً منه عليه الصلاة والسلام على لزوم الجماعة وتجنب أسباب الفرقة.

وكان يستحب – صلى الله عليه وسلم – الخروج يوم الخميس في أول النهار، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: " لقلَّما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس" رواه البخاري، وكان عليه السلام يدعو الله تبارك وتعالى أن يبارك لأمته في بكورها.

وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة من الأذكار والأدعية للمسافر:-

منها أنه إذا ركب على دابته، **واستقر عليها** قال: (الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم يقول: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحانك إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) رواه أبو داود ثم يقول: (اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، في المال والأهل) رواه مسلم.

ومما ورد عنه من الأذكار أثناء المسير أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا علا شرفاً – وهو المكان المرتفع- كبَّر الله تعالى، وإذا هبط وادياً سبح الله تعالى، ففي حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا) رواه البخاري.

ومن جملة الأدعية في هذا الشأن، أنه صلى الله عليه وسلم إذا دخل قرية أو شارف على دخولها، قال:- (اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها) رواه النسائي ، وكان إذا نزل منزلاً قال: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) رواه مسلم.

وكان إذا قضى حاجته من سفره، ورجع إلى أهله، ذكر دعاء السفر السابق، وزاد: (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) رواه البخاري .

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في السفر أخذه بما رخصه الله له، ومن ذلك قصر الصلاة الرباعية ركعتين، والفطر إذا شق عليه الصوم، والمسح على الخفين مدة ثلاث أيام بلياليهن، ولم يحفظ عنه أنه صلى في أسفاره السنن الرواتب، إلا سنة

---

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٦٥/٣

الفجر والوتر، فإنه لم يكن يدعهما في حضر ولا سفر.

ومن جملة ما نهى عنه – صلى الله عليه وسلم– في السفر: اصطحاب الكلب والجرس، وفي هذا جاء قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس) رواه مسلم.

ومما نهى عنه عليه الصلاة والسلام سفر المرأة بدون محرم، لما يترتب عليه من حصول الفتنة والأذية لها، فقد قال – صلى الله عليه وسلم: (لا تسافر امرأة إلا ومعها محرم) رواه البخاري.

وكذلك نهى – صلى الله عليه وسلم – أن يطرق المسافر أهله ليلاً، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:– (إذا طال أحدكم الغيبة ، فلا يطرق أهله ليلاً) رواه البخاري، وعنه أيضاً أنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم) رواه البخاري .

فالزم هدي نبيك صلى الله عليه وسلم في حياتك كلها، تنعم بالسعادة في الدنيا والآخرة

==============

٤٤–هديه صلى الله عليه وسلم في خصال الفطرة

زاد المعاد – (ج ١ / ص ١٦٧)

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْفِطْرَةِ وَتَوَابِعِهَا". (١)

١٧٢–"ولما **استقر عليه** الصلاة والسلام بالمدينة أرسل زيدبن حارثة وأبا رافع إلى مكة ليأتيا بمن تخلّف من أهله، وأرسل معهما عبد اللهبن أُرَيقط يدلهما على الطريق، فقَدِما بفاطمة وأُم كلثوم ابنتيه عليه الصلاة والسلام، وسَودة زوجه، وأُم أيمن زوج زيد وابنهما أسامة، وأما زينب فمنعها زوجها أبو العاصبن الربيع، وخرج من الجميع عبد اللهبن أبي بكر بأُمّ رومان، زوج أبيه، وعائشة أخته، وأسماء زوج الزبيربن العوّام، وكانت حاملاً بابنها عبد الله، وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة.

حُمَّى المدينة

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقاً للمهاجرين من أهل مكة، فأصاب كثيراً منهم الحُمَّى، وكان رسول الله يعُودهم، فلما شَكوا إليه الأمر قال: "اللهمّ حبب إلينا المدينة كما حببتَ إلينا مكة وأشد، وبارك لنا في مُدِّها وفي صاعها، وانقل وباءها إلى الجُحْفَة". فاستجاب الله جَلَّ وعلا دعوته، وعاش المهاجرون في المدينة بسلام.

منع المستضعفين من الهجرة

ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن الهجرة، وحبسوهم وعذبوهم، منهم: الوليدبن الوليد، وعيَّاشبن أبي ربيعة، وهشامبن العاص، فكان عليه الصلاة والسلام يدعو لهم في صلاته، وهذا أصل القنوت، وقد حصل في أوقات مختلفة وَمحالّ في الصلاة مختلفة، فكان في وتر العشاء، وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله، فروى كل صحابي ما رآه، وهذا سبب اختلاف الأئمة في

---

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣/٤٥١

مكان القنوت.

السَّنة الأولى

بناء المسجد". (١)

١٧٣-"ثم إن الرسول استشار أصحابه في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام، فقال له عمر: إن كنت أُمرت بالسير فسِرْ. فقال عليه الصلاة والسلام: "لو كنت أُمرت بالسير لم أَسْتَشِرْ". فقال: يا رسول الله إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام، وقد دنونا، وقد أفزعهم دنوُّك، فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً، فتبع عليه الصلاة والسلام مشورته، وأمر بالقفول فرجع الجيش إلى المدينة.

مسجد الضِّرار

ولما كان على مقربة منها، بلغه خبر مسجد الضِّرار وهو مسجد أسَّسه جماعةٌ من المنافقين معارضة لمسجد قُباء، ليفرقوا جماعة المسلمين. وجاء جماعة منهم إلى الرسول طالبين منه أن يصلِّي لهم فيه، فسألهم عن سبب بنائه، فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون، فأمر عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه لينطلقوا إليه، ويهدموه، ففعلوا. هذا، ولما **استقر عليه** الصلاة والسلام بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذباً، فقبل منهم عليه الصلاة والسلام علانيتهم، ووكل ضمائرهم إلى الله، واستغفر لهم.

حديث الثلاثة الذين خُلِّفوا". (٢)

١٧٤-"وعبارة الشافعى فى كتاب المناسك: «ولو نوى الإحرام بقلبه، ولم يلب أجزأة، وليس كالصلاة، لأن فى أولها نطقا واجبا» ، هذا نصه. وقد قال الشيخ أبو على السنجى فى شرح التلخيص، وابن الرفعة فى المطلب، والزركشى فى الديباج وغيرهم: إنما أراد الشافعى بذلك تكبيرة الإحرام فقط، انتهى.

وبالجملة: فلم ينقل أحد أنه- صلى الله عليه وسلم- تلفظ بالنية، ولا علّم أحدا من أصحابه التلفظ بها، ولا أقره على ذلك. بل المنقول عنه فى السنن أنه قال:

«مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم» «١» . وفى الصحيحين أنه- صلى الله عليه وسلم- لما علم المسيء صلاته قال له: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن» »

فلم يأمره بالتلفظ بشئ قبل التكبير. نعم اختلف العلماء فى التلفظ بها:

فقال قائلون: هو بدعة لأنه لم ينقل فعله.

وقال آخرون: هو مستحب، لأنه عون على استحضار النية القلبية، وعبادة للسان، كما أنه عبودية للقلب، والأفعال المعنوية عبودية الجوارح.

---

(١) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص/٨٠

(٢) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص/٢٢٥

وبنحو ذلك أجاب الشيخ تقى الدين السبكى والحافظ عماد الدين بن كثير.
وأطنب ابن القيم- فى غير الهدى- فى رد الاستحباب، وأكثر فى الاستدلال بما فى ذكره طول يخرجنا عن المقصود، لا سيما والذى **استقر عليه** أصحابنا استحباب النطق بها.
وقاسه بعضهم على ما فى الصحيحين، من حديث أنس: أنه سمع

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٦١) فى الطهارة، باب: فرض الوضوء، والترمذى (٣) فى الطهارة، باب: ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور، وابن ماجه (٢٧٥) فى الطهارة، باب: مفتاح الصلاة الطهور، وأحمد فى «المسند» (٣/ ٢٠٣) من حديث على- رضى الله عنه-، والحديث صححه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (٣٠١) .
(٢) صحيح: وحديث المسئ صلاته عند البخارى (٧٥٧) فى الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام المأموم، وأطرافه (٧٩٣ و ٦٢٥١ و ٦٦٦٧) ، ومسلم (٣٩٧) فى الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، من حديث أبى هريرة- رضى الله عنه-.". (١)

١٧٥-"أنحر» «١» . وهذا خبر عنه لا يدخله الوهم ولا الغلاط، بخلاف خبر غيره عنه. قاله فى زاد المعاد.
وأما اختلاف الروايات عنه- صلى الله عليه وسلم- فى إهلاله، هل هو بالحج أو بالعمرة أو القران، والجمع بينها، فكل تأول بما يناسب مذهبه الذى قدمته.
قال البغوى: والذى ذكره الشافعى فى كتاب «اختلاف الأحاديث» كلاما موجزه: «أن أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان منهم المفرد والقارن والمتمتع، فكل كان يأخذ عنه أمر نسكه، ويصدر عن تعليمه، فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر بها وأذن فيها، ويجوز فى لغة العرب إضافة الفعل إلى الآمر به، كما يجوز إضافته إلى الفاعل له، كما يقال: بنى فلان دارا، ويريد أنه أمر ببنائها، وكما روى أنه- صلى الله عليه وسلم- رجم ماعزا، وإنما أمر برجمه، ثم احتج بأنه- صلى الله عليه وسلم- كان أفرد الحج. انتهى، وقال الخطابى نحوه.
وقال النووى: كان- صلى الله عليه وسلم- أولا مفردا، ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك، وأدخلها على الحج فصار قارنا، فمن روى الإفراد فهو الأصل، يعنى حمله على ما أهل به فى أول الحال، ومن روى القران أراد ما **استقر عليه** أمره، ومن روى التمتع أراد به التمتع اللغوى والارتفاق، فقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة، وهو الاقتصار على فعل واحد. وقال غيره: أراد بالتمتع ما أمر به غيره. قالوا: وبهذا الجمع تنتظم الأحاديث كلها ويزول عنها الاضطراب والتناقض.
وقالت طائفة: إنما أحرم- صلى الله عليه وسلم- قارنا ابتداء يعنى بالحج والعمرة معا واحتجوا بأحاديث صحيحة تزيد على العشرين، منها حديث أنس فى صحيح مسلم سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أهل بهما: «لبيك عمرة وحجّا» «٢» .

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٣/١٩٥

ورواه عن أنس ستة عشر نفسا من الثقات، كلهم متفقون عن أنس أن لفظ النبى- صلى الله عليه وسلم- كان إهلالا بحج وعمرة معا.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٥٦٦) فى الحج، باب: التمتع والإقران والإفراد بالحج. من حديث حفصة ولفظه إنى لبدت رأسى وقلدت هديى فلا أحل حتى أنحر.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (١٦٩٢) فى الحج، باب: من ساق البدن معه. من حديث ابن عمر. وقد تقدم أكثر من مرة.". (١)

١٧٦-"١ " - شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن الحلبي ابن العجمي

٤٨٠ - ٥٦١)، رحل إلى بغداد، فاخذ عن أبي بكر الشاشي وأسعد الميهني، وسمع الحديث بها من جماعة، وسمع منه الامام أبو سعد السمعاني صاحب " الانساب " المتوفى سنة ٥٦٢.

وكانت له حظوة عند أمير حلب إذ أرسله إلى دمشق رسولا عنه، وذكروا أن صاحب الموصل ولاه عمارة المسجد الحرام.

ترجم له الذهبي في " العبر " ٣: ٣٦، وترجمه في " تاريخ الاسلام " أيضا، وقد نقل العلامة الطباخ في " إعلام النبلاء " ٤: ٢٣٧ ترجمته من مختصر الملا ك " تاريخ الاسلام "، وترجمة أيضا السبكي في " طبقات الشافعية " ٧: ١٤٧، وابن العماد في " الشذرات " ٤: ١٩٨.

وهو صاحب أول إثر علمي بحلب، كما تقدم.

رحل إلى بغداد فرأى فيها المدارس العلمية العظيمة التي كانت قلاع العلم والدين، فاقتبسمنها ذلك، فرجع إلى حلب وأسس أول مدرسة علمية في حي الجلوم - وكانه الحي لآل العجمي من قديم - وكان في ذاك الشارع معمل لتصنيع الزجاج، فعرف بشارع الزجاجين، وعرفت المدرسة بالمدرسة الزجاجية، وكانت لتدريس المذهب الشافعي، ولعل المترجم هو الذي نشر المذهب الشافعي بحلب، إذ كان السنة من أهلها كلهم على المذهب الحنفي

(١).

وكان تاريخ بنائها سنة ٥١٦، وهي مندرسة من قديم، لكن قربوا مكانها تقريبا، والذي **استقر عليه** قول العلامة الطباخ رحمه الله في تاريخه " إعلام النبلاء " ٤: ٢٤٠ و ٣٥٧ أنها موضع خان الطاف المعروف الآن، وكان قال قبل ذلك ١: ٣٩٢: إنها في أوائل زقاق أبي درجين بالجلوم، لكن من طرف آخر.

هكذا جزم عدد من الائمة أن بانيها هو شرف الدين المذكور، وقال آخرون: بانيها هو بدر الدولة أبو الربيع سليمان بن عبد الجبرا صاحب حلب، وكان شرف الدين المذكور هو الذي أشار عليه ببنائها، ثم تولى تدريسها إلى أن توفي.

انظر " نهر الذهب " للشيخ كامل الغزي ٢: ٨٤، و " إعلام النبلاء " ١: ٣٩٢، ٤: ٢٣٨.

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٤٦٦/٣

وكان أبو طالب هذا قد التقى أيام تلقيه العلم ببغداد بابي محمد عبد الله بن علي القيسراني القصري - نسبة إلى قصر حيفا - ثم افترقا، ثم جا القصري هذا إلى دمشق، ثم إلى حماة، فلما علم به أبو طالب استدعاه إلى حلب وبنى له مدرسة فيها، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٤٢ في قول ابن عساكر، أو ٥٤٣ أو ٥٤٤ في قول غيره، وأرخه ابن السمعاني في " الانساب " ١٠: ٤٤٢ على الشك: ٥٣٧ أو ٥٣٨.

انظر: " إعلام النبلاء " ٤: ٢١٧ - ٢١٨، و " معجم البلدان " ٤: ٢٥٧.

وهذا يدل على مزيد إعجاب هذا الرجل بانشاء مدارس العلم في البلد، ويدل أيضا على وجاهته فيها.

٢ " - ضياء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن أسعد بن عبد الرحمن ابن العجمي ٥٦٤ -". (١)

١٧٧-"١ - " الكاشف ": مخطوطاته، ومراحل العمل فيه

أولا - مخطوطاته:

١ " - لم أحفل بالبحث عن مخطوطات " الكاشف "، لعلمي أنها كثيرة جدا، ويغلب على ظني إنه ما من مركز للمخطوطات إلا وفيه نسخة أو نسخ منه، وقد حصلت والحمد لله على ما اغناني عن هذه الكثرة،

وهو أصل المصنف الذي كتبه بيده، واستقر عليه أخيرا، فانه جاء في آخره قوله: " فرغت من اختصاره بعد العصر يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة عشرين وسبعمائة، وهذا المختصر في قدر عشر الاصل ".

ثم كتب عن يمين هذا الكلام: " فرغ الذهبي من هذه نسخة سنة تسع وعشرين ".

فهذه هي الصياغة الاخيرة للكتاب، بدليل اعتماده هذه النسخة وإضافاته الكثيرة عليها، وآخر ما أضافه ترجمة مجاهد بن رباح، ولرخ ذلك سنة ٤٣، أي: وسبعمائة، فيكون ذلك قبل وفاته بخمس سنين.

ومع ذلك فقد تجمع لدي منه خمس نسخ سوى أصل المصنف، نسختان من حلب، وثلاث من معهد المخطوطات العربية بمصر، وهذه كلمات موجزة عنها: النسخة الحلبية الاولى: هي نسخة العلامة ابن الاسكندري، وهو مصري كما هو واضح من نسبته وشهرته، ويبدو أن أصله إسكندري، منشاه بلبيسي، وكان البرهان الحلبي احضر معه هذه النسخة إلى حلب حين مر ببلبيس، من مدن مصر، فانه دخلها في رحلته إلى مصر للمرة الاولى والثانية، ثم كتب عليها حواشيه وفوائده.

وقد تقدم وصفها والكلام عليها باستيفاء ص ١٤٤ - ١٤٧، والحمد لله.

النسخة الحلبية الثانية: وهي من محفوظات المكتبة الاحمدية بحلب، ويقع نص الكتاب في ٢١٩ النسخة الحلبية الثانية: وهي من محفوظات المكتبة الاحمدية بحلب، ويقع نص الكتاب في ٢١٩ ورقة، سوى ما ألحق باولها، وجاء في آخرها: " تم " الكاشف " والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وذلك يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وكتبه العبد الفقير إلى الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه: عثمان بن محمد

---

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٩٣/١

بن الحسين الحراني نسبا، الاذرعي مولدا، الشافعي مذهبا، عفا الله عنه وعن والديه تكرما، وعن سائر المسلمين، آمين رب العالمين ".". (١)

١٧٨-"وأعود لاقول: إني لم أحتفل بهذه المغايرات، لانها في حكم الملغى المعدول عنه عند المصنف،

فالاصل الذي بين يدي هو الذي **استقر عليه** اختيار المصنف وصياغته.

وإثباتي لها: دليل اعتباري لها، وهو خلاف نظرة المصنف لها.

والله تعالى أعلم.

ثانيا - مراحل العمل فيه، أقصر حديثي على الجانب العلمي

١): ١ " - صورت نسخة من الطبعة المصرية التي قام على تحقيقها الدكتوران الفاضلانعزت عيد عطية، وموسى محمد علي الموشي، وطبعاها عام ١٣٩٢ في ثلاثة مجلدات متوسطة، وقابلتها بالاصل الذي بخط المصنف، وأثبت عليها المايرات.

وكانت المقابلة مع أخي الفاضل الاستذ الشيخ أحمد نجل شيخنا الجليل الداعية المربي الاستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب خفظهما الله تعالى.

٢ " - ثم كررنا المقابلة بشكل خاص لرموز كل ترجمة على حدة، قابلنا ذلك بالاصل ما استطعنا، لان رموزه بالحبر الاحمر، وبما في " تهذيب الكمال " المطبوع منه، وكان حينئذ سبعة أجزاء، ومصورة دار المأمون للتراث، لكنا ما كنا نثق بالرموز فقط، خشية وقوع تحريف في المطبوع أو المصورة، بل نرجع إلى نص المزي آخر الترجمة أو أثناءها.

وكان من نتيجة ذلك: كشف أوهام نادرة من المصنف، وأوهام أكثر منها من الحافظ ابن حجر في " التقريب ".

وكان هذا الامر يستدعي مني مراجعة أحاديث الرجل في الكتب المرموز لها، لا تثبت هل له حديث فيها أولا، فاصحح الرمز أو أخطئه.

ولا يدرك وعورة أغوار هذا المسلك وطولها وما تستغرقه من وقت وجهد إلا من يعاينها.

وكان يسعفني في هذا المجال: " رجال صحيح البخاري " للكلاباذي، وللباجي، و " رجال صحيح مسلم " لابن منجويه، و " تحفة الاشراف " للمزي، رحمهم الله تعالى.

٣ " - وكنا نحرص أثناء المقابلة على الاستفادة من ضبط المصنف والاخذ به.

٤ " - ثم قام الاخ الشيخ أحمد بتخريج نصوص " الكاشف " من أحاديث شريفة - ولو أن المصنف أشار إليها إشارة خفيفة، كقوله: له حديث واحد، أو حديثه مضطرب، ونحو ذلك - ومن أقوالهم في المترجم

تجريحا وتعديلا.

فكفى وأوفى، جزاه الله خيرا.

٥ " - اثبت تخريجاته هذه.

---

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ١٥١/١

ث كنت أقوم باعمال متممة لها، وأهمها: ٦ " – كنت أراجع هذ الاقوال في مصادرها متدرجا معها، أرجع إليها عند المزي في " تهذيبه " لانه المصدر الاول للذهبي.". [١]

١٧٩-" " باب ذكر حكم الأرضين وما جاء فيه عن السلف الماضية " (١) لا خلاف بين الأئمة من سلف هذه الأمة أن كل بلد صولح أهله على الخراج المعلوم أنه لا يجوز تغيير ما **استقر عليهم** من الرسوم وقد صح أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمضى لأهل مدينة دمشق الصلح كما تقدم في هذا الكتاب لأنه Bه لما أشكل عليه الحال في الفتح وهل سبق من دخلها عنوة أو من دخلها بالصلح أمضاها كلها صلحا لأهلها وقبل منهم شروطا رضوا ببذلها فأما ما ظهر عليه المسلمون عنوة من أعمالها ونواحيها وحووه بالقهر والغلبة من أهلها فقد اختلف العلماء الماضون في حكمه ولم تتفق آراؤهم في انفاقه (٢) أو قسمه فذهب عمر وعلي ومعاذ بن جبل إلى أنها وقف بين المسلمين لا تقسم بين من غلب عليها من الغانمين وتجري غلتها (٣) عليهم وعلى من بعدهم من الخائفين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وذهب الزبير بن العوام وبلال بن رباح إلى أنها ملك الغانمين فيقسم بينهم على ما يراه إمام المسلمين وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري وهما من العلماء الكبار إلى أن الإمام في ذلك بالخيار إن شاء وقفها وإن شاء قسمها ووزعها على ما (٤) يراه بين من غنمها

---

(١) الاصل وخع وفي المطبوعة : الماضين

(٢) كذا وفي المطبوعة : إيقافه

(٣) بالاصل وخع : " ويجري عليها " والمثبت عن مختصر ابن منظور ١ / ٢٣١

(٤) زيادة عن خع ومختصر ابن منظور ". [٢]

١٨٠-" – * باب ذكر حكم الأرضين وما جاء فيه عن السلف الماضية – *

لا خلاف بين الأئمة من سلف هذه الأمة أن كل بلد صولح أهله على الخراج المعلوم أنه لا يجوز تغيير ما **استقر عليهم** من الرسوم

وقد صح أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمضى لأهل مدينة دمشق الصلح كما تقدم في هذا الكتاب لأنه رضي الله عنه لما أشكل عليه الحال في الفتح وهل سبق من دخلها عنوة أو من دخلها بالصلح أمضاها كلها صلحا لأهلها وقبل منهم شروطا رضوا ببذلها فأما ما ظهر عليه المسلمون عنوة من أعمالها ونواحيها وحووه بالقهر والغلبة من أهلها فقد اختلف العلماء الماضون في حكمه ولم تتفق آراؤهم في انفاقه أو قسمه

---

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ١/١٥٥

(٢) تاريخ دمشق ١٨٦/٢

فذهب عمر وعلي ومعاذ بن جبل إلى أنها وقف بين المسلمين لا تقسم بين من غلب عليها من الغانمين وتجري غلتها عليهم وعلى من بعدهم من الخائفين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

وذهب الزبير بن العوام وبلال بن رباح إلى أنها ملك الغانمين فيقسم بينهم على ما يراه إمام المسلمين

وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري وهما من العلماء الكبار إلى أن الإمام في ذلك بالخيار إن شاء وقفها وإن شاء قسمها ووزعها على ما يراه بين من غنمها

". (١)

١٨١-" والرابع قوم دلسوا عن شيوخ مجروحين سمعوا منهم فغيروا أسماءهم وهذا تدليس الشيوخ وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى

والخامس قوم دلسوا عن شيوخ سمعوا منهم الكثير وفاتهم بعض الشيء عنهم فدلسوه

والسادس قوم رووا عن شيوخ لم يروهم قط ولم يسمعوا منهم فيقولون قال فلان وحمل ذلك منهم على الاتصال وليس مسموعا ومثل ذلك بما ذكر أبو داود الطيالسي عن أشرس أن إسحاق بن راشد قدم الري فجعل يقول حدثنا الزهري قال فقلت له أين لقيت ابن شهاب قال لم ألقه مررت ببيت المقدس فوجدت كتابا له

قلت وهذا ليس من التدليس في شيء لما تقدم إن شرط التدليس أن يكون اللفظ محتملا لا صريحا فمتى كان صريحا في السماع ولم يكن كذلك فهو كذب يقتضي الجرح لفاعله اللهم إلا أن يؤول بتأويل بعيد كما قيل فما روي عن الحسن أنه قال حدثنا أبو هريرة وتأوله من لم يثبت له السماع منه على أنه أراد حدث أهل البصرة فيكون الضمير عائدا إليهم وكذلك قول طاووس قدم علينا معاذ اليمن وهو لم يدركه وإنما أراد قدم على أهل بلده وهذه الأقسام متداخلة كما تراها والتعاقد شرط في التقسيم

والذي ينبغي أن ينزل قول من جعل التدليس مقتضيا لجرح فاعله على من أكثر التدليس عن الضعفاء وأسقط ذكرهم تغطية لحالهم وكذلك من دلس اسم الضعيف حتى لا يعرف كما سيأتي ولهذا ترك جماعة من الأئمة كأبي حاتم الرازي وابن خزيمة وغيرهما الاحتجاج ببقية مطلقا قال ابن حبان سمع بقية من شعبة ومالك وغيرهما أحاديث مستقيمة ثم سمع من أقوام كذابين عن مالك وشعبة فروى عن الثقات بالتدليس ما أخذ عن الضعفاء ولا شك في أن مثل هذا مقتض للجرح لكن الذي **استقر عليه** عمل الأكثرين الاحتجاج بما رواه المدلس الثقة بلفظ صريح في السماع ". (٢)

١٨٢-"١ " - شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن الحلبي ابن العجمي (٤٨٠ - ٥٦١)، رحل إلى بغداد، فاخذ عن أبي بكر الشاشي وأسعد الميهني، وسمع الحديث بها من جماعة، وسمع منه الامام أبو سعد

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٨٦/٢

(٢) جامع التحصيل ص/١٠٠

السمعاني صاحب " الانساب " المتوفى سنة ٥٦٢.

وكانت له حظوة عند أمير حلب إذ أرسله إلى دمشق رسولا عنه، وذكروا أن صاحب الموصل ولاه عمارة المسجد الحرام.

ترجم له الذهبي في " العبر " ٣: ٣٦، وترجمه في " تاريخ الاسلام " أيضا، وقد نقل العلامة الطباخ في " إعلام النبلاء " ٤: ٢٣٧ ترجمته من مختصر الملا ك " تاريخ الاسلام "، وترجمة أيضا السبكي في " طبقات الشافعية " ٧: ١٤٧، وابن العماد في " الشذرات " ٤: ١٩٨.

وهو صاحب أول إثر علمي بحلب، كما تقدم.

رحل إلى بغداد فرأى فيها المدارس العلمية العظيمة التي كانت قلاع العلم والدين، فاقتبسمنها ذلك، فرجع إلى حلب وأسس أول مدرسة علمية في حي الجلوم - وكانه الحي لآل العجمي من قديم - وكان في ذاك الشارع معمل لتصنيع الزجاج، فعرف بشارع الزجاجين، وعرفت المدرسة بالمدرسة الزجاجية، وكانت لتدريس المذهب الشافعي، ولعل المترجم هو الذي نشر المذهب الشافعي بحلب، إذ كان السنة من أهلها كلهم على المذهب الحنفي (١).

وكان تاريخ بنائها سنة ٥١٦، وهي مندرسة من قديم، لكن قربوا مكانها تقريبا، والذي استقر عليه قول العلامة الطباخ رحمه الله في تاريخه " إعلام النبلاء " ٤: ٢٤٠ و ٣٥٧ أنها موضع خان الطاف المعروف الآن، وكان قال قبل ذلك ١: ٣٩٢: إنها في أوائل زقاق أبي درجين بالجلوم، لكن من طرف آخر.

هكذا جزم عدد من الائمة أن بانيها هو شرف الدين المذكور، وقال آخرون: بانيها هو بدر الدولة أبو الربيع سليمان بن عبد الجبرا صاحب حلب، وكان شرف الدين المذكور هو الذي أشار عليه ببنائها، ثم تولى تدريسها إلى أن توفي.

انظر " نهر الذهب " للشيخ كامل الغزي ٢: ٨٤، و " إعلام النبلاء " ١: ٣٩٢، ٤: ٢٣٨.

وكان أبو طالب هذا قد التقى أيام تلقيه العلم ببغداد بابي محمد عبد الله بن علي القيسراني القصري - نسبة إلى قصر حيفا - ثم افترقا، ثم جا القصري هذا إلى دمشق، ثم إلى حماة، فلما علم به أبو طالب استدعاه إلى حلب وبنى له مدرسة فيها، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٤٢ في قول ابن عساكر، أو ٥٤٣ أو ٥٤٤ في قول غيره، وأرخه ابن السمعاني في " الانساب " ١٠: ٤٤٢ على الشك: ٥٣٧ أو ٥٣٨.

انظر: " إعلام النبلاء " ٤: ٢١٧ - ٢١٨، و " معجم البلدان " ٤: ٢٥٧.

وهذا يدل على مزيد إعجاب هذا الرجل بانشاء مدارس العلم في البلد، ويدل أيضا على وجاهته فيها.

٢ " - ضياء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن أسعد بن عبد الرحمن ابن العجمي (٥٦٤ -". (١)

١٨٣-"١ - " الكاشف ": مخطوطاته، ومراحل العمل فيه أولا - مخطوطاته: ١ " - لم أحفل بالبحث عن مخطوطات " الكاشف "، لعلمي أنها كثيرة جدا، ويغلب على ظني إنه ما من مركز للمخطوطات إلا وفيه نسخة أو نسخ منه، وقد حصلت والحمد لله على ما اغناني عن هذه الكثرة،

---

(١) من له رواية في الكتب الستة ١/٩٣

وهو أصل المصنف الذي كتبه بيده، **واستقر عليه** أخيرا، فانه جاء في آخره قوله: " فرغت من اختصاره بعد العصر يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة عشرين وسبعمائة، وهذا المختصر في قدر عشر الاصل ".

ثم كتب عن يمين هذا الكلام: " فرغ الذهبي من هذه نسخة سنة تسع وعشرين ".

فهذه هي الصياغة الاخيرة للكتاب، بدليل اعتماده هذه النسخة وإضافاته الكثيرة عليها، وآخر ما أضافه ترجمة مجاهد بن رباح، ولرخ ذلك سنة ٤٣، أي: وسبعمائة، فيكون ذلك قبل وفاته بخمس سنين.

ومع ذلك فقد تجمع لدي منه خمس نسخ سوى أصل المصنف، نسختان من حلب، وثلاث من معهد المخطوطات العربية بمصر، وهذه كلمات موجزة عنها: النسخة الحلبية الاولى: هي نسخة العلامة ابن الاسكندري، وهو مصري كما هو واضح من نسبته وشهرته، ويبدو أن أصله إسكندري، منشاه بلبيسي، وكان البرهان الحلبي احضر معه هذه النسخة إلى حلب حين مر ببلبيس، من مدن مصر، فانه دخلها في رحلته إلى مصر للمرة الاولى والثانية، ثم كتب عليها حواشيه وفوائده.

وقد تقدم وصفها والكلام عليها باستيفاء ص ١٤٤ - ١٤٧، والحمد لله.

النسخة الحلبية الثانية: وهي من محفوظات المكتبة الاحمدية بحلب، ويقع نص الكتاب في ٢١٩ النسخة الحلبية الثانية: وهي من محفوظات المكتبة الاحمدية بحلب، ويقع نص الكتاب في ٢١٩ ورقة، سوى ما ألحق باولها، وجاء في آخرها: " تم " الكاشف " والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وذلك يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وكتبه العبد الفقير إلى الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه: عثمان بن محمد بن الحسين الحراني نسبا، الاذرعي مولدا، الشافعي مذهبا، عفا الله عنه وعن والديه تكرما، وعن سائر المسلمين، آمين رب العالمين ".". (١)

١٨٤-"وأعود لاقول: إني لم أحتفل بهذه المغايرات، لانها في حكم الملغى المعدول عنه عند المصنف،

فالاصل الذي بين يدي هو الذي **استقر عليه** اختيار المصنف وصياغته.

وإثباتي لها: دليل اعتباري لها، وهو خلاف نظرة المصنف لها.

والله تعالى أعلم.

ثانيا - مراحل العمل فيه، أقصر حديثي على الجانب العلمي (١): ١ " - صورت نسخة من الطبعة المصرية التي قام على تحقيقها الدكتوران الفاضلانعزت عيد عطية، وموسى محمد علي الموشي، وطبعاها عام ١٣٩٢ في ثلاثة مجلدات متوسطة، وقابلتها بالاصل الذي بخط المصنف، وأثبت عليها المايرات.

وكانت المقابلة مع أخي الفاضل الاستذ الشيخ أحمد نجل شيخنا الجليل الداعية المربي الاستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب خفظهما الله تعالى.

٢ " - ثم كررنا المقابلة بشكل خاص لرموز كل ترجمة على حدة، قابلنا ذلك بالاصل ما استطعنا، لان رموزه بالحبر الاحمر،

---

(١) من له رواية في الكتب الستة ١/١٥١

وبما في " تهذيب الكمال " المطبوع منه، وكان حينئذ سبعة أجزاء، ومصورة دار المأمون للتراث، لكنا ما كنا نثق بالرموز فقط، خشية وقوع تحريف في المطبوع أو المصورة، بل نرجع إلى نص المزي آخر الترجمة أو أثناءها.
وكان من نتيجة ذلك: كشف أوهام نادرة من المصنف، وأوهام أكثر منها من الحافظ ابن حجر في " التقريب ".
وكان هذا الامر يستدعي مني مراجعة أحاديث الرجل في الكتب المرموز لها، لا تثبت هل له حديث فيها أولا، فاصحح الرمز أو أخطئه.
ولا يدرك وعورة أغوار هذا المسلك وطولها وما تستغرقه من وقت وجهد إلا من يعاينها.
وكان يسعفني في هذا المجال: " رجال صحيح البخاري " للكلاباذي، وللباجي، و " رجال صحيح مسلم " لابن منجويه، و " تحفة الاشراف " للمزي، رحمهم الله تعالى.
٣ " - وكنا نحرص أثناء المقابلة على الاستفادة من ضبط المصنف والاخذ به.
٤ " - ثم قام الاخ الشيخ أحمد بتخريج نصوص " الكاشف " من أحاديث شريفة - ولو أن المصنف أشار إليها إشارة خفيفة، كقوله: له حديث واحد، أو حديثه مضطرب، ونحو ذلك - ومن أقوالهم في المترجم
تجريحا وتعديلا.
فكفى وأوفى، جزاه الله خيرا.
٥ " - اثبت تخريجاته هذه.
ث كنت أقوم باعمال متممة لها، وأهمها: ٦ " - كنت أراجع هذ الاقوال في مصادرها متدرجا معها، أرجع إليها عند المزي في " تهذيبه " لانه المصدر الاول للذهبي.". (١)

١٨٥-"""""""" صفحة رقم ٢٣٥ """""""

وفي جمادى الأولى شاع عن أهل التقويم أنهم اتفقوا أن الشمس تكسف في ثامن عشري هذا الشهر بعد الزوال ، فتأهب السلطان وغيره لذلك وترقبها إلى أن غربت ، ولم يتغير منها شيء البتة .
وفي يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب تزوج سيدي محمد ولد الأمير جقمق بنت أحمد بن أرغون شاه ، وعمل له أبوه وليمة عظيمة وقدم له السلطان ومن دونه تقادم سنية .
وفي شوال أرسل السلطان ثلاثمائة مملوك إلى جزيرة قبرس بمطالبة صاحبها بما **استقر عليه** من المال في كل سنة ، وأوصاهم أن يرسوا على بعض الجزائر ويراسلوه ، فإن أجاب بالامتثال رجعوا وصحبتهم ما يوصله لهم ، وإن امتنع اعتصموا ببعض الجزائر وراسلوا السلطان ، فعادوا بعد بضعة وعشرين يوما وصحبتهم أثواب صوف بقيمة ثلاثة آلاف دينار .
وفيها حجب خوند جلبان زوج السلطان ، وكانت أمته فأعتقها وتزوجها وصيرها أكبر الخوندات ، وجهزها في هذه السنة

(١) من له رواية في الكتب الستة ١/١٥٥

تجهيزا عظيما ، وأرسل صحبتها جوهر اللالا وناظر الجيش ونصب في". [(١)]

١٨٦-"""""""" صفحة رقم ٩١ """""""

بإحضار ما في منزله من الذهب ، فكان ثلاثين ألف دينار فاستقلها السلطان ، فاستأذنه ناظر الجيش المذكور في بيع موجوده فأذن له ، وشرعوا في بيع جميع ما عنده من الحواصل ، فوصلت مصادرته في اليوم العاشر إلى مائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار والطلب مستمر ، وقيل إنه طلب منه ألف ألف دينار ، وإن بعض الوسائط أنزلها إلى خمسمائة ألف دينار ، ولم يثبت ذلك وصودر كاتبه على عشرة آلاف دينار ، ثم خفف عنه منها الخمس ، والأستادار جانب بك مملوكه – على عشرة آلاف دينار ، فباع دوره واثاثه وشرع في وزنها وضمن عليهم وأطلقوهم ، ثم أطلق ضفدع وإبراهيم الكاتب بغير شيء ، وكثرت الأمتعة والملابس الفاخرة بأيدي الناس من كثرة من يبيع ذلك من حواشي المشار إليه – إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

ومن أعجب ما يذكر أن جميع منادميه صاروا ملازمين لكاتب السر طمعا في استمرار جهاتهم وجاههم – والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأحضر الشريف بدر الدين حسن الإسكندراني التاجر ، وكان يتوكل عن ناظر الجيش في بيع النبهار من الإسكندرية في هيئة شنيعة ، فحبس بالبرج وحوسب إلى إن **استقر عليه** شيء يسير وأطلق ،". [(٢)]

١٨٧-"إن لفظة الصدوق مشتقة من الصدق ، والصدقُ نقيض الكذب ، وصدوق صيغة مبالغة ، قال في اللسان: رجل صدوق أبلغ من الصادق(١).

وقد أطلق القرآن الكريم اسم الصدق على كتاب الله فقال تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) سورة الزمر

كما أطلق لفظة صدّيق على غير واحد من الأنبياء ، قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (٤١) سورة مريم .

والمتتبع لاستعمالات هذه اللفظة الصدق وما اشتقَّ منها في القرآن الكريم يجدُ حشداً ليس بالقليل من استعمالات شتى لهذه الألفاظ غالبها يقْصَد به الخبرُ المطابق للواقع .

ويقابل الصدوق الكذوب ، لا فرق بين الصَّدوق والثقة ، والدليل على ذلك : "أنني لا أعلم واحدا من علماء الأمة الذين يعوَّلُ عليهم ، توقف في قبول خبر الصدوق ، إنما جرَّهم البحث والتمحيص ووضع الاصطلاحات الضابطة لفنِّ أصول الحديث إلى التفرقة بين الصَّدوق وبين الثقة .هذه التفرقة ليست بين شيئين مختلفين أو متضادين ، إنما هي نوع من التفرقة بين الفاضل والمفضول ، والأفضل منه ، أو بين الراجح والأرجح منه.

وهذه التفرقة – في نظري – لم يجمع عليها المتقدمون من علماء الحديث ، فغالبهم لم يكن يفرِّقُ بين الثقة والصدوق ، لأن

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ٢٣٥/٨

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ٩١/٩

مؤداهما واحد عندهم ، والتفرقة إنما جاءت من بعض المتأخرين ، **واستقرَّ عليها** وضعهم"(٢).

ويمكن أن نستدلَّ بأكثر من دليل على ذلك ، وإليك هذه الأدلة :

---

(١) – اللسان : ١٩٣/١٠

(٢) – منهج دراسة الأسانيد والحكم عليها للعاني – رحمه الله – ص ١٢٧- ١٢٨

قلت : بما أنه قد **استقرَّ عليها** المتأخرون دون استثناء- ولا مشاحة في الاصطلاح- فانتهى الأمر إذن ، ولكن العاني سوف يذكر الأدلة على التساوي بين العبارتين ، وسوف أزيد ذلك أمثلة من كلام المتقدمين أكثر من الأمثلة التي ساقها ، ثم أناقشه .". [1]

١٨٨-""إن سقوط الاحتجاج بالمرسل هو المذهب الذي **استقر عليه** جماهير حفاظ الحديث".

الاعتراض بأن ابن جرير الطبري ذكر أن التابعين بأسرهم أجمعوا على قبول المرسل حتى جاء الشافعي فأنكره.

قال الحافظ: "لكنه مردود على مدعيه (يعني الإجماع) ثم نقل عن جماعة من أئمة التابعين وأتباعهم كابن المسيب وابن سيرين وشعبة وأقرانه التصريح بعدم الاحتجاج بالمرسل وكلهم قبل الشافعي. قال ونقله الترمذي عن أكثر أهل الحديث، ثم ذكر الحافظ تفاصيل أخرى تدور حول قبول المرسل مطلقا ورده مطلقا وقبول بعضهم له بشروط".". [2]

١٨٩-"وأما من كان يرسل عن كل أحد فربما كان الباعث له على الإرسال ضعف من حدثه، لكن هذا يقضي القدح في فاعله لما تترتب عليه من الخيانة – والله أعلم –

فإن/(ي ١٤٧) قيل: فهل١ عرف أحد غير ابن المسيب كان لا يرسل إلا عن/(ب ص ١٧٧) ثقة.

قلنا: نعم، فقد صحح الإمام أحمد مراسيل إبراهيم النخعي لكن خصه غيره بحديثه عن ابن مسعود٢ – رضي الله تعالى عنه –كما تقدم٣ .

وأما مراسيله عن غيره، فقال يحي القطان: "كان شعبة يضعف مرسل إبراهيم النخعي عن علي٤ – رضي الله تعالى عنه –".

وقال يحي بن معين: "مراسيل إبراهيم النخعي صحيحة إلا حديث تاجر البحرين وحديث القهقهة".

قلت: وحديث القهقهة مشهور رواه الدارقطني٥ وغيره من طريقه.

وقد أطنب البيهقي في الخلافيات في ذكر طرقه وعلله٦.

---

١ كلمة فهل من (ي) وفي باقي النسخ فقد.

---

(١) الحافظ ابن حجر ومنهجه في التقريب ٢١٣/١

(٢) النكت على ابن الصلاح ٩٢/١

٢ لكن قال الذهبي: "قلت الذي استقر عليه الأمر أن إبراهيم حجة، وأنه إذا أرسل عن ابن مسعود وغيره فليس ذلك حجة". ميزان العتدال ١/٧٥.

٣ انظر ص ٣٤٤.

٤ المراسيل لابن أبي حاتم ١٢.

٥ السنن ١/١٧١ حديث ٤٣-٤٤ من باب أحاديث القهقهة في الصلاة وعللها وكان الدارقطني قد خرج الحديث من عدة طرق مدارها على أبي العالية وغيره، وبين عللها ثم قال بعد أن أخرجه من طريق إبراهيم النخعي: قال أبو الحسن : "رجعت هذه الأحاديث كلها التي قدمت ذكرها في الباب إلى أبي العالية الرياحي، وأبو العالية فأرسل هذا الحديث عن النبي -- صلى الله عليه وسلم - ولم يسم بينه وبينه رجلا سمعه منه عنه، وقد روى عاصم الأحول عن محمد بن سيرين وكان عالما بأبي العالية وبالحسن، فقال: "لا تأخذوا بمراسيل الحسن ولا أبي العالية فإنهما لا يباليان عمن أخذا".

٦ تكلم البيهقي في معرفة السنن (١/ل٥٠) على حديث الوضوء من الكلام والضحك في الصلاة من طريق أبي العالية وابن سيرين وإبراهيم النخعي، وبين أنه لا يثبت متصلا وإنما هو مرسل.". [(١)]

١٩٠-"قلت: وظهر لي جواب آخر وهو: أن المراد بالمسند الذي يأتي من وجه آخر ليعضد المرسل ليس هو المسند الذي يحتج به على انفراده بل هو الذي يكون فيه مانع من الاحتجاج به على انفراده مع صلاحيته للمتابعة.

فإذا وافقه مرسل لم يمنع من الاحتجاج به إلا إرساله عضد كل منهما الآخر ١، تبين/(ي ١٥٣) بهذا أن فائدة مجيء هذا المسند لا يستلزم أن يقع المرسل لغوا - والله الموفق -.

وقد كنت أتبجح بهذا الجواب وأظن أنني لم أسبق إلى تحريره حتى وجدت نحوه في المحصول للإمام فخر الدين. فإنه ذكر هذه المسألة ثم قال: "هذا في سند لم تقم به الحجة في إسناده"٢.

قلت: فازددت لله شكرا على هذا الوارد - والله الموفق -.

٧٠- قوله (ص): "وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ أهل الحديث"...إلى آخره ٣

اعترض عليه مغلطاي بأن أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ذكر أن التابعين أجمعوا بأسرهم على قبول المرسل، ولم يأت عنهم إنكاره ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين.

قال ابن عبد البر: "يشير أبو جعفر بذلك إلى الشافعي٤ - رضي الله عنه -" انتهى.

وكذا نقل ابن الحاجب في مختصره إجماع التابعين/(٩٠/ب) على قبول المرسل

---

١ ولكن يقال: إن القائلين بأن المرسل يعتضد إذا جاء من وجه آخر مسندا لم يشترطوا هذا الشرط.

---

(١) النكت على ابن الصلاح ٢/٥٥٦

٢ انظر شرح الأسنوي للمنهاج ٢/٢٦٧ فإنه نقل معناه عن المحصول ثم وجدته في المحصول (٢/ل ٧٨) مصورة في الجامعة الإسلامية عن مخطوطة بدار الكتب برقم ١٣٠ أصول الفقه.

٣ مقدمة ابن الصلاح ص٤٩، وتمامه: "ونقاد الأثر وقد تداولوه في تصانيفهم".

٤ التمهيد (١/٤).". [1]

١٩١-"الإجماع راجع إلى ما **استقر عليه** الأمر بعد انقراض/(٩٥/أ) الخلاف السابق فيخرج على المسألة الأصولية في قبول١ الوفاق بعد الخلاف.

ومع ذلك فقد قال القاضي أبو بكر ابن الباقلاني: "إذا قال الصحابي - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذا أو عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال كذا أو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ر٨٤/أ) قال كذا، لم يكن ذلك صريحا في أنه سمعه من النبي - صلى الله عليه وسلم - هو محتمل لأن قد سمعه منه أو من غيره عنه.

فقد حدث جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بأحاديث، ثم ظهر أنهم سمعوها من بعض الصحابة - رضي الله عنهم -"٢.

قلت: وهذا بعينه هو البحث في مرسل الصحابي٣- رضي الله عنهم - وقد قدمت ما فيه٤، وأن الجمهور على جعله حجة.

وإنما الكلام هنا في أن/(ي١٦٢) العنعنة ولو كانت من غير المدلس هل تقتضي السماع أم لا فكلام القاضي يؤيد ما نقله الحارث المحاسبي عن أهل القول الأول - والله أعلم -.

تنبيه :

حاصل كلام المصنف أن الفظ (عن) ثلاثة أحوال:

أحدها: أنها بمنزلة حدثنا وأخبرنا بالشرط السابق.

---

١ في جميع النسخ فنون وما أثبتناه من هامش (ر) ويبدو أنه الصواب.

٢ انظر حاشية السعد على شرح العضد لمختصر المنتهى لابن الحاجب ٢/٦٨ ونهاية السول للأسنوي مع البدخشي ٢/٢٥٧.

٣ الكلام في مسل الصحابي في المستصفى للغزالي ١/١٠٧.

٤ انظر ص٥٤٩.". [2]

---

(١) النكت على ابن الصلاح ٢/٥٦٧

(٢) النكت على ابن الصلاح ٢/٥٨٥

١٩٢-"* تعريف المرسل : أنه ما رواه التابعي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قولاً أو فعلاً فأسقط من فوقه. وأما من يعرف بأنه: ما سقط منه الصحابي ، فإنه يستدرك عليه أن الساقط قد يكون أكثر صحابي وقد يسقط تابعياً واحداً أو أكثر ، وقد ذكروا أنه وجد رواية ستة من التابعين بعضهم عن بعضهم في سند واحد. وفائدة هذا البحث معرفة الراجح عند الاختلاف بين الوصل والإرسال ، مثاله ما رواه البخاري في صحيحه من طريق ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :"كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، ويقولون نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ . قال البخاري بعده: رواه ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلاً.

* وسبب الإرسال : أن التابعي قد ينشط فيصل الحديث ، وربما كسل فحدث مرسِلاً على سبيل الاستشهاد وبيان حكم ما ، لا على سبيل التحديث والرواية.

* وأما حكم المرسل : فقد ذكره الحافظ في قسم المردود للجهل بحال المحذوف ، وفي ألفية العراقي في باب المرسل:

ورده جَماهرُ النقاد للجهل بالساقط في الإسناد

وقال مسلم على وجه الإيراد على لسان خصمه وأقره:"والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة". هذا هو رأي جماهير المحدثين ، وهو الذي **استقر عليه** العمل ، بل هو مقتضى إجماعهم على اشتراط الاتصال في حد الحديث الصحيح. مع العلم أنهم كانوا يفرقون بين مرسل وآخر من حيث القوة ، حيث ذكروا قوة مرسل بعض التابعين كسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي ، وضعف مرسل آخرين كعطاء بن أبي رباح والحسن البصري والزهري لأنهم يأخذون عن كل أحد.

. وهناك من الأئمة من قبل المرسل بشرط أن يكون المرسل ممن لا يروي إلا عن ثقة. وهذا المذهب المتساهل.

....

...

. وتوسط الشافعي فقبل المرسل بشروط :". [1]

١٩٣-"ج- معرفة بعض اصطلاحات الأئمة الخاصة قبل تنزيلها في هذه المراتب كقول البخاري "سكتوا عنه" ، قال الذهبي :"علمنا مقصده بالاستقراء أنها بمعنى تركوه". أو النادرة التي لا تعرف على قياس كقول مالك عن عطّاف بن خالد المدني "ليس هو من جمال المحامل" ، وهي عبارة جرح فشبهه بالجمل الضعيف الذي لا يقوى على حمل الهوادج ونحوها ، فكذلك هو لا يقوى على تحمل الحديث وروايته ، ولذا قال البخاري: لم يحمده مالك. وقال ابن حجر عن شيخه العراقي أنه كان يقول عن لفظ "على يدي عدل" أنه لفظ توثيق ويضبطها بكسر الدال الأولى ويرفع اللام وينونها ، قال

---

(١) جني الثمر بشرح نخبة الفكر ص/٣١

إلى أن ظهر لي أنها عند أبي حاتم من ألفاظ التجريح ، وذلك أن ابنه قال في ترجمة جُبارة بن المُغَلِّس : سمعت أبي يقول : هو ضعيف الحديث. ثم سألت أبي عنه فقال : على يدي عدل. ثم حكى أقوال الحفاظ فيه بالتضعيف ، ولم ينقل عن أحد فيه توثيقاً.

* ثم قال الحافظ (وأَسْوَؤُهَا : الوصف بأَفْعَل ؛ كأَكْذَبِ النَّاسِ. ثُمَّ دَجَّالٌ ، أَوْ : وضَّاعٌ ، أَوْ : كَذَّابٌ. وأَسْهَلُهَا : لَيِّنٌ ، أَوْ : سَيِّئُ الحِفْظِ ، أَوْ : فِيهِ مَقَالٌ). أجمل الحافظ هنا مراتب الجرح مبيناً أشدها وأسهلها ، وأول من ذكر مراتب الجرح والتعديل هو ابن أبي حاتم الرازي في مقدمة

....

عليه السلام الجرح والتعديلﷺ ، قسم مراتب الجرح إلى أربع مراتب حيث ذكر أعلاها الكذاب والمتروك ثم ضعيف الحديث ، ثم من قيل فيه : ليس بقوي ، ثم لين الحديث. ثم جاء المحدثون بعده فتابع جماعة . منهم ابن أبي حاتم . على ذلك ، وأدخل بعضهم تعديلاً بفصل بعض هذه المراتب مع تحرير ألفاظ الأئمة وتنزيلها على هذه المراتب. وسأذكرها على ما **استقر عليه** الأمر من تقسيمها إلى ست مراتب:". [1]

١٩٤-"* وذكر السخاوي أن الحكم في المراتب الأربع الأول أنه لا يحتج بواحد من أهلها ولا يستشهد به ولا

ومراتب التعديل : وأَرْفعُها : الوصف بأفعلَ ؛ ك : أوثَقِ النَّاسِ ، ثُمَّ ما تَأَكَّدَ بصفةٍ أو صِفَتَيْنِ ؛ ك : ثِقَةٌ ثِقَةٌ ، أو : ثِقَةٌ حَافِظٌ. وأَدْنَاهَا : ما أَشْعَر بالقُربِ مِنْ أَسْهَلِ التَّجْرِحِ ؛ ك شَيْخٌ.

يعتبر، وكل من ذكر بعد الأربع يخرج حديثه للاعتبار لإشعار هذه الصيغة بصلاحية المتصف بها لذلك وعدم منافاتها لها.

* ثم قال الحافظ : (ومراتب التعديل : وأَرْفعُها : الوصف بأَفعَلَ ؛ ك : أوثَقِ النَّاسِ...) إلى قوله (وأَدْنَاهَا : ما أَشْعَر بالقُربِ مِنْ أَسْهَلِ التَّجْرِحِ ؛ ك شَيْخٌ). كذلك أجمل الحافظ هنا مراتب

التعديل مبيناً أشدها وأسهلها ، وقد قسم ابن أبي حاتم مراتب التعديل إلى أربع مراتب : الأولى : "ثقة" أو "ثقة متقن" ، فهو ممن يحتج بحديثه. والثانية : "صدوق" أو "محله الصدق" ، وهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه. والثالثة : "شيخ" ، فهو يكتب حديثه وينظر فيه إلا أنه دون الثانية. الرابعة : "صالح الحديث" ، يكتب حديثه للاعتبار. وسأذكرها مفصلة على ما **استقر عليه** الأمر من تقسيمها إلى ست مراتب:

الأولى : الوصف بما يدل على المبالغة فيه ، وهو ما عبر عنه الحافظ ابن حجر بقوله :(وأَرْفعُها : الوصف بأَفعَلَ ؛ ك : أوثَقِ النَّاسِ) ، ومثله : أثبت الناس ، أو إليه المنتهى في التثبت ونحوها من العبارات.

الثانية : ما عبر عنه الحافظ بقوله : (ثُمَّ ما تَأَكَّدَ بصفةٍ أو صِفَتَيْنِ ؛ ك : ثِقَةٌ ثِقَةٌ ، أو : ثِقَةٌ حَافِظٌ) ، ومثله : ثقة متقن

---

(١) جني الثمر بشرح نخبة الفكر ص/١١٥

، أو ثبت حجة. وهذه المرتبة لم يذكرها ابن أبي حاتم.". (١)

١٩٥-"فالقسم الأول: يكون النسخ في نفس الحديث، وهذا يعني: هو أوضح الأقسام، ويمثلون له بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها " فالنبي -عليه الصلاة والسلام- نسخ الحكم الأول، وهو النهي بالأمر الذي أفاد ماذا؟ يعني: الآن الأصوليون يقولون: إن الأمر يقتضي الوجوب ما لم يرد صارف. لكنه في هذه الحالة لا يدل على الوجوب لكونه جاء بعد نهي، فالأمر إذا جاء بعد نهي يدل على ماذا؟ على الإباحة، فالأمر بعد النهي يأتي ليدل على الإباحة، فالأمر هنا جاء بعد نهي: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها " فمعنى ذلك أن النبي " - صلى الله عليه وسلم - أباح لنا زيارة القبور، فالنهي منسوخ، والناسخ هو قوله - صلى الله عليه وسلم - " فزوروها "
القسم الثاني: هو ما يكون فيه النسخ بدلالة قول الصحابي في نفس الحديث، ويمثلون له بحديث جابر -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: كان آخر الأمرين من النبي - صلى الله عليه وسلم - ترك الوضوء مما مست النار، فهذا الحديث يدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورد عنه أنه كان يتوضأ مما مست النار أيًا كان لحم غنم لحم الدجاج أيا كان، وأحيانًا لا يتوضأ مما مست النار. فما هو الأمر الذي استقر عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - استقر على ترك الوضوء مما مست النار، فمعنى ذلك أن الوضوء مما مست النار يعتبر أي شيء ؟ يعتبر منسوخًا، والناسخ هو ترك الوضوء مما مست النار، فهذا القسم الثاني هو دلالة النسخ موجودة في قول الصحابي نفسه .". (٢)

١٩٦-"قول جابر - رضي الله عنه - "كان آخر الأمرين من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترك الوضوء مما مست النار " فهذا الحديث أفادنا إذا أن النبي - صلى الله عليه وسلم -كان أحيانا يتوضأ، وكان أحيانا لا يتوضأ فما الذي يعمل به من هذين الحكمين؟ يعمل بترك الوضوء لماذا؟؛ لأنه كان هو الأمر الأخير الذي استقر عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وترك الوضوء وهو الأمر الأول، وأحيانا يعرف ذلك بأي شيء؟ بنص الحديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- يبين أنه كان نهاهم عن شيء،ثم أباحه لهم مثل: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة. لو فرضنا مثلا أننا ما عرفنا أيضا الناسخ والمنسوخ، ولا أمكن الجمع بين الأحاديث ماذا نفعل ؟ ...... الترجيح. أحسنت بارك الله فيك .. نأخذ بالترجيح فنرجح بعض الأحاديث على بعض ونعمل بالراجح ونترك المرجوح هل هناك يعني: مثلا أمثلة على الترجيح ؟ مثلا النافي والمثبت.. المثبت مقدم على النافي.. نعم. ارفع صوتك مثل الحاظر والمبيح.. المحرم والمحلل يقدم هذا على هذا، يقدم المحرم على الحديث المحلل .. الناقل عن الأصل والمبقي على الأصل كل هذا يعني.. القول مقدم على الفعل نعم .. ارفع صوتك نعم .. المنطوق والمفهوم، المنطوق يقدم على المفهوم.. نعم. ....
قوة السند، صحيح يعني: إذا وجدنا حديثا أقوى من حديث أو حديثا له طرق كثيرة جدًا يقدم على الحديث الذي ليس له طرق .

---

(١) جني الثمر بشرح نخبة الفكر ص/١١٧

(٢) شرح متن نخبة الفكر ١/١٩٣

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، هل يمكن أن يأتينا حديثان متعارضان يطلق عليهما غير هذه التسمية غير تسمية مختلف الحديث ؟ .

ها أحسنت الناسخ والمنسوخ، ما الفرق إذا بين الأحاديث التي أطلقت عليها مختلف الحديث وبين الأحاديث التي أطلقت عليها الناسخ والمنسوخ، لماذا أطلقت على هذه اسم وعلى هذه اسم؟.". (١)

١٩٧-"نعم أي نعم، أحسنت بارك الله فيك، الفرق أن مختلف الحديث يمكن أن أوفق بين الأحاديث فأعمل بها كلها، لكن الناسخ والمنسوخ لا يمكن أن أوفق بين الأحاديث، فلابد أن أترك بعضها، وأعمل ببعضها الآخر، فأترك ماذا وأعمل بماذا؟ ها تترك المنسوخ، وتعمل بالناسخ، كيف تعرف الناسخ من المنسوخ؟ نعم.

نعرف الناسخ من المنسوخ إما بمعرفة التاريخ، متى قال النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث، ومتى قال الحديث الآخر، فأيهما أقدم نتركه، والمتأخر هو الذي نأخذ به ونعمل به، كذلك أيضا بالقرينة تكون يعني مربوطة بالتاريخ لكن. نعم بقول الصحابي أحيانا، الصحابي نفسه ينص على أن هذا الأمر هو المتأخر، مثل حديث جابر - رضي الله عنه - كان آخر قول جابر - رضي الله عنه - كان آخر الأمرين من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترك الوضوء مما مست النار.

فهذا الحديث أفادنا إذا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان أحيانا يتوضأ، وكان أحيانا لا يتوضأ فما الذي يعمل به من هذين الحكمين يعمل بترك الوضوء، لماذا؟ لأنه كان هو الأمر الأخير الذي **استقر عليه** النبي - صلى الله عليه وسلم - وترك الوضوء، وهو الأمر الأول، وأحيانا يعرف ذلك بأي شيء بنص الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، يبين أنه كان نهاهم عن شيء ثم أباحه لهم مثل "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم بالآخرة " لو فرضنا مثلا أننا ما عرفنا أيضا الناسخ والمنسوخ، ولا أمكن الجمع بين الأحاديث ماذا نفعل؟ .

الترجيح ، أحسنت، بارك الله فيك، نأخذ بالترجيح، فنرجّح بعض الأحاديث على بعض، ونعمل بالراجح، ونترك المرجوح، هل هناك يعني أمثلة على الترجيح مثلا، النافي والمثبت، المثبت مقدم على النافي نعم ها؟ ارفع صوتك! مثل الحاظر والمبيح، المحرم والمحلل، يقدم هذا على هذا يقدم المحرم على الحديث المحلل، الناقل عن الأصل والمبقي على الأصل كل هذا .". (٢)

١٩٨-" القواعد أنه يختلف باختلاف الأحوال لكن يشترط أن لا يمتد إلى آخر الوقت وأما ما وقع عند المصنف في الأذان عن مسلم بن إبراهيم عن شعبة بلفظ حتى ساوى الظل التلول فظاهره يقتضى أنه أخرها إلى أن صار ظل كل شيء مثله ويحتمل أن يراد بهذه المساواة ظهور الظل بجنب التل بعد أن لم يكن ظاهرا فساواه في الظهور لا في المقدار أو يقال قد كان ذلك في السفر فلعله أخر الظهر حتى يجمعها مع العصر قوله وقال بن عباس يتفيأ يتميل أي قال في تفسير قوله تعالى يتفيأ ظلاله معناه يتميل كأنه أراد أن الفيء سمي بذلك لأنه ظل مائل من جهة إلى أخرى وتتفيأ في روايتنا بالمثناة

---

(١) شرح متن نخبة الفكر ٢٢٠/١

(٢) شرح متن نخبة الفكر ٢٢١/١

الفوقانية أي الظلال وقرئ أيضا بالتحتانية أي الشيء والقراءتان شهيرتان وهذا التعليق في رواية المستملى وكريمة وقد وصله بن أبي حاتم في تفسيره

(قوله باب)

بالتنوين وقت الظهر أي ابتداؤه عند الزوال أي زوال الشمس وهو ميلها إلى جهة المغرب وأشار بهذه الترجمة إلى الرد على من زعم من الكوفيين أن الصلاة لا تجب بأول الوقت كما سيأتي ونقل بن بطال أن الفقهاء بأسرهم على خلاف ما نقل عن الكرخي عن أبي حنيفة أن الصلاة في أول الوقت تقع نفلا انتهى والمعروف عند الحنفية تضعيف هذا القول ونقل بعضهم أن أول الظهر إذا صار الفيء قدر الشراك قوله وقال جابر هو طرف من حديث وصله المصنف في باب وقت المغرب بلفظ كان يصلي الظهر بالهاجرة والهاجرة اشتداد الحر في نصف النهار قيل سميت بذلك من الهجر وهو الترك لأن الناس يتركون التصرف حينئذ لشدة الحر ويقيلون وحديث أنس تقدم في العلم في باب من برك على ركبتيه بهذا الإسناد لكن باختصار وسيأتي الكلام على فوائده مستوعبا إن شاء الله تعالى في كتاب الاعتصام قوله زاغت أي مالت وقد رواه الترمذي بلفظ زالت والغرض منه هنا صدر الحديث وهو

٥١٥ – قوله خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فإنه يقتضى أن زوال الشمس أول وقت الظهر إذ لم ينقل أنه صلى قبله وهذا هو الذي **استقر عليه** الإجماع وكان فيه خلاف قديم عن بعض الصحابة أنه جوز صلاة الظهر قبل الزوال وعن أحمد وإسحاق مثله في الجمعة كما سيأتي في بابه قوله في عرض هذا الحائط بضم العين أي جانبه أو وسطه قوله فلم أر كالخير والشر أي المرئي في ذلك المقام ". (١)

١٩٩–" في الوقت أداء وبعده قضاء وقيل يكون كذلك لكنه يلتحق بالأداء حكما والمختار أن الكل أداء وذلك من فضل الله تعالى ونقل بعضهم الاتفاق على أنه لا يجوز لمن ليس له عذر تأخير الصلاة حتى لا يبقى منها إلا هذا القدر والله أعلم لطيفة أورد المصنف في باب من أدرك من العصر طريق أبي سلمة عن أبي هريرة وفي هذا الباب طريق عطاء بن يسار ومن معه عن أبي هريرة لأنه قدم في طريق أبي سلمة ذكر العصر وقدم في هذا ذكر الصبح فناسب أن يذكر في كل منهما ما قدم لما يشعر به التقديم من اهتمام والله الهادي للصواب

(قوله باب من أدرك من الصلاة ركعة)

هكذا ترجم وساق الحديث بلفظ من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة وقد رواه مسلم من رواية عبيد الله العمري عن الزهري وأحال به على حديث مالك وأخرجه البيهقي وغيره من الوجه الذي أخرجه منه مسلم ولفظه كلفظ ترجمة هذا الباب قدم

٥٥٥ – قوله من الصلاة على قوله ركعة وقد وضح لنا بالاستقراء أن جميع ما يقع في تراجم البخاري مما يترجم بلفظ الحديث لا يقع فيه شيء مغاير للفظ الحديث الذي يورده إلا وقد ورد من وجه آخر بذلك اللفظ المغاير فلله دره ما

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة ٢١/٢

أكثر اطلاعه والظاهر أن هذا أعم من حديث الباب الماضي قبل عشرة أبواب ويحتمل أن تكون اللام عهدية فيتحدا ويؤيده أن كلا منهما من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة وهذا مطلق وذاك مقيد فيحمل المطلق على المقيد وقال الكرماني الفرق بينهما أن الأول فيمن أدرك من الوقت قدر ركعة وهذا فيمن أدرك من الصلاة ركعة كذا قال وقال بعد ذلك وفي الحديث أن من دخل في الصلاة فصلى ركعة وخرج الوقت كان مدركا لجميعها وتكون كلها أداء وهو الصحيح انتهى وهذا يدل على اتحاد الحديثين عنده لجعلهما متعلقين بالوقت بخلاف ما قال أولا وقال التيمي معناه من أدرك مع الإمام ركعة فقد أدرك فضل الجماعة وقيل المراد بالصلاة الجمعة وقيل غير ذلك وقوله فقد أدرك الصلاة ليس على ظاهره بالإجماع لما قدمناه من أنه لا يكون بالركعة الواحدة مدركا لجميع الصلاة بحيث تحصل براءة ذمته من الصلاة فإذا فيه إضمار تقديره فقد أدرك وقت الصلاة أو حكم الصلاة أو نحو ذلك ويلزمه إتمام بقيتها وقد تقدم بقية مباحثه في الباب الذي قبله ومفهوم التقييد بالركعة أن من أدرك دون الركعة لا يكون مدركا لها وهو الذي **استقر عليه** الاتفاق وكان فيه شذوذ قديم منها إدراك الإمام راكعا يجزئ ولو لم يدرك معه الركوع وقيل يدرك الركعة ولو رفع الإمام رأسه ما لم يرفع بقية من ائتم به رؤوسهم ولو بقي واحد وعن الثوري وزفر إذا كبر قبل أن يرفع الإمام رأسه أدرك إن وضع يديه على ركبتيه قبل رفع الإمام وقيل من أدرك تكبيرة الإحرام وتكبيرة الركوع أدرك الركعة وعن أبي العالية إذا أدرك السجود أكمل بقية الركعة معهم ثم يقوم فيركع فقط وتجزيه ". (١)

٢٠٠-" حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على أبي داود ادعاء نسخ التطويل لأنه روى عقب حديث زيد بن ثابت من طريق عروة أنه كان يقرأ في المغرب بالقصار قال وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه الدلالة وكأنه لما رأى عروة راوي الخبر عمل بخلافه حمله على أنه اطلع على ناسخه ولا يخفى بعد هذا الحمل وكيف تصح دعوى النسخ وأم الفضل تقول إن آخر صلاة صلاها بهم قرأ بالمرسلات قال بن خزيمة في صحيحه هذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلى أن يقرأ في المغرب وفي الصلوات كلها بما أحب إلا أنه إذا كان إماما استحب له أن يخفف في القراءة كما تقدم أه وهذا أولى من قول القرطبي ما ورد في مسلم وغيره من تطويل القراءة فيما **استقر عليه** التقصير أو عكسه فهو متروك وادعى الطحاوي أنه لا دلالة في شيء من الأحاديث الثلاثة على تطويل القراءة لاحتمال أن يكون المراد أنه قرأ بعض السورة ثم استدل لذلك بما رواه من طريق هشيم عن الزهري في حديث جبير بلفظ فسمعته يقول إن عذاب ربك لواقع قال فأخبر أن الذي سمعه من هذه السورة في هذه الآية خاصة أه وليس في السياق ما يقتضى قوله خاصة مع كون رواية هشيم عن الزهري بخصوصها مضعفة بل جاء في روايات أخرى ما يدل على أنه قرأ السورة كلها فعند البخاري في التفسير سمعته يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون الآيات إلى قوله المصيطرون كاد قلبي يطير ونحوه لقاسم بن أصبغ وفي رواية أسامة ومحمد بن عمرو المتقدمتين سمعته يقرأ والطور وكتاب مسطور ومثله لابن سعد وزاد في أخرى فاستمعت قراءته حتى خرجت من المسجد ثم ادعى الطحاوي أن الاحتمال المذكور يأتي في

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٥٧/٢

حديث زيد بن ثابت وكذا أبداه الخطابي احتمالا وفيه نظر لأنه لو كان قرأ بشيء منها يكون قدر سورة من قصار المفصل لما كان لإنكار زيد معنى وقد روى حديث زيد هشام بن عروة عن أبيه عنه أنه قال لمروان إنك لتخف القراءة في الركعتين من المغرب فوالله لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرأ فيها بسورة الأعراف في الركعتين جميعا أخرجه بن خزيمة واختلف على هشام في صحابيه والمحفوظ عن عروة أنه زيد بن ثابت وقال أكثر الرواة عن هشام عن زيد بن ثابت أو أبي أيوب وقيل عن عائشة أخرجه النسائي مقتصرا على المتن دون القصة واستدل به الخطابي وغيره على امتداد وقت المغرب إلى غروب الشفق وفيه نظر لأن من قال إن لها وقتا واحدا لم يحده بقراءة معينة بل قالوا لا يجوز تأخيرها عن أول غروب الشمس وله أن يمد القراءة فيها ولو غاب الشفق واستشكل المحب الطبري إطلاق هذا وحمله الخطابي قبله على أنه يوقع ركعة في أول الوقت ويديم الباقي ولو غاب الشفق ولا يخفى ما فيه لأن تعمد إخراج بعض الصلاة عن الوقت ممنوع ولو أجزات فلا يحمل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم على ذلك واختلف في المراد بالمفصل مع الاتفاق على أن منتهاه آخر القرآن هل هو من أول الصافات أو الجاثية أو القتال أو الفتح أو الحجرات أو ق أو الصف أو تبارك أو سبح أو الضحى إلى آخر القرآن أقوال أكثرها مستغرب اقتصر في شرح المهذب على أربعة من الأوائل سوى الأول والرابع وحكى الأول والسابع والثامن بن أبي الصيف اليمني وحكى الرابع والثامن الدزماري في شرح التنبيه وحكى التاسع المرزوقى في شرحه وحكى الخطابي والماوردى العاشر والراجح الحجرات ذكره النووي ونقل المحب الطبري قولا شاذا أن المفصل جميع القرآن وأما ". (١)

٢٠١-" بعده أم حبيبة فهذا يحتمل أن يكون هو المراد لأن زينب بنت أبي سلمة عندما جاء الخبر بوفاة عبيد الله كانت في سن من يضبط ولا مانع أن يحزن المرء على قريبه الكافر ولا سيما إذا تذكر سوء مصيره ولعل الرواية التي في الموطأ حين توفي أخوها عبد الله كانت عبيد الله بالتصغير فلم يضبطها الكاتب والله أعلم ويعكر على هذا قول من قال أن عبيد الله مات بأرض الحبشة فتزوج النبي صلى الله عليه و سلم أم حبيبة فإن ظاهرها أن تزوجها كان بعد موت عبيد الله وتزويجها وقع وهي بأرض الحبشة وقبل أن تسمع النهي وأيضا ففي السياق ثم دخلت على زينب بعد قولها دخلت على أم حبيبة وهو ظاهر في أن ذلك كان بعد موت قريب زينب بنت جحش المذكور وهو بعد مجيء أم حبيبة من الحبشة بمدة طويلة فإن لم يكن هذا الظن هو الواقع احتمل أن يكون أخا لزينب بنت جحش من أمها أو من الرضاعة أو يرجح ما حكاه بن عبد البر وغيره من أن زينب بنت أبي سلمة ولدت بأرض الحبشة فإن مقتضى ذلك أن يكون لها عند وفاة عبد الله بن جحش أربع سنين وما مثلها يضبط في مثلها والله أعلم قوله فمست به أي شيئا من جسدها وسيأتي في الطريق التي في العدد بلفظ فمست منه وسيأتي فيه لزينب حديث آخر عن أمها أم سلمة في الإحداد أيضا وسيأتي الكلام على الأحاديث الثلاثة مستوفى أن شاء الله تعالى

(قوله باب زيارة القبور أي مشروعيتها)

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٢٤٩/٢

وكأنه لم يصرح بالحكم لما فيه من الخلاف كما سيأتي وكأن المصنف لم يثبت على شرطه الأحاديث المصرحه بالجواز وقد أخرجه مسلم من حديث بريدة وفيه نسخ النهي عن ذلك ولفظه كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وزاد أبو داود والنسائي من حديث أنس فإنها تذكر الآخرة وللحاكم من حديثه فيه وترق القلب وتدمع العين فلا تقولوا هجرا أي كلاما فاحشا وهو بضم الهاء وسكون الجيم وله من حديث بن مسعود فإنها تزهد في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا زوروا القبور فإنها تذكر الموت قال النووي تبعا للعبدري والحازمي وغيرهما اتفقوا على أن زيارة القبور للرجال جائزة كذا اطلقوا وفيه نظر لأن بن أبي شيبة وغيره روى عن بن سيرين وإبراهيم النخعي والشعبي الكراهة مطلقا حتى قال الشعبي لولا نهي النبي صلى الله عليه و سلم لزرت قبر ابنتي فلعل من أطلق أراد بالاتفاق ما **استقر عليه** الأمر بعد هؤلاء وكأن هؤلاء لم يبلغهم الناسخ والله أعلم ومقابل هذا قول بن حزم أن زيارة القبور واجبة ولو مرة واحدة في العمر لورود الأمر به واختلف في النساء فقيل دخلن في عموم الإذن وهو قول الأكثر ومحله ما إذا أمنت الفتنة ويؤيد الجواز حديث الباب وموضع الدلالة منه أنه صلى الله عليه و سلم لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره حجة ". (١)

٢٠٢-" منعه من رجح القران وقال إنه دم فضل وثواب كالأضحية ولو كان دم نقص لما قام الصيام مقامه ولأنه يؤكل منه ودم النقص لا يؤكل منه كدم الجزاء قاله الطحاوي وقال عياض نحو ما قال الخطابي وزاد وأما إحرامه هو فقد تضافرت الروايات الصحيحة بأنه كان مفردا وأما رواية من روى متمتعا فمعناه أمر به لأنه صرح بقوله ولولا أن معي الهدي لاحللت فصح أنه لم يتحلل وأما رواية من روى القران فهو إخبار عن آخر أحواله لأنه أدخل العمرة على الحج لما جاء إلى الوادي وقيل له قل عمرة في حجة انتهى وهذا الجمع هو المعتمد وقد سبق إليه قديما بن المنذر وبينه بن حزم في حجة الوداع بيانا شافيا ومهده المحب الطبري تمهيدا بالغا يطول ذكره ومحصله أن كل من روى عنه الإفراد حمل على ما أهل به في أول الحال وكل من روى عنه التمتع أراد ما أمر به أصحابه وكل من روى عنه القران أراد ما **استقر عليه** أمره ويترجح رواية من روى القرآن بأمور منها أن معه زيادة علم على من روى الإفراد وغيره وبأن من روى الإفراد والتمتع اختلف عليه في ذلك فأشهر من روي عنه الإفراد عائشة وقد ثبت عنها أنه اعتمر مع حجته كما تقدم وبن عمر وقد ثبت عنه أنه صلى الله عليه و سلم بدأ بالعمرة ثم أهل بالحج كما سيأتي في أبواب الهدي وثبت أنه جمع بين حج وعمرة ثم حدث أن النبي صلى الله عليه و سلم فعل ذلك وسيأتي أيضا وجابر وقد تقدم قوله إنه اعتمر مع حجته أيضا وروى القران عنه جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبأنه لم يقع في شيء من الروايات النقل عنه من لفظه أنه قال أفردت ولا تمتعت بل صح عنه أنه قال قرنت وصح عنه أنه قال لولا أن معي الهدي لأحللت وأيضا فإن من روي عنه القران لا يحتمل حديثه التأويل إلا بتعسف بخلاف من روى الإفراد فإنه محمول على أول الحال وينتفي التعارض ويؤيده أن من جاء عنه الإفراد جاء عنه صورة القران كما تقدم ومن روى عنه التمتع فإنه محمول على الإقتصار على سفر واحد للنسكين ويؤيده أن من جاء عنه التمتع لما وصفه وصفه بصورة القران لأنهم اتفقوا على أنه لم يحل من عمرته حتى أتم عمل جميع الحج وهذه إحدى صور القران وأيضا

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ١٤٨/٣

فإن رواية القران جاءت عن بضعة عشر صحابيا بأسانيد جياد بخلاف روايتي الإفراد والتمتع وهذا يقتضي رفع الشك عن ذلك والمصير إلى أنه كان قارنا ومقتضى ذلك أن يكون القران أفضل من الإفراد ومن التمتع وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين وبه قال الثوري وأبو حنيفة وإسحاق بن راهويه واختاره من الشافعية المزني وبن المنذر وأبو إسحاق المروزي ومن المتأخرين تقي الدين السبكي وبحث مع النووي في اختياره أنه صلى الله عليه و سلم كان قارنا وأن الإفراد مع ذلك أفضل مستندا إلى أنه صلى الله عليه و سلم أختار الإفراد أولا ثم ادخل عليه العمرة لبيان جواز الإعتمار في أشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من أفجر الفجور كما في ثالث أحاديث الباب وملخص ما يتعقب به كلامه أن البيان قد سبق منه صلى الله عليه و سلم في عمره الثلاث فإنه أحرم بكل منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت فيها وعمرة القضية التي بعدها وعمرة الجعرانة ولو كان أراد باعتماره مع حجته بيان الجواز فقط مع أن الأفضل خلافه لاكتفى في ذلك بأمره أصحابه أن يفسخوا حجهم إلى العمرة وذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أن التمتع أفضل لكونه صلى الله عليه و سلم تمناه فقال لولا أني سقت الهدي لأحللت ولا يتمنى إلا الأفضل وهو قول أحمد بن حنبل في المشهور عنه وأجيب بأنه إنما تمناه تطييبا لقلوب أصحابه لحزنهم على فوات موافقته وإلا فالأفضل ما اختاره الله له واستمر عليه وقال بن قدامة يترجح التمتع بأن الذي يفرد إن اعتمر بعدها فهي عمرة مختلف في اجزائها عن حجة الإسلام بخلاف عمرة التمتع فهي مجزئة بلا خلاف فيترجح التمتع على الإفراد ويليه القران وقال من رجح ". (١)

٢٠٣-" التقديم بالصوم فحيث وجد منع وإنما اقتصر على يوم أو يومين لأنه الغالب ممن يقصد ذلك وقالوا أمد المنع من أول السادس عشر من شعبان لحديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا إذا انتصف شعبان فلا تصوموا أخرجه أصحاب السنن وصححه بن حبان وغيره وقال الروياني من الشافعية يحرم التقدم بيوم أو يومين لحديث الباب ويكره التقدم من نصف شعبان للحديث الآخر وقال جمهور العلماء يجوز الصوم تطوعا بعد النصف من شعبان وضعفوا الحديث الوارد فيه وقال أحمد وبن معين أنه منكر وقد استدل البيهقي بحديث الباب على ضعفه فقال الرخصة في ذلك بما هو أصح من حديث العلاء وكذا صنع قبله الطحاوي واستظهر بحديث ثابت عن أنس مرفوعا أفضل الصيام بعد رمضان شعبان لكن إسناده ضعيف واستظهر أيضا بحديث عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لرجل هل صمت من سرر شعبان شيئا قال لا قال فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين ثم جمع بين الحديثين بان حديث العلاء محمول على من يضعفه الصوم وحديث الباب مخصوص بمن يحتاط بزعمه لرمضان وهو جمع حسن والله أعلم

(قوله باب قول الله عز و جل أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)

إلى قوله ما كتب الله لكم كذا في رواية أبي ذر وساق غيره الآية كلها والمراد بهذه الترجمة بيان ما كان الحال عليه قبل نزول هذه الآية ولما كانت هذه الآية منزلة على أسباب تتعلق بالصيام عجل بها المصنف وقد تعرض لها في التفسير

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٤٢٩/٣

أيضا كما سيأتي ويؤخذ من حاصل ما **استقر عليه** الحال من سبب نزولها ابتداء مشروعية السحور وهو المقصود في هذا المكان لأنه جعل هذه الترجمة مقدمة لأبواب السحور

١٨١٦ – قوله عن أبي إسحاق هو السبيعي وإسرائيل هو بن يونس بن أبي إسحاق المذكور وقد رواه الإسماعيلي من طريق يوسف بن موسى وغيره عن عبيد الله بن موسى شيخ البخاري فيه ". (١)

٢٠٤–" ما هو الأحظ للإسلام والمسلمين وقال الزهري ومجاهد وطائفة لا يجوز أخذ الفداء من أسارى الكفار أصلا وعن الحسن وعطاء لا تقتل الأسارى بل يتخير بين المن والفداء وعن مالك لا يجوز المن بغير فداء وعن الحنفية لا يجوز المن أصلا لا بفداء ولا بغيره فيرد الأسير حربيا قال الطحاوي وظاهر الآية حجة للجمهور وكذا حديث أبي هريرة في قصة ثمامة لكن في قصة ثمامة ذكر القتل وقال أبو بكر الرازي احتج أصحابنا لكراهة فداء المشركين بالمال بقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق الآية ولا حجة لهم لأن ذلك كان قبل حل الغنيمة فإن فعله بعد إباحة الغنيمة فلا كراهة انتهى وهذا هو الصواب فقد حكى بن القيم في الهدى اختلافا أي الامرين أرجح ما أشار به أبو بكر من أخذ الفداء أو ما أشار به عمر من القتل فرجحت طائفة رأى عمر لظاهر الآية ولما في القصة من حديث عمر من قول النبي صلى الله عليه و سلم أبكي لما عرض على أصحابك من العذاب لاخذهم الفداء ورجحت طائفة رأي أبي بكر لأنه الذي **استقر عليه** الحال حينئذ ولموافقة رأيه الكتاب الذي سبق ولموافقة حديث سبقت رحمتي غضبي ولحصول الخير العظيم بعد من دخول كثير منهم في الإسلام والصحبة ومن ولد لهم من كان ومن تجدد إلى غير ذلك مما يعرف بالتأمل وحملوا التهديد بالعذاب على من أختار الفداء فيحصل عرض الدنيا مجردا وعفا الله عنهم ذلك وحديث عمر المشار إليه في هذه القصة أخرجه أحمد مطولا وأصله في صحيح مسلم بالسند المذكور قوله وقوله عز و جل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض يعني يغلب في الأرض تريدون عرض الدنيا الآية كذا وقع في رواية أبي ذر وكريمة وسقط للباقين وتفسير يثخن بمعنى يغلب قاله أبو عبيدة وزاد ويبالغ وعن مجاهد الاثخان القتل وقيل المبالغة فيه وقيل معناه حتى يتمكن في الأرض وأصل الاثخان في اللغة الشدة والقوة وأشار المصنف بهذه الآية إلى قول مجاهد وغيره ممن منع أخذ الفداء من أسارى الكفار وحجتهم منها أنه تعالى أنكر إطلاق أسرى كفار بدر على مال فدل على عدم جواز ذلك بعد واحتجوا بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قال فلا يستثنى من ذلك الا من يجوز أخذ الجزية منه وقال الضحاك بل قوله تعالى فاما منا بعد وأما فداء ناسخ لقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال أبو عبيد لا نسخ في شيء من هذه الآيات بل هي محكمة وذلك أنه صلى الله عليه و سلم عمل بما دلت عليه كلها في جميع أحكامه فقتل بعض الكفار يوم بدر وفدى بعضا ومن على بعض وكذا قتل بني قريظة ومن على بني المصطلق وقتل بن خطل وغيره بمكة ومن على سائرهم وسبى هوازن ومن عليهم ومن على ثمامة بن أثال فدل كل ذلك على ترجيح قول الجمهور أن ذلك راجع إلى رأي الإمام ومحصل أحوالهم تخيير الإمام بعد الأسر بين ضرب الجزية لمن شرع أخذها منه أو القتل أو الاسترقاق أو المن بلا عوض أو بعوض هذا في الرجال وأما النساء

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة ٤/١٢٩

والصبيان فيرقون بنفس الاسر ويجوز المفاداة بالأسيرة الكافرة بأسير مسلم أو مسلمة عند الكفار ولو أسلم الأسير زال القتل اتفاقا وهل يصير رقيقا أو تبقى بقية الخصال قولان للعلماء ". (١)

٢٠٥-" (قوله باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي)

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يجتمع مع النبي صلى الله عليه و سلم في عبد مناف وعدد ما بينهما من الإباء متفاوت فالنبي صلى الله عليه و سلم من حيث العدد في درجة عفان كما وقع لعمر سواء واما كنيته فهو الذي **استقر عليه** الأمر وقد نقل يعقوب بن سفيان عن الزهري انه كان يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله الذي رزقه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم ومات عبد الله المذكور صغيرا وله ست سنين وحكى بن سعد ان موته كان سنة أربع من الهجرة وماتت أمه رقية قبل ذلك سنة اثنتين والنبي صلى الله عليه و سلم في غزوة بدر وكان بعض من ينتقصه يكنيه أبا ليلى يشير إلى لين جانبه حكاه بن قتيبة وقد اشتهر ان لقبه ذو النورين وروى خيثمة في الفضائل والدارقطني في الافراد من حديث على انه ذكر عثمان فقال ذاك امرؤ يدعى في السماء ذا النورين وساذكر اسم أمه ونسبها في الكلام على الحديث الثاني من ترجمته قوله وقال النبي صلى الله عليه و سلم من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان وقال النبي صلى الله عليه و سلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان هذا التعليق تقدم ذكر من وصله في اواخر كتاب الوقف وبسطت هناك الكلام عليه وفيه من مناقب عثمان أشياء كثيرة استوعبتها هناك فاغني عن اعادتها والمراد بجيش العسرة تبوك كما سيأتي في المغازي واخرج احمد والترمذي من حديث عبد الرحمن بن حباب السلمي ان عثمان أعان فيها بثلاثمائة بعير ومن حديث عبد الرحمن بن سمرة ان عثمان اتى فيها بالف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه و سلم وقد مضى في الوقف بقية طرقه وفي حديث حذيفة عند بن عدي فجاء عثمان بعشرة آلاف دينار وسنده واه ولعلها كانت بعشرة آلاف درهم فتوافق رواية الف ". (٢)

٢٠٦-" غيرهما وأنه ينبغي للمرء أن يتذكر نعمة الله ويعترف بالتقصير عن أداء شكرها وفيه شؤم ارتكاب النهي وأنه يعم ضرره من لم يقع منه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وأن من آثر دنياه أضر بأمر آخرته ولم تحصل له دنياه واستفيد من هذه الكائنة أخذ الصحابة الحذر من العود إلى مثلها والمبالغة في الطاعة والتحرز من العدو الذين كانوا يظهرون أنهم منهم وليسوا منهم وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران أيضا وتلك الأيام نداولها بين الناس إلى أن قال وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين وقال ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب

(الحديث الثالث)

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ١٥٢/٦

(٢) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٥٤/٧

٣٨١٨ - قوله عن عمرو هو بن دينار قوله اصطبح الخمر يوم أحد ناس ثم قتلوا شهداء سمى جابر منهم فيما رواه وهب بن كيسان عنه أباه عبد الله بن عمرو أخرجه الحاكم في الإكليل ودل ذلك على أن تحريم الخمر كان بعد أحد وصرح صدقة بن الفضل عن بن عيينة كما سيأتي في تفسير المائدة بذلك فقال في آخر الحديث وذلك قبل تحريمها وقد تقدم التنبيه على شيء من فوائده في أول الجهاد

(الحديث الرابع)

٣٨١٩ - قوله حدثنا عبد الله هو بن المبارك قوله عن سعد بن إبراهيم أي بن عبد الرحمن بن عوف قوله أتى عبد الرحمن بن عوف بطعام في رواية نوفل بن إياس أن الطعام كان خبزا ولحما أخرجه الترمذي في الشمائل قوله وهو صائم ذكر بن عبد البر أن ذلك كان في مرض موته قوله قتل مصعب بن عمير تقدم نسبه وذكره في أول الهجرة وأنه كان من السابقين إلى الإسلام وإلى الهجرة وكان يقرئ الناس بالمدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه و سلم وكان قتله يوم أحد وذكر ذلك بن إسحاق وغيره وقال بن إسحاق وكان الذي قتل مصعب بن عمير عمرو بن قمئة الليثي فظن أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم فرجع إلى قريش فقال لهم قتلت محمدا وفي الجهاد لابن المنذر من مرسل عبيد بن عمير قال وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم على مصعب بن عمير وهو متجعف على وجهه وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه و سلم الحديث قوله وهو خير مني لعله قال ذلك تواضعا ويحتمل أن يكون ما **استقر عليه** الأمر من تفضيل العشرة على غيرهم بالنظر إلى من لم يقتل في زمن النبي صلى الله عليه و سلم وقد وقع من أبي بكر الصديق نظير ذلك فذكر بن هشام أن رجلا دخل على أبي بكر ". (١)

٢٠٧-" وذكر الطبرى في سبب ذلك من طريق حصين بن عبد الرحمن عن أبي مالك كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ومن وجه آخر كانوا يجعلون السنة اثني عشر شهرا وخمسة وعشرين يوما فتدور الأيام والشهور كذلك قوله ثلاث متواليات هو تفسير الأربعة الحرم قال بن التين الصواب ثلاثة متوالية يعني لأن المميز الشهر قال ولعله أعاده علىالمعنى أي ثلاث مدد متواليات انتهى أو باعتبار العدة مع أن الذي لا يذكر التمييز معه يجوز فيه التذكير والتأنيث وذكرها من سنتين لمصلحة التوالى بين الثلاثة وإلا فلو بدأ بالمحرم لفات مقصود التوالى وفيه إشارة إلى إبطال ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من تأخير بعض الأشهر الحرم فقيل كانوا يجعلون المحرم صفرا ويجعلون صفرا المحرم لئلا يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يتعاطون فيها القتال فلذلك قال متواليات وكانوا في الجاهلية على أنحاء منهم من يسمى المحرم صفرا فيحل فيه القتال ويحرم القتال في صفر ويسميه المحرم ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا ومنهم من يؤخر صفرا إلى ربيع الأول وربيعا إلى ما يليه وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة ثم يعود فيعيد العدد على الأصل قوله ورجب مضر إضافة إليهم لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم فيقال إن ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان وكان من العرب من يجعل في رجب وشعبان ما ذكر في المحرم وصفر فيحلون رجبا ويحرمون شعبان ووصفه بكونه

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٣٥٣/٧

بين جمادى وشعبان تأكيدا وكان أهل الجاهلية قد نسئوا بعض الأشهر الحرم أي اخروها فيحلون شهرا حراما ويحرمون مكانه آخر بدله حتى رفض تخصيص الأربعة بالتحريم أحيانا ووقع تحريم أربعة مطلقة من السنة فمعنى الحديث أن الأشهر رجعت إلى ما كانت عليه وبطل النسيء وقال الخطابي كانوا يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم والتقديم والتأخير لأسباب تعرض لهم منها استعجال الحرب فيستحلون الشهر الحرام ثم يحرمون بدله شهرا غيره فتتحول في ذلك شهور السنة وتتبدل فإذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر إلى أصله فاتفق وقوع حجة النبي صلى الله عليه و سلم عند ذلك تنبيه أبدى بعضهم لما **استقر عليه** الحال من ترتيب هذه الأشهر الحرم مناسبة لطيفة حاصلها أن للأشهر الحرم مزية على ما عداها فناسب أن يبدأ بها العام وأن تتوسطه وأن تختم به وإنما كان الختم بشهرين لوقوع الحج ختام الأركان الأربع لأنها تشتمل على عمل مال محض وهو الزكاة وعمل بدن محض وذلك تارة يكون بالجوارح وهو الصلاة وتارة بالقلب وهو الصوم لأنه كف عن المفطرات وتارة عمل مركب من مال وبدن وهو الحج فلما جمعهما ناسب أن يكون له ضعف ما لواحد منهما فكان له من الأربعة الحرم شهران والله أعلم ". (١)

٢٠٨-" عند بن أبي داود والطبراني وغيرهما وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به قال فذلك زمان حرقت المصاحف بالعراق بالنار وفي رواية سويد بن غفلة عن علي قال لا تقولوا لعثمان في إحراق المصاحف إلا خيرا وفي رواية بكير بن الأشج فأمر بجمع المصاحف فأحرقها ثم بث في الأجناد التي كتب ومن طريق مصعب بن سعد قال أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد وفي رواية أبي قلابة فلما فرغ عثمان من المصحف كتب إلى أهل الأمصار أني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم والمحو أعم من أن يكون بالغسل أو التحريق وأكثر الروايات صريح في التحريق فهو الذي وقع ويحتمل وقوع كل منهما بحسب ما رأى من كان بيده شيء من ذلك وقد جزم عياض بأنهم غسلوها بالماء ثم أحرقوها مبالغة في إذهابها قال بن بطال في هذا الحديث جواز تحريق الكتب التي فيها اسم الله بالنار وأن ذلك إكرام لها وصون عن وطئها بالأقدام وقد أخرج عبد الرزاق من طريق طاوس أنه كان يحرق الرسائل التي فيها البسملة إذا اجتمعت وكذا فعل عروة وكرهه إبراهيم وقال بن عطية الرواية بالحاء المهملة أصح وهذا الحكم هو الذي وقع في ذلك الوقت وأما الآن فالغسل أولى لما دعت الحاجة إلى إزالته وقوله وأمر بما سواه أي بما سوى المصحف الذي استكتبه والمصاحف التي نقلت منه وسوى الصحف التي كانت عند حفصة وردها إليها ولهذا استدرك مروان الأمر بعدها وأعدمها أيضا خشية أن يقع لأحد منها توهم أن فيها ما يخالف المصحف الذي **استقر عليه** الأمر كما تقدم واستدل بتحريق عثمان الصحف على القائلين بقدم الحروف والأصوات لأنه لا يلزم من كون كلام الله قديما أن تكون الأسطر المكتوبة في الورق قديمة ولو كانت هي عين كلام الله لم يستجز الصحابة إحراقها والله أعلم قوله قال بن شهاب وأخبرني خارجة الخ هذه هي القصة الثالثة وهي موصولة إلى بن شهاب بالإسناد المذكور كما تقدم بيانه وأضحا وقد تقدمت موصولة مفردة في الجهاد وفي تفسير سورة الأحزاب وظاهر حديث زيد بن ثابت هذا أنه

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٣٢٥/٨

فقد آية الأحزاب من الصحف التي كان نسخها في خلافة أبي بكر حتى وجدها مع خزيمة بن ثابت ووقع في رواية إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن بن شهاب أن فقده إياها إنما كان في خلافة أبي بكر وهو وهم منه والصحيح ما في الصحيح وأن الذي فقده في خلافة أبي بكر الآيتان من آخر براءة وأما التي في الأحزاب ففقدها لما كتب المصحف في خلافة عثمان وجزم بن كثير بما وقع في رواية بن مجمع وليس كذلك والله أعلم قال بن التين وغيره الفرق بين جمع أبي بكر وبين جمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه و سلم وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره كما سيأتي في باب تأليف القرآن واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك انتهت فاقتصر على لغة واحدة وكانت لغة قريش أرجح اللغات فاقتصر عليها وسيأتي مزيد بيان لذلك بعد باب واحد تنبيه قال بن معين لم يرو أحد حديث جمع القرآن أحسن من سياق إبراهيم بن سعد وقد روى مالك طرفا منه عن بن شهاب ". (١)

٢٠٩-" السبعة التي نزل بها القرآن هل هي مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم أو ليس فيه إلا حرف واحد منها مال بن الباقلاني إلى الأول وصرح الطبري وجماعة بالثاني وهو المعتمد وقد أخرج بن أبي داود في المصاحف عن أبي الطاهر بن أبي السرح قال سألت بن عيينة عن اختلاف قراءة المدنيين والعراقيين هل هي الأحرف السبعة قال لا وإنما الأحرف السبعة مثل هلم وتعال وأقبل أي ذلك قلت أجزأك قال وقال لي بن وهب مثله والحق أن الذي جمع في المصحف هو المتفق على إنزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبي صلى الله عليه و سلم وفيه بعض ما اختلف فيه الأحرف السبعة لا جميعها كما وقع في المصحف المكي تجري من تحتها الأنهار في آخر براءة وفي غيره بحذف من وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض وعدة ها آت وعدة لا مات ونحو ذلك وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معا وأمر النبي صلى الله عليه و سلم بكتابته لشخصين أو أعلم بذلك شخصا واحدا وأمره بإثباتهما على الوجهين وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس وتسهيلا فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان وكفر بعضهم بعضا اختاروا الاقتصار علىاللفظ المأذون في كتابته وتركوا الباقي قال الطبري وصار ما اتفق عليه الصحابة من الاقتصار كمن اقتصر مما خير فيه على خصلة واحدة لأن أمرهم بالقراءة على الأوجه المذكورة لم يكن على سبيل الإيجاب بل على سبيل الرخصة قلت ويدل عليه قوله صلى الله عليه و سلم في حديث الباب فاقرءوا ما تيسر منه وقد قرر الطبري ذلك تقريرا أطنب فيه ووهي من قال بخلافه ووافقه على ذلك جماعة منهم أبو العباس بن عمار في شرح الهداية وقال أصح ما عليه الحذاق أن الذي يقرأ الآن بعض الحروف السبعة المأذون في

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٩/٢١

قراءتها لا كلها وضابطه ما وافق رسم المصحف فأما ما خالفه مثل أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ومثل إذا جاء فتح الله والنصر فهو من تلك القراءات التي تركت إن صح السند بها ولا يكفي صحة سندها في إثبات كونها قرآنا ولا سيما والكثير منها مما يحتمل أن يكون من التأويل الذي قرن إلى التنزيل فصار يظن أنه منه وقال البغوي في شرح السنة المصحف الذي **استقر عليه** الأمر هو آخر العرضات على رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمر عثمان بنسخة في المصاحف وجمع الناس عليه وأذهب ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم وقال أبو شامة ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل وقال بن عمار أيضا لقد فعل مسبع هذه السبعة مالا ينبغي له وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة ووقع له أيضا في اقتصاره عن كل إمام على راويين أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها وقد تكون هي أشهر وأصح وأظهر وربما بالغ من لايفهم فخطأ أو كفر وقال أبو بكر بن العربي ليست هذه السبعة متعينة الجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم وكذا قال غير واحد منهم مكي بن أبي طالب وأبو العلاء الهمداني وغيرهم من أئمة القراء وقال أبو حيان ليس في كتاب بن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راويا ثم ساق أسماءهم واقتصر في كتاب بن مجاهد على اليزيدي واشتهر عن اليزيدي عشرة أنفس فكيف ". (١)

٢١٠-"كفرهم تمحضت المخالفة لأهل الكتاب قوله ثم فرق بعد في رواية معمر ثم أمر بالفرق ففرق وكان الفرق آخر الأمرين ومما يشبه الفرق والسدل صبغ الشعر وتركه كما تقدم ومنها صوم عاشوراء ثم أمر بنوع مخالفة لهم فيه بصوم يوم قبله أو بعده ومنها استقبال القبلة ومخالفتهم في مخالطة الحائض حتى قال اصنعوا كل شيء الا الجماع فقالوا ما يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه وقد تقدم بيانه في كتاب الحيض وهذا الذي **استقر عليه** الأمر ومنها ما يظهر لي النهي عن صوم يوم السبت وقد جاء ذلك من طرق متعددة في النسائي وغيره وصرح أبو داود بأنه منسوخ وناسخه حديث أم سلمة أنه صلى الله عليه و سلم كان يصوم يوم السبت والأحد يتحرى ذلك ويقول أنهما يوما عيد الكفار وأنا أحب أن أخالفهم وفي لفظ ما مات رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى كان أكثر صيامه السبت والأحد أخرجه أحمد والنسائي وأشار بقوله يوما عيد إلى أن يوم السبت عيد عند اليهود والأحد عيد عند النصارى وأيام العيد لا تصام فخالفهم بصيامها ويستفاد من هذا أن الذي قاله بعض الشافعية من كراهة إفراد السبت وكذا الأحد ليس جيدا بل الأولى في المحافظة على ذلك يوم الجمعة كما ورد الحديث الصحيح فيه وأما السبت والأحد فالأولى أن يصاما معا وفرادى امتثالا لعموم الأمر بمخالفة أهل الكتاب قال عياض سدل الشعر إرساله يقال سدل شعره وأسدله إذا أرسله ولم يضم جوانبه وكذا الثوب والفرق تفريق الشعر بعضه من بعض وكشفه عن الجبين قال والفرق سنة لأنه الذي **استقر عليه** الحال والذي يظهر أن ذلك وقع

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٣٠/٩

بوحي لقول الراوي في أول الحديث إنه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء فالظاهر أنه فرق بأمر من الله حتى ادعى بعضهم فيه النسخ ومنع السدل واتخاذ الناصية وحكى ذلك عن عمر بن عبد العزيز وتعقبه القرطبي بأن الظاهر أن الذي كان صلى الله عليه و سلم يفعله إنما هو لأجل استئلافهم فلما لم ينجع فيهم أحب مخالفتهم فكانت مستحبة لا واجبة عليه وقول الراوي فيما لم يؤمر فيه بشيء أي لم يطلب منه والطلب يشمل الوجوب والندب وأما توهم النسخ في هذا فليس بشيء لا مكان الجمع بل يحتمل أن لا يكون الموافقة والمخالفة حكما شرعيا إلا من جهة المصلحة قال ولو كان السدل منسوخا لصار إليه الصحابة أو أكثرهم والمنقول عنهم أن منهم من كان يفرق ومنهم من كان يسدل ولم يعب بعضهم على بعض وقد صح أنه كانت له صلى الله عليه و سلم لمة فإن انفرقت فرقها وإلا تركها فالصحيح أن الفرق مستحب لا واجب وهو قول مالك والجمهور قلت وقد جزم الحازمي بأن السدل نسخ بالفرق واستدل برواية معمر التي أشرت إليها قبل وهو ظاهر وقال النووي الصحيح جواز السدل والفرق قال واختلفوا في معنى قوله يحب موافقة أهل الكتاب فقيل للاستئلاف كما تقدم وقيل المراد أنه كان مأمورا باتباع شرائعهم فيما لم يوح إليه بشيء وما علم أنهم لم يبدلوه واستدل به بعضهم على أن شرع من قبلنا شرع لنا حتى يرد في شرعنا ما يخالفه وعكس بعضهم فاستدل به على أنه ليس بشرع لنا لأنه لو كان كذلك لم يقل يحب بل كان يتحتم الأتباع والحق أن لا دليل في هذا على المسألة لأن القائل به يقصره على ما ورد في شرعنا أنه شرع لهم لا ما يؤخذ عنهم هم إذ لا وثوق بنقلهم والذي جزم به القرطبي أنه كان يوافقهم لمصلحة التأليف محتمل ويحتمل أيضا وهو أقرب أن الحالة التي تدور بين الأمرين لا ثالث لهما إذا لم ينزل على النبي صلى الله عليه و سلم شيء كان يعمل فيه بموافقة أهل الكتاب لأنهم أصحاب شرع بخلاف عبدة الأوثان فإنهم ليسوا على شريعة فلما أسلم المشركون انحصرت المخالفة في أهل الكتاب فأمر بمخالفتهم وقد جمعت المسائل التي وردت الأحاديث فيها بمخالفة ". (١)

٢١١-" في صحبته فذكره في الصحابة العسكري وذكر ما نقله الزبير بن بكار في النسب أنه كان أصاب دما بمكة في قريش فانتقل إلى المدينة ولما مات أوصى إلى سعد وذكره بن مندة في الصحابة ولم يذكر مستندا إلا قول سعد عهد إلى أخي أنه ولده واستنكر أبو نعيم ذلك وذكر أنه الذي شج وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم بأحد قال وما علمت له اسلاما بل قد روى عبد الرزاق من طريق عثمان الجزري عن مقسم أن النبي صلى الله عليه و سلم دعا بأن لا يحول على عتبة الحول حتى يموت كافرا فمات قبل الحول وهذا مرسل وأخرجه من وجه آخر عن سعيد بن المسيب بنحوه وأخرج الحاكم في المستدرك من طريق صفوان بن سليم عن أنس أنه سمع حاطب بن أبي بلتعة يقول ان عتبة لما فعل بالنبي صلى الله عليه و سلم ما فعل تبعته فقتلته كذا قال وجزم بن التين والدمياطي بأنه مات كافرا قلت وأم عتبة هند بنت وهب بن الحارث بن زهرة وأم أخيه سعد حمنة بنت سفيان بن أمية قوله فلما كان عام الفتح أخذه سعد فقال بن أخي في رواية يونس عن الزهري في المغازي فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة في الفتح وفي رواية معمر عن الزهري عند أحمد وهي لمسلم لكن لم يسق لفظها فلما كان يوم الفتح رأى سعد الغلام فعرفه بالشبه فاحتضنه وقال بن أخي ورب الكعبة وفي رواية

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٣٦٢/١٠

الليث فقال سعد يا رسول الله هذا بن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أنه ابنه وعتبة بالجر بدل من لفظ أخي أو عطف بيان والضمير في أخي لسعد لا لعتبة قوله فقام عبد بن زمعة فقال أخي وبن وليدة أبي ولد على فراشه في رواية معمر فجاء عبد بن زمعة فقال بل هو أخي ولد على فراش أبي من جاريته وفي رواية يونس يا رسول الله هذا أخي هذا بن زمعة ولد على فراشه زاد في رواية الليث أنظر إلى شبهه يا رسول الله وفي رواية يونس فنظر رسول الله صلى الله عليه و سلم فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص وفي رواية الليث فرأى شبها بينا بعتبة وكذا لابن عيينة عند أبي داود وغيره قال الخطابي وتبعه عياض والقرطبي وغيرهما كان أهل الجاهلية يقتنون الولائد ويقررون عليهن الضرائب فيكتسبن بالفجور وكانوا يلحقون النسب بالزناة إذا ادعوا الولد كما في النكاح وكانت لزمعة أمة وكان يلم بها فظهر بها حمل زعم عتبة بن أبي وقاص أنه منه وعهد إلى أخيه سعد أن يستلحقه فخاصم فيه عبد بن زمعة فقال له سعد هو بن أخي على ما كان عليه الأمر في الجاهلية وقال عبد هو أخي على ما **استقر عليه** الأمر في الإسلام فأبطل النبي صلى الله عليه و سلم حكم الجاهلية وألحقه بزمعة وأبدل عياض قوله إذا ادعوا الولد بقوله إذا اعترفت به الأم وبنى عليهما القرطبي فقال ولم يكن حصل إلحاقه بعتبة في الجاهلية إما لعدم الدعوى وإما لكون الأم لم تعترف به لعتبة قلت وقد مضى في النكاح من حديث عائشة ما يؤيد أنهم كانوا يعتبرون استلحاق الأم في صورة وإلحاق القائف في صورة ولفظها أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء الحديث وفيه يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومضت ليال أرسلت إليهم فاجتمعوا عندها فقالت قد ولدت فهو ابنك يا فلان فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع إلى أن قالت ونكاح البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن فوضعت جمعوا لها القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرى القائف لا يمتنع من ذلك انتهى واللائق بقصة أمة زمعة الأخير فلعل جمع القافة لهذا الولد تعذر بوجه من الوجوه أو أنها لم تكن بصفة البغايا بل أصابها عتبة سرا من زنا وهما كافران فحملت وولدت ولدا يشبهه فغلب على ظنه أنه منه فبغته الموت قبل استلحاقه فأوصى أخاه أن يستلحقه فعمل سعد بعد ذلك تمسكا بالبراءة الأصلية ". (١)

٢١٢-" ولم يطلع أكثرهم على تعيينه صريحا مع اعتقادهم أن فيه الحد المعين ومن ثم توخى أبو بكر ما فعل بحضرة النبي صلى الله عليه و سلم **فاستقر عليه** الأمر ثم رأى عمر ومن رافقه الزيادة على الأربعين إما حدا بطريق الاستنباط وإما تعزيرا قلت وبقي ما ورد في الحديث أنه إن شرب فحد ثلاث مرات ثم شرب قتل في الرابعة وفي رواية في الخامسة وهو حديث مخرج في السنن من عدة طرق أسانيدها قوية ونقل الترمذي الإجماع على ترك القتل وهو محمول على من بعد من نقل غيره عنه القول به كعبدالله بن عمرو فيما أخرجه أحمد والحسن البصري وبعض أهل الظاهر وبالغ النووي فقال هو قول باطل مخالف لاجماع الصحابة فمن بعدهم والحديث أو أرد فيه منسوخ إما بحديث لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث وأما بأن الإجماع دل على نسخه قلت بل دليل النسخ منصوص وهو ما أخرجه أبو داود من طريق الزهري عن قبيصة في هذه القصة قال فأتى برجل قد شرب فجلده ثم أتى به قد شرب فجلده ثم أتى به فجلده ثم أتى به فجلده فرفع القتل

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٣٣/١٢

وكانت رخصة وسيأتي بسط ذلك في الباب الذي يليه واحتج من قال إن حده ثمانون بالإجماع في عهد عمر حيث وافقه على ذلك كبار الصحابة وتعقب بأن عليا أشار على عمر بذلك ثم رجع علي عن ذلك واقتصر على الأربعين لأنها القدر الذي اتفقوا عليه في زمن أبي بكر مستندين إلى تقدير ما فعل بحضرة النبي صلى الله عليه و سلم وأما الذي أشار به فقد تبين من سياق قصته أنه أشار بذلك ردعا للذين انهمكوا لأن في بعض طرق القصة كما تقدم انهم احتقروا العقوبة وبهذا تمسك الشافعية فقالوا أقل ما في حد الخمر أربعون وتجوز الزيادة فيه إلى الثمانين على سبيل التعزير ولا يجاوز الثمانين واستندوا إلى أن التعزير إلى رأي الامام فرأى عمر فعله بموافقة علي ثم رجع علي ووقف عند ما فعله النبي صلى الله عليه و سلم وأبو بكر ووافقه عثمان على ذلك وأما قول علي وكل سنة فمعناه أن الاقتصار على الأربعين سنة النبي صلى الله عليه و سلم فصار إليه أبو بكر والوصول إلى الثمانين سنة عمر ردعا للشاربين الذين احتقروا العقوبة الأولى ووافقه من ذكر في زمانه للمعنى الذي تقدم وسوغ لهم ذلك إما اعتقادهم جواز القياس في الحدود على رأي من يجعل الجميع حدا وإما أنهم جعلوا الزيادة تعزيرا بناء على جواز أن يبلغ بالتعزير قدر الحد ولعلهم لم يبلغهم الخبر الآتي في باب التعزير وقد تمسك بذلك من قال بجواز القياس في الحدود وادعى إجماع الصحابة وهي دعوى ضعيفة لقيام الاحتمال وقد شنع بن حزم على الحنفية في قولهم أن القياس لا يدخل في الحدود والكفارات مع جزم الطحاوي ومن وافقه منهم بأن حد الخمر وقع بالقياس على حد القذف وبه تمسك من قال بالجواز من المالكية والشافعية واحتج من منع ذلك بأن الحدود والكفارات شرعت بحسب المصالح وقد تشترك أشياء مختلفة وتختلف أشياء متساوية فلا سبيل إلى علم ذلك إلا بالنص وأجابوا عما وقع في زمن عمر بأنه لا يلزم من كونه جلد قدر حد القذف أن يكون جعل الجميع حدا بل الذي فعلوه محمول على أنهم لم يبلغهم أن النبي صلى الله عليه و سلم حد فيه أربعين إذ لو بلغهم لما جاوزوه كما لم يجاوزوا غيره من الحدود المنصوصة وقد اتفقوا على أنه لا يجوز أن يستنبط من النص معنى يعود عليه بالابطال فرجح أن الزيادة كانت تعزيرا ويؤيده ما أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث بسند صحيح عن أبي رافع عن عمر أنه أتى بشارب فقال لمطيع بن الأسود إذا أصبحت غدا فاضربه فجاء عمر فوجده يضربه ضربا شديدا فقال كم ضربته قال ستين قال اقتص عنه بعشرين قال أبو عبيد يعني اجعل شدة ضربك له قصاصا بالعشرين التي بقيت من الثمانين قال أبو عبيد فيؤخذ من هذا الحديث أن ضرب الشارب لا يكون شديدا وأن لا يضرب في حال السكر لقوله إذا ". (١)

٢١٣-" ولا أئمة اصحابه وانما سبب نسبة ذلك لأحمد قوله من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي فظنوا انه سوى بين اللفظ والصوت ولم ينقل عن أحمد في الصوت ما نقل عنه في اللفظ بل صرح في مواضع بأن الصوت المسموع من القارئ هو صوت القارئ ويؤيده حديث زينوا القرآن بأصواتكم وسيأتي قريبا والفرق بينهما ان اللفظ يضاف إلى المتكلم به ابتداء فيقال عمن روى الحديث بلفظه هذا لفظه ولمن رواه بغير لفظه هذا معناه ولفظه كذا ولا يقال في شيء من ذلك هذا صوته فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه ليس هو كلام غيره واما قوله تعالى انه لقول رسول كريم واختلف هل المراد جبريل

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٧٣/١٢

أو الرسول عليهما الصلاة والسلام فالمراد به التبليغ لأن جبريل مبلغ عن الله تعالى إلى رسوله والرسول صلى الله عليه و سلم مبلغ للناس ولم ينقل عن أحمد قط ان فعل العبد قديم ولا صوته وانما أنكر إطلاق اللفظ وصرح البخاري بأن أصوات العباد مخلوقة وان احمد لا يخالف ذلك فقال في كتاب خلق أفعال العباد ما يدعونه عن احمد ليس الكثير منه بالبين ولكنهم لم يفهموا مراده ومذهبه والمعروف عن احمد وأهل العلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق وما سواه مخلوق لكنهم كرهوا التنقيب عن الأشياء الغامضة وتجنبوا الخوض فيها والتنازع الا ما بينه الرسول عليه الصلاة و السلام ثم نقل عن بعض أهل عصره انه قال القرآن بألفاظنا وألفاظنا بالقرآن شيء واحد فالتلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء قال فقيل له ان التلاوة فعل التالي فقال ظننتها مصدرين قال فقيل له أرسل الي من كتب عنك ما قلت فاسترده فقال كيف وقد مضى انتهى ومحصل ما نقل عن أهل الكلام في هذه المسألة خمسة أقوال الأول قول المعتزلة انه مخلوق والثاني قول الكلابية انه قديم قائم بذات الرب ليس بحروف ولا أصوات والموجود بين الناس عبارة عنه لا عينه والثالث قول السالمية انه حروف وأصوات قديمة الأعين وهو عين هذه الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة والرابع قول الكرامية انه محدث لا مخلوق وسيأتي بسط القول فيه في الباب الذي بعده والخامس انه كلام الله غير مخلوق انه لم يزل يتكلم إذا شاء نص على ذلك احمد في كتاب الرد على الجهمية وافترق أصحابه فرقتين منهم من قال هو لازم لذاته والحروف والأصوات مقترنة لا متعاقبة ويسمع كلامه من شاء وأكثرهم قالوا انه متكلم بما شاء متى شاء وانه نادى موسى عليه السلام حين كلمه ولم يكن ناداه من قبل والذي **استقر عليه** قول الأشعرية ان القرآن كلام الله غير مخلوق مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة قال الله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وفي الحديث المتفق عليه عن بن عمر كما تقدم في الجهاد لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو كراهية ان يناله العدو وليس المراد ما في الصدور بل ما في الصحف وأجمع السلف على ان الذي بين الدفتين كلام الله وقال بعضهم القرآن يطلق ويراد به المقروء وهو الصفة القديمة ويطلق ويراد به القرآءة وهي الألفاظ الدالة على ذلك وبسبب ذلك وقع الاختلاف واما قولهم انه منزه عن الحروف والأصوات فمرادهم الكلام النفسي القائم بالذات المقدسة فهو من الصفات الموجودة القديمة واما الحروف فان كانت حركات ادوات كاللسان والشفتين فهي أعراض وان كانت كتابة فهي أجسام وقيام الأجسام والأعراض بذات الله تعالى محال ويلزم من أثبت ذلك ان يقول بخلق القرآن وهو يأبى ذلك ويفر منه فألجأ ذلك بعضهم إلى ادعاء قدم الحروف كما التزمته السالمية ومنهم من التزم قيام ذلك بذاته ومن شدة اللبس في هذه المسألة كثر نهي السلف عن الخوض فيها واكتفوا باعتقاد أن ". (١)

٢١٤-" تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل الآية ومن ذلك قصة رجم اليهوديين وفيه وجود آية الرجم ويؤيده قوله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ثانيها ان التبديل وقع ولكن في معظمها وادلته كثيرة وينبغي حمل الأول عليه ثالثها وقع في اليسير منها ومعظمها باق على حاله ونصره الشيخ تقي الدين بن تيمية في كتابه الرد الصحيح على من بدل دين المسيح رابعها انما وقع التبديل والتغيير في المعاني لا في الألفاظ

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة ٤٩٣/١٣

وهو المذكور هنا وقد سئل بن تيمية عن هذه المسألة مجردا فأجاب في فتاويه ان للعلماء في ذلك قولين واحتج للثاني من أوجه كثيرة منها قوله تعالى لا مبدل لكلماته وهو معارض بقوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ولا يتعين الجمع بما ذكر من الحمل على اللفظ في النفي وعلى المعنى في الاثبات لجواز الحمل في النفي على الحكم وفي الاثبات على ما هو أعم من اللفظ والمعنى ومنها ان نسخ التوراة في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يختلف ومن المحال ان يقع التبديل فيتوارد النسخ بذلك على منهاج واحد وهذا استدلال عجيب لأنه إذا جاز وقوع التبديل جاز اعدام المبدل والنسخ الموجودة الآن هي التي **استقر عليها** الأمر عندهم عند التبديل والأخبار بذلك طافحة أما فيما يتعلق بالتوراة فلأن بختنصر لما غزا بيت المقدس وأهلك بني إسرائيل ومزقهم بين قتيل وأسير وأعدم كتبهم حتى جاء عزيرا فأملاها عليهم وأما فيما يتعلق بالإنجيل فان الروم لما دخلوا في النصرانية جمع ملكهم أكابرهم على ما في الإنجيل الذي بأيديهم وتحريفهم المعاني لا ينكر بل هو موجود عندهم بكثرة وانما النزاع هل حرفت الألفاظ أو لا وقد وجد في الكتابين ما لا يجوز ان يكون بهذه الألفاظ من عند الله عز و جل أصلا وقد سرد أبو محمد بن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل أشياء كثيرة من هذا الجنس من ذلك أنه ذكر أن في أول فصل في أول ورقة من توراة اليهود التي عند رهبانهم وقرائهم وعاناتهم وعيسويهم حيث كانوا في المشارق والمغارب لا يختلفون فيها على صفة واحدة لو رام أحد ان يزيد فيها لفظة أو ينقص منها لفظة لافتضح عندهم متفقا عليها عندهم إلى الأحبار الهارونية الذين كانوا قبل الخراب الثاني يذكرون انها مبلغة من أولئك إلى عزرا الهاروني وان الله تعالى قال لما أكل آدم من الشجرة هذا آدم قد صار كواحد منا في معرفة الخير والشر وأن السحرة عملوا لفرعون نظير ما أرسل عليهم من الدم والضفادع وأنهم عجزوا عن البعوض وان ابنتي لوط بعد هلاك قومه ضاجعت كل منهما أباها بعد ان سقته الخمر فوطئ كلا منهما فحملتا منه إلى غير ذلك من الأمور المنكرة المستبشعة وذكر في مواضع أخرى أن التبديل وقع فيها إلى ان أعدمت فأملاها عزرا المذكور على ما هي عليه الآن ثم ساق أشياء من نص التوراة التي بأيديهم الآن الكذب فيها ظاهر جدا ثم قال وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون ان التوراة والإنجيل اللتين بأيدي اليهود والنصارى محرفان والحامل لهم على ذلك قلة مبالاتهم بنصوص القرآن والسنة وقد اشتملا على أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون ويقال لهؤلاء المنكرين قد قال الله تعالى في صفة الصحابة ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه إلى آخر السورة وليس بأيدي اليهود والنصارى شيء من هذا ويقال لمن ادعى ان نقلهم نقل متواتر قد اتفقوا على أن لا ذكر لمحمد صلى الله عليه و سلم في الكتابين فان صدقتموهم فيما بأيديهم لكونه نقل نقل المتواتر فصدقوهم فيما زعموه ان لا ذكر لمحمد صلى الله عليه و سلم ولا لأصحابه والا فلا يجوز تصديق ". (١)

٢١٥-"قَوْلُهُ: (وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي) لَعَلَّهُ قَالَ ذَلِكَ تَوَاضُعًا. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْأَمْرُ مِنْ تَفْضِيلِ الْعَشَرَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ بِالنَّظَرِ إِلَى مَنْ لَمْ يُقْتَلْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – وَقَدْ وَقَعَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ نَظِيرُ ذَلِكَ، فَذَكَرَ

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة ٥٢٤/١٣

ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعِنْدَهُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ: هَذِهِ بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٍ مِنِّي، سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، كَانَ مِنْ نُقَبَاءِ الْعَقَبَةِ شَهِدَ بَدْرًا وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ.

قَوْلُهُ: (كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ) تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي كِتَابِ الْجَنَائِزِ.

قَوْلُهُ: (وَقُتِلَ حَمْزَةُ) أَيِ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، سَتَأْتِي كَيْفِيَّةُ قَتْلِهِ فِي هَذَا الْبَابِ.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ) يُشِيرُ إِلَى مَا فُتِحَ لَهُمْ مِنَ الْفُتُوحِ وَالْغَنَائِمِ وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ ذَلِكَ الْحَظُّ الْوَافِرُ.

قَوْلُهُ: (وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا) فِي رِوَايَةِ الْجَنَائِزِ " طَيِّبَاتُنَا "، وَفِي رِوَايَةِ نَوْفَلِ بْنِ إِيَاسٍ " وَلَا أُرَانَا أُخِّرْنَا لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا ".". (١)

٢١٦-"قَوْلُهُ: (ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ) فِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ " ﴿ ثُمَّ أَمَرَ بِالْفَرْقِ فَفَرَقَ ﴾ " وَكَانَ الْفَرْقُ آخِرُ الْأَمْرَيْنِ، وَمِمَّا يُشْبِهُ الْفَرْقَ وَالسَّدْلَ صَبْغُ الشَّعْرِ وَتَرْكُهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَمِنْهَا صَوْمُ عَاشُورَاءَ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَوْعِ مُخَالَفَةٍ لَهُمْ فِيهِ بِصَوْمِ يَوْمٍ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ، وَمِنْهَا اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ، وَمُخَالَفَتُهُمْ فِي مُخَالَطَةِ الْحَائِضِ حَتَّى قَالَ ﴿ اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْجِمَاعَ ﴾ (١) فَقَالُوا. مَا يَدَعُ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي كِتَابِ الْحَيْضِ، وَهَذَا الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْأَمْرُ. وَمِنْهَا مَا يَظْهَرُ إِلَى النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ السَّبْتِ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي النَّسَائِيِّ وَغَيْرِهِ، وَصَرَّحَ أَبُو دَاوُدَ بِأَنَّهُ مَنْسُوخٌ وَنَاسِخُهُ حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ " ﴿ أَنَّهُ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَصُومُ يَوْمَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ يَتَحَرَّى ذَلِكَ وَيَقُولُ: إِنَّهُمَا يَوْمَا عِيدِ الْكُفَّارِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمْ ﴾ (٢)

---

(١) - مسلم الحيض (٣٠٢)،الترمذي تفسير القرآن (٢٩٧٧)،النسائي الحيض والاستحاضة (٣٦٩)،أبو داود النكاح (٢١٦٥)،ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٤٤)،أحمد (١٣٢/٣)،الدارمي الطهارة (١٠٥٣).

(٢) - أحمد (٣٢٣/٦)..". (٢)

٢١٧-"" وَفِي لَفْظٍ " ﴿ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى كَانَ أَكْثَرُ الجزء العاشر صِيَامِهِ السَّبْتَ وَالْأَحَدَ ﴾ " أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ يَوْمَا عِيدٍ إِلَى أَنَّ يَوْمَ السَّبْتِ عِيدٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالْأَحَدُ عِيدٌ عِنْدَ النَّصَارَى وَأَيَّامُ الْعِيدِ لَا تُصَامُ فَخَالَفَهُمْ بِصِيَامِهَا، وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ الَّذِي قَالَهُ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ مِنْ كَرَاهَةِ إِفْرَادِ السَّبْتِ وَكَذَا الْأَحَدُ لَيْسَ جَيِّدًا بَلِ الْأَوْلَى فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَمَا وَرَدَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِيهِ، وَأَمَّا السَّبْتُ وَالْأَحَدُ فَالْأَوْلُ أَنْ يُصَامَا مَعًا وَفُرَادَى امْتِثَالًا لِعُمُومِ الْأَمْرِ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ عِيَاضٌ: سَدْلُ الشَّعْرِ إِرْسَالُهُ، يُقَالُ سَدَلَ شَعْرَهُ وَأَسْدَلَهُ إِذَا أَرْسَلَهُ وَلَمْ يَضُمَّ جَوَانِبَهُ، وَكَذَا الثَّوْبُ، وَالْفَرْقُ تَفْرِيقُ الشَّعْرِ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ وَكَشْفُهُ عَنِ الْجَبِينِ، قَالَ وَالْفَرْقُ سُنَّةٌ لِأَنَّهُ

---

(١) فتح الباري - نسخة رائعة ١٣٥/١

(٢) فتح الباري - نسخة رائعة ٢٣٨/١

الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْحَالُ. وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ بِوَحْيٍ، لِقَوْلِ الرَّاوِي فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ فَرَقَ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ حَتَّى ادَّعَى بَعْضُهُمْ فِيهِ النَّسْخَ وَمَنْعَ السَّدْلَ وَاتِّخَاذَ النَّاصِيَةِ.". (١)

٢١٨-"قَالَ النَّوَوِيُّ تَبَعًا لِلْعَبْدِيِّ وَالْحَازِمِيِّ وَغَيْرِهِمَا: اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ لِلرِّجَالِ جَائِزَةٌ. كَذَا أَطْلَقُوا، وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ ابْنَ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرَهُ رَوَى عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَالشَّعْبِيِّ الْكَرَاهَةَ مُطْلَقًا، حَتَّى قَالَ الشَّعْبِيُّ: لَوْلَا نَهْيُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - لَزُرْتُ قَبْرَ ابْنَتِي. فَلَعَلَّ مَنْ أَطْلَقَ أَرَادَ بِالِاتِّفَاقِ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْأَمْرُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ، وَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْلُغْهُمُ النَّاسِخُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمُقَابِلُ هَذَا قَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ: إِنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ وَاجِبَةٌ، وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمُرِ؛ لِوُرُودِ الْأَمْرِ بِهِ. وَاخْتُلِفَ فِي النِّسَاءِ زِيَارَةُ الْقُبُورِ لِلنِّسَاءِ ، فَقِيلَ: دَخَلْنَ فِي عُمُومِ الْإِذْنِ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ، وَمَحَلُّهُ مَا إِذَا أُمِنَتِ الْفِتْنَةُ، وَيُؤَيِّدُ الْجَوَازَ حَدِيثُ الْبَابِ، وَمَوْضِعُ الدَّلَالَةِ مِنْهُ أَنَّهُ - صلى الله عليه وسلم - لَمْ يُنْكِرْ عَلَى الْمَرْأَةِ قُعُودَهَا عِنْدَ الْقَبْرِ، وَتَقْرِيرُهُ حُجَّةٌ. وَمِمَّنْ حَمَلَ الْإِذْنَ عَلَى عُمُومِهِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَائِشَةُ، فَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ ﴿ رَآهَا زَارَتْ قَبْرَ أَخِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقِيلَ لَهَا: أَلَيْسَ قَدْ نَهَى النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، كَانَ نَهَى، ثُمَّ أَمَرَ بِزِيَارَتِهَا ﴾ .". (٢)

٢١٩-"وَكَذَا لِابْنِ عُيَيْنَةَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَتَبِعَهُ عِيَاضٌ وَالْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُمَا: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتَنُونَ الْوَلَائِدَ وَيُقَرِّرُونَ عَلَيْهِنَّ الضَّرَائِبَ فَيَكْتَسِبْنَ بِالْفُجُورِ، وَكَانُوا يُلْحِقُونَ النَّسَبَ بِالزُّنَاةِ إِذَا ادَّعَوُا الْوَلَدَ كَمَا فِي النِّكَاحِ، وَكَانَتْ لِزَمْعَةَ أَمَةٌ، وَكَانَ يُلِمُّ بِهَا، فَظَهَرَ بِهَا حَمْلٌ زَعَمَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ مِنْهُ وَعَهِدَ إِلَى أَخِيهِ سَعْدٍ أَنْ يَسْتَلْحِقَهُ، فَخَاصَمَ فِيهِ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لِي سَعْدٌ: هُوَ ابْنُ أَخِي عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَالَ عَبْدٌ: هُوَ أَخِي عَلَى مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْأَمْرُ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَلْحَقَهُ بِزَمْعَةَ، وَأَبْدَلَ عِيَاضٌ قَوْلَهُ: إِذَا ادَّعَوُا الْوَلَدَ بِقَوْلِهِ إِذَا اعْتَرَفَتْ بِهِ الْأُمُّ، وَبَنَى عَلَيْهِمَا الْقُرْطُبِيُّ فَقَالَ: وَلَمْ يَكُنْ حَصَلَ إِلْحَاقُهُ بِعُتْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِمَّا لِعَدَمِ الدَّعْوَى وَإِمَّا لِكَوْنِ الْأُمِّ لَمْ تَعْتَرِفْ بِهِ لِعُتْبَةَ.". (٣)

٢٢٠-"وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ: احْتَجَّ أَصْحَابُنَا لِكَرَاهَةِ فِدَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ (١) الْآيَةَ، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ حِلِّ الْغَنِيمَةِ، فَإِنْ فَعَلَهُ بَعْدَ إِبَاحَةِ الْغَنِيمَةِ فَلَا كَرَاهَةَ انْتَهَى. وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، فَقَدْ حَكَى ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْهَدْيِ اخْتِلَافًا: أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَرْجَحُ ؟ مَا أَشَارَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَخْذِ الْفِدَاءِ، أَوْ مَا أَشَارَ بِهِ عُمَرُ مِنَ الْقَتْلِ ؟ فَرَجَّحَتْ طَائِفَةٌ رَأْيَ عُمَرَ لِظَاهِرِ الْآيَةِ وَلِمَا فِي الْقِصَّةِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ﴿ " أَبْكِي لِمَا عُرِضَ عَلَى أَصْحَابِكَ مِنَ الْعَذَابِ لِأَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ " ﴾ (٢) وَرَجَّحَتْ طَائِفَةٌ رَأْيَ أَبِي بَكْرٍ لِأَنَّهُ

---

(١) فتح الباري - نسخة رائعة ١/٢٣٩

(٢) فتح الباري - نسخة رائعة ١/٢٧١

(٣) فتح الباري - نسخة رائعة ١/٢٩٧

الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْحَالُ حِينَئِذٍ، وَلِمُوَافَقَةِ رَأْيِهِ الْكِتَابَ الَّذِي سَبَقَ، وَلِمُوَافَقَةِ حَدِيثِ ﴿ " سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي " ﴾ (٣) وَلِحُصُولِ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ بَعْدُ مِنْ دُخُولِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَالصُّحْبَةِ وَمَنْ وُلِدَ لَهُمْ مَنْ كَانَ وَمَنْ تَجَدَّدَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُعْرَفُ بِالتَّأَمُّلِ. وَحَمَلُوا التَّهْدِيدَ بِالْعَذَابِ عَلَى مَنِ اخْتَارَ الْفِدَاءَ، فَيَحْصُلُ عَرَضُ الدُّنْيَا مُجَرَّدًا وَعَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ.

---

(١) – سورة الأنفال آية : ٦٨.

(٢) – (.

(٣) – البخاري التوحيد (٧١١٤)،مسلم التوبة (٢٧٥١)،الترمذي الدعوات (٣٥٤٣)،ابن ماجه الزهد (٤٢٩٥)،أحمد (٣٨١/٢).". [١]

٢٢١-"وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مُنَزَّلَةً عَلَى أَسْبَابٍ تَتَعَلَّقُ بِالصِّيَامِ عَجَّلَ بِهَا الْمُصَنِّفُ. وَقَدْ تَعَرَّضَ لَهَا فِي التَّفْسِيرِ أَيْضًا كَمَا سَيَأْتِي. وَيُؤْخَذُ مِنْ حَاصِلِ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْحَالُ مِنْ سَبَبِ نُزُولِهَا ابْتِدَاءُ مَشْرُوعِيَّةِ السُّحُورِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ فِي هَذَا الْمَكَانِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ مُقَدِّمَةً لِأَبْوَابِ السُّحُورِ.

قَوْلُهُ: (عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ) هُوَ السَّبِيعِيُّ، وَإِسْرَائِيلُ هُوَ ابْنُ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الْمَذْكُورُ، وَقَدْ رَوَاهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ طَرِيقِ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى وَغَيْرِهِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فِيهِ عَنْ إِسْرَائِيلَ وَزُهَيْرٌ هُوَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ زَادَ فِيهِ ذِكْرَ زُهَيْرٍ وَسَاقَهُ عَلَى لَفْظِ إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي "مُسْنَدَيْهِمَا" عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى فَلَمْ يَذْكُرَا زُهَيْرًا، وَقَدْ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ زُهَيْرٍ بِهِ.

الجزء الرابع قَوْلُهُ: (كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيْ: فِي أَوَّلِ افْتِرَاضِ الصِّيَامِ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي رِوَايَتِهِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى مُرْسَلًا.". [٢]

٢٢٢-"وَالْجَوَابُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ انْعَقَدَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى وُجُوبِ الْحَدِّ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَحَرَّى مَا كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – ضَرَبَ السَّكْرَانَ فَصَيَّرَهُ حَدًّا وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهِ، وَكَذَا اسْتَمَرَّ مَنْ بَعْدَهُ وَإِنِ اخْتَلَفُوا فِي الْعَدَدِ، وَجَمَعَ الْقُرْطُبِيُّ بَيْنَ الْأَخْبَارِ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَوَّلًا فِي شُرْبِ الْخَمْرِ حَدٌّ، وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الَّذِي اسْتَجَارَ بِالْعَبَّاسِ، ثُمَّ شُرِعَ فِيهِ التَّعْزِيزُ عَلَى مَا فِي سَائِرِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَا تَقْدِيرَ فِيهَا، ثُمَّ شُرِعَ الْحَدُّ وَلَمْ يَطَّلِعْ أَكْثَرُهُمْ عَلَى تَعْيِينِهِ صَرِيحًا مَعَ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ فِيهِ الْحَدَّ الْمُعَيَّنَ، وَمِنْ ثَمَّ تَوَخَّى أَبُو بَكْرٍ مَا فُعِلَ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – **فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْأَمْرُ، ثُمَّ رَأَى عُمَرُ وَمَنْ وَافَقَهُ الزِّيَادَةَ عَلَى الْأَرْبَعِينَ إِمَّا حَدًّا بِطَرِيقِ الِاسْتِنْبَاطِ وَإِمَّا تَعْزِيرًا.". [٣]

---

(١) فتح الباري – نسخة رائعة ٣٧٢/١

(٢) فتح الباري – نسخة رائعة ٤٣٤/١

(٣) فتح الباري – نسخة رائعة ٤٦٧/١

٢٢٣-"قَوْلُهُ: (زَاغَتْ) أَيْ مَالَتْ، وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِلَفْظِ " زَالَتْ " وَالْغَرَضُ مِنْهُ هُنَا صَدْرُ الْحَدِيثِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ ﴾ (١) فَإِنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّ زَوَالَ الشَّمْسِ أَوَّلُ وَقْتِ الظُّهْرِ، إِذْ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ صَلَّى قَبْلَهُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْإِجْمَاعُ، وَكَانَ فِيهِ خِلَافٌ قَدِيمٌ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ جَوَّزَ صَلَاةَ الظُّهْرِ قَبْلَ الزَّوَالِ. وَعَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ مِثْلَهُ فِي الْجُمُعَةِ كَمَا سَيَأْتِي فِي بَابِهِ.

قَوْلُهُ: (فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ) بِضَمِّ الْعَيْنِ، أَيْ جَانِبِهِ أَوْ وَسَطِهِ.

قَوْلُهُ: (فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ) أَيِ الْمَرْئِيِّ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ.

---

(١) - البخاري مواقيت الصلاة (٥١٥)،مسلم الفضائل (٢٣٥٩)،أحمد (١٦٢/٣).". (١)

٢٢٤-"أَبْدَى بَعْضُهُمْ لِمَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْحَالُ مِنْ تَرْتِيبِ هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ مُنَاسَبَةً لَطِيفَةً حَاصِلُهَا أَنَّ لِلْأَشْهُرِ الْحُرُمِ مَزِيَّةً عَلَى مَا عَدَاهَا فَنَاسَبَ أَنْ يُبْدَأَ بِهَا الْعَامُ وَأَنْ تَتَوَسَّطَهُ وَأَنْ تُخْتَمَ بِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْخَتْمُ بِشَهْرَيْنِ لِوُقُوعِ الْحَجِّ خِتَامَ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعِ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى عَمَلِ مَالٍ مَحْضٍ وَهُوَ الزَّكَاةُ، وَعَمَلِ بَدَنٍ مَحْضٍ، وَذَلِكَ تَارَةً يَكُونُ بِالْجَوَارِحِ وَهُوَ الصَّلَاةُ وَتَارَةً بِالْقَلْبِ وَهُوَ الصَّوْمُ، لِأَنَّهُ كَفٌّ عَنِ الْمُفْطِرَاتِ. وَتَارَةً عَمَلٌ مُرَكَّبٌ مِنْ مَالٍ وَبَدَنٍ وَهُوَ الْحَجُّ. فَلَمَّا جَمَعَهُمَا نَاسَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِعْفُ مَا لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَرْبَعَةِ الْحُرُمِ شَهْرَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

بَاب قَوْلِهِ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا

بَاب قَوْلِهِ ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِن اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (١) أَيْ نَاصِرُنَا السَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ مِنْ السُّكُونِ

---

(١) - سورة التوبة آية : ٤٠.". (٢)

٢٢٥-"وَعَدَدُ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْآبَاءِ مُتَفَاوِتٌ، فَالنَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ حَيْثُ الْعَدَدِ فِي دَرَجَةِ عَفَّانَ كَمَا وَقَعَ لِعُمَرَ سَوَاءً، وَأَمَّا كُنْيَتُهُ فَهُوَ الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْأَمْرُ، وَقَدْ نَقَلَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي رُزِقَهُ مِنْ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَذْكُورُ صَغِيرًا وَلَهُ سِتُّ سِنِينَ، وَحَكَى ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ مَوْتَهُ كَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَمَاتَتْ أُمُّهُ رُقَيَّةُ قَبْلَ ذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَالنَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَكَانَ بَعْضُ مَنْ يَنْتَقِصُهُ يُكَنِّيهِ أَبَا لَيْلَى يُشِيرُ إِلَى لِينِ جَانِبِهِ، حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَقَدِ اشْتُهِرَ أَنَّ لَقَبَهُ ذُو النُّورَيْنِ. وَرَوَى خَيْثَمَةُ فِي " الْفَضَائِلِ " وَالدَّارَقُطْنِيُّ فِي " الْأَفْرَادِ " مِنَ حَدِيثِ عَلِيٍّ أَنَّهُ ذَكَرَ عُثْمَانَ فَقَالَ " ذَاكَ امْرُؤٌ

---

(١) فتح الباري - نسخة رائعة ٤٦٨/١

(٢) فتح الباري - نسخة رائعة ١٤/٢

يُدْعَى فِي السَّمَاءِ ذَا النُّورَيْنِ فضائل عثمان ". وَسَأَذْكُرُ اسْمَ أُمِّهِ وَنَسَبَهَا فِي الْكَلَامِ عَلَى الْحَدِيثِ الثَّانِي مِنْ تَرْجَمَتِهِ.". (١)

٢٢٦-"وَقَوْلُهُ " وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ " أَيْ بِمَا سِوَى الْمُصْحَفِ الَّذِي اسْتَكْتَبَهُ وَالْمَصَاحِفِ الَّتِي نُقِلَتْ مِنْهُ وَسِوَى الصُّحُفِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ حَفْصَةَ وَرَدَّهَا إِلَيْهَا، وَلِهَذَا اسْتَدْرَكَ مَرْوَانُ الْأَمْرَ بَعْدَهَا وَأَعْدَمَهَا أَيْضًا خَشْيَةَ أَنْ يَقَعَ لِأَحَدٍ مِنْهَا تَوَهُّمُ أَنَّ فِيهَا مَا يُخَالِفُ الْمُصْحَفَ الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْأَمْرُ كَمَا تَقَدَّمَ. وَاسْتُدِلَّ بِتَحْرِيقِ عُثْمَانَ الصُّحُفَ عَلَى الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ كَلَامِ اللَّهِ قَدِيمًا أَنْ تَكُونَ الْأَسْطُرُ الْمَكْتُوبَةُ فِي الْوَرَقِ قَدِيمَةً، وَلَوْ كَانَتْ هِيَ عَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ لَمْ يَسْتَجِزِ الصَّحَابَةُ إِحْرَاقَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَوْلُهُ: (قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي خَارِجَةُ إِلَخْ) هَذِهِ هِيَ الْقِصَّةُ الثَّالِثَةُ وَهِيَ مَوْصُولَةٌ إِلَى ابْنِ شِهَابٍ بِالْإِسْنَادِ الْمَذْكُورِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ وَاضِحًا، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ مَوْصُولَةً مُفْرَدَةً فِي الْجِهَادِ وَفِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَحْزَابِ، وَظَاهِرُ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ هَذَا أَنَّهُ فَقَدَ آيَةَ الْأَحْزَابِ مِنَ الصُّحُفِ الَّتِي كَانَ نَسَخَهَا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى وَجَدَهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ.". (٢)

٢٢٧-"وَقَالَ الْبَغَوِيُّ فِي " شَرْحِ السُّنَّةِ ": الْمُصْحَفُ الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الْأَمْرُ هُوَ آخِرُ الْعَرْضَاتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَمَرَ عُثْمَانُ بِنَسْخِهِ فِي الْمَصَاحِفِ وَجَمَعَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَأَذْهَبَ مَا سِوَى ذَلِكَ قَطْعًا لِمَادَّةِ الْخِلَافِ، فَصَارَ مَا يُخَالِفُ خَطَّ الْمُصْحَفِ فِي حُكْمِ الْمَنْسُوخِ وَالْمَرْفُوعِ كَسَائِرِ مَا نُسِخَ وَرُفِعَ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْدُوَ فِي اللَّفْظِ إِلَى مَا هُوَ خَارِجٌ عَنِ الرَّسْمِ وَقَالَ أَبُو شَامَةَ: ظَنَّ قَوْمٌ أَنَّ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَ الْمَوْجُودَةَ الْآنَ هِيَ الَّتِي أُرِيدَتْ فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ خِلَافُ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاطِبَةً، وَإِنَّمَا يَظُنُّ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَهْلِ. وَقَالَ ابْنُ عَمَّارٍ أَيْضًا: لَقَدْ فَعَلَ مُسَبِّعُ هَذِهِ السَّبْعَةِ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ، وَأَشْكَلَ الْأَمْرَ عَلَى الْعَامَّةِ بِإِيهَامِهِ كُلَّ مَنْ قَلَّ نَظَرُهُ أَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْخَبَرِ، وَلَيْتَهُ إِذِ اقْتَصَرَ نَقَصَ عَنِ السَّبْعَةِ أَوْ زَادَ لِيُزِيلَ الشُّبْهَةَ، وَوَقَعَ لَهُ أَيْضًا فِي اقْتِصَارِهِ عَنْ كُلِّ إِمَامٍ عَلَى رَاوِيَيْنِ أَنَّهُ صَارَ مَنْ سَمِعَ قِرَاءَةَ رَاوٍ ثَالِثٍ غَيْرِهِمَا أَبْطَلَهَا، وَقَدْ تَكُونُ هِيَ أَشْهَرَ وَأَصَحَّ وَأَظْهَرَ وَرُبَّمَا بَالَغَ مَنْ لَا يَفْهَمُ فَخَطَّأَ أَوْ كَفَّرَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ: لَيْسَتْ هَذِهِ السَّبْعَةُ مُتَعَيِّنَةً لِلْجَوَازِ حَتَّى لَا يَجُوزُ غَيْرُهَا كَقِرَاءَةِ أَبِي جَعْفَرٍ وَشَيْبَةَ وَالْأَعْمَشِ وَنَحْوِهِمْ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِثْلُهُمْ أَوْ فَوْقَهُمْ.". (٣)

٢٢٨-"وَقَوْلُهُ: (فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلَاةَ) لَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ بِالْإِجْمَاعِ، لِمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِالرَّكْعَةِ الْوَاحِدَةِ مُدْرِكًا لِجَمِيعِ الصَّلَاةِ بِحَيْثُ تَحْصُلُ بَرَاءَةُ ذِمَّتِهِ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِذًا فِيهِ إِضْمَارٌ تَقْدِيرُهُ: فَقَدْ أَدْرَكَ وَقْتَ الصَّلَاةِ، أَوْ حُكْمَ الصَّلَاةِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَيَلْزَمُهُ إِتْمَامُ بَقِيَّتِهَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ بَقِيَّةُ مَبَاحِثِهِ فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ. وَمَفْهُومُ التَّقْيِيدِ بِالرَّكْعَةِ أَنَّ مَنْ أَدْرَكَ دُونَ الرَّكْعَةِ لَا يَكُونُ مُدْرِكًا لَهَا، وَهُوَ الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الِاتِّفَاقُ، وَكَانَ فِيهِ شُذُوذٌ قَدِيمٌ مِنْهَا إِدْرَاكُ الْإِمَامِ رَاكِعًا يُجْزِئُ وَلَوْ لَمْ يُدْرِكْ مَعَهُ الرُّكُوعَ، وَقِيلَ يُدْرِكُ الرَّكْعَةَ وَلَوْ رَفَعَ الْإِمَامُ رَأْسَهُ مَا لَمْ يَرْفَعْ بَقِيَّةُ مَنِ ائْتَمَّ بِهِ رُءُوسَهُمْ وَلَوْ بَقِيَ وَاحِدٌ، وَعَنِ الثَّوْرِيِّ وَزُفَرَ: إِذَا

---

(١) فتح الباري - نسخة رائعة ٢/٧٠

(٢) فتح الباري - نسخة رائعة ٢/٧٦

(٣) فتح الباري - نسخة رائعة ٢/١١٣

كَبَّرَ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ الْإِمَامُ رَأْسَهُ أَدْرَكَ إِنْ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ رَفْعِ الْإِمَامِ، وَقِيلَ: مَنْ أَدْرَكَ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ وَتَكْبِيرَةَ الرُّكُوعِ أَدْرَكَ الرَّكْعَةَ، وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: إِذَا أَدْرَكَ السُّجُودَ أَكْمَلَ بَقِيَّةَ الرَّكْعَةِ مَعَهُمْ ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ فَقَطْ وَتُجْزِيهِ.

بَاب الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ

بَاب الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ". (١)

٢٢٩-"وَهَذَا الْجَمْعُ هُوَ الْمُعْتَمَدُ، وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ قَدِيمًا ابْنُ الْمُنْذِرِ وَبَيَّنَهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي " حَجَّةِ الْوَدَاعِ " بَيَانًا شَافِيًا، وَمَهَّدَهُ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ تَمْهِيدًا بَالِغًا يَطُولُ ذِكْرُهُ، وَمُحَصَّلُهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ الْإِفْرَادُ حُمِلَ عَلَى مَا أَهَلَّ بِهِ فِي أَوَّلِ الْحَالِ، وَكُلَّ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ التَّمَتُّعُ أَرَادَ مَا أَمَرَ بِهِ أَصْحَابَهُ، وَكُلَّ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ الْقِرَانُ أَرَادَ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** أَمْرُهُ، وَيَتَرَجَّحُ رِوَايَةُ مَنْ رَوَى الْقِرَانَ بِأُمُورٍ، مِنْهَا: أَنَّ مَعَهُ زِيَادَةُ عِلْمٍ عَلَى مَنْ رَوَى الْإِفْرَادَ وَغَيْرَهُ، وَبِأَنَّ مَنْ رَوَى الْإِفْرَادَ وَالتَّمَتُّعَ اخْتُلِفَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ: فَأَشْهَرُ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ الْإِفْرَادُ عَائِشَةُ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهَا أَنَّهُ اعْتَمَرَ مَعَ حَجَّتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَابْنُ عُمَرَ وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ – صلى الله عليه وسلم – بَدَأَ بِالْعُمْرَةِ، ثُمَّ أَهَلَّ بِالْحَجِّ كَمَا سَيَأْتِي فِي أَبْوَابِ الْهَدْيِ، وَثَبَتَ أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ ثُمَّ حَدَثَ أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – فَعَلَ ذَلِكَ، وَسَيَأْتِي أَيْضًا، وَجَابِرٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ: إِنَّهُ اعْتَمَرَ مَعَ حَجَّتِهِ أَيْضًا. وَرَوَى الْقِرَانَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يُخْتَلَفْ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَبِأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ النَّقْلُ عَنْهُ مِنْ لَفْظِهِ أَنَّهُ قَالَ: أَفْرَدْتُ وَلَا تَمَتَّعْتُ، بَلْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: " قَرَنْتُ " وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ لَوْلَا أَنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ ﴾ .". (٢)

٢٣٠-"وَمُحَصَّلُ مَا نُقِلَ عَنْ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ، الْأَوَّلُ: قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَالثَّانِي: قَوْلُ الْكُلَّابِيَّةِ أَنَّهُ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِ الرَّبِّ لَيْسَ بِحُرُوفٍ وَلَا أَصْوَاتٍ، وَالْمَوْجُودُ بَيْنَ النَّاسِ عِبَارَةٌ عَنْهُ لَا عَيْنُهُ، وَالثَّالِثُ: قَوْلُ السَّالِمِيَّةِ إِنَّهُ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ قَدِيمَةُ الْأَعْيُنِ، وَهُوَ عَيْنُ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمَكْتُوبَةِ وَالْأَصْوَاتِ الْمَسْمُوعَةِ، وَالرَّابِعُ: قَوْلُ الْكَرَّامِيَّةِ إِنَّهُ مُحْدَثٌ لَا مَخْلُوقٌ، وَسَيَأْتِي بَسْطُ الْقَوْلِ فِيهِ فِي الْبَابِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ؛ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ، وَافْتَرَقَ أَصْحَابُهُ فِرْقَتَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ قَالَ هُوَ لَازِمٌ لِذَاتِهِ وَالْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ مُقْتَرِنَةٌ لَا مُتَعَاقِبَةٌ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ مَنْ شَاءَ، أَكْثَرُهُمْ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِمَا شَاءَ مَتَى شَاءَ، وَأَنَّهُ نَادَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ كَلَّمَهُ وَلَمْ يَكُنْ نَادَاهُ مِنْ قَبْلُ، وَالَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** قَوْلُ الْأَشْعَرِيَّةِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ مَقْرُوءٌ بِالْأَلْسِنَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (١) ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (٢)

---

(١) – سورة التوبة آية : ٦.

---

(١) فتح الباري – نسخة رائعة ٢/١١٤

(٢) فتح الباري – نسخة رائعة ٣/٨٣

(٢) – سورة العنكبوت آية : ٤٩..". (١)

٢٣١–"وَلَا يَتَعَيَّنُ الْجَمْعُ بِمَا ذُكِرَ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى اللَّفْظِ فِي النَّفْيِ وَعَلَى الْمَعْنَى فِي الْإِثْبَاتِ لِجَوَازِ الْحَمْلِ فِي النَّفْيِ عَلَى الْحُكْمِ وَفِي الْإِثْبَاتِ عَلَى مَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَمِنْهَا أَنَّ نَسْخَ التَّوْرَاةِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْجُنُوبِ وَالشَّمَالِ لَا يَخْتَلِفُ وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَقَعَ التَّبْدِيلُ فَيَتَوَارَدُ النَّسْخُ بِذَلِكَ عَلَى مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ عَجِيبٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَازَ وُقُوعُ التَّبْدِيلِ جَازَ إِعْدَامُ الْمُبْدَلِ وَالنُّسَخُ الْمَوْجُودَةُ الْآنَ هِيَ الَّتِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهَا** الْأَمْرُ الجزء الثالث عشر عِنْدَهُمْ عِنْدَ التَّبْدِيلِ وَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ طَافِحَةٌ، أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّوْرَاةِ فَلِأَنَّ بُخْتَنَصَّرَ لَمَّا غَزَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَهْلَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَزَّقَهُمْ بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ وَأَعْدَمَ كُتُبَهُمْ حَتَّى جَاءَ عُزَيْرٌ فَأَمْلَاهَا عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِنْجِيلِ فَإِنَّ الرُّومَ لَمَّا دَخَلُوا فِي النَّصْرَانِيَّةِ جَمَعَ مَلِكُهُمْ أَكَابِرَهُمْ عَلَى مَا فِي الْإِنْجِيلِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ وَتَحْرِيفُهُمُ الْمَعَانِي لَا يُنْكَرُ بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَهُمْ بِكَثْرَةٍ وَإِنَّمَا النِّزَاعُ هَلْ حُرِّفَتِ الْأَلْفَاظُ أَوْ لَا ؟ وَقَدْ وُجِدَ فِي الْكِتَابَيْنِ مَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ – عز وجل – أَصْلًا، وَقَدْ سَرَدَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ فِي كِتَابِهِ الْفَصْلِ فِي الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ هَذَا الْجِنْسِ؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ فِي أَوَّلِ فَصْلٍ فِي أَوَّلِ وَرَقَةٍ". (٢)

"الصّاحب شمس الدين إلى «الشّام» حتى جعل فقراء الأبطال في تلك البلاد يتنسّمون رائحة الاستغناء، ورعى صاحب «سيس» تأسيس قواعد الولاء/.

ووصلت الرّسل إلى حضرة السلطنة.

وما حلّ أول الرّبيع إلا وتجمع للسلطان سبعون ألفا فارس من القدماء والمرتزقة ترافقهم– وفقا لأمر السلطان– النّساء والأطفال والأمم، وبلغوا سيواس، وتوقّف السلطان زمنا انتظارا لانضمام عساكر الأطراف ووصول «الملك الغازي» و «الصّاحب شمس الدين» وجيش «سيس» [وكان يقضي وقته في لعب الكرة والصّيد وشرب الخمر] (١).

ووصل «ناصح الدين الفارسي» من قبل الشام مع ألفي فارس تنفيذا لما كان قد **استقرّ عليه** الرّأي من أن يلازموا الخدمة السلطانية في كلّ عام وقت الحرب.

فلمّا طال الانتظار عن الحدّ، وتواتر وصول الأخبار بأنّ «بايجو» قد عقد العزم على الحرب يصاحبه جيش كالنّمل والجراد من قوّات غير نظامية من «خراسان» و «العراق» و «فارس» و «كرمان».

واتفق من كان من أركان السلطنة بصيرا بتجارب الخطوب وخبيرا بعواقب الأمور على أنّه ينبغي التوقّف في «سيواس» بغية انتظار المدد، لأن الارتكاز عليها لمقابلة خمسين ألف فارس هو أقرب إلى الصّواب.

أما الشباب الغمر (٢) الذين لم يقيض لهم طيلة عمرهم أن يشهدوا القتال ومصارع الرّجال، فقد أخذوا يمانعون في ذلك، وصاح «نظام الدين سهراب

---

(١) فتح الباري – نسخة رائعة ٤/٢١٩

(٢) فتح الباري – نسخة رائعة ٤/٣٥١

(١) إضافة من أ. ع، ٥٢٠.

(٢) كذا في الأصل: غمر، كلمة عربية: «ورجل غمر: لم يجرب الأمور» ا (المعجم الوسيط).." [١]

"اختلاف العلماء، المسمى بالإشراف، وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبي العباس بن ولاد وروى عن أبي جعفر بن النحاس؛ وكان متفنناً في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني، المعروف بالقياسي وبالظاهري؛ فكان منذر بن سعيد يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به في نفسه وذويه؛ فإذا جلس بيحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه، بالذي استقر عليه العمل في بلدهم، وحمل عليه السلطان أهل مملكته. وله تواليف مفيدة؛ منها كتاب أحكام القرآن؛ والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك في الفقه والكلام والرد على أهل المذاهب؛ وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل، حاذقاً فيه، شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لأهل الطلب وانحطاط لهم وإقبال عليهم؛ وكان مع وقاره التام فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة لولا السآمة لجلبنا طرفاً. وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة، ولبث قاضياً من ذلك التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته، ثم للخليفة الحكم المستنصر، إلى أن توفي رحمه الله، عقب ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مائة، رحمه الله ورضي عنه. ودفن بمقبرة قريش بالربض الغربي من قرطبة، أعادها الله، جوفي مسجد السيدة الكبرى بقرب داره.." [٢]

"ك- تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل: الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة، حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤] ، فهم قد امتازوا برتبة الرسالة عن سائر الناس (١) ، وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء:٦٤] ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة: ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء (٢) ، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي (٣) والقاضي عياض (٤) ، وابن تيمية (٥) ، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة (٦) ، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى (٧) ، وفي بحار الأنوار للمجلسي عقد بابًا بعنوان «باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق» وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم (٨) ، وهذا المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثنى عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو، فإن الشيعة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق -كما يقول الأشعري- :

(١) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/٢٨٤

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢/٢٩٥

الفرقة الأولى: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

الفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٢٣٨).

(٢) شرح الطحاوية، ص ٤٩٣.

(٣) أصول الدين، ص ٢٩٨.

(٤) الشفاء، ص ١٠٧٨.

(٥) منهاج السنة (١/ ١٧٧).

(٦) ، (٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٤٥).

(٧) بحار الأنوار (٢٦/ ٢٦٧).

(٨)." [١]

"كان ذلك شعيرة من شعائرهم، فقد ذكروا أنهم كانوا يحجون إليها. وبالأثيداء كانت أيام الفجار.

والظاهر أن ما يطلق عليه "عكاظ" من الأرض متسع فسيح فيه حرار، وفيه أرضون مسقية ذات نخيل. وقد مر في حروب الفجار أن "شربا" من عكاظ، وأن "العبلاء" إلى جنب عكاظ، وأن "شمطة" موضع في عكاظ، وأن "الحريرة" حرة إلى جانب عكاظ مما يلي مهب جنوبها، وعرفت أن بني نصر صبروا مع ثقيف؛ لأن عكاظ بلدهم وذلك الذي أحماهم.

ولا شك أن أرضا اتسعت بعض أجزائها لمعارك عدة أرض فسيحة واسعة، وبذلك نفهم كيف كانت السوق تتنقل في عكاظ، فلا تلازم بقعة واحدة لا تحيد عنها يمينا ولا شمالا على مدى السنين المتطاولة.

وهي وما جاورها ديار قيس عيلان وهوازن منهم خاصة.

وقد عرفت من حرب الفجار ص١٧٠ أن قريشا بادرت من

= **استقر عليه** رأي الباحث المرحوم السيد رشدي ملحس وابن بليهد وسمو الأمير فيصل في عكاظ: أنها متنقلة على أرض تمتد من جنوبي العشيرة إلى المسيل الصغير و"الحاوية".

وأظن جهدا يبذله الأفاضل العارفون من أهل تلك الناحية موصلا إلى الكشف عن موضع عكاظ بما يزيل كل ريب، إن شاء الله.." [٢]

"[القراءات التي يقرأ بها القرآن]

وأما القراءات التي يقرأ بها القرآن، فإن الّذي **استقر عليه** العمل، أنها ثلاثة أقسام: متواترة، ومشهورة، وشاذة، فالقراءات

---

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي محمد الصلابي ٩١٦/٢

(٢) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام سعيد الأفغاني ص/٢٨٨

المتواترة: هي القراءات السبع وما يفرع منها، وهي التي نقلت عن الأئمة القراء السبعة. والقراءات المشهورة: هي قراءة يعقوب ويزيد القاري وابن محيصن. والقراءات الشاذة: ما نقلت بطريق الآحاد، وفيها للناس مقالات سنورد منها ما تيسر إن شاء الله تعالى، وقد عني جماعة من الصحابة رضي الله عنهم بجمع القرآن وحفظه كله، حتى عرفوا به، فجمع القرآن منهم مع كثرتهم اثنا عشر رجلا، وهم: أمير المؤمنين أبو عمرو، وأبو عبد الله عثمان بن عفان رضي الله عنه، ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، جمع القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقرأ عليه المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، ويقال: قرأ عليه ابن عامر، وليس بشيء، إنما قرأ علي المغيرة عنه.

وأمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، رضي الله عنه، جمع القرآن بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، قال الشعبي: لم يجمع القرآن أحد من الخلفاء الأربعة إلا عثمان.

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم قال: ما أقرأني أحد حرفا إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان قد قرأ على عليّ رضي الله عنه، فكنت أرجع من عنده، فأعرض على زرّ وكان زرّ قد قرأ على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهذا يرد على الشعبي قوله، إلا أن يريد: لم يجمع القرآن أحد من الخلفاء الأربعة إلا عثمان، أي في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلم فإنه صحيح.

وقال علي بن رباح: جمع القرآن في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلم أربعة: علي، وعثمان، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود.

وقال حماد بن زيد: أخبرنا أيوب عن [ابن] سيرين قال: مات أبو بكر رضي الله عنه ولم يختم القرآن.

وقال ابن علية، عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي: قبض أبو بكر وعمر وعلي، رضي الله عنهم ولم يجمعوا القرآن.." (١)

"واعلم: أنّ الله عزّ وجلّ شرع لنبيّه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة جهاد أعدائه في الوقت الأليق به؛ لأنّهم لمّا كانوا بمكة.. كان المشركون أكثر عددا، فلو أمر الله المسلمين وهم قليل- بقتال الباقين.. لشق عليهم، فلمّا بغى المشركون، وأخرجوه عليه الصّلاة والسّلام من بين أظهرهم، وهمّوا بقتله، **واستقرّ عليه** الصلاة والسلام بالمدينة، واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة دار إسلام، ومعقلا يلجؤون إليه.. شرع الله جهاد أعدائه، فبعث عليه الصلاة والسلام البعوث والسرايا، وغزا وقاتل هو وأصحابه..

حتّى دخل الناس في دين الله أفواجا، فلله الحمد والمنّة.." (٢)

"إلى السلطان وضمن له السلامة، فلما سمع بحبسه جاء للشفاعة فيه، فأرسل لهم السلطان القاضي بدر الدين العيني فأحضرهم عنده وتأدب معهم وكانوا ثلاثة: عبد الدائم، وشجاع، والعريان، وأتباعهم، وقبل السلطان شفاعتهم وأذن لهم في تسليم ابن عمر بعد أن يحلفه كاتب السر عند العيني، ففعل ذلك ورجعوا.

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٤/٢٨٧

(٢) إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم حسن بن محمد مشاط ص/٤٦

وفي جمادى الأولى شاع عن أهل التقويم أنهم اتفقوا أن الشمس تكسف في ثامن عشري هذا الشهر بعد الزوال، فتأهب السلطان وغيره لذلك وترقبها إلى أن غربت، ولم يتغير منها شيء البتة.

وفي يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب تزوج سيدي محمد ولد الأمير جقمق بنت أحمد بن أرغون شاه، وعمل له أبوه وليمة عظيمة وقدم له السلطان ومن دونه تقادم سنية.

وفي شوال أرسل السلطان ثلاثمائة مملوك إلى جزيرة قبرس بمطالبة صاحبها بما **استقر عليه** من المال في كل سنة، وأوصاهم أن يرسوا على بعض الجزائر ويراسلوه، فإن أجاب بالامتثال رجعوا وصحبتهم ما يوصله لهم، وإن امتنع اعتصموا ببعض الجزائر وراسلوا السلطان، فعادوا بعد بضعة وعشرين يوماً وصحبتهم أثواب صوف بقيمة ثلاثة آلاف دينار.

وفيها حجب خوند جلبان زوج السلطان، وكانت أمته فأعتقها وتزوجها وصيرها أكبر الخوندات، وجهزها في هذه السنة تجهيزاً عظيماً، وأرسل صحبتها جوهر اللالا وناظر الجيش ونصب في الودك المتعلق بها على شاطئ النيل وكان امراً مهولاً، وسافروا بالمحمل من أجلها في ٧ شوال ورحلوا به من البركة يوم الحادي والعشرين منه قبل العادة بثلاثة أيام.

وفي ١٢ ذي القعدة أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونودي عليه بزيادة نصف ذراع بعد الستة عشر، وذلك في تاسع عشري أبيب، وقد تقدم في سنة خمس وعشرين انه أوفى في تاسع عشري أبيب أيضاً ولكن بزيادة اصبعين على الستة عشر فقط، وأوفى قبل ذلك في سنة ست عشرة آخر يوم من أبيب وهي من النوادر، وافسد تعجيل الزيادة من الزروع التي بالجزائر شيئاً كثيراً كالبطيخ والسمسم.." (١)

"وأحضر الشريف بدر الدين حسن الإسكندراني التاجر، وكان يتوكل عن ناظر الجيش في بيع النبهار من الإسكندرية في هيئة شنيعة، فحبس بالبرج وحوسب إلى إن **استقر عليه** شيء يسير وأطلق، ثم لما كان بعد ذلك تقرر على عبد الباسط ثلاثمائة ألف دينار، وكان السلطان ألزمه بستمائة، ثم بخمسمائة ثم بأربعمائة، فتكلموا معه في ذلك فأظهر العجز عن ذلك، وقرروا مع السلطان أن يكون ثلاثمائة وأعلموه بذلك، ثم شاوروا السلطان فأنكر أن يكون رضي بذلك، وتغيظ عليهم وعليه وأمر بحبسه في البرج، فحبس في برج مظلم وضيق عليه، فأقام إلى أن قلب الله قلبه وأمر بإخراجه منه، وتسلمه نائب القلعة فأنزله في غرفة علية وهي أعلى بناء في القلعة، فأقام بهاأكثر من شهر إلى أن افرج عنه.

وتوجه إلى مكة في أثناء ربيع الآخر -كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وفي التاسع عشر منه وصل سابق الحاج وذكر أنه فارقهم من عيون القصب وأنهم بخير.

وفيه ابتدأت الزيادة في النيل.

وفي يوم الجمعة سادسه رفع أمين النيل الخبر بأنه يومئذ كان على أربعة أذرع وعشرة أصابع، فزاد على العام الماضي في النقص خمسة وأربعين إصبعا، واستمرت الزيادة فكان في أبيب وهو يوم الجمعة العشرين من المحرم أنقص من العام الذي قبله بأحد وستين إصبعا، فلم يزل يزيد حتى كان في العشرين من صفر أزيد من الذي قبله بأربعة تسعين إصبعا - فسبحان القادر.

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٤٦٠

وفي السادس والعشرين منه خلع على نور الدين ابن آقبرص أحد نواب الحكم بوظيفة نظر البيوت عوضاً عن ناظر الجيش، وكانت الخلعة جبة سمور.." (١)

"«١٠٧» حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا أبو نعيم، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ (عَبْدِ اللَّهِ) الأَصَمُّ، قَالَ: سَمِعْتُ مَوْلًى لِبَنِي الأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ [١] قَالَ:

رَأَيْتُ عَلِيًّا وَأَنَا غُلامٌ فَقَالَ: أَتَعْرِفُنِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ/ ٣٢١/ أنت أمير المؤمنين (فتركني) ثم أتى آخر وقال (له) : أَتَعْرِفُنِي؟ فَقَالَ: لا.

فَاشْتَرَى مِنْه قَمِيصًا فَلَبِسَهُ فَمَدَّ الْقَمِيصَ فَإِذَا هُوَ مَعَ أَصَابِعِهِ، فَقَالَ لَهُ: كُفَّهُ فَلَمَّا كَفَّهُ لَبِسَهُ وَقَالَ: [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ] .

«١٠٨» حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالا: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أبي سليمان الأودي:

عن أبي أمية (ظ) قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَتَى شط هذا الفيض (كذا) عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّهْبَاءِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ قَدِ اتْتَزَرَ بِهِ، ورداء وعمامة وخفّين (كذا) فَنَزَلَ فَبَالَ وَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَخُفَّيْهِ [٢] قَالَ: فَإِذَا رَأْسُهُ مِثْلُ الرَّاحَةِ وَبَيْنَ أُذُنَيْهِ شعر مثل خط الإصبع.

---

[١] كلمة: «لبني» غير واضحة في النسخة، والحديث رواه أيضا في ترجمة أمير المؤمنين من الطبقات الكبرى- لابن سعد- : ج ٣ ص ٢٨ ط بيروت قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: أخبرنا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَصَمُّ قَالَ: سَمِعْتُ فروخ مولى لبني الأشتر، قال: رأيت عليا في بني ديوار وأنا غلام فقال: أتعرفني؟ فقلت: نَعَمْ أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ أَتَى آخَرُ فَقَالَ: أَتَعْرِفُنِي؟ فَقَالَ: لا. فَاشْتَرَى مِنْه قَمِيصًا زابيا (كذا) فلبسه فمد كم الْقَمِيصَ فَإِذَا هُوَ مَعَ أَصَابِعِهِ فَقَالَ لَهُ: كفه، فلما كفه قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالب.

ورواه عنه في الحديث: (١٢٤٢) من ترجمته عليه السلام من تاريخ دمشق.

[٢] إن صح هذا- وهيهات منها- فمحمول على ان خفيه لم يكونا مانعين من المسح على ظهر القدمين، وذلك لما استقر عليه مذهب أهل البيت عليهم السلام من وجوب المسح على ظهر القدم وعدم مشروعية غيره، كما هو المستفاد من الآية الكريمة: «يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين» الآية السادسة من سورة المائدة، حيث انه قرأ قوله: «وارجلكم» بالجر والنصب، أما على الجر فوجوب المسح جلي لا يكاد يخفى على ذي شعور من أهل اللسان والعارف بالعربية، وأما على النصب فعلى انه عطف أيضا على قوله: «برؤسكم» ولوحظ إعرابه محلا حيث انه منصوب المحل بقوله: «امسحوا» فالثقلان الذان خلفهما رسول الله صلّى الله عليه واله وسلم في أمته وقال إن تمسكتم بها لن تضلوا- في قوله المتواتر بين المسلمين- يوجبان المسح، فمن ترك المسح وقال بغيره خالف الله ورسوله وطلب الهدى من حيث يأتي الضلال!!! ولله در ابن العباس حيث قال- على ما

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١٣٣/٤

رواه في الحديث: (١١٨٠) من مسنده في مسند أحمد بن حنبل: ج ١/ ٣٢٣ ط ١-: فاسألوا هؤلاء الذين يزعمون ان النبي صلى الله عليه مسح (أمسح) قبل نزول المائدة أو بعد المائدة؟ والله ما مسح بعد المائدة، ولأن أمسح على عابر بالفلات أحب إلى من أن أمسح عليهما؟!! وقريبا منه رواه عنه أيضا في الحديث (١٦٦٧) من مسنده ص ٣٦٦، ورواه أيضا عنه غيره، كالطبراني في مسند ابن عباس من المعجم الكبير: ج ٣/ الورق ١١١، ولكن صحف الكاتب بعض كلماته فراجع. فمن أراد المزيد فعليه بمبحث الوضوء من فقه الإمامية أو الرجوع إلى تفسير التبيان أو مجمع البيان. أو المسائل الفقهية- لآية الله الشرف الدين العاملي- ص ٦٩.." (١)

"وذلك غلط، والثبت: أن ابْن الحنفية مات بالمدينة، وله خمس وستون سنة، وصلى عَلَيْهِ أبان بْن عُثْمَان بْن عفان وَهُوَ والي الْمَدِينَة، وَقَالَ لَهُ أَبُو هاشم ابنه: نحن نعلم أن الإمام أولى بالصلاة ولولا ذَلِكَ مَا قدمناك.

٢٤- ويقال: أن أبا هاشم أبى أن يصلي عَلَى أَبِيهِ أبان [١] فَقَالَ أبان:

أنتم أولى بميتكم فصلى عَلَيْهِ أَبُو هاشم.

٢٥- وروى الواقدي أن مُحَمَّد بْن الحنفية قَالَ فِي سنة الجحاف- حين دخلت سنة إحدى وثمانين-: هَذِهِ لي خمس وستون سنة، قد جاوزت سني أَبِي بسنتين. وتوفي تلك السنة.

٢٦- حَدَّثَنِي أَبُو مسعود الْكُوفِيّ، عَن عيسى بْن يزيد الكناني قَالَ:

سمعت المشايخ يتحدثون أنه لما كَانَ من أمر ابْن الحنفية مَا كَانَ، تجمع بالمدينة قوم من السودان غضبا لَهُ، ومراغمة لابن الزُّبَيْر، فرأي ابْن عُمَرَ غلاما لَهُ فيهم وهو شاهر سيفه!!! فقال له: (ما هذا يا) رباح؟ قَالَ رباح: والله إنا خرجنا لنردكم عَن باطلكم إِلَى حقنا!!! فبكى ابْن عُمَرَ وقال: اللهم إن هذا لذنوبنا.

وقال غيره: تجمّعوا أيام الحرّة وهم يظهرون نصرة يزيد، عَلَى ابْن الزُّبَيْر، وخرج غلام ابن عمر معهم!!! [٢]

---

[١] وهذا هو الملائم لسجية آل أبي طالب في حال الاختيار وعند عدم الخوف والتقية.

[٢] قال الشيخ محمد باقر المحمودي: هذا تمام تراجم ولد أمير المؤمنين عليه السلام، من كتاب أنساب الأشراف ويليها قول المصنف: «أمر الْعَبَّاس بْن عَبْد الْمُطَّلِبِ بْن هاشم وولده» ...

وقد أدينا حق العلم والأمانة، فذكرنا جميع ما كان في المصدر الذي كان عندي من أول ترجمة الزبير بن عبد المطلب إلى ختام ترجمة محمد ابن الحنفية، وقد كتبنا جميع ما كان في أصلى حرفيا، وطبعناه حرفيا إلا أحاديث من ترجمة عبد الله بن جعفر، فإنها سقطت عن مسودتي في أيام الفتنة، ولم يسقط مما نشرناه شيء إلا الذي ذكرناه، ولم نزد في الكتاب شيئا ولم نغير منه أيضا شيئا، نعم في بعض الموارد كان في الأصل تصحيف فاحش وغلط واضح، فأبدلناه بما هو الصواب، ومع ذلك أشرنا في تعليق تلك الموارد إلى اللفظ الذي كان موجودا في الأصل كي أوفينا أداء حق العلم ولكي ينسد على المبطلين باب الافتراء والبهتان علينا. وفي بعض الموارد لم يكن اللفظ الموجود في الأصل جليا، فذكرناه بحسب استفادتنا الظنية وعقبناه

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٢/ ١٣٠

بمعقوفين بينهما حرف ظ هكذا: (ظ) بمعنى ان ظاهر رسم خط الأصل بحسب نظري ظنا هو الذي أثبتناه، وإن احتمل بعيدا أن يكون اللفظ غير ما أثبتناه.

وقد كان في بعض الموارد لفظ الأصل قاصرا عن إفادة المعنى فأتممناه بزيادة لفظ أو جملة أو أكثر ووضعنا الزيادة ما بين المعقوفين دلالة على زيادتها، وهذا أمر معتاد في عصرنا قد **استقر عليه** عمل المحققين والكتاب.

ونسخ الكتاب موجودة في استنبول ودار الكتب المصرية وغيرهما، فليراجعها المثقفون ويطبقوها على ما نشرناه كي يعلموا أنا أدينا حق العلم والأمانة.

ثم إنا قد ذكرنا في أول تعليقاتنا وآخرها على الجزء الثاني- ص ١١، وص ٥٠٩- أن الكتاب كتاب جمع وليس بكتاب تحقيق يقتصر مصنفه فيه على الحقائق فقط، بل جمع مصنفه فيه ما سمعه من مشايخه وما رواه له أساتذته، ففيه من الحقائق وأضدادها جوانب واسعة، وقلما تعرض مؤلفه لنقد ما ينقله مما لا مساس له بالواقع والصواب، ونحن أيضا ما كان لنا مجال في تعليقاتنا أن نكشف عن عوار جميع ما فيه الخلل والانحراف، ولو كان طفيفا لا يترتب على الجهل به ضرر كثير وخسارة جسيمة، نعم في الموارد المهمة فندنا أباطيله وأشبعنا الكلام على قدر الواجب، وأما في غيرها فلم نستوف الكلام، فعلى هذا يجب على من يريد الحقائق مجردة عن الأباطيل، إما المراجعة إلى العالم المتخصص أو إلى تلخيص الكتاب المسمى ب «أنباء الاسلاف» وفقنا الله تعالى لإتمامه.

ونحن إنما تحملنا كلفة نشر الكتاب حرفيا بما فيه، تسهيلا لتناول حقائقه، وسدا لباب الفرار والانكار على الخصم، لا تصديقا بجميع ما فيه!!! ثم إنا شرعنا في استنساخ هذا الجزء من أول ترجمة الإمام الحسن عليه السلام في أول ليلة الأحد الموافق لليلة (١٣) من شهر ذي الحجة من عام (١٣٩١) الهجري واستمر بنا الكتابة، حتى أتينا إلى آخر ترجمة محمد ابن الحنفية رضوان الله تعالى عليه، وفرغنا منها في اليوم: (١٠) من شهر ربيع الثاني من سنة (١٣٩٢) .

ثم في طول أيام حققناه وجمعنا شواهد لحقائقه، ونواقض لبعض مزالق مؤلفه إلى أن من الله علينا بالشروع في طبعه في أوائل محرم الحرام من عام (١٣٩٧) وفرغنا منه واتممناه في يوم الاثنين الموافق لليوم: (٢٩) من ربيع الثاني من العام المذكور، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.." (١)

"وعليه فلا عصمة فيما يراه النائم، بل لا بد من عرضه على الشرع فإن وافقه فالحكم بما استقر، لأن الأحكام ليست موقوفة على ما يرى من المنامات، وإن خالف رد مهما كان حال الرائي أو المرئي، ويحكم على تلك الرؤيا بأنها حلم من الشيطان وأنها كاذبة وأضغاث أحلام (١). ولكن يبقى أن يقال: ما فائدة الرؤيا الموافقة للشريعة، إذا كان الحكم بما **استقر عليه** الشرع (٢)؟. فائدتها التنبيه والبشرى كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة (٣)، فإن الرجل الصالح قد يرى في النوم ما يؤنسه أو يزعجه فيكون ذلك دافعاً له إلى فعل مطلوب أن ترك محظور (٤).

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٣/٢٩٥

سادساً: أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتل الحسين رضي الله عنه:
عن أم سلمة قالت: كان جبريل عند النبي صلى اله عليه وسلم والحسين معي فبكى الحسين فتركته فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فدنى من النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: أتحبه يا محمد؟ فقال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها كربلاء (٥)، وقد وقع الأمر كذلك بعد مضي سنين طويلة، وهذه معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وأنه رسول الله حقاً وصدقاً، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عن طريق الوحي (٦).

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٦٨٧).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٨٧).
(٣) البخاري رقم ٦٩٩٠.
(٤) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٦٨٧).
(٥) فضائل الصحابة رقم ١٣٩١ بسند حسن.
(٦) سير الشهداء صـ٢٤٤.." [1]

"فدل هذا الكلام من عبد الرحمن بن حسن على حرصهم على الكتاب والسنة. والاستدلال بهما وتبديع من أخذ بأقوال الناس، وترك الأحاديث الصحيحة، فما بالك بهم وبدعوتهم، فهي معتمدة على الكتاب والسنة.
(وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في الرد على من مدح الخلاف، وإنما يلجأ إلى مثل هذا ناقص العلم والدين إذا أفلس من الأدلة والبراهين، إلى أن قال "فصل" فأما مدحه الاختلاف وزعمه أنه رحمة، فالعبارة فيها عموم لا يخفى، وهي متناولة مدح جميع أهل الشقاق والأهواء الذين تواترت النصوص النبوية بذمهم وعيبهم، ودلت عليه الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ١.
وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ٢ ٣.
وقال: الواجب على المكلفين في كل زمان ومكان الأخذ بما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لأحد أن يعدل عن ذلك إلى غيره، ومن عجز عن ذلك في شيء من أمر دينه فعليه بما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول، فإن لم يدر شيئا عن ذلك، وصح عنده ما عند أحد الأئمة الأربعة المقلدين الذين لهم لسان صدق في الأمة، فتقليدهم سائغ حينئذ) ٤، وأي دلالة أصرح من هذا الكلام الذي نقلناه عن الشيخ عبد اللطيف حفيد إمام الدعوة في الاعتماد على الكتاب والسنة، ولا ينكر هذا إلا مكابر.
(وقال أيضا الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في بيان أخذ الشيخ محمد بالدليل ونقده بعض كتب المذهب الحنبلي، وهذا من الشيخ يدل على عدم تقليده حينما يجد دليلا من كتاب وسنة، ولو كان متعصبا لأخذ أقوال العلماء ولو خالفت

---

(١) استشهاد الحسين رضوان الله عليه بين الحقائق والأوهام علي محمد الصلابي ص/١١٢

النصوص. قال الشيخ عبد الله: (ولو كان هنا عناية بما استقر عليه الحال في زمن الدعوة

---

١ سورة البينة آية: ٤.

٢ سورة المؤمنون آية: ٥٣.

٣ الدرر السنية جـ٤ ص٣٨.

٤ الدرر السنية جـ٤ ص٥٢.." (١)

"وسلم يختلفون في بعض المسائل من غير نكير ما لم يتبين النص، فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم..) ١.

هذه هي الصورة المشرقة في منهج الشيخ ودعوته لا مجال فيها لتقول يدعي أنه خرج على الأئمة، وأنه ينال منهم، أو أنه أتى بمذهب جديد ينسبه إلى نفسه، حتى لقبوا دعوته بالوهابية افتراء وزوراً.

والشيخ - رحمه الله - يرد على هذه المفتريات في أجوبته عن الرسائل التي وصلته، ويبين أنه لا يحيد عن كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عليه سلف هذه الأمة، وما استقر عليه أمر علمائها، ولا يكفر الناس، ففي رسالته إلى أهل القصيم يقول: (... ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى علي أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي، (فمنها) قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإني أدعي الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد، وإني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وإني أكفر من توسل بالصالحين، وإني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وإني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفر من حلف بغير الله، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي، وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين:

جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وقبله من بهت محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، وقال تعالى:

---

١ المصدر السابق ص١٠-١٢.." (٢)

---

(١) اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة - صالح الأطرم صالح بن عبد الرحمن الأطرم ص/٢٩٢

(٢) اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة - مناع القطان مناع القطان ص/٢٢٩

"والجند فِي الدِّيوَان جدد عرضه وَإِذا أمرت تَجَدَّدَتْ نفقاته والقدس طامحة إِلَيْك عيونه عجل فقد طمحت إِلَيْهِ عداته والغرب منتظر طلوعك نَحوه حَتَّى تفيء إِلَى هداك بغاته والشرق يَرْجُو عز عزمك رَاضِيا فِي ملكه حَتَّى تطيع عصاته مغرى باسداء الْجَمِيل كَأَنَّمَا فرضت عَلَيْهِ كَالصَّلَاةِ صلَاته هَل للملوك مضاؤه فِي موقف شدت عل أعدائه شداته كم جَاءَةُ التَّوْفِيق فِي وقعاته من كَانَ بالتوفيق توقيعاته يَا رَاغِبًا فِي الدّين حِين تمكنت مِنْهُ الذئاب وأسلمته رعاته فَارَقت ملكا غير بَاقٍ متعباً ووصلت ملكا بَاقِيا راحاته أبني صَلَاح الدّين أَن أَبَاكُم مَا زَالَ يأبي مَا الْكِرَام بَاقِيا أباته لَا يقتدوا إلابسنة فَضله ليطيب فِي مهد النَّعيم سباته وردوا موارد عدله وسماحه لِترد عَن نهج الشمات شماته (ذكر مَا اسْتَقر عَلَيْهِ الْحَال بعد وَفَاة الْملك صَلَاح الدّين) تغده الله برحمته وَاسْتقر فِي الْملك بِدِمَشْق وبلادها المنسوبة إِلَيْهَا الْملك الْأَفْضَل نور الدّين أَبُو الْحسن على أكبر أَوْلَاد السُّلْطَان بِعَهْد من أَبِيه وبالديار المصرية الْملك الْعَزِيز عماد الدّين أَبُو الْفَتْح عُثْمَان وبحلب الْملك الظَّاهِر غياث الدّين أَبُو الْفَتْح غَازِي وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الْملك الْعَادِل سيف الدّين أَبُو بكر بن أَيُّوب أَخُو السُّلْطَان وبحماه وسليمه والمعرة ومنبج الْملك الْمَنْصُور نَاصِر الدّين مُحَمَّد الدّين بهْرَام شاه ابْن فرخ شاه ابْن شاهنشاه بن أَيُّوب وبحمص والرحبة وتدمر الْملك الْمُجَاهِد شيركوه بن مُحَمَّد شيركوه ابْن شادي." (١)

"٣٩٠ – ذكر مَا جر بعد الصُّلْح ٣٩١ رحيل السُّلْطَان إِلَى دمشق ٣٩٢ وُصُول الابرنس صَاحب إنطاكية " وُصُول السُّلْطَان إِلَى دمشق ٣٩٣ ذكر وَفَاة السُّلْطَان رَحمَه الله عَلَيْهِ ٣٩٤ رثاء الْملك صَلَاح الدّين ومرثية الْعِمَاد الْكَاتِب ٣٩٧ ذكر مَا اسْتَقر عَلَيْهَا الْحَال بعد وَفَاة الْملك صَلَاح الدّين ٤٠٢ تخريب أسوار بَيت الْمُقَدّس ٤٠٥ وَفَاة الْملك النَّاصِر الَّذِي فتح مَدِينَة الْقُدس فِي أَيَّامه ٤٠٦ ذكر تَسْلِيم بَيت المقدسسنة ٦٢٦ ٤٠٨ خَاتِمَة الْجُزْء الأول من تَارِيخ الْأنس الْجَلِيل (تمّ الْكتاب)." (٢)

"ذَلِكَ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَكْرَهُونَ قِتَالَ الْفُرْسِ لِقُوَّةِ سَطْوَتِهِمْ، وَشِدَّةِ قِتَالِهِمْ.

ثُمَّ نَدَبَهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ وَتَكَلَّمَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ فَأَحْسَنَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْ خالد من معظم أرض العراق، وماهم هناك مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْلَاكِ وَالْأَمْتِعَةِ وَالزَّادِ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ كَانَ أَوَّلَ مَنِ انْتَدَبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أبو عبيد بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ فِي الإجابة، أمر عُمَرُ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَمَّرَ عَلَى الْجَمِيعِ أَبَا عُبَيْدٍ) ، هَذَا وَلَمْ يَكُنْ صَحَابِيًّا، فَقِيلَ لِعُمَرَ: هَلَّا أَمَّرْتَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الصحابة؟ فقال: إنما أومر أَوَّلَ مَنِ اسْتَجَابَ، إِنَّكُمْ إِنَّمَا سَبَقْتُمُ النَّاسَ بِنُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ، وَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي اسْتَجَابَ قَبْلَكُمْ.

ثُمَّ دَعَاهُ فَوَصَّاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَشِيرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يَسْتَشِيرَ سَلِيطَ بْنَ قَيْسٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ بَاشَرَ الْحُرُوبَ فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ وَهُمْ سَبْعَةُ آلَافِ رَجُلٍ (١) ، وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يُرْسِلَ مَنْ كَانَ بِالْعِرَاقِ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ فَجَهَّزَ عَشَرَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ وَأَرْسَلَ عُمَرُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ (٢) إِلَى الْعِرَاقِ فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَوَاقَعَ هرْمُزَانَ

---

(١) الأنس الجليل أَبُو الْيُمْن الْعُلَيْمي ٣٩٧/١

(٢) الأنس الجليل أَبُو الْيُمْن الْعُلَيْمي ٤٢٤/١

الْمَدَارَ فَقَتَلَهُ وَانْهَزَمَ جَيْشُهُ وَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ فِي دِجْلَةَ فَلَمَّا وَصَلَ النَّاسُ إِلَى الْعِرَاقِ وَجَدُوا الْفُرْسَ مُضْطَرِبِينَ فِي مُلْكِهِمْ، وَآخِرُ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** أَمْرُهُمْ أَنْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ " بُورَانَ " بنت كسرى بعد ما قَتَلُوا الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا " آزَرْمِيدُخْتَ " وَفَوَّضَتْ بُورَانُ أَمْرَ الْمُلْكِ عَشْرَ سِنِينَ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ رُسْتُمُ بْنُ فَرُّخْزَاذَ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ الْحَرْبِ، ثُمَّ يَصِيرُ الْمُلْكُ إِلَى آلِ كِسْرَى فَقَبِلَ ذَلِكَ.

وَكَانَ رُسْتُمُ هَذَا مُنَجِّمًا يَعْرِفُ النُّجُومَ وَعِلْمَهَا جَيِّدًا، فَقِيلَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ يَعْنُونَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ لَكَ فَقَالَ: الطَّمَعُ وَحُبُّ الشَّرَفِ (٣) .

وَقْعَةُ النَّمَارِقِ بَعَثَ رُسْتُمُ أَمِيرًا يُقَالُ لَهُ " جَابَانُ " وَعَلَى مُجَنِّبَتَيْهِ رَجُلَانِ يقال لأحدهما " حشنس ماه " ويقال للآخر " مردانشاه " وهو خصي أَمِيرِ حَاجِبِ الْفُرْسِ، فَالْتَقَوْا مَعَ أَبِي عُبَيْدٍ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ النَّمَارِقُ، - بَيْنَ الْحِيرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ - وَعَلَى الْخَيْلِ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ (٤) فَاقْتَتَلُوا هُنَالِكَ قِتَالًا شَدِيدًا وهزم الله الفرس وأسر جابان ومردانشاه.

فأما مردانشاه فَإِنَّهُ قَتَلَهُ الَّذِي أَسَرَهُ (٥) ، وَأَمَّا جَابَانُ فَإِنَّهُ خَدَعَ الَّذِي أَسَرَهُ (٦) حَتَّى أَطْلَقَهُ فَأَمْسَكَهُ الْمُسْلِمُونَ وأبوا أن يطلقوه،

---

(١) في فتوح ابن الاعثم: أربعة آلاف.

(٢) في ابن الاعثم: في سبعمائة.

(٣) الخبر في الطبري ٤ / ٦٢ - ٦٤.

(٤) زاد الطبري: وعلى ميمنته والق بن جيدارة.

(٥) في الطبري: أسره أكتل بن شماخ العكلي.

(٦) أسر جابان مطر بن فضة التيمي.

وكان يدعى بأمه، وقد هم مطر بذبحه فقال جابان من تحته: لا إله إلا الله (*)."[1]

"دِمَشْقُ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ وَالْخَرَاجَ عَلَى أَرَاضِيهِمْ وَكَذَلِكَ فَعَلَ أَبُو الْأَعْوَرِ السَّلَمِيُّ بِأَهْلِ طَبَرِيَّةَ سواء

فَصْلٌ فِيمَا وَقَعَ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ فِي هَذِهِ المدة من القتال

وقد قَدَّمْنَا أَنَّ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ لَمَّا سَارَ خَالِدٌ مِنَ الْعِرَاقِ بِمَنْ صَحِبَهُ إِلَى الشَّامِ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ سَارَ بِتِسْعَةِ آلَافٍ، وَقِيلَ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَقِيلَ بِسَبْعِمِائَةٍ وَقِيلَ بِأَقَلَّ، إِلَّا أَنَّهُمْ صَنَادِيدُ جَيْشِ الْعِرَاقِ، فَأَقَامَ الْمُثَنَّى بِمَنْ بَقِيَ فَاسْتَقَلَّ عَدَدَهُمْ وَخَافَ مِنْ سَطْوَةِ الْفُرْسِ لَوْلَا اشْتِغَالُهُمْ بِتَبْدِيلِ مُلُوكِهِمْ وَمَلِكَاتِهِمْ، وَاسْتَبْطَأَ الْمُثَنَّى خَبَرَ الصِّدِّيقِ فَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَجَدَ الصِّدِّيقَ فِي السِّيَاقِ، فَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِ الْعِرَاقِ، فَأَوْصَى الصِّدِّيقُ عُمَرَ أَنْ يَنْدُبَ النَّاسَ لِقِتَالِ أَهْلِ الْعِرَاقِ. فَلَمَّا مَاتَ الصِّدِّيقُ وَدُفِنَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ أَصْبَحَ عُمَرُ فَنَدَبَ النَّاسَ وَحَثَّهُمْ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَحَرَّضَهُمْ وَرَغَّبَهُمْ فِي الثَّوَابِ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٢/٧

يَكْرَهُونَ قِتَالَ الْفُرْسِ لِقُوَّةِ سَطْوَتِهِمْ، وَشِدَّةِ قِتَالِهِمْ. ثُمَّ نَدَبَهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ وَتَكَلَّمَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ فَأَحْسَنَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْ خَالِدٍ من معظم أرض العراق، وما لهم لك مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْلَاكِ وَالْأَمْتِعَةِ وَالزَّادِ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ كَانَ أَوَّلَ مَنِ انْتَدَبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أبو عبيد بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ فِي الْإِجَابَةِ، وَأَمَرَ عُمَرُ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَمَّرَ عَلَى الْجَمِيعِ أَبَا عُبَيْدٍ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ صَحَابِيًّا، فَقِيلَ لِعُمَرَ: هَلَّا أَمَّرْتَ عَلَيْهِمْ رجلا من الصحابة؟ فقال: إنما أومر أَوَّلَ مَنِ اسْتَجَابَ، إِنَّكُمْ إِنَّمَا سَبَقْتُمُ النَّاسَ بِنُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ، وَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي اسْتَجَابَ قَبْلَكُمْ. ثُمَّ دَعَاهُ فَوَصَّاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَأَمَرَهُ، أَنْ يَسْتَشِيرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَأَنْ يَسْتَشِيرَ سَلِيطَ بْنَ قَيْسٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ بَاشَرَ الْحُرُوبَ) [١] فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ (وَهُمْ سَبْعَةُ آلَافِ رَجُلٍ) [٢] وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يُرْسِلَ مَنْ كَانَ بِالْعِرَاقِ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ (فَجَهَّزَ عَشَرَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ هاشم ابن عُتْبَةَ وَأَرْسَلَ عُمَرُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِلَى الْعِرَاقِ فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَوَاقَعَ هِرَقْرَانَ الْمَدَارَ فَقَتَلَهُ وَانْهَزَمَ جَيْشُهُ وَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ فِي دِجْلَةَ) [٣] فَلَمَّا وَصَلَ النَّاسُ إِلَى الْعِرَاقِ وَجَدُوا الْفُرْسَ مُضْطَرِبِينَ فِي مُلْكِهِمْ، وَآخِرُ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** أَمْرُهُمْ أَنْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ «بُورَانَ» بِنْتَ كِسْرَى بعد ما قَتَلُوا الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا «آزَرْمِيدُخْتَ» وَفَوَّضَتْ بُورَانُ أَمْرَ الْمُلْكِ عَشْرَ سِنِينَ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يقال له رستم بن فرخزاد عَلَى أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ الْحَرْبِ، ثُمَّ يَصِيرُ الْمُلْكُ إِلَى آلِ كِسْرَى فَقَبِلَ ذَلِكَ. وَكَانَ رُسْتُمُ هَذَا مُنَجِّمًا يَعْرِفُ النُّجُومَ وَعِلْمَهَا جَيِّدًا، فَقِيلَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ يَعْنُونَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ لك فقال: الطمع وحب الشرف

[١، ٢، ٣] نقص في النسخة المصرية.." (١)

"الْمُسْلِمَيْنِ خَيْرًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَشِيرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يَسْتَشِيرَ سَلِيطَ بْنَ قَيْسٍ ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ بَاشَرَ الْحُرُوبَ، فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ، وَهُمْ سَبْعَةُ آلَافِ رَجُلٍ وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يُرْسِلَ مَنْ كَانَ بِالْعِرَاقِ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ، فَجَهَّزَ عَشَرَةَ آلَافٍ، عَلَيْهِمْ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ، وَأَرْسَلَ عُمَرُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِلَى الْعِرَاقِ فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَوَاقَعَ هِرَقْرَانَ الْمَدَارَ فَقَتَلَهُ وَانْهَزَمَ جَيْشُهُ، وَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ فِي دِجْلَةَ فَلَمَّا وَصَلَ النَّاسُ إِلَى الْعِرَاقِ وَجَدُوا الْفُرْسَ مُضْطَرِبِينَ فِي مُلْكِهِمْ، وَآخِرُ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** أَمْرُهُمْ أَنْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بُورَانَ بِنْتَ كِسْرَى بَعْدَمَا قَتَلُوا الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا آزَرْمِيدُخْتَ، وَفَوَّضَتْ بُورَانُ أَمْرَ الْمُلْكِ عَشْرَ سِنِينَ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: رُسْتُمُ بْنُ فَرُّخْزَاذَ. عَلَى أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ الْحَرْبِ، ثُمَّ يَصِيرُ الْمُلْكُ إِلَى آلِ كِسْرَى، فَقَبِلَ ذَلِكَ. وَكَانَ رُسْتُمُ هَذَا مُنَجِّمًا يَعْرِفُ النُّجُومَ وَعِلْمَهَا جَيِّدًا، فَقِيلَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ يَعْنُونَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ لَكَ، فَقَالَ: الطَّمَعُ وَحُبُّ الشَّرَفِ.

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٧/٢٦

[وَقْعَةُ النَّمَارِقِ]

بَعَثَ رُسْتُمُ أَمِيرًا يُقَالُ لَهُ: جَابَانُ. وَعَلَى مُجَنِّبَتَيْهِ رَجُلَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا:." (١)

"وامترى لَهُنَّ خلف شَفَاعَته لشفا الغيمة وسعى وَسعه ووسع سَعْيه وسَاق بأوساق هداياهن هَدِيَّة وَعرف السُّلْطَان أَن لقصد الْحرم حُرْمَة وَأَن للمعتصمات بعزة عزة وعصمة وأنهن نسْوَة الامير والرئيس يسألن فِي كشف مَا حزبهن من حربهن لحربهن بالتنفيس فأكرمن واحترمن ورحمن وَمَا حرمن وبجلن وَمَا أخجلن ولأجبن وَمَا حجبن واعتبن وَمَا أتعبن ووصلن بِمَا فِيهِ وصلن وشفعن فِيمَا لَهُ شفعن وأعطين الامان على أَنهم ان اقاموا توفرت عَلَيْهِم الاملاك والاموال وان تحولوا سهل عَلَيْهِم الِانْتِقَال وَلم يسألن فِي البد لعلمهن أَنه لَا يخلى وانما سألن أَنه لَا تسلم الْمَدِينَة إِلَى ان تفرغ من نفائس اعلاقهم وتخلى فأعطين الامان على انهم يخرجُون بِكُل مَا يقدرُونَ عَلَيْهِ وتمتد ايديهم اليه مُدَّة ثَلَاثَة أَيَّام بلياليها وَأَنا نعينهم بدوابنا وأصحابنا على إِخْرَاج جَمِيع مَا لَهُم فِيهَا وعدن بِمَا وعدن وَمَا سعدن كَيفَ مَا اسعدن فانهن وان قربن أبعدن وان فزن بالافراج فقد حزن الاخراج وان شفعن فِي استتباب أمورهن لقد أضعن بخراب معمورهن وتوجعن بحجاب خُدُورهنَّ واغتراب بدورهن واخلاء دورهن والاخلال عِنْد سفورهن بستورهن فحادثهن صرف الْحدثَان بالانصراف وجاذبهن انحارف إِلَى الانحراف وَهَذِه عَادَة اللَّيَالِي العادية وَقَضِيَّة الاقدار القاضية فِي ارخاء الطول وانقضاء الدول وتصرم الْأَعْمَار وَتصرف الاعصار وانقضاء الدول وانقراضها واعتراء النوب واعتراضها وانتهاء المدد بانتهابها والتهاء الكرب بالتهابها وايماء البوارق فِي ايماضها واغراء البوائق باغراضها ووفاة النُّفُوس على وفائها وانضواء الشموس فِي اضوائها وَذَهَاب اللَّيَالِي بحسراتها وارهاب الايام لسراتها وإيقاذ النواظر بشوك اقذائها وايقاظ النواضر بوشك اذوائها ومعاقبة الرّبيع بتعقب الخريف واعادة الْقوي إِلَى عَادَة الضَّعِيف واحالة حَال الحالي على العطل وإقالة العاثر باليأس من الامل وَقد آن لِابْنِ نيسان زمَان نِسْيَان ذكره وان نبا وَكره خراب بُنيان وَكره وانْتهى الى سواهُ فِي الاسْتوَاء أمد آمده والزمن المزمن محا مده محامدة الدَّهْر والهر الخائن فِي أخوانه خانه والخطب الشائن فِي شَأْنه شانه والملوان ملا بتقريع اوانيه أَوَانه والجديدان جدا فِي جد جده فأسلبنا مَكَانَهُ وامكانه

ذكر مَا استقر عَلَيْهِ الْأَمر فِي الْبَلَد وتسليمه وتستقيم مَا اعتل فِيهِ وتقسيمه

وَلما اسْتَقر تَسْلِيم الْبَلَد بعد ثَلَاثَة ايام وَتقدم السُّلْطَان برد النِّسَاء باكرام واحترام." (٢)

"يلثغ في حروف يبدلها بغيرها. وقال أيضا في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين: ويوم الأربعاء تاسع عشرة حضر الفقيه رضي الدين ابن الشيخ شهاب الدين الغزي الشافعي بالكلاسة وحضرت أنا عنده والقاضي جمال الدين الباعوني وجمع من الفقهاء وكان قد سافر إلى مصر مع القاضي الونائي للشهادة على السراج الحمصي بما التمسه من مال البيمارستان فولاه القاضي كاتب السر بمصر كمال الدين البارزي تصديرا جدده له بالكلاسة ورتب له كل شهر مائة وخمسين درهما انتهى.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٩٢/٩

(٢) البرق الشامي العماد الأصبهاني ٩٣/٥

فائدتان: درس بها نيابة الشيخ علاء الدين الحبكي وقد مرت ترجمته في المدرسة الفلكية وجلس للتحديث بها شيخ الإسلام تقي الدين السبكي فقرا عليه الحافظ تقي الدين أبو الفتح السبكي جميع معجمه الذي خرج له الحافظ شهاب الدين بن أيبك الدمياطي وسمع عليه خلائق منهم الحافظان أبو الحجاج المزي وأبو عبد الله الذهبي وذكره في المعجم المختص وأطال فيه إلى أن قال: سمعت منه وسمع مني وحكم بالشام حمدت أحكامه فالله تعالى يؤيده ويسدده سمعنا معجمه بالكلاسة وقد مرت ترجمته في المدرسة الأتابكية.

تنبيه: الحلقة الكوثرية تجاه شبك الكلاسة تحت مئذنة العروس بالجامع الأموي وقفها الشهيد نور الدين على صبيان صغار وأيتام يقرءون في كل ليلة بعد العصر ثلاث مرات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ويهدون ثوابها للواقف ولهم على ذلك مرتب يتناولونه من ديوان السبع الكبير يعني السبع الذي هو بالجامع المذكور الذي ذكره وإن عدة من فيه يومئذ على ما **استقر عليه** الحال ثلاثمائة واربعة وخمسون نفرا والله سبحانه وتعالى أعلم.." (١)

"وكان بصحن الجامع الأموي حواصل للمنجنيقات وحواصل للأمراء وغيرها من خيم وغيرها فأمر بإزالتها فاتسع الجامع وزاد رونقه وتطلب كتب وقفه وكانت قد أهمل النظر فيها وأجرى الوقوف على شروطها من واقفيها وإنما كان المتولي للنظر فيها يعمل بمقتضى ر أيه في منعه واعطائه فحملت إليه بعد ما شق على الباحث عنها وجودها فوجدها قد تمزق القديم منها وما كان وقفه الملك العادل نور الدين محمود ومن بعده من الملوك قد كادت كتبها أن تتلف فأمر بإحياء خطوطها وإثباتها عند سائر القضاة واجتهد فيها حسب ما اقتضته اراؤه السعيدة وأفعاله الرشيده وكذلك فعل في وقف البيمارستان الكبيرة وليس ذلك بمستنكر من خلائفه في إقامة منار الإسلام ورفع من خفضه البخوت على التخوت من العلماء الأعلام وكانت سائر الوقوف المرصدة على ما وقفت عليه مضافة إلى وقف الجامع الأموي وكانت لاتصرف في أربابها وإنما تصرف في مرتب الجامع فأفردها عنه وولاها من يصرفها على شروط من وقفها وأثبت كتبها كما فعل فيما عدها من الأوقاف الجامعية والبيمارستانية.

ويشتمل هذا الجامع في الوقت الذي وضعنا فيه هذا الكتاب على تسعة أئمة يصلون فيه الصلوات الخمس منهم:

الخطيب وإمام في مقصورة الحنفية.

وإمام في مقصورة الحنابلة.

وإمام في الكلاسة.

وإمام في مشهد زين العابدين علي.

وإمام في مشهد أبي بكر.

وإمام في مقصورة الكندي.

وفيه لاقراء القرآن في هذا الوقت ثلاثة وسبعون متصدرا يعسر تعدادهم.

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٣٤٣/١

وفيه من الأسباع المجرى عليها الأوقاف:

السبع الكبير وعدة من فيه على ما **استقر عليه** الحال الآن ثلاثمائة وأربعة." (١)

"ابْن عقبَة وَابْن أبي خَيْثَمَة، وَمن رِوَايَات أساتذته الَّذين سميناهم، فقد استمد مِنْهُم كثيرا من الْأَحَادِيث، وَإِذا عرفنَا أَنه كَانَ من كبار الْحفاظ للْحَدِيث النَّبَوِيّ الَّذين اشتهروا بالدقة والتحري والتثبت، وَأَنه كَانَ حاذقا بِعلم الْأَنْسَاب وَمَعْرِفَة الْأَصْحَاب، وَضبط أسمائهم على وَجههَا الصَّحِيح اتضحت قيمَة هَذِه السِّيرَة. وَهُوَ نَفسه يحدثنا أَنه لم يكتف إزاء كتاب مُوسَى بن عقبَة وسيرة ابْن إِسْحَاق بِرِوَايَة وَاحِدَة، بل اسْتَعَانَ برواياتهما الْمُخْتَلفَة على الْمُقَارنَة والموازنة، وأضاف إِلَى ذَلِك كتابات الْوَاقِدِيّ وَابْن أبي خَيْثَمَة وَرِوَايَات شُيُوخه للْحَدِيث، وَنفذ من كل ذَلِك إِلَى وضع سيرة نبوية وَثِيقَة.

وَقد يبتديء بعض فُصُول الْكتاب دون سَنَد، وَكَأَنَّهُ يُورد حِينَئِذٍ مَا **اسْتَقر عَلَيْهِ** رَأْيه بعد طول النّظر والفحص والمراجعة والمقارنة. ونراه ينثر بعض آراء لَهُ فِي جَوَانِب السِّيرَة، وَهِي آراء علم من أَعْلَام الْفِقْه والْحَدِيث، وَلذَلِك كَانَ لَهَا وَزنهَا الْكَبِير مهما خَالَفت مَا ذاع واشتهر، على نَحْو مَا يَلْقَانَا فِي حَدِيثه عَن أَوَائِل السَّابِقين إِلَى الْإِيمَان بِاللَّه وَرَسُوله، فقد ذكر من بَينهم السيدة عَائِشَة بنت أبي بكر الصّديق، وَقيد ذَلِك بقوله: "وَهِي صَغِيرَة" وَفِي ذَلِك مَا يُخَالف الْمَشْهُور من أَن الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنى بهَا فِي الْمَدِينَة وَهِي بنت تسع سِنِين، وَلَا بُد أَنه ثَبت عِنْد ابْن عبد الْبر أَن السيدة عَائِشَة أسلمت فِي أول الْبعْثَة أَي قبل الْهِجْرَة إِلَى الْمَدِينَة بِنَحْوِ ثَلَاث عشرَة سنة، مِمَّا يَقْتَضِي أَن تكون سنّهَا حِين الْبعْثَة خمس سنوات على الْأَقَل حَتَّى يصدق عَلَيْهَا أَنَّهَا كَانَت من أول النَّاس إسلاما، وَيُؤَيّد ذَلِك مَا جَاءَ فِي صَحِيح البُخَارِيّ فِي تَفْسِير سُورَة اقْتَربت أَي سُورَة الْقَمَر من قَول السيدة عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا" لقد أنزل على مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّة -وَإِنِّي لجارية أَلعَب- ﴿بل السَّاعَة موعدهم والساعة أدهى وَأمر﴾ وَهِي من آيَات سُورَة الْقَمَر الَّتِي نزلت فِي السّنة الْخَامِسَة لِلْهِجْرَةِ، وتعبيرها بِأَنَّهَا كَانَت جَارِيَة تلعب يُفِيد أَن عمرها لم يكن يقل حِينَئِذٍ عَن نَحْو عشر سنوات. وَمن ذَلِك أَنه ذهب إِلَى أَن فرض صَوْم رَمَضَان كَانَ فِي السّنة الأولى لِلْهِجْرَةِ، وَالْمَشْهُور أَنه كَانَ على رَأس ثَمَانِيَة عشر شهرا من الْهِجْرَة. وَمن ذَلِك ذَهَابه فِي حَدِيثه عَن مقاسم خَيْبَر وأموالها أَنَّهَا فتحت جَمِيعهَا عنْوَة، وَقد ناقشه فِي ذَلِك ابْن سيد النَّاس مناقشة طَوِيلَة أثبتنا مجملها فِي موضعهَا من الْكتاب. ونراه يَتَوَقَّف عِنْد بعض الْأَحَادِيث الَّتِي لم تثبت، ويتهمها، من ذَلِك مَا رُوِيَ عَن ابْن مَسْعُود من أَحَادِيث عَن إِسْلَام الْجِنّ، وَمَا جَاءَ فِي بَعْضهَا." (٢)

"لئلا يزلق. وفى رواية ابن سعد عن عامر قال: «أخرج إلينا على بن الحسين سيف رسول الله صلّى الله عليه وسلم فإذا قبيعته من فضة وحلقته من فضة» . وعن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كان نعل سيف رسول الله صلّى الله عليه وسلم أى أسفله وحلقته وقبيعته من فضة.

صفة درعه صلّى الله عليه وسلم

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٣١٥

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير ابن عبد البر ص/١٣

عن الزبير بن العوام قال: «كان على النبي صلّى الله عليه وسلم يوم أحد درعان فنهض إلى الصخرة فلم يستطع (أى فأسرع إلى الصخرة ليراه المسلمون فيعلمون أنه عليه الصلاة والسلام حى فيجتمعون عليه، فلم يقدر على الارتفاع على الصخرة قيل لما حصل من شج رأسه وجبينه الشريفين واستفراغ الدم الكثير منهما) فأقعد طلحة تحته (أى أجلسه فصار طلحة كالسلم) وصعد النبى صلّى الله عليه وسلم (أى وضع رجله فوقه وارتفع) حتى استوى على الصخرة (أى حتى **استقر عليها**) ، قال: سمعت النبى صلّى الله عليه وسلم يقول: «أوجب طلحة (أى فعل فعلا أوجب لنفسه بسببه الجنة وهو إعانته له صلّى الله عليه وسلم على الارتفاع على الصخرة الذى ترتب عليه جمع شمل المسلمين وإدخال السرور على كل حزين ويحتمل أن ذلك الفعل هو جعله نفسه فداء له صلّى الله عليه وسلم ذلك اليوم حتى أصيب ببضع وثمانين طعنة وشلّت يده فى دفع الأعداء عنه) » . وقوله (كان عليه يوم أحد درعان) دليل على اهتمامه صلّى الله عليه وسلم بأمر الحرب وإشارة إلى أنه ينبغى أن يكون التوكل مقرونا بالتحصن لا مجردا عنه. ولقد ورد فى روايات أخرى أنه كان للنبى صلّى الله عليه وسلم أدرع.

صفة طيبه (أى عطره) صلّى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يأخذ المسك فيمسح به رأسه ولحيته وكان صلّى الله عليه وسلم لا يردّ الطيب، رواه البخارى. وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه» ، ورواه الترمذى فى الأدب باب ما جاء فى طيب الرجال والنساء، والنسائى فى الزينة باب الفصل بين طيب الرجال والنساء، وهو حديث صحيح.." (١)

"وَفِي ثامن عشره: قرئَ تَقْلِيد قَاضِي الْقُضَاة زين الدّين عبد الرَّحْمَن التفهني الْحَنَفِيّ بالجامع المؤيدي على مَا **اسْتَقر عَلَيْهِ** الْحَال. وَحضر عِنْده الْقُضَاة والأعيان على الْعَادة. وَفِي يَوْم الْجُمُعَة ثامن عشره: صلى السُّلْطَان الْجُمُعَة بالجامع المؤيدي وخطب بِهِ كَاتب السِّرّ نَاصِر الدّين مُحَمَّد بن الْبَارِزِيّ وَصلى. ثمَّ أكل طَعَاما أعده لَهُ شيخ الشُّيُوخ شمس الدّين مُحَمَّد الديري وَركب إِلَى الصَّيْد وَفِي سَابِع عشرينه: وصل الْأَمِير بكتمر السَّعْدِيّ وَقد قدم بالأمير شمس الدّين مُحَمَّد باك بن الْأَمِير عَلَاء الدّين على باك بن قرمان صَاحب قيسارية وقونية ونكدة ولارندة وَغَيرهَا من الْبِلَاد القرمانية وَهُوَ مُقَيّد محتفظ بِهِ فَأنْزل فِي دَار الْأَمِير مقبل الدوادار ووكل بِهِ. وَفِي هَذَا الشَّهْر: زلزلت مَدِينَة اصطنبول وعدة مَوَاضِع هُنَاكَ حَتَّى كثر اضْطِرَاب الْبَحْر وتزايد تزايداً غير الْمَعْهُود. الْأَمِير سيف الدّين كزل الأرغون شاوي نَائِب الكرك بَعْدَمَا عزل وأنعم عَلَيْهِ بإمرة طبلخاناة بِدِمَشْق. فَمَاتَ فِي خَامِس عشْرين الْمحرم قبل توجهه من مرض طَال بِهِ مُدَّة.." (٢)

"فِي ثالثه: ركب الْأَمِير نَاصِر الدّين مُحَمَّد ابْن السُّلْطَان للسرحة فِي عدَّة من الْأُمَرَاء حَتَّى اصطاد وَدخل الْقَاهِرَة من بَاب النَّصْر وَصعد القلعة من بَاب زويلة. ومولده فِي سنة تسع عشرَة. وَركب أَيْضا فِي سادسه. وَفِي هَذِه الْأَيَّام: اشْتَدَّ الفحص عَن الْأَمِير جَانِبك الصُّوفِي وعوقب بعض المماليك حَتَّى هلك بِسَبَبِهِ. وَقبض على أصهاره وعوقب بَعضهم وَأخذت

---

(١) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة حسين حسيني معدى ص/٢٤١

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥١٢/٦

لَهُ أَشْيَاء وجدت لَهُ. وفيهَا تحرّك سعر الغلال وفشت الْأَمْرَاض فِي النَّاس من الحميات. وَفِي لَيْلَة السبت سادس عشره: زلزلت الْقَاهِرَة زَلْزَلَة كلمح الْبَصَر ثمَّ زلزلت كَذَلِك فِي لَيْلَة الْأَحَد. وَفِي حادي عشرينه: ألزم النَّاس أَن لَا يتعاملوا بِالذَّهَب الإفرنتي المشخص إِلَّا من حِسَاب كل دِينَار بمائتين وَعشْرين فُلُوسًا وَكَانَ آخر مَا **اسْتَقر عَلَيْهِ** الْحَال أَن الدِّينَار بمائتين وَخَمْسَة وَعشْرين فَلم يتَغَيَّر صرفه عَن ذَلِك مُدَّة إِلَى أثْنَاء هَذِه السّنة زَادَت الْعَامَّة فِي صرفه حَتَّى بلغ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ فَأنْكر السُّلْطَان ذَلِك عِنْدَمَا بلغه ورسم أَن ينقص كل دِينَار عشرَة دَرَاهِم حَتَّى يبقي بمائتين وَعشْرين درهما فخسر النَّاس مَالا كثيرا. وَفِي ثامن عشرينه: قدم مبشرو الْحَاج وأخبروا برخاء الأسعار وَكَثْرَة الأمطار وَأَن الشريف حسن بن عجلَان لم يُقَابل أَمِير الْحَاج ونزح عَن مَكَّة لما بلغه من الإرجاف بمسكه فَنُودِيَ من يَوْمه بِعرْض الأجناد البطالين ليجهزوا إِلَى التجريدة بعد النَّفَقَة عَلَيْهِم لغزو مَكَّة فاستشنع ذَلِك. وَفِيه كبست عدَّة أَمَاكِن بِسَبَب جَانِبك الصُّوفِي فَلم يُوجد. وَفِي هَذِه السّنة: اشْتَدَّ غضب متملك الْحَبَشَة وَهُوَ أبرم - وَيُقَال لَهُ إِسْحَاق بن دَاوُد بن سيف أركد - بِسَبَب غلق كَنِيسَة قمامة بالقدس وَقتل عَامَّة من فِي بِلَاده من الرِّجَال الْمُسلمين واسترق نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادهمْ وعذبهم عذَابا شَدِيدا وَهدم مَا فِي مَمْلَكَته من الْمَسَاجِد وَركب إِلَى بِلَاد جبرت فَقَاتلهُمْ وَقتل عَامَّة من فِيهَا وسبى نِسَاءَهُمْ وذراريهم وَهدم مَسَاجِدهمْ فَكَانَت فِي الْمُسلمين ملحمة عَظِيمَة جدا لَا يُحْصى عدد من قتل فِيهَا. وَفِي هَذِه السّنة: حدث أَمر النَّاس فِي غَفلَة عَنهُ معرضون وَهُوَ أَنه أَخْبرنِي من لَا." (١)

"فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: ١٢٣].

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب للصواب، إضافة إلى أن الأمر الذي **استقر عليه** حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة بمن فيهم أهل الكتاب، الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير (١).

ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم أن يكون هذا حافزًا للخروج إليهم، لأن أصل الخروج كان واردًا.

لقد كان المسلمون على حذر من مجيء غسان إليهم من الشام، ويظهر ذلك جليا مما وقع لعمر بن الخطاب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهرا فهجرهن، ففي صحيح البخاري: وكنا تحدثنا أن آل غسان تنعل النعال لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضربًا شديدًا، وقال: أثمَّ هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث عظيم، فقلت: ما هو؟ أجاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ... (٢).

ثالثًا: الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد:

حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان - رضي الله عنه - صاحب القِدْح المُعَلَّى في الإنفاق في هذه الغزوة (٣) ، فهذا عبد الرحمن بن حباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٨٧/٧

يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله، عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه (٤) وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم -يرددها مرارًا-» (٥).

وأما عمر فقد تصدق بنصف ماله وظن أنه سيسبق أبا بكر بذلك، وهذا الفاروق يحدثنا

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٣).

(٢) البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته (٦/ ١٨٠) رقم ٥١٩١.

(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦١٥.

(٤) سنن الترمذي، مناقب (٥/ ٦٢٥، ٦٢٦) رقم ٣٧٠٠.

(٥) مسند أحمد (٥/ ٦٣).." [١]

"بما يتفق هو وعصمة النبي صلّى الله عليه وسلّم، إذ الكل مجمعون على أن ذلك لا يجوز أن يجري على لسان النبي لا عمدا ولا سهوا، وقد نقل الحافظ ابن حجر في ذلك وجوها من التأويلات، ذكر معظمها وردّها كما ردّها من سبقه، ولم يرتض منها إلا هذا التأويل: وهو أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يرتل القران ترتيلا، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته، فسمعها من دنا، فظنه من قوله، وأشاعها بين الناس قال: وهو الذي ارتضاه عياض وأبو بكر بن العربي واستحسناه «١» .

وفي الحق أن الإمامين عياضا وابن العربي ينكران القصة نقلا وعقلا، وإنما ارتضيا هذا التأويل على فرض تسليم الصحة، وهو لون من ألوان الحجاج والتنزل مع الخصم، ومن ثم نرى أنه لا يوجد من علماء الإسلام من يقول بظاهر القصة، وأن القائلين بأن لها أصلا أوّلوها بما يوافق مقام النبوة.

ردّي على المثبتين للقصة

وإني لأجيب على ما ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» وتابعه عليه السيوطي وغيره بما يأتي:

١- إن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل، وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة، وعلى الثاني فلا يؤمن أن يكون كذابا، وقد قرر الإمام مسلم هذه الحقيقة في مقدمة

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث علي محمد الصلابي ص/٨١٠

صحيحه فقال: «والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة» وقال ابن الصلاح في مقدمته: «وما ذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي **استقر عليه** اراء جماهير حفاظ الحديث وتداولوه في تصانيفهم، والاحتجاج به مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما- رحمهم الله- في طائفة «٢» ، أما الشافعي فيحتج به بشروط ذكرها في رسالته، وقد نقلها العراقي في شرح ألفيته وغيره.

---

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٣٥٥.

(٢) مقدمة ابن الصلاح، ص ٥٨، ط العلمية بحلب.." [1]

"*كتابة السيرة الشريفة:

إن كتابة السيرة الشريفة- على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ السلام- وقراءتها، ثمرة لتطبيق وأسوة لحياة. ولا يتولى كتابتها وتدريسها إلا أهل هذا اللون من الفهم والاتجاه. ولا بد من النظر إلى السيرة الشريفة في كل ذلك، باستيعاب ليس عقليا فحسب، بل كيانيا متلاحما، يهيمن ويستبطن ويجنّد كافة الجوانب والطاقات، ويستأهلها ويؤهّلها في الإنسان، للتلقي الفاضل؛ لأن الإسلام خاطبها، واهتم بكافة الجوانب في هذا الإنسان، وتناولها، واعتمدها.

وله: تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٢) . وله: العبر (١/ ٢١٦) . شذرات الذهب، ابن العماد (٢/ ٢٣٥) . الوافي بالوفيات (٢/ ١٨٨) . الأعلام (٦/ ٢٨) . ولقد أثنى العديد على ابن إسحاق. وقد وصف بأنه بحر في معرفته بالسيرة النبوية الشريفة- على الرسول الصلاة والسلام- وإنه أمير المؤمنين في الحديث، ووثقه العديد من العلماء، وإن لم يعتبره بعضهم حجة في الحديث الشريف. ويقول الذهبي (تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ١٤١- ١٦٠، ص ٥٩١) : (الذي **استقر عليه** الأمر أن ابن إسحاق صالح الحديث وأنه في المغازي أقوى منه في الأحكام) . أي: إنه مؤرخ ومحدّث وليس فقيها، مع علمه بالحديث، وتحريه له، واستفادته منه، واقتفائه رواياته، واعتماده عليه، فهو محدّث ومؤرخ، استفاد من كل ذلك في كتابته سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. ويقول الحافظ ابن كثير (٧٧٤ هـ) في البداية والنهاية (١٠/ ١٠٩) : (صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علما يهتدى به وفخرا يستجلى به، والناس كلهم عيال عليه في ذلك كما قال الشافعي وغيره من الأئمة) . ويقول ابن خلكان (٦٨١ هـ) في وفيات الأعيان، ٤/ ٢٧٦: (وكان محمد المذكور ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها) . وقال ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ) صاحب شذرات الذهب (٢/ ٢٣٥) ، بأنه: (كان بحرا من بحور العلم، ذكيا، حافظا، طلّابة للعلم، أخباريا، نسابة، علامة ... لا تجهل أمانته (إمامته) ووثقه الأكثرون في الحديث) . ولقد روى له أكثر أهل الصحاح. انظر مقدمة السيرة النبوية الشريفة لابن هشام. والسيرة النبوية، أبو شهبة (١/ ٣٠) .." [2]

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد أبو شهبة ٣٦٨/١

(٢) السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها عبد الرحمن على الحجى ص/٣٤

"* السّهمي في بلاط كسرى:

ولقد سمعت في الهجرة الشريفة «١» جزآ من قصة ذلك الأعرابي الذي وطئت قدماه بلاط الروم عبد الله بن حذافة السّهمي «٢» (نحو ٣٣ هـ) الذي وطئ كذلك بلاط كسرى، حيث أرسله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى إمبراطور الدولة الفارسية كسرى أبرويز (خسرو الثاني) «٣» بن هرمز بن أنوشيروان، برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، وهذا نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد ألاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدا عبده ورسوله.

وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ [يس: ٧٠] . فأسلم تسلم فإن أبيت فإنّ إثم المجوس عليك» «٤» .

حملها ابن حذافة حتى وصل بها بلاط الفرس. وحين دخل ابن حذافة هذا، بشملته الرقيقة، وعباءته الصفيقة؛ إلى بلاط كسرى ذي الفخفخة والأبّهة والزهوّ المترف المتأله، كان ابن حذافة بإيمانه- الذي تقدم به، ورفعه مكانة عالية، استصغرت كل ذلك- أكبر من كل الجاهليات ومن كل الجبابرة، وأكبر من كل بلاط، مهما كانت فخامته وضخامته، وتجبر بجيشه وحاشيته وحرسه، وبدا في أبّهته وفخفخته، بترفه وطغيانه المتأله المبهور المغرور، مثلما **استقر عليه** حال بلاط كسرى، لكن ابن حذافة كان أقوى من

---

(١) انظر: أدناه، ٢٩٩. والإشارة هنا حسب ترتيب الإلقاء يومها.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١) . الاستيعاب (٣/ ٨٨٨) . أسد الغابة (٣/ ٢١١- ٢١٢) .

(٣) زاد المعاد (١/ ١٢١) . السيرة النبوية، الندوي (٢٥٦) . الاستيعاب (٣/ ٨٨٩) . أسد الغابة (٣/ ٢١٢) .

(٤) رواه البخاري: أرقام (٦٤) (٢٧٨١) (٤١٦٢) (٦٨٣٦) . ومسلم: رقم (١٧٧٤) . انظر: مجموعة الوثائق السياسية (١٤٠) .." [1]

"أبي وقاص زحفه إلى المدائن- عاصمة الأكاسرة- فدخلها يقود جحافل النصر في مشهد مهيب ونادر من مشاهد التاريخ، فها هو سعد بن أبي وقاص- أحد أبناء الصحراء- يدخل القصر الأبيض فاتحا ويجلس في نفس الإيوان الذي مزّق فيه كسرى أبروز الثاني رسالة النبي صلّى الله عليه وسلم علوّا واستكبارا وقد حقق الله دعوة النبي فمزّق ملكه.

صلى سعد صلاة الشكر لله على هذا الفتح المبين في إيوان كسرى، وتلا قول الله تعالى:

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ (٢٧) كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ (٢٨) فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ [الدخان: ٢٥- ٢٩] .

أما آخر الأكاسرة الفرس، بل آخر كسرى في التاريخ، وهو يزدجرد الثالث فقد فرّ مذعورا كالفأر- وقد كان قبل شهور فقط يزأر كالأسد- تاركا عاصمة ملكه في قبضة الفاتحين المسلمين. وأما سعد فقد أرسل بشائر النصر والغنائم إلى عمر بن

---

(١) السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها عبد الرحمن على الحجى ص/٢٨٠

الخطاب في المدينة المنورة، وطلب منه أن يأذن له بمواصلة فتح بلاد فارس ولكن عمر رفض، وقال لسعد: «لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدّا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال» «١» هذا الموقف من الخليفة يدل بوضوح على أن المسلمين ليسوا دعاة حرب، ولم يكن من خططهم نشر الإسلام بالقوة أو الاستيلاء على بلاد الناس بحد السيف والذي يتأمل كلام عمر وتصرفاته يستطيع أن يخرج بانطباع أن الخليفة قد تكونت في ذهنه فكرة محددة، وهي أن يقف بالفتوحات عند حدود العراق والشام، وأن يحاول تنظيم تلك المناطق ويطبق فيها منهج الإسلام والعدل والحرية بكل معانيها، ليدرك الناس أن المسلمين ما جاؤوا ليستولوا على بلادهم، بل جاؤوا ليخلصوهم من الظلم والاستعباد، وإذا تحقق ذلك فإن الناس في البلاد الآخرى المجاورة سوف يأتون من تلقاء أنفسهم، فمن ذا الذي يرفض العدل والمساواة والحرية؟ هذا ما **استقر عليه** رأي عمر بعد القادسية، ولعله توقع أن الفرس بعد الهزائم المريرة المتلاحقة التي منوا بها على أيدي المسلمين سوف يكفّون عن الحرب ويتركون المسلمين وشأنهم، خصوصا وأن المناطق التي فتحها المسلمون إلى الآن- وهي العراق- مناطق عربية وسكانها عرب، والفرس كانوا أجانب مستعمرين. ولكن ما توقعه عمر بن الخطاب لم يحدث بل حدث عكسه تماما، فقد دأب الفرس- خاصة أهل الأهواز- على التمرد ونقض المعاهدات التي منحها لهم المسلمون، وضمنوا لهم بمقتضاها حرية

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٢٨) .." (١)

"صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَرُبمَا اكتنفه الرّجلَانِ الطويلان فيطولهما فَإِذا فارقاه نسبا إِلَى الطول وَنسب إِلَى الربعة عَظِيم الهامة بِالتَّخْفِيفِ رجل الشّعْر كَأَنَّهُ مشط فَلَيْسَ بسبط وَلَا جعد قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَالرِّوَايَة فِي رجل بِفَتْح الرَّاء وَكسر الْجِيم وَهِي الْمَشْهُورَة وَقَالَ الْأَصْمَعِي يُقَال شعر رجل بِفَتْح فَكسر وَرجل بِفَتْح الْجِيم وَرجل بسكونها ثَلَاث لُغَات إِذا كَانَ بَين السبوطة والجعودة وَقَالَ غَيره شعرمرجل أَي مسرح وَكَانَ شعره بِأَصْل خلقته مسرحا إِن انفرقت عقيقته أَي إِن انقلبت عقيقته أَي شعر رَأسه انفرق بسهولة لخفة شعره حِينَئِذٍ فرق بِالتَّخْفِيفِ أَي جعل شعره نِصْفَيْنِ نصفا عَن يَمِينه وَنصفا عَن شِمَاله سمي عقيقة تَشْبِيها بِشعر الْمَوْلُود قبل أَن يحلق فاستعير لَهُ اسْمه وَإِلَّا بِأَن كَانَ مختلطا متلاصقا لَا يقبل الْفرق بِدُونِ ترجل فَلَا يفرقه بل يتْركهُ بِحَالهِ معقوصا أَي وفرة وَاحِدَة وَالْحَاصِل أَنه إِن كَانَ زمن قبُول الْفرق فرقه وَإِلَّا تَركه غير مفروق وَهَذَا أفضل من قَول جمع مَعْنَاهُ أَنه إِن انفرق بِنَفسِهِ تَركه مفروقا لعدم ملاءمته لقَوْله وَإِلَّا فَلَا لمصير مَعْنَاهُ وَإِلَّا فَلَا يتْركهُ مفروقا وَهُوَ رَكِيك وَهَذَا بِنَاء على جعل قَوْله وَإِلَّا فَلَا كلَاما تَاما وَجعل بَعضهم قَوْله فَلَا يُجَاوز شحمة أُذُنَيْهِ إِذا هُوَ وفره كلَاما وَاحِدًا وَفَسرهُ تَارَة بِأَنَّهُ لَا يجوز شحمة أُذُنَيْهِ إِذا أَعْفَاهُ من الْفرق وَقَوله إِذا هُوَ وفره بَيَان لقَوْله وَإِلَّا وَأُخْرَى بِأَنَّهُ إِذا انفرق لَا يجوز شحمة أُذُنَيْهِ فِي وَقت توفير الشّعْر قَالَ وَبِه يحصل الْجمع بَين الرِّوَايَات الْمُخْتَلفَة فِي كَون شعره وفرة وَكَونه جمة فَيُقَال يخْتَلف باخْتلَاف أزمنة الْفرق وَعَدَمه وَاعْلَم أَن الْمُصْطَفى صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ أَولا لَا يفرق تجنبا لفعل الْمُشْركين وموافقة لأهل الْكتاب ثمَّ فرق **وَاسْتقر عَلَيْهِ** أَزْهَر اللَّوْن أبيضه نيره وَهُوَ أحسن الألوان فَالْمُرَاد أَبيض اللَّوْن لَيْسَ بأمهق وَلَا آدم

---

(١) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي عبد الشافي محمد عبد اللطيف ص/٢٥٨

وَحِينَئِذٍ فاللون مُسْتَدْرك وَاسع الجبين يَعْنِي الجبينين وهما مَا اكتنف الْجَبْهَة عَن يَمِين وشمال وَالْمرَاد بسعتهما امتدادهما طولا وعرضا وَذَلِكَ مَحْمُود مَحْبُوب أزجّ الحواجب أَي مرققهما مَعَ تقوس وغزارة شعر جمع حَاجِب وَهُوَ مَا فَوق الْعين بِلَحْمِهِ وشعره أَو هُوَ الشّعْر الَّذِي فَوق الْعظم وَحده سمى بِهِ لحجبه الشَّمْس عَن الْعين أَي مَنعه لَهَا والحجب الْمَنْع وَعدل عَن الحاجبين إِلَى الحواجب إِشَارَة إِلَى الْمُبَالغَة فِي امتدادهما حَتَّى صَار كعدة حواجب سوابغ بِالسِّين أفْصح من الصَّاد جمع سابغة أَي كاملات قَالَ الزَّمَخْشَرِيّ حَال من الْمَجْرُور وَهُوَ الحواجب وَهِي فاعلة فِي الْمَعْنى إِذْ تَقْدِيره أزجّ حواجبه أَي زجت حواجبه فِي غير قرن بِالتَّحْرِيكِ أَي اجْتِمَاع يَعْنِي أَن طرفِي حاجبيه قد سبقا أَي." (١)

"تدل على الأستقرار والتمكن من ذَلِك الْمَعْنى لِأَن المجسم إِذا علا شَيْئا تمكن مِنْهُ **وَاسْتقر عَلَيْهِ** وَمِنْه ﴿أُولَئِكَ على هدى من رَبهم﴾

قَالَ النَّوَوِيّ فِي الْأَذْكَار لَعَلَّه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ ذَلِك جَهرا ليسمعه غَيره فيتعلمه مِنْهُ وملة أَبينَا إِبْرَاهِيم الْخَلِيل حَنِيفا أَي مائلا إِلَى الدّين الْمُسْتَقيم مُسلما وَمَا كَانَ من الْمُشْركين قَالَ الحرالي جمع بَين الحجتين السَّابِقَة بِحَسب الْملَّة الحنيفية الإبراهيمية واللاحقة بِحَسب الدّين المحمدي وَخص المحمدية بِالدّينِ والإبراهيمية بالملة لينتظم ابْتِدَاء الْأُبُوَّة الإبراهيمية لطوائف أهل الْكتاب سابقهم ولاحقهم بِبِنَاء ابْتِدَاء النُّبُوَّة الْآدَمِيَّة فِي مُتَقَدم قَوْله تَعَالَى وَإِذ قَالَ رَبك للملئكة إِنِّي جَاعل فِي الأَرْض خَلِيفَة الْآيَة

لينتظم رُؤُوس الخطابات بَعْضهَا بِبَعْض وتفاصيلها بتفاصيلها حم طب وَكَذَا النَّسَائِيّ فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة وإغفاله غير جيد كلهم عَن عبد الرَّحْمَن بن أَبْزي بِفَتْح الْهمزَة وَسُكُون الْمُوَحدَة وبالزاي وَألف مَقْصُورَة الْخُزَاعِيّ مولى نَافِع بن عبد الْحَارِث اسْتَعْملهُ عَليّ على خُرَاسَان وَكَانَ عَالما مرضيا مُخْتَلف فِي صحبته قَالَ ابْن حجر لَهُ صُحْبَة ونفاها غَيره وَجزم ابْن حجر بِأَنَّهُ صَحَابِيّ صَغِير رمز الْمُصَنّف لحسنه وَلَيْسَ يَكْفِي مِنْهُ ذَلِك بل حَقه الرَّمْز لصِحَّته فقد قَالَ النَّوَوِيّ فِي الْأَذْكَار عقب عزوة لِابْنِ السّني // إِسْنَاده صَحِيح // وَقَالَ الْحَافِظ الْعِرَاقِيّ فِي الْمُغنِي // سَنَده صَحِيح // وَقَالَ الهيثمي رجال أَحْمد وَالطَّبَرَانِيّ رجال الصَّحِيح

١١٤ - (كَانَ إِذا اطلى بَدَأَ بعورته فطلاها بالنورة وَسَائِر جسده أَهله) هـ عَن أم سَلمَة ض

كَانَ إِذا اطلى أَصله اطتلي قلبت التَّاء طاء وأدغمت يُقَال طليته بالنورة أَو غَيرهَا لطخته واطليت بترك الْمَفْعُول إِذا فعل ذَلِك بِنَفسِهِ بَدَأَ بعورته أَي بِمَا بَين سرته وركبته فطلاها بالنورة الْمَعْرُوفَة وَهِي زرنيخ وجص وَسَائِر جسده أَهله أَي بعض حلائله فاستعمالها مُبَاح لَا مَكْرُوه وَتوقف الْمُؤلف فِي كَونهَا سنة قَالَ." (٢)

"– قاعدة: وأما مصالح الدنيا وأسبابها، ومفاسدها فمعروفة بالضرورات والتجارب والعادات والظنون المعتبرات، فإن خفي شيء من ذلك طلب من أدلته، ومن أراد أن يعرف المتناسبات والمصالح والمفاسد راجحها ومرجوحها، فليعرض ذلك على عقله بتقدير أن المسرع لم يرد به ثم يبني عليه الأحكام فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك، وبذلك تعرف حسن الأعمال وقبحها.

---

(١) الشمائل الشريفة السيوطي ص/٣٧

(٢) الشمائل الشريفة السيوطي ص/٩٢

– الإمام والحكم: إذ أتلف شيئاً من النفوس أو الأموال في تصرفها للمصالح فإنه يجب على بيت المال دون الحاكم والإمام ودون عواقلهما لأنها لما تصرفا للمسلمين صار كأن المسلمين هم المتلفون ولأن ذلك يكثر في حقهما فيتضررون به ويتضرر عواقلهما ..

– ويرى ابن عبد السلام: أن من أمثلة الأفعال المشتملة على المصالح والمفاسد مع رجحان مصالحهما على مفاسدها؛ وجوب إجارة رسل الكفار مع كفرهم، لمصلحة ما يتعلق بالرسالة من المصالحة الخاصة والعامة، ولعل ابن عبد السلام يكون – بهذه القاعدة الأخيرة، قد أشار إلى مبدأ حصانة وحرمة السفراء والمبعوثين الدبلوماسيين وهو مبدأ **استقر عليه** القانون الدولي المعاصر (١).

هذه بعض الخطوط العريضة فيما يتعلق في جهد الشيخ عز الدين في تطوير قواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية.

---

(١) المصدر نفسه (١٣/ ٣٩١).." (١)

"بن دَاوُد وَطَائِفَة واشتغل كثيرا وَطَاف على الشُّيُوخ وَلَقي الْكِبَار وجالس الْأَئِمَّة فَأخذ عَنْهُم وتفقه حنفيا على مَذْهَب جده لأمه وَحفظ مُخْتَصرا فِيهِ ثمَّ لما ترعرع وَذَلِكَ بعد موت وَالِده فِي سنة سِتّ وَثَمَانِينَ وَهُوَ حِينَئِذٍ قد جَازَ الْعشْرين تحول شافعيا **وَاسْتقر عَلَيْهِ** أمره لكنه كَانَ مائلا إِلَى الظَّاهِر وَلذَلِك قَالَ شَيخنَا أَنه أحب الحَدِيث فواظب على ذَلِك حَتَّى كَانَ يتهم بِمذهب ابْن حزم وَلكنه كَانَ لَا يعرفهُ انْتهى.
هَذَا مَعَ كَون وَالِده وجده حنبليين. وَنظر فِي عدَّة فنون وشارك فِي الْفَضَائِل وَخط بِخَطِّهِ الْكثير وانتقى وَقَالَ الشّعْر والنثر وَحصل وَأفَاد وناب فِي الحكم وَكتب التوقيع وَولي الْحِسْبَة بِالْقَاهِرَةِ غير مرّة أَولهَا فِي سنة إِحْدَى وَثَمَانِمِائَة والخطابة بِجَامِع عَمْرو وبمدرسة حسن والإمامة بِجَامِع الْحَاكِم وَنظره وَقِرَاءَة الحَدِيث بالمؤيدية عوضا عَن الْمُحب بن نصر الله حِين استقراره فِي تدريس الْحَنَابِلَة بهَا وَغير ذَلِك، وحمدت سيرته فِي مباشراته وَكَانَ قد اتَّصل بِالظَّاهِرِ برقوق وَدخل دمشق مَعَ وَلَده النَّاصِر فِي سنة عشر وَعَاد مَعَه وَعرض عَلَيْهِ قَضَاؤُهَا مرَارًا فَأبى وَصَحب يشبك الدوادار وقتا ونالته مِنْهُ دنيا بل يُقَال أَنه أودع عِنْده نَقْدا. وَحج غير مرّة وجاور وَكَذَا دخل دمشق مرَارًا وَتَوَلَّى بهَا نظر وقف القلانسي والبيمارستان النوري مَعَ كَون شَرط نظره لقاضيها الشَّافِعِي وتدريس الأشرفية والإقبالية وَغَيرهَا ثمَّ أعرض عَن ذَلِك وَأقَام بِبَلَدِهِ عاكفا على الِاشْتِغَال بالتاريخ حَتَّى اشْتهر بِهِ ذكره وَبعد فِيهِ صيته وَصَارَت لَهُ فِيهِ جملَة تصانيف كالخطط للقاهرة وَهُوَ مُفِيد لكَونه ظفر بمسودة الأوحدي كَمَا سبق فِي تَرْجَمته فَأَخذهَا وزادها زَوَائِد غير طائلة، ودرر الْعُقُود الفريدة فِي تراجم الْأَعْيَان المفيدة ذكر فِيهِ من عاصره، وإمتاع الأسماع بِمَا للرسول من الْأَبْنَاء والأخوال والحفدة وَالْمَتَاع وَكَانَ يحب أَن يكْتب بِمَكَّة وَيحدث بِهِ فتيسر لَهُ ذَلِك، والمدخل لَهُ وَعقد جَوَاهِر الأسفاط فِي مُلُوك مصر والفسطاط وَالْبَيَان)

---

(١) الشيخ عز الدين بن عبد السلام – سلطان العلماء وبائع الأمراء علي محمد الصلابي ص/٦٧

وَالْإِعْرَاب عَمَّا فِي أَرض مصر من الْأَعْرَاب والإلمام فِيمَن تَأَخّر بِأَرْض الْحَبَشَة من مُلُوك الْإِسْلَام والطرفة الغريبة فِي أَخْبَار حَضرمَوْت العجيبة وَمَعْرِفَة مَا يجب لآل الْبَيْت النَّبَوِيّ من الْحق على من عداهم وإيقاظ الحنفاء بأخبار الْأَئِمَّة الفاطميين الْخُلَفَاء والسلوك بِمَعْرِفَة دوَل الْمُلُوك يشْتَمل على الْحَوَادِث إِلَى وَفَاته والتاريخ الْكَبِير المقفي وَهُوَ فِي سِتَّة عشر مجلدا وَكَانَ يَقُول أَنه لَو كمل على مَا يرومه لجاوز الثَّمَانِينَ، وَالْأَخْبَار عَن الْإِعْذَار وَالْإِشَارَة وَالْكَلَام بِبنَاء." [1]

"حسينا حين يطلب بذل نصري ... على أهل العداوة والشقاق

ولو أني أواسيه بنفسي ... لنلت كرامة يوم التلاق

مع ابن المصطفى نفسي فداه ... فولى ثم ودع بالفراق

غداة يقول لي بالقصر «١» قولا ... أتتركنا وتزمع بانطلاق؟

فلو فلق التلهف قلب حي ... لهم اليوم قلبي بانفلاق

فقد فاز الأولى نصروا حسينا ... وخاب الآخرون أولو النفاق «٢»

وقال عبيدة بن عمرو الكندي «٣» أحد بني بداء «٤» بن الحارث. يرثي الحسين ابن علي وولده رضي الله عنهم ويذكر قتلهم وقتلتهم:

صحا القلب بعد الشيب عن أم عامر ... وأذهله عنها صروف الدوائر

ومقتل خير الآدميين والدا «٥» ... وجدا إذا عدت مساعي المعاشر

دعاه الرجال الحائرون لنصره ... فكلا رأيناه له غير ناصر

وجدناهم من بين ناكث بيعة ... وساع به عند الإمام وغادر

تخريج الأبيات: - لم أقف عليه.

---

(١) القصر: هو قصر بني مقاتل وهو المكان الذي التقى فيه عبيد الله بن الحر مع الحسين بن علي ودعاه إلى نصرته فأبى (تاريخ الطبري: ٥/ ٤٠٧) .

(٢) القصيدة في خزانة الأدب: ٢/ ١٥٦.

(٣) عبيدة بن عمرو الكندي. وصفه ابن جرير في تاريخه: ٥/ ٥٧٨ بقوله: كان من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم حبا لعلي. وقد اشترك في الدفاع عن حجر ابن عدي الكندي. وكان ممن سارع في تأييد المختار بن أبي عبيد (انظر تاريخ الطبري: ٥/ ٢٦١- ٢٦٢- ٥٧٨) .

(٤) نسبة إلى بداء بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية. بطن من كندة (انظر اللباب في تهذيب الأنساب: ١/ ١٢٩) .

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٢/٢

(٥) هذا من اعتقاد الشيعة وغلوهم ومن المعلوم أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل هو بحسب ترتيبهم في الخلافة وهذا هو الأمر الذي **استقر عليه** إجماع أهل السنة.." [(١)]

"١ " - شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن الحلبي ابن العجمي

٤٨٠ - ٥٦١) ، رحل إلى بغداد، فاخذ عن أبي بكر الشاشي وأسعد الميهني، وسمع الحديث بها من جماعة، وسمع منه الامام أبو سعد السمعاني صاحب " الانساب " المتوفى سنة ٥٦٢.

وكانت له حظوة عند أمير حلب إذ أرسله إلى دمشق رسولا عنه، وذكروا أن صاحب الموصل ولاه عمارة المسجد الحرام.

ترجم له الذهبي في " العبر " ٣: ٣٦، وترجمه في " تاريخ الاسلام " أيضا، وقد نقل العلامة الطباخ في " إعلام النبلاء " ٤: ٢٣٧ ترجمته من مختصر الملا ك " تاريخ الاسلام "، وترجمة أيضا السبكي في " طبقات الشافعية " ٧: ١٤٧، وابن العماد في " الشذرات " ٤: ١٩٨.

وهو صاحب أول إثر علمي بحلب، كما تقدم.

رحل إلى بغداد فرأى فيها المدارس العلمية العظيمة التي كانت قلاع العلم والدين، فاقتبسمنها ذلك، فرجع إلى حلب وأسس أول مدرسة علمية في حي الجلوم - وكانه الحي لآل العجمي من قديم - وكان في ذاك الشارع معمل لتصنيع الزجاج، فعرف بشارع الزجاجين، وعرفت المدرسة بالمدرسة الزجاجية، وكانت لتدريس المذهب الشافعي، ولعل المترجم هو الذي نشر المذهب الشافعي بحلب، إذ كان السنة من أهلها كلهم على المذهب الحنفي

(١).

وكان تاريخ بنائها سنة ٥١٦، وهي مندرسة من قديم، لكن قربوا مكانها تقريبا، والذي **استقر عليه** قول العلامة الطباخ رحمه الله في تاريخه " إعلام النبلاء " ٤: ٢٤٠ و ٣٥٧ أنها موضع خان الطاف المعروف الآن، وكان قال قبل ذلك ١: ٣٩٢: إنها في أوائل زقاق أبي درجين بالجلوم، لكن من طرف آخر.

هكذا جزم عدد من الائمة أن بانيها هو شرف الدين المذكور، وقال آخرون: بانيها هو بدر الدولة أبو الربيع سليمان بن عبد الجبرا صاحب حلب، وكان شرف الدين المذكور هو الذي أشار عليه ببنائها، ثم تولى تدريسها إلى أن توفي.

انظر " نهر الذهب " للشيخ كامل الغزي ٢: ٨٤، و " إعلام النبلاء " ١: ٣٩٢، ٤: ٢٣٨.

وكان أبو طالب هذا قد التقى أيام تلقيه العلم ببغداد بابي محمد عبد الله بن علي القيسراني القصري -

نسبة إلى قصر حيفا - ثم افترقا، ثم جا القصري هذا إلى دمشق، ثم إلى حماة، فلما علم به أبو طالب استدعاه إلى حلب وبنى له مدرسة فيها، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٤٢ في قول ابن عساكر، أو ٥٤٣ أو ٥٤٤ في قول غيره، وأرخه ابن السمعاني في " الانساب " ١٠: ٤٤٢ على الشك: ٥٣٧ أو ٥٣٨.

انظر: " إعلام النبلاء " ٤: ٢١٧ - ٢١٨، و " معجم البلدان " ٤: ٢٥٧.

وهذا يدل على مزيد إعجاب هذا الرجل بانشاء مدارس العلم في البلد، ويدل أيضا على وجاهته فيها.

---

(١) الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة ابن سعد ٥١٦/١

٢ " – ضياء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن أسعد بن عبد الرحمن ابن العجمي ٥٦٤ –." (١)

"١ – " الكاشف ": مخطوطاته، ومراحل العمل فيه

أولا – مخطوطاته:

١ " – لم أحفل بالبحث عن مخطوطات " الكاشف "، لعلمي أنها كثيرة جدا، ويغلب على ظني إنه ما من مركز للمخطوطات إلا وفيه نسخة أو نسخ منه، وقد حصلت والحمد لله على ما اغناني عن هذه الكثرة،

وهو أصل المصنف الذي كتبه بيده، **واستقر عليه** أخيرا، فانه جاء في آخره قوله: " فرغت من اختصاره بعد العصر يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة عشرين وسبعمائة، وهذا المختصر في قدر عشر الاصل ".

ثم كتب عن يمين هذا الكلام: " فرغ الذهبي من هذه نسخة سنة تسع وعشرين ".

فهذه هي الصياغة الاخيرة للكتاب، بدليل اعتماده هذه النسخة وإضافاته الكثيرة عليها، وآخر ما أضافه ترجمة مجاهد بن رباح، ولرخ ذلك سنة ٤٣، أي: وسبعمائة، فيكون ذلك قبل وفاته بخمس سنين.

ومع ذلك فقد تجمع لدي منه خمس نسخ سوى أصل المصنف، نسختان من حلب، وثلاث من معهد المخطوطات العربية بمصر، وهذه كلمات موجزة عنها: النسخة الحلبية الاولى: هي نسخة العلامة ابن الاسكندري، وهو مصري كما هو واضح من نسبته وشهرته، ويبدو أن أصله إسكندري، منشاه ببلبيسي، وكان البرهان الحلبي احضر معه هذه النسخة إلى حلب حين مر ببلبيس، من مدن مصر، فانه دخلها في رحلته إلى مصر للمرة الاولى والثانية، ثم كتب عليها حواشيه وفوائده.

وقد تقدم وصفها والكلام عليها باستيفاء ص ١٤٤ – ١٤٧، والحمد لله.

النسخة الحلبية الثانية: وهي من محفوظات المكتبة الاحمدية بحلب، ويقع نص الكتاب في ٢١٩ النسخة الحلبية الثانية: وهي من محفوظات المكتبة الاحمدية بحلب، ويقع نص الكتاب في ٢١٩ ورقة، سوى ما ألحق باولها، وجاء في آخرها: " تم " الكاشف " والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وذلك يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وكتبه العبد الفقير إلى الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه: عثمان بن محمد بن الحسين الحراني نسبا، الاذرعي مولدا، الشافعي مذهبا، عفا الله عنه وعن والديه تكرما، وعن سائر المسلمين، آمين رب العالمين ".." (٢)

"وأعود لاقول: إني لم أحتفل بهذه المغايرات، لانها في حكم الملغى المعدول عنه عند المصنف،

فالاصل الذي بين يدي هو الذي **استقر عليه** اختيار المصنف وصياغته.

وإثباتي لها: دليل اعتباري لها، وهو خلاف نظرة المصنف لها.

والله تعالى أعلم.

---

(١) الكاشف الذهبي، شمس الدين ٩٣/١

(٢) الكاشف الذهبي، شمس الدين ١٥١/١

ثانيا – مراحل العمل فيه، أقصر حديثي على الجانب العلمي

١) : ١ " – صورت نسخة من الطبعة المصرية التي قام على تحقيقها الدكتوران الفاضلانعزت عيد عطية، وموسى محمد علي الموشي، وطبعاها عام ١٣٩٢ في ثلاثة مجلدات متوسطة، وقابلتها بالاصل الذي بخط المصنف، وأثبت عليها المايرات.

وكانت المقابلة مع أخي الفاضل الاستذ الشيخ أحمد نجل شيخنا الجليل الداعية المربي الاستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب خفظهما الله تعالى.

٢ " – ثم كررنا المقابلة بشكل خاص لرموز كل ترجمة على حدة، قابلنا ذلك بالاصل ما استطعنا، لان رموزه بالحبر الاحمر، وبما في " تهذيب الكمال " المطبوع منه، وكان حينئذ سبعة أجزاء، ومصورة دار المأمون للتراث، لكنا ما كنا نثق بالرموز فقط، خشية وقوع تحريف في المطبوع أو المصورة، بل نرجع إلى نص المزي آخر الترجمة أو أثناءها.

وكان من نتيجة ذلك: كشف أوهام نادرة من المصنف، وأوهام أكثر منها من الحافظ ابن حجر في " التقريب ".

وكان هذا الامر يستدعي مني مراجعة أحاديث الرجل في الكتب المرموز لها، لا تثبت هل له حديث فيها أولا، فاصحح الرمز أو أخطئه.

ولا يدرك وعورة أغوار هذا المسلك وطولها وما تستغرقه من وقت وجهد إلا من يعاينها.

وكان يسعفني في هذا المجال: " رجال صحيح البخاري " للكلاباذي، وللباجي، و " رجال صحيح مسلم " لابن منجويه، و " تحفة الاشراف " للمزي، رحمهم الله تعالى.

٣ " – وكنا نحرص أثناء المقابلة على الاستفادة من ضبط المصنف والاخذ به.

٤ " – ثم قام الاخ الشيخ أحمد بتخريج نصوص " الكاشف " من أحاديث شريفة – ولو أن المصنف أشار إليها إشارة خفيفة، كقوله: له حديث واحد، أو حديثه مضطرب، ونحو ذلك – ومن أقوالهم في المترجم

تجريحا وتعديلا.

فكفى وأوفى، جزاه الله خيرا.

٥ " – اثبت تخريجاته هذه.

ث كنت أقوم باعمال متممة لها، وأهمها: ٦ " – كنت أراجع هذ الاقوال في مصادرها متدرجا معها، أرجع إليها عند المزي في " تهذيبه " لانه المصدر الاول للذهبي.." (١)

"ثُمَّ أَنْفَذَ الْبَرِيدِيُّ غُلَامَهُ إِقْبَالًا فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَقَامِ بِحِصْنِ مَهْدِيٍّ إِلَى أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ يَزْدَادَ بِهِمْ، قَامَتْ قِيَامَتُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرِيدِيَّ يُرِيدُ التَّغَلُّبَ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ يُرِيدُ التَّصَرُّفَ فِي ضَمَانِهِ، لَكَانَ يَكْفِيهِ عَامِلٌ فِي جَمَاعَتِهِ.

وَأَمَرَ الْبَرِيدِيُّ بِإِسْقَاطِ بَعْضِ مَا كَانَ ابْنُ يَزْدَادَ يَأْخُذُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، حَتَّى اطْمَأَنُّوا، وَقَاتَلُوا مَعَهُ عَسْكَرَ ابْنِ رَائِقٍ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِمْ، فَعَمِلَ بِهِمْ أَعْمَالًا تَمَنَّوْا [مَعَهَا] أَيَّامَ ابْنِ رَائِقٍ وَعَدُّوهَا أَعْيَادًا.

---

(١) الكاشف الذهبي، شمس الدين ١٥٥/١

ذِكْرُ ظُهُورِ الْوَحْشَةِ بَيْنَ ابْنِ رَائِقٍ وَالْبَرِيدِيِّ، وَالْحَرْبِ بَيْنَهُمَا

فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا ظَهَرَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ ابْنِ رَائِقٍ وَالْبَرِيدِيِّ، وَكَانَ لِذَلِكَ عِدَّةُ أَسْبَابٍ مِنْهَا: أَنَّ ابْنَ رَائِقٍ لَمَّا عَادَ مِنْ وَاسِطَ إِلَى بَغْدَاذَ، أَمَرَ بِظُهُورِ مَنِ اخْتَفَى مِنَ الْحُجَرِيِّينَ، فَظَهَرُوا، فَاسْتَخْدَمَ مِنْهُمْ نَحْوَ أَلْفَيْ رَجُلٍ، وَأَمَرَ الْبَاقِينَ بِطَلَبِ الرِّزْقِ أَيْنَ أَرَادُوا، فَخَرَجُوا مِنْ بَغْدَاذَ، وَاجْتَمَعُوا بِطَرِيقِ خُرَاسَانَ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَذَمَّ ابْنَ رَائِقٍ وَعَابَهُ، وَكَتَبَ إِلَى بَغْدَاذَ يَعْتَذِرُ عَنْ قَبُولِهِمْ، وَيَقُولُ: إِنَّنِي خِفْتُهُمْ، فَلِهَذَا قَبِلْتُهُمْ، وَجَعَلَهُمْ طَرِيقًا إِلَى قَطْعِ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** مِنَ الْمَالِ، وَذُكِرَ أَنَّهُمُ اتَّفَقُوا مَعَ الْجَيْشِ الَّذِي عِنْدَهُ وَمَنَعُوهُ مِنْ حَمْلِ الْمَالِ (الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ**) ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ ابْنُ رَائِقٍ يُلْزِمُهُ بِإِبْعَادِ الْحُجَرِيَّةِ، فَاعْتَذَرَ وَلَمْ يَفْعَلْ.

وَمِنْهَا ابْنُ رَائِقٍ بَلَغَهُ مَا ذَمَّهُ بِهِ ابْنُ الْبَرِيدِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ، وَبَلَغَهُ مَقَامُ إِقْبَالٍ فِي جَيْشِهِ بِحِصْنِ مَهْدِيٍّ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ، وَاتَّهَمَ الْكُوفِيَّ بِمُحَابَاةِ الْبَرِيدِيِّ، وَأَرَادَ عَزْلَهُ، فَمَنَعَهُ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، وَكَانَ مَقْبُولَ الْقَوْلِ عِنْدَ ابْنِ رَائِقٍ، فَأَمَرَ الْكُوفِيَّ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْبَرِيدِيِّ يُعَاتِبُهُ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَيَأْمُرُهُ بِإِعَادَةِ عَسْكَرِهِ." (١)

"نَفْسَهُ كَأَحَدِهِمْ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ، وَكَانَ يَدَّخِرُ مِنْ أَقْطَاعِهِ مَا يَعْمَلُ مِنْهُ طَعَامًا لَهُمْ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّتَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ نَحْوَ الْهِنْدِ مُجَاهِدًا، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْهُنُودِ حُرُوبٌ يَشِيبُ لَهَا الْوَلِيدُ، وَكَشَفَ بِلَادَهُمْ، وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَيْهَا، وَطَمِعَ فِيهَا، وَخَافَهُ الْهُنُودُ، فَفَتَحَ مِنْ بِلَادِهِمْ حُصُونًا وَمَعَاقِلَ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْإِحْصَاءِ.

وَاتُّفِقَ لَهُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ أَنَّ الْهُنُودَ اجْتَمَعُوا فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ، وَطَاوَلُوهُ الْأَيَّامَ، وَمَاطَلُوهُ الْقِتَالَ، فَعَدِمَ الزَّادُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَجَزُوا عَنِ الِامْتِيَارِ، فَشَكَوْا إِلَيْهِ مَا هُمْ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي اسْتَصْحَبْتُ لِنَفْسِي شَيْئًا مِنَ السَّوِيقِ اسْتِظْهَارًا، وَأَنَا أَقْسِمُهُ بَيْنَكُمْ قِسْمَةً عَادِلَةً عَلَى السَّوَاءِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِالْفَرَجِ، فَكَانَ يُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِلْءَ قَدَحٍ مَعَهُ، وَيَأْخُذُ لِنَفْسِهِ مِثْلَ أَحَدِهِمْ، فَيَجْتَزِئُ بِهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ، فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ وَالظَّفَرَ بِهِمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَأَسَرُوا خَلْقًا كَثِيرًا.

ذِكْرُ وِلَايَةِ سُبُكْتِكِينَ عَلَى قُصْدَارَ وَبُسْتَ

ثُمَّ إِنَّ سُبُكْتِكِينَ عَظُمَ شَأْنُهُ، وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ، وَحَسُنَ بَيْنَ النَّاسِ ذِكْرُهُ، وَتَعَلَّقَتِ الْأَطْمَاعُ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، فَأَتَاهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ، وَهُوَ صَاحِبُ بُسْتَ وَاسْمُهُ طَغَانُ، مُسْتَعِينًا بِهِ مُسْتَنْصِرًا.

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَيْهِ أَمِيرٌ يُعْرَفُ بِبَابِي تُورَ، فَمَلَكَ مَدِينَةَ بُسْتَ عَلَيْهِ، وَأَجْلَاهُ عَنْهَا بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ، فَقَصَدَ سُبُكْتِكِينَ مُسْتَنْصِرًا بِهِ، وَضَمِنَ لَهُ مَالًا مُقَرَّرًا، وَطَاعَةً يَبْذُلُهَا لَهُ، فَتَجَهَّزَ وَسَارَ مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بُسْتَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ بَابِي تُورُ فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْهَزَمَ بَابِي تُورُ وَتَفَرَّقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَتَسَلَّمَ طَغَانُ الْبَلَدَ.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِيهِ طَالَبَهُ سُبُكْتِكِينُ بِمَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** مِنَ الْمَالِ، فَأَخَذَ فِي الْمَطْلِ، فَأَغْلَظَ لَهُ فِي الْقَوْلِ لِكَثْرَةِ مَطْلِهِ، فَحَمَلَ

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦١/٧

طَغَانُ جَهْلَهُ عَلَى أَنْ سَلَّ السَّيْفَ فَضَرَبَ يَدَ سُبُكْتِكِينَ فَجَرَحَهَا، فَأَخَذَ سُبُكْتِكِينُ السَّيْفَ وَضَرَبَهُ أَيْضًا فَجَرَحَهُ، وَحَجَزَ الْعَسْكَرُ بَيْنَهُمَا، وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، فَانْهَزَمَ طَغَانُ وَاسْتَوْلَى سُبُكْتِكِينُ عَلَى بُسْتَ.." (١)

"[ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة]

- ٣٩٥

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ

ذِكْرُ عَوْدِ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْبَطِيحَةِ

قَدْ ذَكَرْنَا انْهِزَامَ عَمِيدِ الْجُيُوشِ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَاصِلٍ، فَلَمَّا انْهَزَمَ أَقَامَ بِوَاسِطَ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ عَازِمًا عَلَى الْعَوْدِ إِلَى الْبَطَائِحِ، وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ تَرَكَ بِهَا نَائِبًا لَهُ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْمُقَامِ بِهَا، فَفَارَقَهَا إِلَى صَاحِبِهِ، فَأَرْسَلَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ إِلَيْهَا نَائِبًا مِنْ أَهْلِ الْبَطَائِحِ، فَعَسَفَ النَّاسَ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى عَمِيدِ الْجُيُوشِ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَغْدَاذَ وَأَحْضَرَ مُهَذَّبَ الدَّوْلَةِ، وَسَيَّرَ مَعَهُ الْعَسَاكِرَ فِي السُّفُنِ إِلَى الْبَطِيحَةِ، فَلَمَّا وَصَلَهَا لَقِيَهُ أَهْلُ الْبِلَادِ، وَسُرُّوا بِقُدُومِهِ، وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ الْوِلَايَاتِ، وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ كُلَّ سَنَةٍ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ ابْنُ وَاصِلٍ، فَاشْتَغَلَ عَنْهُ (بِالتَّجْهِيزِ إِلَى) خُوزِسْتَانَ، وَحَفَرَ نَهْرًا إِلَى جَانِبِ النَّهْرِ الْعَضُدِيِّ، بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ، وَكَثُرَ مَاؤُهُ، وَكَانَ قَدِ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ وَأَنْوَاعِ الْأَجْنَادِ.

وَلَمَّا كَثُرَ مَالُهُ وَذَخَائِرُهُ، وَ [مَا] اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْبَطِيحَةِ، قَوِيَ طَمَعُهُ فِي الْمُلْكِ، وَسَارَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ إِلَى الْأَهْوَازِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فَجَهَّزَ إِلَيْهَا بَهَاءُ الدَّوْلَةِ جَيْشًا فِي الْمَاءِ، فَالْتَقَوْا بِنَهْرِ السِّدْرَةِ، فَاقْتَتَلُوا، وَخَاتَلَهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ، وَسَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ وَتَبِعَهُ مَنْ كَانَ قَدْ لَقِيَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ، فَالْتَقَوْا بِظَاهِرِ الْأَهْوَازِ، وَانْضَافَ إِلَى عَسْكَرِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَسَاكِرُ الَّتِي بِالْأَهْوَازِ، فَاسْتَظْهَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ.." (٢)

"ذِكْرُ إِظْهَارِ أَحْمَدَ يَنَالْتِكِينَ الْعِصْيَانَ وَقَتْلِهِ

فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ [وَأَرْبَعِمِائَةٍ] عَادَ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودٍ مِنَ الْهِنْدِ لِقِتَالِ الْغُزِّ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ، فَعَادَ أَحْمَدُ يَنَالْتِكِينَ إِلَى إِظْهَارِ الْعِصْيَانِ بِبِلَادِ الْهِنْدِ، وَجَمَعَ الْجُمُوعَ، وَقَصَدَ الْبِلَادَ بِالْأَذَى، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ مَسْعُودٌ جَيْشًا كَثِيفًا، وَكَانَتْ مُلُوكُ الْهِنْدِ تَمْنَعُهُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَسَدَّ مَنَافِذَ هَرَبِهِ.

وَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ الْمُنْفَذُ إِلَيْهِ قَاتَلَهُمْ، فَانْهَزَمَ وَمَضَى هَارِبًا إِلَى الْمُلْتَانِ، وَقَصَدَ بَعْضَ مُلُوكِ الْهِنْدِ بِمَدِينَةِ بَهَاطِيَةَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْ عَسَاكِرِهِ الَّذِينَ سَلِمُوا، فَلَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ الْمَلِكِ قُدْرَةٌ عَلَى مَنْعِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ سُفُنًا لِيَعْبُرَ نَهْرَ السِّنْدِ، فَأَحْضَرَ لَهُ السُّفُنَ.

وَكَانَ فِي وَسَطِ النَّهْرِ جَزِيرَةٌ ظَنَّهَا أَحْمَدُ وَمَنْ مَعَهُ مُتَّصِلَةً بِالْبَرِّ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْمَاءَ مُحِيطٌ بِهَا، فَتَقَدَّمَ مَلِكُ الْهِنْدِ إِلَى أَصْحَابِ السُّفُنِ بِإِنْزَالِهِمْ فِي الْجَزِيرَةِ وَالْعَوْدِ عَنْهُمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَبَقِيَ أَحْمَدُ وَمَنْ مَعَهُ فِيهَا وَلَيْسَ مَعَهُمْ طَعَامٌ (إِلَّا

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٥٤/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٣٨/٧

مَا مَعَهُمْ) ، فَبَقُوا بِهَا تِسْعَةَ أَيَّامٍ، فَفَنِيَ زَادُهُمْ، وَأَكَلُوا دَوَابَّهُمْ، وَضَعُفَتْ قُوَاهُمْ، فَأَرَادُوا خَوْضَ الْمَاءِ فَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْهُ لِعُمْقِهِ وَشِدَّةِ الْوَحْلِ فِيهِ، فَعَبَّرَ الْهِنْدُ إِلَيْهِمْ عَسْكَرَهُمْ فِي السُّفُنِ، وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا أَكْثَرَهُمْ، وَأَخَذُوا وَلَدًا لِأَحْمَدَ أَسِيرًا، فَلَمَّا رَآهُ أَحْمَدُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ قَتَلَ نَفْسَهُ، وَاسْتَوْعَبَ أَصْحَابَهُ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ وَالْغَرَقُ.

ذِكْرُ مُلْكِ مَسْعُودٍ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ

كَانَ الْمَلِكُ مَسْعُودٌ قَدْ أَقَرَّ دَارَا بْنَ مُنُوجَهْرَ بْنِ قَابُوسَ عَلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ وَتَزَوَّجَ أَيْضًا بِابْنَةِ أَبِي كَالِيجَارَ الْقُوهِيِّ، مُقَدَّمِ جَيْشِ دَارَا، وَالْقَيِّمِ بِتَدْبِيرِ أَمْرِهِ اسْتِمَالَةً. فَلَمَّا سَارَ إِلَى الْهِنْدِ مَنَعُوا مَا كَانَ **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِمْ** مِنَ الْمَالِ، وَرَاسَلُوا عَلَاءَ الدَّوْلَةِ بْنَ كَاكَوَيْهِ وَفَرْهَاذَ بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الْعِصْيَانِ وَالْمُخَالَفَةِ، وَقَوَّى عَزْمَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَا بَلَغَهُمْ (مِنْ خُرُوجِ الْغُزِّ بِخُرَاسَانَ) (١) "..

"عَلَيْهِ فَقَدْ صَارَ مَمْلُوكًا، فَبَذَلَ بَالْيَانُ بْنُ بِيرْزَانَ عَنِ الْفُقَرَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ.

وَسُلِّمَتِ الْمَدِينَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَرُفِعَتِ الْأَعْلَامُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى أَسْوَارِهَا.

وَرَتَّبَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى أَبْوَابِ الْبَلَدِ، فِي كُلِّ بَابٍ، أَمِينًا مِنَ الْأُمَرَاءِ لِيَأْخُذُوا مِنْ أَهْلِهِ مَا **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِمْ**، فَاسْتَعْمَلُوا الْخِيَانَةَ، وَلَمْ يُؤَدُّوا فِيهِ أَمَانَةً، وَاقْتَسَمَ الْأُمَنَاءُ الْأَمْوَالَ، وَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبًّا، وَلَوْ أُدِّيَتْ فِيهِ الْأَمَانَةُ لَمَلَأَ الْخَزَائِنَ، وَعَمَّ النَّاسَ.

فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِ عَلَى الضَّبْطِ سِتُّونَ أَلْفَ رَجُلٍ مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ سِوَى مَنْ يَتْبَعُهُمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ، وَلَا يَعْجَبُ السَّامِعُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْبَلَدَ كَبِيرٌ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي مِنْ عَسْقَلَانَ وَغَيْرِهَا، وَالدَّارُومِ، وَالرَّمْلَةِ، وَغَزَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْقُرَى، بِحَيْثُ امْتَلَأَتِ الطُّرُقُ وَالْكَنَائِسُ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِيَ.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى كَثْرَةِ الْخَلْقِ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ وَزَنَ مَا اسْتَقَرَّ مِنَ الْقَطِيعَةِ، وَأَطْلَقَ بَالْيَانُ بْنُ بِيرْزَانَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ وَزَنَ عَنْهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَبَقِيَ بَعْدَ هَذَا جَمِيعِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَا يُعْطِي، وَأُخِذَ أَسِيرًا سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ آدَمِيٍّ مَا بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ وَصَبِيٍّ، هَذَا بِالضَّبْطِ وَالْيَقِينِ.

ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ ادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ رَعِيَّةِ إِقْطَاعِهِ مُقِيمُونَ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَيُطْلِقُهُمْ وَيَأْخُذُ هُوَ قَطِيعَتَهُمْ، وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ يُلْبِسُونَ الْفِرِنْجَ زِيَّ الْجُنْدِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنْهُمْ قَطِيعَةً قَرَّرُوهَا، وَاسْتَوْهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ عَدَدًا مِنَ الْفِرِنْجِ، فَوَهَبَهُمْ لَهُمْ، فَأَخَذُوا قَطِيعَتَهُمْ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى خَزَائِنِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وَكَانَ بِالْقُدْسِ بَعْضُ نِسَاءِ الْمُلُوكِ مِنَ الرُّومِ قَدْ تَرَهَّبَتْ وَأَقَامَتْ بِهِ، وَمَعَهَا مِنَ الْحَشَمِ وَالْعَبِيدِ وَالْجَوَارِي خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَلَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، فَطَلَبَتِ الْأَمَانَ لِنَفْسِهَا وَمَنْ مَعَهَا، فَأَمَّنَهَا وَسَيَّرَهَا.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا أَطْلَقَ مَلِكَةَ الْقُدْسِ الَّتِي كَانَ زَوْجُهَا الَّذِي أَسَرَهُ صَلَاحُ الدِّينِ قَدْ مَلَكَ الْفِرِنْجَ بِسَبَبِهَا، وَنِيَابَةً عَنْهَا كَانَ يَقُومُ

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٧٦٩/٧

بِالْمُلْكِ، وَأَطْلَقَ مَالَهَا وَحَشَمَهَا، وَاسْتَأْذَنَتْهُ فِي الْمَصِيرِ إِلَى زَوْجِهَا، وَكَانَ حِينَئِذٍ مَحْبُوسًا بِقَلْعَةِ نَابُلُسَ، فَأَذِنَ لَهَا، فَأَتَتْهُ وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ.." (١)

"نيرة، وعليه كسوة الصوفية حواليه الشباب في صور الترك يخدمونه، فلما وقع بصري عليه بادرت إلى يده فصافحته، وقبلت يده فقال لي: ما حاجتك. فقلت: الدعاء، فدعا بأدعية مأثورة بفصاحة، وبلاغة، وحسن توجه بعد أن استقبل الكعبة وأطال في الدعاء، بحيث كان كلما انتهى من دعاء طلبت منه في سري أن يدعو بدعاء آخر عين المقصود منه في نفسي فما يتم، الخاطر حتى يشرع في الدعاء بعينه، وهكذا ثم ختم دعائه، ومسح بيديه على وجهه فقلت له: يا سيدي لا تنسني من الدعاء فقال لي: وأنت كذلك لا تنسني من الدعاء، ثم فارقته، وعزمت في نفسي، ألا أجالس أحداً بمكة في مدة إقامة الحاج بها غيره، وكان اجتماعي به قبل عرفة، فلما رجعنا من عرفة التمسته في تلك الحجرة، فلم أره وسألت عنه ساكن تلك الحجرة فقال لي: ما رأيت رجلاً قط بالصنعة التي ذكرت، ولا دخل هذا المذكور هذه الحجرة أصلاً، فعلمت أنه من رجال الله تعالى، بل المترجح عندي أنه قطب ذلك الوقت، وغوث ذلك الزمان، واجتمعت بجماعة من رجال الله تعالى ولله الحمد لكني ما رأيت أفضل من هؤلاء الأربعة، ولا أكثر بركة وإفاضة للخير على جلسائهم منهم، وكان مقدم اجتماعي بهذا الرجل الكامل في سابع ذي الحجة الحرام سنة إحدى بعد الألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الشيخ محمد الصمادي رحمه الله تعالى معتقداً للخواص، والعوام خصوصاً حكام دمشق، والواردين إليها من الدولة، وكانوا يقصدونه في زاويته للتبرك به، وطلب الدعاء منه، وطلب منه مصطفى باشا أن يكتب له في محضره الذي شهدت فيه أهل دمشق باستقامته، فأبى أن يكتب له فيه، وكان في ذلك الوقت موافقاً لشيخ الإسلام الوالد، فإن مصطفى باشا قصد الوالد في بيته، وطلب أن يكتب له على محضره فقال له: ما علمت من حالك شيئاً، وأنا منزو في هذه الخلوة عن خلوته الحلبية ما أعرف من أحوالك شيئاً فقال له: يا سيدي ادع الله لي إذا لم تكتب لي فقال له: ألهمك الله العدل ألهمك الله العدل، لم يزده على هذه الدعوة شيئاً، فلما رجع مصطفى باشا إلى الروم قيل له: من وجدت في الشام. قال: ما وجدت فيها غير رجلين الشيخ بدر الدين الغزي، والشيخ محمد الصمادي، وذكره ابن الحنبلي في تاريخه، وقال: أنه قدم حلب مرتين ثانيتهما سنة أربع وستين، ونزل بزاوية ابن المحتسب بالقرب من سويقة الحجار قادماً من الباب العالي منعماً عليه قال: وزرناه فإذا هو ذو استحضار لمناقب أجداده، وما لهم من الكرامات حسن السمت، لطيف العشرة قال: وذكر لي أن مسلماً جده ينتسب إلى سعيد بن جبير وأخرج لي: طبلاً من نحاس أصفر، وأخبر أنه الذي كان مع مسلم في فتح عكا انتهى.

قلت: وفي ذكره كذلك تلميح إلى خلاف ما **استقر عليه** الحال لأن من ثبوت نسب." (٢)

"أموالاً عظيمة، قويت نفسه، وخلع طاعة مهذب الدولة مخدومه، ثم قصده، فانهزم مهذب الدولة عن البطيحة، واستولى ابن واصل على بلاد مهذب الدولة وأمواله وكانت عظيمة، ونهب ما كان مع مهذب الدولة من المال، وقصد مهذب الدولة بغداد، فلم يمكن من الدخول إليها، وهذا خلاف ما اعتمده مهذب الدولة المذكور، مع القادر لما هرب من

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٦/١٠

(٢) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ١٧/٣

بغداد إليه، فإن مهذب الدولة بالغ في الخدمة والإحسان إليه.

غير ذلك من الحوادث في هذه السنة قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الموسوي، والد الشريف الرضي، نقابة العلويين بالعراق، وقضاء القضاة والمظالم، وكتب عهده بذلك من شيراز، ولقبّه الطاهر ذا المناقب، فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة، وأمضى ما سواه.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة عود مهذب الدولة إلى البطيحة كان أبو العباس بن واصل لما استولى على البطايح، قد أقام بها نائباً، وسار هو إلى نحو البصرة، فلم يتمكن نائبه من المقام بها، وخرج أهل البطيحة عن طاعته، فأرسل عميد الجيوش وهو أمير العراق من جهة بهاء الدولة، عسكراً في السفن مع مهذب الدولة إلى البطيحة، فلما دخلها لقيه أهل البلاد وسروا بقدومه، وسلموا إليه جميع الولايات، **واستقر عليه** لبهاء الدولة، في كل سنة خمسون ألف دينار، واشتغل عنه ابن واصل بحرب غيره.

وفي هذه السنة فتح يمين الدولة محمود بن سبكتكين مدينة بهاطية من أعمال الهند وهي وراء الملتان، وهي مدينة حصينة عالية السور.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة في هذه السنة سار يمين الدولة ففتح الملتان، ثم سار إلى نحو بيدا ملك الهند، فهرب إلى قلعته المعروفة بكاليجار فحصره بها، ثم صالحه على مال حمله إليه، وألبس ملك الهند خلعته، واستعفى من شد المنطقة، فلم يعفه يمين الدولة منها فشدها على كره.

غير ذلك من الحوادث

وفي هذه السنة قُلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين ولقب بالرضي، ولقب أخوة المرتضى فعل ذلك بهاء الدولة. وفيها توفي محمد بن إسحاق بن محمد ابن يحيى بن منده الأصفهاني، صاحب التصانيف المشهورة.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة قتل ابن واصل في هذه السنة وقع بين بهاء الدولة وأبي العباس بن واصل حروب، آخرها أن أبا العباس انهزم إلى البصرة ثم انهزم عنها، فأُسر وحُمل إلى بهاء الدولة، فأمر بقتله قبل وصوله إليه، وطيف برأس أبي العباس بن واصل المذكور بخورستان وكان قتله بواسط عاشر صفر.." (١)

"ذلك في التاريخ المذكور، وكان الصلح على أن لا يذكر بركيارق في البلاد التي استقرت لمحمد، وأن لا يتكاتبا بل تكون المكاتبة بين وزيريهما، وأن لا يعارض العسكر في قصد أيهما شاء، وأما البلاد التي استقرت لمحمد، ووقع عليها الصلح فهي: من النهر المعروف باسبيدز إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، ويكون له من العراق بلاد صدقة بن مزيد، ولما وصلت الرسل إلى المستظهر الخليفة بالصلح وما **استقر عليه** الحال، خطب لبركيارق ببغداد وكان شحنة بركيارق ببغداد أيلغازي بن أرتق.

ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام في هذه السنة سار صنجيل وقد وصله مدد الفرنج من البحر إلى طرابلس وحاصرها براً وبحراً، فلم يجد فيها مطمعاً، فعاد عنها إلى جبيل وحاصرها وتسلمها بالأمان، ثم سار إلى عكا، ووصل إليه من الفرنج

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ١٣٧/٢

جمع آخر من القدس، وحصروا عكا في البر والبحر، وكان الوالي بعكا من جهة خليفة مصر، اسمه بنا ولقبه زهر الدولة الجيوشي، نسبة إلى أمير الجيوش، وجرى بينهم قتال طويل حتى ملك الفرنج عكا بالسيف وفعلوا بأهلها الأفعال الشنيعة، وهرب من عكا بنا المذكور إلى الشام ثم سار إلى مصر، وملوك الإسلام إذ ذاك مشتغلون بقتال بعضهم بعضاً، وقد تفرقت الآراء واختلفت الأهواء وتمزقت الأموال، ثم إن الفرنج قصدوا حران فاتفق جكرمش صاحب الموصل وسقمان بن أرتق ومعه التركمان فتحالفا واتفقا وقصدا الفرنج واجتمعا على الخابور، والتقيا مع الفرنج على نهر البليخ، فنصر الله تعالى المسلمين وانهزمت الفرنج، وقتل منهم خلق كثير وأسر ملكهم القومص.

ذكر وفاة دقاق في هذه السنة في رمضان توفي الملك دقاق بن تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب دمشق، فخطب طغتكين الأتابك بدمشق لابن دقاق وكان طفلاً له سنة واحدة، ثم قطع خطبته وخطب لبلتاش بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة، ثم قطع خطبة بلتاش وأعاد خطبة الطفل، واستقر طغتكين في ملك دمشق.

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة سار صدقة بن مزيد صاحب الحلة إلى واسط واستولى عليها، وضمن البطيحة لمهذب الدولة بن أبي الخير بخمسين ألف دينار. وفيها توفي أمين الدولة أبو سعد الحسن بن موصلايا فجأة، وكان قد أضر، وكان بليغاً فصيحاً، خدم الخلفاء خمساً وستين سنة، لأنه خدم القائم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وكان نصرانياً فأسلم سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وكان كل يوم تزداد منزلته حتى تاب عن الوزارة، وكان كثير الصدقة جميل." (١)

"الكاتب: حسبت ما أطلقه السلطان في مدة مقامه بمرج عكا من خيل عراب وأكاديش، فكان اثني عشر ألف رأس، وذلك غير ما أطلقه من أثمان الخيل المصابة في القتال، ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو مرهوب، أو موعود به، ولم يؤخر صلاة عن وقتها، ولا صلى إلا في جماعة، وكان إذا عزم على أمر توكل على الله، ولا يفضل يوماً على يوم، وكان كثير سماع الحديث النبوي، قرأ مختصراً في الفقه تصنيف سليم الداري، وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب صحابه، يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه، وكان يوماً جالساً، فرمى بعض المماليك بعضاً بسر موزة، فأخطأته ووصلت إلى السلطان فأخطأته ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى ليتغافل عنها، وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحد في مجلسه إلا بالخير، وطاهر اللسان، فما يولع بشمتم قط.

قال العماد الكاتب: مات بموت السلطان الرجال، وفات بوفاته الأفضال، وغاضت الأيادي، وفاضت الأعادي، وانقطعت الأرزاق، وادلهمت الآفاق، وفجع الزمان بواحده وسلطانه، ورزئ الإسلام بمشيد أركانه.

ذكر ما **استقر عليه** الحال بعد وفاة السلطان لما توفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين، استقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها، ولده الملك الأفضل نور الدين علي وبالديار المصرية العزيز عماد الدين عثمان. وبحلب الملك الظاهر غياث الدين غازي. وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب. وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٢١٧/٢

وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر. وببعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب. وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي. وبيد الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين بصرى، وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل، وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون، منهم سابق الدين عثمان بن الداية، بيده شيزر، وأبو قبيس، وناصر الدين بن كورس بن خمار دكين بيده صهيون وحصن برزية. وبدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق بيده تل باشر. وعز الدين أسامة بيده كوكب وعجلون. وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدم بيده بعرين وكفر طاب وفامية. والملك الأفضل هو الأكبر من أولاد السلطان والمعهود إليه بالسلطنة، واستوزر الملك الأفضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير مصنف المثل السائر، وهو أخو عز الدين بن الأثير مؤلف التاريخ المسمى بالكامل، فحسن للملك الأفضل طرد أمراء أبيه، ففارقوه إلى أخويه العزيز والظاهر.

قال العماد الكاتب: وتفرد الوزير في توزره، ومد الجزري في جزره، ولما اجتمعت أكابر الأمراء بمصر حسنوا." (١)

"وأياماً.

ولما جرى ذلك، اجتمعت الأمراء واتفقوا على أن يقيموا شجرة الدر زوجة الملك الصالح في المملكة، وأن يكون عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحي، المعروف بالتركماني، أتابك العسكر، وحلفوا على ذلك، وخطب لشجرة الدر على المنابر، وضربت السكة باسمها، وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل، وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولداً ومات صغيراً، وكان اسمه خليل، فسميت والدة خليل، وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع، والدة خليل، ولما استقر ذلك، وقع الحديث مع ريد إفرنس في تسليم دمياط بالإفراج عنه، فتقدم ريد إفرنس إلى من بها من نوابه في تسليمها، فسلموها، وصعد إليها العلم السلطاني يوم الجمعة، لثلاث مضين من صفر من هذه السنة، أعني سنة ثمان وأربعين وستمائة، وأطلق ريد إفرنس، فركب في البحر بمن سلم معه نهار السبت، غد الجمعة المذكورة وأقلعوا إلى عكا، ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم إلى سائر الأقطار، وفي واقعة ريد إفرنس المذكورة، يقول جمال الدين يحيى بن مطروح أبياتاً منها:

قل للفرنسيس إذا جئته ... مقال صدق عن قؤول نصيح

أتيت مصراً تبتغي ملكها ... تحسب أن الزمر يا طبل ريح

وكل أصحابك أوردتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح

خمسون ألفاً لا يرى منهم ... غير قتيل أو أسير جريح

وقل لهم إن أضمروا عودة ... لأخذ ثار أو لقصد صحيح

دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باقي والطواشي صبيح

ثم عادت العساكر ودخلت القاهرة يوم الخميس، تاسع صفر من الشهر المذكور، وأرسل المصريون رسولاً إلى الأمراء الذين بدمشق، في موافقتهم على ذلك، فلم يجيبوا إليه وكان الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل صاحب

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٨٧/٣

الصبيبة، قد سلمها إلى الملك الصالح أيوب، فلما جرى ذلك، قصد قلعة الصبيبة، فسلمت إليه، وكان من الملك السعيد ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر ملك الملك المغيث الكرك كان الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، قد أرسله الملك المعظم توران شاه، لما وصل إلى الديار المصرية، إلى الشوبك، واعتقله بها، وكان النائب على الكرك والشوبك بدر الدين الصوابي الصالحي، فلما جرى ما ذكرناه من قتل الملك المعظم، وما **استقر عليه** الحال، بادر بدر الدين الصوابي المذكور، فأفرج عن المغيث وملكه القلعتين، الكرك والشوبك، وقام." (١)

"واستنزله وحصر سلامش، وقتله شر قتله.

وفيها اجتمع رأي حسام الدين لاجين، ونائبه منكوتمر، على روك الإقطاعات بالديار المصرية، فريكت جميع البلاد المصرية، وكتب بما **استقر عليه** الحال مثالات، وفرقت على أربابها فقبلوها طوعاً أو كرهاً.

وفيها توفي عز الدين أيبك الموصلي نائب الفتوحات وغيرها، وولى موضعه سيف الدين كرد أمير أخور.

وفيها في أواخر ذي القعدة من هذه السنة، هرب قبجق، والبكي، وبكتمر السلحدار، ومن انضم إليهم من حمص، وساق خلفهم أيدغدي شقير مملوك حسام الدين لاجين من حلب، مع جماعة من العسكر المجردين، ليقطعوا عليهم الطريق. ففاتهم قبجق ومن معه وعبروا الفرات، واتصلوا بقازان ملك التتر، فأحسن إليهم وأقاموا عنده حتى كان منهم ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها في أواخر ذي القعدة، وصل من حسام الدين لاجين دستوراً للملك المظفر صاحب حماة بالحضور من حلب إلى حماة، فسار الملك المظفر ووصل إلى حماة، واستمرت العساكر مقيمين بحلب إلى أن خرجت هذه السنة.

وفي الثامن والعشرين من شوال هذه السنة، أعني سنة سبع وتسعين وستمائة، توفي الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، قاضي القضاة الشافعي بحماة المحروسة، وكان مولده في سنة أربع وستمائة. وكان فاضلاً إماماً مبرزاً في علوم كثيرة، مثل المنطق والهندسة وأصول الدين والفقه والهيئة والتاريخ، وله مصنفات حسنة منها: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ومنها الأنبروزية في المنطق، صنفها للأنبروز ملك الفرنج صاحب صقلية، لما توجه القاضي جمال الدين المذكور رسولاً إليه في أيام الملك الظاهر بيبرس الصالحي، واختصر الأغاني اختصاراً حسناً، وله غير ذلك من المصنفات.

ولقد ترددت إليه بحماة مراراً كثيرة، وكنت أعرض عليه ما أحله من أشكال

كتاب إقليدس، وأستفيد منه، وكذلك قرأت عليه شرحه لمنظومة ابن الحاجب في العروض، فإن جمال الدين صنف لهذه المنظومة شرحاً حسناً مطولاً، فقرأته عليه، وصحت أسماء من له ترجمة في كتاب الأغاني، فرحمه الله ورضي الله عنه.

وكان توجه إلى الإمبراطور رسولاً من جهة الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر والشام، في سنة تسع وخمسين وستمائة، ومعنى الإمبراطور بالإفرنجية، ملك الأمراء، ومملكته جزيرة صقلية، ومن البر الطويل بلاد أنبولية والأنبردية، قال جمال الدين: ووالد الإمبراطور الذي رأيته، كان يسمى فردريك، وكان مصافياً للسلطان الملك الكامل، ثم مات فردريك المذكور في سنة

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ١٨٢/٣

ثمان وأربعين وستمائة. وملك صقلية وغيرها من البر الطويل بعده، ولده كرا بن فردريك، ثم مات كرا، وملك بعده أخوه منفريد بن فردريك، وكل من ملك منهم يسمى إمبراطور، وكان الإمبراطور من بين ملوك الفرنج مصافياً للمسلمين، ويحب العلوم.

قال: فلما وصلت إلى الإمبراطور منفريد المذكور أكرمني، وأقمت عنده في مدينة من." (١)

"الجاشنكير من قلعة الجبل إلى جهة الصعيد وخرج سلار إلى طاعة مولانا السلطان، والتقاه يوم الاثنين الثامن والعشرين من رمضان، قاطع بركة الحجاج، وقتل الأرض وضرب لمولانا السلطان الدهليز بالبركة في النهار المذكور، وأقام بها يوم الثلاثاء سلخ رمضان، وعيد يوم الأربعاء بالبركة، ورحل السلطان في نهاره والعساكر الشامية والمصرية سائرون في خدمته وعلى رأسه الجتر ووصل إلى قلعة الجبل وسار إليها واستقر على سرير ملكه بعد العصر من نهار الأربعاء، مستهل شوال من هذه السنة، أعني سنة تسع وسبعمائة، الموافق لرابع آذار من شهور الروم، وهي سلطنته الثالثة، وفي يوم الجمعة ثالث شوال، وهو اليوم الثالث من وصول مولانا السلطان، سار سلار من قلعة الجبل إلى الشوبك بحكم أن السلطان أنعم بها عليه، وقطع خبزه من الديار المصرية، وأعطى السلطان نيابة السلطنة بحلب سيف الدين قبجق، وارتجع منه حماة، وسار قبجق من مصر يوم الخميس تاسع شوال، ورسم لعسكر حماة بالمسير معه، وتصدق علي وطيب خاطري بأنه لا بد من إنجاز ما وعدني به من ملك حماة، وإنما أخر ذلك لما بين يديه من المهمات والأشغال المعوقة من ذلك، فسرنا مع قبجق من مصر متوجهين إلى الشام، في التاريخ المذكور ووصلنا إلى حماة يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة من هذه السنة، ثم رسم السلطان للأمير جمال الدين أقوش الأفرم بصرخد، فسار إليها، وقرر نيابة السلطنة بالشام لشمس الدين قراسنقر، وقرر حماة للحاج بهادر الظاهري، ثم ارتجعها منه وقرره في نيابة السلطنة بالحصون والفتوحات، بعد عزل أسندمر عنها، وكان قد حصلت بيني وبين أسندمر عداوة مستحكمة، بسبب ميله إلى أخيه، فقصد أن يعدل بحماة عني إليه، فلم يوافقه السلطان إلى ذلك، فلما رأى أن السلطان يتصدق بحماة علي، طلبها أسندمر لنفسه، فما أمكن السلطان منعه منها، فرسم السلطان بحماة لأسندمر، وتأخر حضوره لأمور اقتضت ذلك، وقرر السلطان الأمير سيف الدين بكتمر الجوكاندار في نيابة السلطنة بديار مصر.

ذكر القبض على بيبرس الجاشنكير

الملقب بالملك المظفر

كان المذكور قد هرب من قلعة الجبل، عند وصول مولانا السلطان إلى الصالحية، وأخذ منها جملاً كثيرة من الأموال والخيول، وتوجه إلى جهة الصعيد، فلما استقر مولانا السلطان بقلعة الجبل، أرسل إليه وارتجع منه ما أخذه من الخزائن بغير حق، ثم إن بيبرس المذكور قصد المسير إلى صهيون، حسبما كان قد سأله، فبرز من أطفيح إلى السويس، وسار إلى الصالحية، ثم سار منها حتى وصل إلى موضع بأطراف بلاد غزة يسمى العنصر، قريب الداروم، وكان قراسنقر متوجهاً إلى دمشق نائباً

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٣٨/٤

بها، على ما استقر عليه الحال، فوصل إليه المرسوم بالقبض على بيبرس الجاشنكير، فركب قراسنقر وكبسه بالمكان المذكور، وقبض عليه به." (١)

"بالشفائع، وتارة بالسعي في ذهاب حماة مني، فلم أجد لذلك ما يحسمه إلا بتعيين المعرة وبلادها للأمراء المذكورين، وإضافتها إلى حلب، وانفرادي بحماة وبارين منفصلة عن الممالك الشريفة السلطانية، وسألت صدقات السلطان في ذلك، وقال لي أيا عماد الدين، ما أرضى لك بدون ما كان في يد عمك وابن عمك وجدك، وكيف أنقصك عنهم المعرة، فعاودت السؤال وأبديت التضرر الزائد، فأجابني على كره لذلك، صدقة علي وإجابة إلى سؤالي، وكتب بصورة ما استقر عليه الحال مرسوماً شريفاً، ذكرنا بعضه طلباً للاختصار. فمنه أفلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري، أن يستقر بيده حماة وبارين بجميع حدودها، وما هو منسوب إليها من بلاد وضياع وقرايا، وجهات وأموال ومعاملات، وغير ذلك، من كل ما ينسب إلى هذين الإقليمين ويدخل في حكمهما، يتصرف في الجميع كيف شاء من تولية، وإقطاع إقطاعات الأمراء والجند وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف، وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما، ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته، ويجري ذلك على عادة الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة، ويقيم على هاتين الجهتين خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير نقص، ويبطل حكم ما عليهما من المناشير والتواقيع الشريفة والمسامحات والمحسوب، وكل ما هو مرتب عليهما للأمراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم، بحكم الإنعام بهما على المشار إليه، على قاعدة الملك المظفر صاحب حماة، وتعويض الجميع عن ذلك بالمعرة، وإفرادها عن حماة وبارين، فليستقر جميع ما ذكر بيده العالية، استقرار الدرر في أملاكها، والدراري في أفلاكها، ينصرف في أحوالها بين العالمين بنهيه وأمره، ويجري أموالها بين المستوجبين بإنعامه وبرة، ولا يمضي فيها أمر بغير منشوره الكريم، ولا يجري معلوم ولا رسم إلا بمرسومه الجاري على سنن سلفه القديم، وليفعل في ذلك بجميع ما أراد كيف أراد، ويتصرف على ما يختار فيما تحت حكمه الكريم، وبحكمة من مصالح العباد والبلاد، والله تعالى يعلي بمفاخر عماده، ويجعل التأييد والنصر قرين إصداره وإيراده، والخط الشريف حجة بمضمونه إن شاء الله تعالى، كتب في تاسع عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة. ثم تصدق بخلعه ثانية، وأنعم علي بسنجق بعصائب سلطانية، يحمل على رأسي في المواكب وغيرها، وهذا مما يختص به السلطان، ولا يسوغ لأحد غيره حمله، ثم رسم بالدستور، فسرت من دمشق في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من المحرم، وكذلك توجه السلطان عائداً إلى الديار المصرية، فوصل إليها واستقر في مقر ملكه، ودخلت، أنا حماة في يوم الإثنين مستهل صفر من هذه السنة، الموافق للثامن والعشرين من أيار من شهور الروم.." (٢)

"صدقات السلطان بالديار المصرية في العشر الأول من ربيع الأول، فتصدق عليه السلطان وانعم عليه الإنعامات الجليلة، وأعرض عليه إمرية كبيرة وإقطاعاً جليلاً، فأبى أن يقبل ذلك، وأن يسلك ما ينبغي، واتفق أن الصلح قد انتظم بين السلطان وبين أبي سعيد، وكان أبو سعيد يكاتب ويطلب تمرتاش المذكور بحكم الصلح وما استقر عليه القواعد، فرأى

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٥٨/٤

(٢) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٧٢/٤

السلطان من المصلحة إمساك تمرتاش المذكور، وانضم إلى ذلك ما بلغ السلطان عنده أنه أخذ أموال أهل بلاد الروم وظلمهم الظلم الفاحش، فأمسكه السلطان واعتقله في أواخر شعبان من هذه السنة، ثم حضر أباجي رسول أبي سعيد، فبالغ في طلب تمرتاش المذكور، فاقتضت المصلحة إعدامه، فأعدم تمرتاش المذكور في رابع شوال من هذه السنة بحضرة أباجي رسول أبي سعيد.

وفيها وصل أباجي رسول أبي سعيد وعبر على حماة في أواخر شعبان، وصحبته أرلان قرائب والدة السلطان وتوجه إلى الأبواب الشريفة بسبب تمرتاش، وكان من أمره ما شرح، وعاد أباجي رسول المذكور من الأبواب الشريفة، وعبر على حماة في التاسع عشر من شوال وتوجه إلى جهة أبي سعيد.

وفيها يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة توفي مملوكي أسنبغا، وكان قد بقي من أكبر أمراء عسكر حماة رحمه الله.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة وكانت غرة المحرم من هذه السنة، يوم الجمعة رابع تشرين الثاني، ولم يبلغني في أوائلها ما يليق أن يؤرخ والله أعلم.

ذكر أخبار الصبي صاحب سيس

في هذه السنة اشتد الصبي صاحب سيس، وهو ليفون بن أوشين، وكان الحاكم عليه صاحب الكرك - بكافين الأولى مفتوحة وبينهما راء مهملة ساكنة - وهي قليعة قريب البحر، في أطراف بلد سيس من جهة الغرب والشمال، وهي تتاخم بلاد ابن قرمان، وكان صاحب الكرك المذكور قد استولى على مملكة صاحب سيس، بحكم صغر الصبي المذكور، فلما كانت هذه السنة قوي الصبي وقتل صاحب الكرك وأخاه بعده، وأرسل رأس صاحب الكرك إلى السلطان فأرسل السلطان تشريفاً وسيفاً وفرساً بسرجه ولجامه، مع الأمير شهاب الدين أحمد المهمندار بالأبواب الشريفة، فتوجه شهاب الدين بذلك إلى الصبي صاحب سيس فلبى صاحب سيس الخلعة، وشذ السيف وقبل الأرض، وركب الفرس المتصدق به عليه، وقويت نفسه بذلك، وأوصل شهاب الدين المهمندار المذكور أنعاماً كثيراً وعماد شهاب الدين إلى الأبواب الشريفة، وعبر على حماة متوجهاً إلى الأبواب الشريفة يوم الخميس، ثاني عشر جمادى الآخرة.

وفي هذه السنة وصلني من صدقات السلطان من الحصن البرقية اثنان بالعدة الكاملة صحبة، علاء الدين أيدغي أمير أخور، لي ولابني محمد، وركبنا." (١)

"ويسلمونه إِلَيْهِ مَخْتُومًا؛ وَهُوَ عِنْدِي مِمَّا لَا يجوز الْعَمَل بِهِ، وَلَا إِنْفَاذه، لَا سِيمَا إِذا كَانَ حامله صَاحب الْحُكُومَة. وَقد ذكر ابْن حبيب عَن ابْن الْقَاسِم وَغَيره: إِذا كَانَ حَامِل الْكتاب صَاحب الْقَضِيَّة، لم يجر فِيمَا هُوَ أخف من هَذَا فِي تحمله من عِنْد الْأمين، أَو من عِنْد الْفَقِيه وَشبهه. فَكيف فِي نفس الْحُكُومَة وَمن قَاضِي بَلَده إِلَى قَاضِي بَلْدَة أُخْرَى؟ هَذَا لَا يجوز عِنْد أحد، وَالْقَضَاء بِهِ مفسوخ؛ وَالله أعلم ﴿وَأما إِذا تحمل الْكتاب شَاهِدَانِ، وشهدا بِهِ عِنْد الْمَكْتُوب إِلَيْهِ، وَأثْنى عَلَيْهِمَا بِخَير، وَأَن لم تكن تعديلاً بَينا وزكى أَحدهمَا، وَلم يزك الآخر، أَو توهم فيهمَا الصّلاح، وَكَانَ الْخَتْم والخط مشهورين

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٤/٩٩

معروفين عِنْد الْمَكْتُوب إِلَيْهِ؛ فَأَنا لَا أستحسن إجَازَة مثل هَذَا أَو إِنْفَاذه لَهُ، لتعذر مُوَافقَة الْعُدُول عَن الطَّالِب، وَلما قد جرى بِهِ الْعَمَل فِي صدر السّلف الصَّالح من إجَازَة الْخَاتم. وَالله أعلم بِالصَّوَابِ﴾ وَمن هَذَا الأَصْل: إِن مُحَمَّد بن شماخ، قَاضِي غافق، خَاطب صَاحب الْأَحْكَام بقرطبة مُحَمَّد بن اللَّيْث بخطاب أدرج فِيهِ إِلَيْهِ كتاب عِيسَى بن عتبَة فَقِيه مكناسة، وَعقد استرعاء بِملك بغل بعث فِيهِ ثَبت اسْتِحْقَاقه عِنْد ابْن عتبَة فَقِيه مكناسة على عين الْبَغْل وَعين مُسْتَحقّه؛ وَقَالَ ابْن شماخ فِي كِتَابه إِلَى صَاحب الْأَحْكَام: ثَبت عِنْدِي كتاب الْفَقِيه ابْن عتبَة مستخلف قَاضِي الْجوف، المدرج فِي طي كتابي إِلَيْك. وَلم يسم الْقَاضِي الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ من هُوَ، وَلَا سمي ابْن عتبَة وَلَا كناه، وَلَا أَن ثُبُوته كَانَ عِنْده على عين الْبَغْل ومستحقه؛ وشاور صَاحب الْأَحْكَام فِي ذَلِك؛ فَأفْتى ابْن عتاب وَابْن الْقطَّان وَابْن مَالك أَن إِعْمَال خطاب ابْن شماخ هَذَا وَاجِب، وَأَن الحكم فِيهِ نظر مِنْهُ مَحْمُول على الْإِكْمَال؛ وَفِي اتِّفَاقهم على الْجَواب عجب، وَفِيه من الضعْف مَا فِيهِ؛ وَقد كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيمَا هُوَ أصح من هَذَا فِي النّظر؛ وَمَا جوابهم هَذَا إِلَّا مُسَامَحَة. وَالله أعلم! قلت: وَالَّذِي اسْتَقر عَلَيْهِ الْعَمَل لهَذَا الْعَهْد، بالأندلس وَالْمغْرب، مَا تعرفناه عَن كثير من بِلَاد الْمشرق من الِاقْتِصَار على معرفَة الخطوط بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهَا؛ فَإِذا أثبت عِنْد الْحَاكِم الْمَكْتُوب إِلَيْهِ أَن الْخطاب هُوَ بِخَط يَد القَاضِي الَّذِي خاطبه بِهِ، وَكتب اسْمه فِيهِ قبله، إِن كَانَ عِنْده من أهل الْقبُول، وأمضاه، وَحكم بِمُقْتَضَاهُ. وَمَا استأهل الْمُتَأَخّرُونَ الْأَخْذ." (١)

"في منامه قبل أن يلي بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم و [هو] [١] يقول له: سيصل هذا الأمر إليك فاقتف بي فتلقب المقتفي لأمر الله.

ثم ان السلطان مسعودا بعد أن أظهر العدل ونادى بإزالة النزل من دور الناس ونهى ١٣٨/ ب عن النهب بعث فأخذ جميع ما كان في دار الخلافة من خيل وبغال/ وأثاث وذهب وفضة وزلالي وستور وسرادق وحصر ومساند، وطالب الناس بالخراج والبرات [٢] ، ولم يترك في إصطبل الخاص سوى أربعة أرؤس من الخيل، وثلاثة من البغال برسم الماء، فقيل إنهم أخذوا ذلك ليحسبوا [٣] مما تقرر على الخليفة [وكان قد تقرر عليه مائة وعشرين ألف دينار] [٤] ، وقيل بل بايعوا على أن لا يكون عنده خيل ولا آلة سفر وأخذوا جواري خادمات وغلمان، وكان ابن الداريج ينوب عن العميد، فضمن أطيان سلاحية [٥] الخليفة بمائة ألف دينار، فأخذت أموالهم ومضت خاتون إلى السلطان تستعطفه، فاجتازت بالسوق وبين يديها القراء والأتراك، وكان عندها جهات الراشد وأولاده، فعادت وقد تحرر جميع ما كان للخليفة من بلاده.

وفي خامس ذي الحجة قدم ابن دبيس فتلقى من عند صرصر بكاس من عند السلطان فشربه وهو يبكي ويرتعد، فبعث إليه فرس ومركب ودخل إلى السلطان وخرج سالما، وفي تلك الليلة جاءت أصحاب السلطان إلى صاحب المخزن يطالبونه بما استقر عليهم فأدخلهم إلى دار الخلافة، ودخل إلى حجر المسترشد والراشد وأظهر نساءهما وسراريهما وأمرهن بالكلام [٦] ، وإظهار ما عندهن من المال وقال لأصحاب السلطان: خوفوهن، وأمر بكشف وجوههن، فأخذوا تلك الليلة ما قدروا عليه من حلي ومصاغ [٧] ثم إن السلطان ركب سفينة ودخل على أمير المؤمنين المقتفي في تاسع ذي الحجة فبايعه، وقلد الوزير شرف الدين ديوان الخليفة، وكان قد قرر عليه مائة ألف وعشرين ألف دينار.

---

(١) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس النباهي ص/١٨٢

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٢] في الأصل: «وطالب الناس بالخراج والترات» .

[٣] في ت: «أخذوا ذلك ليحتسبونه» .

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، أثبتناه من ت.

[٥] في الأصل: «فضمن أعيان سلاحية» .

[٦] في ص، ط: «وأمرهما بالكلام» .

[٧] في ص، ط: «من حلي ومتاع» .." (١)

"وفي يوم الجمعة حادي عشرين ذي الحجة وصلت الأخبار بأن الراشد دخل إلى الموصل.

وفي رابع عشر الشهر أذن المقتفي/ في بيع عقاره وتوفية السلطان ما **استقر عليه** ١٣٩/ أمن الأموال، ورفع المصادرة [١] عن الناس، وكانت قد كثرت فلم يتجاسر أحد يشتري، وتقلد صاحب المخزن وزارة خاتون ومضى إلى خدمتها، وقلد الطاهر أبو عبد الله أحمد بن علي بن المعمر نقابة الطالبيين مكان أبيه.

ونهب عسكر زنكي في طريقهم بأوانا.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٤٠١١- أحمد بن هبة الله بن الحسين، أبو الفضل الإسكاف المقرئ ويعرف بابن العالمة بنت الداري

[٢] :

ولد سنة ثمان وخمسين، وتلقن القرآن على الشيخ أبي منصور الخياط، وقرأ بالقراءات على أبي الوفاء بن القواس، وغيره.

وسمع أبا الحسين ابن النقور، والصريفيني وغيرهما، وسمعت منه الحديث، وكان ثقة أمينا.

وتوفي في شوال هذه السنة.

٤٠١٢-[جوهرة بنت عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري:

سمعت جدنا وحدثت، وتوفيت في هذه السنة] [٣] .

٤٠١٣- علي بن أحمد بن الحسن بن عبد الباقي، أبو الحسن الموحد المعروف بابن البقشلان:

كذا رأيته بخط شيخنا ابن ناصر الحافظ، وقال غيره: البقشلام بالميم، قال أبو

[١] في الأصل: «من المال ودفع المصادرة» .

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣١٤/١٧

[٢] في ت: «الرازيّ» .

[٣] هذه الترجمة ساقطة من الأصل، ط، ص.." (١)

"وداود، فلما سمع الراشد بذلك نفذ إلى زنكي يقول له: غدرت، فقال: ما لي بمسعود طاقة فالمصلحة ان تمضي إلى داود، فمضى في نفر قليل وتخلى عنه وزيره ابن صدقة ١٤٢/ أودخل الموصل ولم يبق معه صاحب عمامة سوى أبي الفتوح/ الواعظ، وكان قد نفذ مسعود ألفي فارس للقبض عليه ففاتهم ومضى إلى مراغة، فدخل إلى قبر أبيه وحثا التراب على رأسه، فحمل إليه أهل البلد الأموال، وكان يوما مشهودا، وقوى داود وضرب المصاف مع مسعود فقتل من أصحاب مسعود خلق كثير [١] .

وفي يوم السبت ثاني عشرين ربيع الأول: جلس ابن الخجندي مدرسا [٢] في النظامية.

وفي يوم الاثنين رابع عشرين من الشهر: قبض على صاحب المخزن ووكل به في دار السلطان على بقية ما **استقر عليه** من المال، ومات رجل فأخذ ماله أصحاب التركات فعاد أصحاب السلطان وأخذوا ماله من المخزن، وأخذت تركات الحشرية من الخليفة، وأخذوا الحفارين والغسالين وكتبوا عليهم، وأشهدوا أن لا يكتموهم شيئا فصاروا لا يقدرون على قبر ميت [٣] إلا برقعة من العميد، ولم يبق للخليفة إلا العقار الخاص، وأعيد صاحب المخزن بعد أن كفل به جماعة وكتبوا خطوطهم بالضمان الوزير وسديد الدولة.

وفي يوم الاثنين تاسع ربيع الآخر: جلس أبو النجيب في دار رئيس الرؤساء بالقصر للتدريس وجعلت الدار مدرسة [٤] وحضر عنده جماعة من الفقهاء والقضاة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشره: بنيت دكة في جامع القصر للقاضي أبي يعلى بن الفراء في الموضع الذي كان يجلس فيه، ثم نقضت في يوم الخميس ثامن عشره، ومنع من ١٤٢/ ب كان/ يجلس ونودي بالجلوس في النظامية يوم الاثنين ثالث عشرين الشهر فاجتمع خلق عظيم، فحضر وزير السلطان فقعد والمستوفي والشحنة ونظر وسديد الدولة وجماعة الفقهاء والقضاة وحضرت يومئذ فكان لا يحسن يعظ ولا ندار في ذلك.

---

[١] إلى هنا انتهى السقط الأول من ت.

[٢] في الأصل: «جلس الخجدري مدرسا» .

[٣] في الأصل: «فصاروا لا يقتدرون على قبر الميت» .

[٤] «وجعلت الدار مدرسة» : ساقطة من ص، ط.." (٢)

"ومن ذلك

كور الحوف الغربيّ: كورة صا، وكورة شباس، وكورة اليدقون وحيزها، وكورة الخيس والشراك، وكورة خربتا، وكورة قرطسا

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣١٥/١٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٢٢/١٧

ومصيل والمليدس، وكورتا اخنا والبحيرة ورشيد، وكورة الإسكندرية، وكورة مريوط، وكورة لوبية ومراقية.

ومن

كور القبلة: كرى الحجاز وهي: كورة الطور وفاران، وكورة راية والقلزم، وكورة ايلة وحيزها ومدين وحيزها والعونيد والحوراء وحيزها، ثم كورة بدا أو شغب.

وذكر من له معرفة بالخراج، وأمر الديوان أنه وقف على جريدة عتيقة بخط ابن عيسى بقطر بن شغا الكاتب القبطيّ المعروف: بالبولس متولي خراج مصر للدولة الإخشيدية.

يشتمل على ذكر كور مصر وقراها إلى سنة خمس وأربعين وثلثمائة إن قرى مصر بالصعيدين، وأسفل الأرض ألفان وثلثمائة وخمس وتسعون قرية منها بالصعيد: تسعمائة وست وخمسون قرية، وبأسفل الأرض: ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية، وهذا عددها في الوقت الذي جرّدت فيه الجرائد المذكورة، وقد تغيرت بعد ذلك بخراب ما خرب منها.

وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضي الله عنه: لما ولي الوليد بن رفاعة مصر، خرج ليحصي عدّة أهلها، وينظر في تعديل الخراج عليهم، فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ أسوان، ومعه جماعة من الكتاب، والأعوان يكفونه ذلك بجدّ وتشمير، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض، وأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية، فلم يحصر في أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك خمسة آلاف ألف رجل.

والذي استقرّ عليه الحال في دولة الناصر (محمد بن قلاوون) أن الوجه القبلي ستة أعمال وهي من عمل قوص، وهو أجلها، ومنه أسوان وغرب قوله، وعمل أخميم، وعمل أسيوط، وعمل منفلوط، وعمل الأشمونين وبها الطحاوية، وعمل البهنساوية الغربيّ، وهو عبارة عن قرى على غربي المنهي المارّ إلى الفيوم، وعمل الفيوم، وعمل أطفيح، وعمل الجيزة.

والوجه البحري ستة أعمال: عمل البحيراء، وهو متصل البرّ بالإسكندرية وبرقة، وعمل الغربية جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين، وهما البحر المارّ مسكبه عند دمياط ويسمى الشرقيّ، والبحر الثاني مسكبه عند رشيد ويسمى الغربي، والمنوفية ومنها:

ابيار، وجزيرة بني نصر، وعمل قليوب، وعمل الشرقية، وعمل أسموم طناح ومنها:

الدقهلية والمرتاحية، وهناك موقع ثغر البرلس، وثغر رشيد والمنصورة، وفي هذا الوجه الإسكندرية ودمياط ولا عمل لهما.." (١)

"خرجت الأوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها بعد أن أنذر حاضرها وغائبها وتوافى وصولها، وتكامل سلاحها وخيولها، فحضر في هذا اليوم جموع شهد كل من علا سنه وقرطس «١» ظنه أن ملكا من ملوك الإسلام لم يحز مثلها، وشاهدت رسل الروم والفرنج ما أرغم أنوف الكفرة، ولم يتكامل اجتياز العساكر موكبا بعد موكب، وطلبا بعد طلب. والطلب بلغة الغز هو: الأمير المقدّم الذي له علم معقود، وبوق مضروب، وعدّة من مائتي فارس إلى مائة فارس إلى سبعين فارسا إلى أن انقضى النهار، ودخل الليل، وعاد ولم يكمل عرضهم، وكانت العدّة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٣٩/١

منها عشرون طلبا، وتقدير العدّة يناهز أربعة عشر ألف فارس أكثرها طواشية، والطواشي: من رزقه من سبعمائة إلى ألف إلى مائة وعشرين، وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤوس إلى ما دونها ما بين فرس، وبرذون وبغل وجمل وله، غلام يحمل سلاحه وقرا غلامية تتمة الجملة.

قال: وفي هذه السفرة عرض العربان الخدّامين، فكانت عدّتهم سبعة آلاف فارس واستقرّت عدّتهم على ألف وثلثمائة فارس لا غير. وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار على حكم الاعتداد الذي يتأصل ولا يتحصل وكلف التغالبة ذلك، فامتعضوا ولوّحوا بالتحيز إلى الفرنج.

وقال في متجدّدات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة، استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور الإقطاعات، ومعرفة عبرها والنقص منها، والزيادة فيها وإثبات المحروم وزيادة المشكور إلى أن استقرّت العدّة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارسا أمراء مائة وأحد عشر أميرا طواشية «٢» ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قراغلامية ألف وخمسمائة وثلاثون وخمسون، والمستقرّ لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون ألفا وخمسمائة دينار، وذاك خارج عن المحلولين من الأجناد الموسومين بالجوالة على العشر، وعن عدّة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة، وعن الكاتبين والمصريين والفقهاء والقضاة والصوفية، وعما يجري بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار.

وقال في متجدّدات سنة خمس وثمانين وخمسمائة أوراق بما **استقر عليه** عبر البلاد من إسكندرية إلى عيذاب إلى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وأبواب الأموال الديوانية والأحكار والحبس ومنفلوط ومنقباط، وعدّة نواح أوردت أسماءها ولم يعين لها في الديوان عبرة من جملة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف." (١)

"والحكاك يزيد به إلى أن قطع العمل، وقام لما به، فعولج حينئذ بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة، وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء، قال تعالى: وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر/ ٤٣] .

ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن، فاتضع خراجها إلى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه، المعز لدين الله أبي تميم معدّ، فجبى الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ونيفا، وأمر الوزير الناصر للدين أبو الحسين عبد الرحمن اليازوري وزير مصر، في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر أن يعمل قدر ارتفاع الدولة، وما عليها من النفقات، فعمل أرباب كل ديوان ارتفاعه، وما عليه وسلّم الجميع لمتولي ديوان المجلس، وهو زمام الدواوين، فنظم عليه عملا جامعا وأتاه به، فوجد ارتفاع الدولة ألفي ألف دينار منها، الشام ألف ألف دينار، ونفقاته بإزاء ارتفاعه، والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار. قال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج: وقفت على مقايسة عملت لأمير الجيوش، بدر الجمالي «١» حين قدم مصر في أيام الخليفة المستنصر وغلب على أمرها، وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها أن الذي اشتمل عليه الارتفاع في الهلاليّ لسنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وفي الخراجيّ على ما يقتضيه الديوان فيه، مما كان جاريا في الأعمال المصرية من الخراج، وما يجري معه، والمضمون والمقطع

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٦٣

والمورد بغيره والمحلول بالقاهرة ومصر وضواحيهما وناحيتي الشرقية والغربية من أسفل الأرض، وأعمالها وتنيس ودمياط وأعمالها والإسكندرية والبحيرة والأعمال الصعيدية العالية، والدانية وواحات، وعيذاب لسنة ثمانين وأربعمائة الخراجية على الرسوم المصرية، وما كان من الأعمال الشامية التي أوّلها من حدّ الشجرتين، وهو أوّل الأعمال الفلسطينية والأعمال الطبرابلسية ولسنة ثمان وسبعين وأربعمائة الخراجية على ما استقرّت عليه الجملة عينا ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف دينار، وإن الذي **استقرّ عليه** جملة ما كان يتأدّى في سنة ست وستين وأربعمائة الهلالية قبل نظر أمير الجيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين وأربعمائة الخراجية، فكان مبلغها ألفي ألف وثمانمائة ألف دينار، وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار، مما أعرب عنه حسن العمارة، وشمول العدل، وكان نظم هذه المقايسة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة.

وذكر ابن ميسر: أن الأفضل بن أمير الجيوش أمر بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر، فجاء خمسة آلاف ألف دينار.." (١)

"المهرانيّ على ساحل الحمراء، وهي موضع قناطر السباع، فيمرّ النيل بساحل الحمراء إلى المقس موضع جامع المقس الآن، وفيما بين الخليج، وبين ساحل النيل بساتين الفسطاط، فإذا صار النيل إلى المقس حيث الجامع الآن مرّ من هناك على طرف الأرض التي تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالجرف، وصار إلى البعل، ومرّ على طرف منية الأصبغ من غربيّ الخليج إلى المنية، وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلي بحريّ موضع القاهرة مسجد بني على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ثم مسجد تبر الإخشيديّ، فعرف بمسجد تبر، والعامّة تقول: مسجد التبن، ولم يكن الممرّ من الفسطاط إلى عين شمس، وإلى الحوف الشرقيّ، وإلى البلاد الشامية إلّا بحافة الخليج، ولا يكاد يمرّ بالرملة التي في موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا، ولذلك كان بها دير للنصارى إلّا أنه لما عمر الإخشيد البستان المعروف: بالكافوريّ، أنشأ بجانبه ميدانا، وكان كثيرا ما يقيم به، وكان كافور أيضا يقيم به، وكان فيما بين موضع القاهرة، ومدينة الفسطاط مما يلي الخليج المذكور: أرض تعرف في القديم منذ فتح مصر بالحمراء القصوى، وهي موضع قناطر السباع، وجبل يشكر حيث الجامع الطولونيّ، وما دار به، وفي هذه الحمراء عدّة كنائس، وديارات للنصارى خربت شيئا بعد شيء إلى أن خرب آخرها في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، وجميع ما بين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من العمائر، فإنه حادث بعد بناء القاهرة، ولم يكن هناك قبل بنائها شيء البتة، سوى كنائس الحمراء، وسيأتي بيان ذلك مفصلا في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ذكر حدّ القاهرة

قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذي **استقرّ عليه** الحال أنّ حدّ القاهرة من مصر من السبع سقايات، وكان قبل ذلك من المجنونة إلى مشهد السيدة رقية عرضا، اهـ. والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور الحجر الذي طوله من باب زويلة الكبير إلى باب الفتوح وباب النصر، وعرضه من باب سعادة، وباب الخوخة إلى باب البرقية والباب المحروق، ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة، وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر، وبنوا خارج باب الفتوح، وباب النصر إلى أن انتهت العمائر إلى الريدانية، وبنوا خارج باب القنطرة إلى

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٨٧

حيث الموضع الذي يقال له بولاق حيث شاطىء النيل، وامتدّوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ إلى أن اتصلت بمنشأة المهرانيّ، وبنوا خارج باب البرقية، والباب المحروق إلى سفح الجبل بطول السور، فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين: أحدهما يقال له: القاهرة، والآخر يقال له: مصر. فأما مصر: فإنّ حدّها على ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذي نحن فيه من حدّ أوّل قناطر السباع إلى طرف بركة الحبش القبليّ، مما يلي بساتين الوزير، وهذا هو." (١)

"بعضه: ألفان وأربعمائة دينار، واستعمل كسوة برسمه بمال جليل، وأنفق على العشاريات التي برسم النزه البحرية التي عدّتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها، وكساها وحلاها من مناطق، ورؤوس منجوقات، وأهلة وصفريات، وغير ذلك: أربعمائة ألف دينار.

وقال ابن الطوير: إذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك: طالع ابن أبي الرّدّاد بما **استقرّ عليه** أذرع القاع في اليوم الخامس والعشرين من بؤونة «١» ، وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربيّ، فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت إلى ديوان المكاتبات، فنزلت في السير المرتب بأصل القاع، والزيادة بعد ذلك في كل يوم، تؤرخ بيومه من الشهر العربيّ، ما وافقه من أيام الشهر القبطيّ لا يزال كذلك، وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبل الخليفة، وبعده الوزير، فإذا انتهى في ذراع الوفاء، وهو السادس عشر إلى أن يبقى منه أصبع أو أصبعان وعلم ذلك من مطالعته.

أمر أن يحمل إلى المقياس في تلك الليلة من المطابخ: عشرة قناطير من الخبز السميذ وعشرة من الخراف المشوية، وعشرة من الجامات الحلواء، وعشر شمعات، ويؤمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس فيحضر إليه قرّاء الحضرة، والمتصدّرون بالجوامع بالقاهرة ومصر، ومن يجري مجراهم، فيستعملون ذلك ويقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة، وهم يتلون القرآن برفق، ويطرّبون بمكان التطريب، فيختمون الختمة الشريفة ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس، فيوفي الماء ستة عشر ذراعا في تلك الليلة، ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم، ويبتهجون به ابتهاجا زائدا، وذلك لأنه عمارة الديار، وبه التئام الخلق على فضل الله، فيحسن عند الخليفة موقعه، ويهتمّ بأمره اهتماما عظيما أكثر من كل المواسم، فإذا أصبح الصبح من هذا اليوم، وحضرت مطالعة ابن أبي الرّدّاد إليه بالوفاء، ركب إلى المقياس لتخليقه، فيستدعي الوزير على العادة، فيحضر إلى القصر، فيركب الخليفة بزيّ أيام الركوب من غير مظلة، ولا ما يجري مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب، والوزير تابعه في الجمع الهائل على ترتيب الموكب، ويخرج شاقا من باب زويلة، وسالكا الشارع إلى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم: بسيف الإسلام، فيعطف سالكا على جامع ابن طولون، والجسر الأعظم بين الركنين إلى الساحل بمصر إلى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقيّ على دار الفاضل إلى باب الصاغة بجوارها، وله دهليز مادّ بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانيّ بسطا وتأزيرا، فيشقها والوزير تابعه، فيخرج منها منعطفا على الصناعة الأخرى، وكانت برسم المكس إلى السيوفيين، ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة، ثم إلى دار الملك فيدخل من الباب المقابل لسلوكه، فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه." (٢)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٠٢

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٤١١

"الصالحية لما تشتتوا عند قتل الفارس أقطاي في أيام المعز أيبك، بقيت أولادهم بمصر في حالة رذيلة، فعندما أفضت السلطنة إلى قلاون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة، ورسم أن يكونوا جالسين على باب القلعة، وسمّاهم البحرية، وإلى اليوم طائفة من الأجناد تعرف بالبحرية.

وأما البلاد الشامية، فليس للنائب بالمملكة مدخل في تأمير أمير عوض أمير مات، بل إذا مات أمير سواء كان كبيرا أو صغيرا طولع السلطان بموته فأمّر عوضه، إما ممن في حضرته ويخرجه إلى مكان الخدمة، أو ممن هو في مكان الخدمة، أو ينقل من بلد آخر، من يقع اختياره عليه. وأما جند الحلقة فإنهم إذا مات أحدهم استخدم النائب عوضه، وكتب المثال على نحو من ترتيب السلطان، ثم كتب المربعة وجهزها مع البريد إلى حضرة السلطان فيقابل عليها في ديوان الإقطاع، ثم إن أمضاها السلطان كتب عليها يكتب، فتكتب المربعة من ديوان الإقطاع، ثم يكتب عليها المنشور كما تقدّم في الجند الذين بالحضرة، وإن لم يمضها السلطان أخرج الإقطاع لمن يريد. ومن مات من الأمراء والجند قبل استكمال مدّة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق، ثم إمّا يرتجع منهم أو يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم، وإقطاعات الأمراء والجند منها ما هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء، ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها، ولم يزل الحال على ذلك حتى راك الملك الناصر محمد بن قلاون البلاد كما تقدّم في أوّل هذا الكتاب، عند الكلام على الخراج ومبلغه، فأبطل عدّة جهات من المكوس وصارت الإقطاعات كلها بلادا، والذي استقرّ عليه الحال في إقطاعات الديار المصرية مما رتبه الملك الناصر محمد بن قلاون في الروك الناصريّ، وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية أربعة وعشرون ألف فارس، تفصيل ذلك: أمراء الألوف ومماليكهم ألفان وأربعمائة وأربعة وعشرون فارسا، تفصيل ذلك: نائب ووزير وألوف خاصكية ثمانية أمراء، وألوف خرجية أربعة عشر أميرا، ومماليكهم ألفان وأربعمائة فارس. أمراء طبلخاناه ومماليكهم ثمانية آلاف ومائتا فارس، تفصيل ذلك: خاصكية أربعة وخمسون أميرا، وخرجية مائة وستة وأربعون أميرا، ومماليكهم ثمانية آلاف فارس.

كشاف وولاة بالأقاليم خمسمائة وأربعة وسبعون، تفصيل ذلك: ثغر الإسكندرية واحد، والبحيرة واحد، والغربية واحد، والشرقية واحد، والمنوفيه واحد وقطيا واحد، وكاشف الجيزة واحد، والفيوم واحد، والبهنسا واحد، والأشمونين واحد، وقوص واحد، واسوان واحد، وكاسف الوجه البحريّ واحد، وكاشف الوجه القبليّ واحد. ومماليكهم خمسمائة وستون. أمراء العشراوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس، تفصيل ذلك: خاصكية ثلاثون، وخرجية مائة وسبعون أميرا، ومماليكهم ألفان.

ولاة الأقاليم سبعة وسبعون أميرا، تفصيلهم: أشمون الرّمان واحد، وقليوب واحد،." (١)

"فرس مهنا، وقد ركبها البدويّ عريا بغير سرج، فأقبلت سائر الخيول تتبعها حتى وصلت المدى وهي عري بغير سرج، والبدويّ عليها بقميص وطاقية، فلما وقفت بين يدي السلطان صاح البدويّ: السعادة لك اليوم يا مهنا، لا شقيت. فشق على السلطان أن خيله سبقت، وأبطل التضمير من خيله، وصارت الأمراء تضمر على عادتها، ومات الناصر محمد عن أربعة آلاف وثمانمائة فرس، وترك زيادة على خمسة آلاف من الهجن الأصائل والنوق المهريات والقرشيات، سوى أتباعها. وبطل بعده السباق، فلما كانت أيام الظاهر برقوق عني بالخيل أيضا ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٣٧٩

ديوان الإنشاء: وكان بجوار قاعة الصاحب بقلعة الجبل ديوان الإنشاء، يجلس فيه كاتب السرّ، وعنده موقعو الدرج وموقعو الدست في أيام المواكب طول النهار، ويحمل إليهم من المطبخ السلطانيّ المطاعم، وكانت الكتب الواردة وتعليق ما يكتب من الباب السلطانيّ موضوعة بهذه القاعة، وأنا جلست بها عند القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله العمريّ أيام مباشرتي التوقيع السلطانيّ، إلى نحو السبعين والسبعمائة، فلما زالت دولة الظاهر برقوق ثم عادت اختلت أمور كثيرة منها أمر قاعة الإنشاء بالقلعة، وهجرت وأخذ ما كان فيها من الأوراق، وبيعت بالقنطار، ونسي رسمها، وكتابة السرّ رتبة قديمة، ولها أصل في السنّة، فقد خرّج أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانيّ في كتاب المصاحف من حديث الأعمش، عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كلّ أحد، فهل تستطيع أن تعلّم كتاب العبرانية أو قال السريانية» فقلت نعم. قال: فتعلمتها في سبع عشرة ليلة، ولم يزل خلفاء الإسلام يختارون لكتابة سرّهم الواحد بعد الواحد، وكان موضوع كتابة السرّ في الدولة التركية على ما **استقرّ عليه** الأمر في أيام الناصر محمد بن قلاون، أنّ لمتوليها المسمى بكاتب السرّ وبصاحب ديوان الإنشاء، ومن الناس من يقول ناظر ديوان الإنشاء، قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها، إما بخطه أو بخط كتاب الدست أو كتاب الدرج بحسب الحال، وله تفسير الأجوبة بعد أخذ علامة السلطان عليها، وله تصريف المراسيم ورودا وصدورا، وله الجلوس بين يدي السلطان بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها بخطه في المجلس. فصار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة، وصار إليه التحدّث في مجلس السلطان عند عقد المشورة وعند اجتماع الحكام لفصل أمر مهم، وله التوسط بين الأمراء والسلطان فيما يندب إليه عند الاختلاف أو التدبير، وإليه ترجع أمور القضاة ومشايخ العلم ونحوهم في سائر المملكة مصرا وشاما، فيمضي من أمورهم ما أحب ويشاور السلطان فيما لا بدّ من مشاورته فيه، وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير، فلما عظم، تمكن القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السرّ من الدولة، جلس فوق الوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم البشيري، فاستمرّ ذلك لمن بعده ورتبة كاتب السرّ." (١)

"بباب الذهب «١» . وباب الزّهومة «٢» . وباب آخر «٣» من ناحية قصر الشوك. وباب آخر من عند مشهد الحسين، ويعرف بباب التّربة «٤» . وباب آخر يعرف بباب الدّيلم «٥» ، وهو باب مشهد الحسين الآن قبالة دار الفطرة «٦» . قال: وأمّا أبواب القاهرة التى **استقرّ عليها** الحال الآن فيأتى ذكرها «٧» .." (٢)

"ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى إلا في جماعة وكان إذا عزم على أمر توكل على الله ولا يفضل يوماً على يوم وكان كثير سماع الحديث النبوي وقرأ مختصراً في الفقه تصنيف سليم الرازي وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكرهه كثير التغافل عن أصحابه يسمع من أحدهم ما يكرهولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه. كان يوماً جالساً فرمى بعض المماليك بعضاً بالسر موزة فأخطأته ووصلت إلى السلطان ووقفت بالقرب منه فالتفت إلى الجهة الأخرى ليتغافل عنها وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحداً بمجلسه إلا بخير وطاهر اللسان فما ولع يشتم قط. قال العماد الكاتب: مات بموت السلطان الرجال.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٣٩٣

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤/٣٦

وفات بفواته الأفضال. وغاضت الأيادي. وفاضت الأعادي. وانقطعت الأرزاق. وادلهمت الآفاق. وفجع الزمان بواحده وسلطانه. ورزئ الإسلام بمشيد أركانه.

ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان

ولما توفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين استقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها ولده الملك فيصل نور الدين علي وبالديار المصرية الملك العزيز عثمان وبحلب الملك الظاهر غياث الدين غازي وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر وببعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي وبيد الملك خضر بن السلطان صلاح الدين بصرى وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون منهم سابق الدين عثمان ابن الداية بيد شيزر وأبو قبيس وناصر الدين بن كورس بن خماردكين بيده صهيون وحصن برزية وبدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياورق بيده تل باشر وعز الدين سامة بيده كوكب وعجلون وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين المقدم بيد بغراس وكفرطاب وفامية.." (١)

"يُقَال أَبُو بكر وَيُقَال أَبُو عبد الله الْأَحْوَال أحد الْأَعْلَام وَصَاحب الْمَغَازِي رأى أنس بن مَالك وَسَعِيد بن الْمسيب وَحدث عَن أَبِيه وَعَمه مُوسَى ابْن يسَار وَعَطَاء والأعرج وَسَعِيد بن أبي الْهِنْد وَالْقسم بن مُحَمَّد وَفَاطِمَة بنت الْمُنْذر والمقبري وَمُحَمّد بن ابرهيم التَّيْمِيّ وَعَاصِم بن عمر بن قَتَادَة وَابْن شهَاب وَعبيد الله بن عبد الله بن عمر وَمَكْحُول وَيزِيد بن أبي حبيب وسليمن بن سحيم وَعَمْرو بن شُعَيْب وَنَافِع وَأبي جَعْفَر الباقر وَخلق سواهُم قَالَ الْعجلِيّ ابْن اسحق ثِقَة وَقَالَ ابْن معِين ثِقَة لَكِن لَيْسَ بِحجَّة رَوَاهُ عَبَّاس عَن ابْن معِين وَمرَّة قَالَ لَيْسَ بِهِ بَأْس وَمرَّة قَالَ ذَاك ضَعِيف وروى عَنهُ أَنه قَالَ هُوَ صَدُوق وَقَالَ أَحْمد بن حَنْبَل حسن الحَدِيث وَقَالَ شُعْبَة هُوَ أَمِير الْمُؤمنِينَ فِي الحَدِيث قَالَ الشَّيْخ شمس الدّين الَّذِي اسْتَقر عَلَيْهِ الْأَمر أَنه صَالح الحَدِيث وَأَنه فِي الْمَغَازِي أقوى مِنْهُ فِي الْأَحْكَام توفّي سنة اثْنَتَيْنِ)
وَخمسين وماية روى عَنهُ الْأَرْبَعَة وَمُسلم مُتَابعَة قَالَ ابْن خلكان لم يخرج مُسلم عَنهُ إِلَّا حَدِيثا وَاحِدًا فِي الرَّجْم لِأَن مَالك بن أنس قَالَ لما بلغه عَنهُ أَنه قَالَ هاتوا حَدِيث مَالك فَأَنا طَبِيب بعلله فَقَالَ مَالك وَمَا ابْن اسحق إِنَّمَا هُوَ دجال من الدجاجلة نَحن أخرجناه من الْمَدِينَة يُشِير وَالله أعلم أَن الدَّجَّال لَا يدْخل الْمَدِينَة حدث هرون ابْن عبد الله الزُّهْرِيّ قَالَ سَمِعت ابْن أبي خازم قَالَ كَانَ ابْن اسحق فِي حلقته فأغفى ثمَّ انتبه فَقَالَ رَأَيْت حمارا أقتيد بِحَبل حَتَّى أخرج من الْمَسْجِد فَلم يبرح حَتَّى أَتَتْهُ رسل الْوَالِي فأقتادوه بِحَبل فأخرجوه من الْمَسْجِد وَكَانَ يرْوى عَن فَاطِمَة بنت الْمُنْذر بن الزبير وَهِي امْرَأَة هِشَام بن عُرْوَة بن الزبير فَبلغ ذَلِك هشاماً فَأنْكرهُ وَقَالَ أهوَ كَانَ يدْخل على أمرأتي وَمن كتب مُحَمَّد بن اسحق أَخذ عبد الْملك بن هِشَام سيرة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كتاب المبدأ كتاب الْخُلَفَاء
٣ - (الْمسَيبِي مُحَمَّد بن اسحق الْمسَيبِي)

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد /

روى عَنهُ مُسلم وَأَبُو دَاوُد وَأَبُو زرْعَة وَغَيرهم توفّي سنة وثلثين وماتين

٣ - (ابْن أبي يَعْقُوب اللؤْلُؤِي مُحَمَّد بن اسحق بن حَرْب أَبُو عبد الله اللؤْلُؤِي السَّهْمِي)

مَوْلَاهُم من أهل بَلخ يعرف بِابْن أبي يَعْقُوب كَانَ حَافِظًا لعلوم الحَدِيث وَالْأَدب عَارِفًا بأيام." (١)

"الْعَاقِل يعرف مِقْدَار روحه ويسكت إِذا حسن السُّكُوت وَأَنا لَا أَقُول أَن خلاف دَاوُد لَا يعْتَبر مَعًا وَالله وَإِنَّمَا الْحق التَّفْصِيل كَمَا ذكر وحسبنا الله وَكفى

وَقَالَ ابْن الصّلاح الَّذِي اخْتَارَهُ أَبُو مَنْصُور الْأُسْتَاذ وَذكر أَنه الصَّحِيح من الْمَذْهَب أَنه يعْتَبر خلاف دَاوُد قَالَ وَهَذَا الَّذِي اسْتَقر عَلَيْهِ الْأَمر آخرا كَمَا هُوَ الْأَغْلَب الأعرف من صفو الْأَئِمَّة الْمُتَأَخِّرين الَّذِي أوردوا مَذْهَب دَاوُد فِي مصنَّفاتهم الْمَشْهُورَة كالشيخ أبي حامدٍ الإسْفِرَايِينِيّ وَالْمَاوَرْدِيّ وَالْقَاضِي أبي الطيّب قَالَ وَأرى أَن يعْتَبر قَوْله إِلَّا فِيمَا خَالف فِيهِ الْقيَاس الجليّ وَمَا اجْتمع عَلَيْهِ القياسيون من أَنْوَاعه وبناه على أُصُوله الَّتِي قَامَ الدَّلِيل القطاع على بُطْلَانهَا

فاتفاق من سواهُ إِجْمَاع مُنْعَقد لقَوْله فِي التغوُّط فِي المَاء الراكد وَتلك الْمسَائِل الشنيعة وَقَوله لَا رَبًّا إِلَّا فِي السِّتَّة الْمَنْصُوص عَلَيْهَا فخلافه فِي هَذَا وَنَحْوه غير مُعْتَبر لِأَنَّهُ مَبْنِيّ على مَا يقطع بِبُطْلَانِهِ وَقَالَ وَلَده أَبُو بكر مُحَمَّد بن دَاوُد رَأَيْت أبي دَاوُد فِي النّوم فَقلت لَهُ مَا فعل الله بك فَقَالَ غفر لي وسامحني فَقلت غفر لَك فَبِمَ سامحك يَا بنيّ الْأَمر عَظِيم وَالْوَيْل كل الويل لمن لم يسامح

٣ - (شرف الدّين الشَّيْخ السَّديد الطّيب)

دَاوُد بن عليّ بن دَاوُد بن الْمُبَارك الْحَكِيم الْفَاضِل الشَّيْخ السّديد أَبُو مَنْصُور ابْن الشَّيْخ السَّديد وَيُقَال اسْمه عبد الله قَرَأَ الطبَّ على وَالِده وَأبي نصر عَدْلَانِ بن عين زربيّ وَسمع بالإسكندرية من أبي الطَّاهِر إِسْمَاعِيل بن مكي بن عَوْف وانتهت إِلَيْهِ رئاسة الْأَطِبَّاء بِمصْر

وخدم مُلُوكهَا وحصّل مَالا كثيرا وتخرَّج بِهِ جمَاعَة وَغلب عَلَيْهِ لقب أَبِيه السّديد ولقبه شرف الدّين وخدم العاضد وَجَمَاعَة قبله ونال الْحُرْمَة الوافرة والجاه العريض وَأخذ عَنهُ نَفِيس الدّين بن الزبير شيخ الْأَطِبَّاء حصل لَهُ فِي يومٍ واحدٍ من الدولة ثَلَاثُونَ ألف دِينَار

وظهَّر ابْني الْحَافِظ لدين الله فَحصل لَهُ من الذّهب نَحْو خمسين ألف دِينَار وَكَانَ صَلَاح الدّين)

يحترمه ويعتمد عَلَيْهِ فِي الطِّب توفّي سنة إِحْدَى وَتِسْعين وَخمْس مائَة

٣ - (الْكَاتِب ابْن أبي يَعْقُوب)

دَاوُد بن عليّ بن دَاوُد الْكَاتِب هُوَ ابْن أبي يَعْقُوب بن دَاوُد وَزِير الْمهْدي قَالَ يرثي الْحسن بن عَليّ صَاحب فجٍّ من الْبَسِيط

(يَا عين جودي بدمعٍ مِنْك مهتنٍ ... فقد رَأَيْت الَّذِي لَاقَى بَنو حسن)

(صرعى بفجٍّ تجر الرّيح فَوْقهم ... أذيالها وغوادي دجَّ المزن)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٣/٢

(حَتَّى عفت أعظماً لَو كَانَ شَاهدهَا ... محمدٌ ذبَّ عَنْهَا ثمَّ لم تهن)." [١]

"ابن مزيد فانكفت الكرج في الدروب الضيقة وتبعهم خلق من المسلمين فأخذ الكرج عليهم الدروب ورضخوهم بالصخر فانكسروا.

وقال العظيمي: وفي يوم الأربعاء سادس عشر من جمادى الآخرة- يعني- من سنة ثماني عشرة وخمسمائة عبر الامير دبيس بن صدقة بن مزيد من قلعة منبج ونزل بظاهر منبج وكان له عمل في حلب ومكاتبه فانكشفت على يد فضائل (٣٠٩- و) ابن صاعد بن بديع، وقتل بعض القوم، ونفى بعضا وكان بها التمرتاش حسام الدين ابن نجم الدين ايلغازي بن أرتق.

قال: وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب كان خلاص البغدوين- يعني- ملك الفرنج من شيزر، وكان استقر عليه ثمانون ألف دينار وقلعة عزاز، وحلف على ذلك، ورهن جماعة من الفرنج اثنى عشر نفسا أحدهم ابن الجوسلين، وعجل من المال عشرين ألف دينار فما هو الا أن خرج حتى غدر ونكث ونفذ يعتذر الى الامير حسام الدين بن نجم الدين بأن البطريك لم يوافقه على تسليم عزاز، وان خطيئة اليمين تلزمه ترددت الرسل بينهم الى يوم الاحد ثامن عشر شعبان، وعادت بنقض الهدنة، وخرج الملك الى أرتاح وعزمه على حلب، فخرج التمر تاش من حلب بتاريخ الخامس والعشرين من رجب نحو ماردين ووعد بجمع العساكر، ورحل بغدوين من أرتاح الى نهر قويق وأفسد كلما عليه، وضايق حلب واجتمع على باب حلب ثلاثة ألوية: لواء الملك ابراهيم بن رضوان، ولواء الامير دبيس بن صدقه، ولواء الملك بغدوين، وكان الجوسلين ودبيس قد برزا من تل باشر، وقصدوا ناحية الوادي، وأفسدا كلما فيه ما قيمته مائة ألف دينار، ثم نزلا على باب حلب، وكان نزولهم على حلب على مضي ساعة وكسر من نهار يوم الاثنين سادس عشر من شعبان، والطالع من العقرب عشر درج والمريخ في الطالع في درجة واحدة، وقبل نزولهم بساعتين عند اتساع الفجر انفتح من السماء من نحو المشرق باب من نور (٣٠٩- ظ) ودام حتى هال الناس." [٢]

"العساكر والحروب، وضمّت إليه الربّانيين، وأخذت الرهن من جميع الأمم وسألها الربّانيون في الأخذ بثأرهم من القرّاءين خلقا كثيرا. وجاء القراءون إلى ابنها الكهنون ينكرون ذلك وأنّه إذا فعل بهم ذلك، وقد كانوا شيعا لأبيه الإسكندر، فقد تحدث النفرة من سائر الناس. وسألوه أن يلتمس لهم اذنها في الخروج عن القدس والبعد عن الربانيين، فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة، وخرج معهم وجوه العسكر. ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها، ويقال إنّ ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها. وكان ابنها أرستبلوس قائد العسكر لما شعر بموتها خرج إلى القراءين يستدعيهم إلى نصرته فأجازوه، وتقبضت هي على ابنيه وامرأته، واجتمعت عليه العساكر من النواحي وضرب البوق وزحف لحرب أخيه هرقانوس والربانيين، وحاصرهم أرستبلوس ببيت المقدس، وعزم على هدم الحصن فخرج إليه أعيان اليهود والكهنونية ساعين في الصلح بينهما، وأجاب على أن يكون ملكا ويبقى هرقانوس على الكهنونيّة، فتم ذلك واستقر عليه أمره.

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٩٩/١٣

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٣٤٨٣/٧

ابتداء أمر انظفتر [١] أبو هيردوس

ثم سعى في الفتنة بينهما انظفتر أبو هيردوس، وكان من عظماء بني إسرائيل من الذين جمعوا مع العزير من بابل، وكان ذا شجاعة وبأس، وله يسار وقنية من الضياع والمواشي. وكان الإسكندر قد ولّاه على بلاد أروم [٢] وهي جبال الشراة، فأقام في ولايتها سنين، وكثر ماله وأنكحوه منهم، فكان له منها أربعة من الأبناء وهم فسيلو وهيردوس وفرودا ويوسف، وبنت اسمها سلومث. وقيل أنّ أنظفتر لم يكن من بني إسرائيل، وإنّما كان من أروم وربي في جملة بني خشمناي وبيوتهم. فلما مات الإسكندر وملكت زوجته الاسكندرة عزلته عن جبال الشراة، فأقام بالقدس. حتى إذا استبد بالأمر أرستبلوس، وكان بين هرقانوس وأنظفتر مودّة وصحبة، فغصّ أرستبلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر أنظفتر وهمّ بقتله، فانفض عنه وأخذ في التدبير على أرستبلوس. وفشا في الناس تبغضه إليهم وينكر تغلبه، ويذكر لهم أن هرقانوس أحق بالملك منه، ثم حذر هرقانوس من أخيه وخيّل إليه أنه يريد قتله،

---

[١] وهو معروف في التاريخ باسم انتيباتر.

[٢] وفي نسخة ثانية أدوم.." (١)

"الآلة، ولا يذكر أحد منهما مع صاحبه في الخطبة في البلاد التي صارت إليه وتكون المكاتبة من وزيريهما في الشؤون لا يكاتب أحدهما الآخر، ولا يعارض أحد من العسكر في الذهاب إلى أيهما شاء، ويكون للسلطان محمد من نهر اسبيدروذ إلى الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، وأن يدخل سيف الدولة صدقة بأعماله في خلفه وبلاده والسلطنة كلّها، وبقية الأعمال والبلاد كلها للسلطان بركيارق.

وبعث محمد إلى أصحابه بأصبهان بالإفراج عنها لأصحاب أخيه، وجاءوا بحريم محمد إليه بعد أن دعاهم السلطان بركيارق إلى خدمته فامتنعوا فأكرمهم، وحمل حريم أخيه وزوّدهم بالأموال، وبعث العساكر في خدمتهم. ثم بعث السلطان بركيارق إلى المستظهر بما استقرّ عليه الحال في الصلح بينهم، وحضر أبو الغازي بالديوان وهو شحنة محمد وشيعته، إلا أنه وقف مع الصلح، فسأل الخطبة لبركيارق فأمر بها المستظهر، وخطب له على منابر بغداد وواسط في جمادى سنة سبع وتسعين، ونكر الأمير صدقة صاحب الحلّة الخطبة لبركيارق وكان شيعة لمحمد.

وكتب إلى الخليفة بالنكير على أبي الغازي وأنه سائر لإخراجه عن بغداد، فجمع أبو الغازي التركمان، وفارق بغداد الى عقرقوبا [١] وجاء سيف الدولة صدقة ونزل مقابل التاج وقبّل الأرض وخيّم بالجانب الغربي. وأرسل إليه أبو الغازي يعتذر عن طاعة بركيارق بالصلح الواقع، وأنّ إقطاعه بحلوان في جملة بلاده التي وقع الصلح عليها وبغداد التي هو شحنه فيها قد صارت له فقبل ورضي، وعاد إلى الحلّة وبعث المستظهر في ذي القعدة من سنة سبع وتسعين الخلع للسلطان بركيارق والأمير أياز والخطير وزير بركيارق، وبعث معهما العهد له بالسلطنة واستحلفه الرسل على طاعة المستظهر ورجعوا.

وفاة السلطان بركيارق وملك ابنه ملك شاه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢/١٤٤

كان السلطان بركيارق بعد الصلح وانعقاده أقام بأصبهان أشهرا وطرقه المرض فسار إلى بغداد، فلمّا بلغ بلد يزدجرد اشتدّ مرضه وأقام بها أربعين يوما حتى أشفى على الموت، فأحضر ولده ملك شاه وجماعة الأمراء، وولّاه عهده في السلطنة، وهو ابن خمس سنين وجعل الأمير أياز أتابكه، وأوصاهم بالطاعة لهما واستحلفهم على ذلك، وأمرهم بالمسير إلى بغداد وتخلّف عنهم ليعود إلى أصبهان فتوفي في شهر ربيع

---

[١] يعقوبا: ابن الأثير ج ١٠ ص ٣٧٢.." (١)

"بخمسة وثلاثين ألف دينارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين.

(وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه) ثم توفي السلطان بركيارق بن ملك شاه بنردجرد [١] في أوائل ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين لاثنتي عشرة سنة ونصف من ملكه جاء إليها عليلا من أصبهان واشتدّ مرضه بنردجرد فولى عهد لابنه ملك شاه وعمره نحو من خمس سنين وخلع عليه وجعل الأمير أياز كافلة وأوصى أهل الدولة بالطاعة والمساعدة وبعثهم الى بغداد فأدركهم خبر وفاته بالطريق ورجع أياز حتى دفنه بأصبهان وجمع السرادقات والخيام والجتر والسمسمة لابنه ملك شاه وكان بركيارق قد لقي في ملكه من الرخاء والشدّة والسلم ما لم يلقه أحد فلما استقر [٢] واستقامت سعادته أدركته المنية ولما توفي خطب لابنه ملك شاه ببغداد وكان أبو الغازي قد سار من بغداد إليه وهو بأصبهان يستحثه الى بغداد وجاء معه فلما مات سار مع ابنه ملك شاه والأمير أياز الى بغداد وركب الوزير أبو القاسم علي بن جهير فلقيهم به [٣] ما لي وحضر أبو الغازي والأمير طغلبرك بالديوان وطلبا الخطبة لملك شاه فخطب له ولقب بألقاب جده ملك شاه.

حصار السلطان محمد الموصل

لما انعقد الصلح بين بركيارق ومحمد واختص كل منهما اعماله وكانت آذربيجان في قسمة محمد رجع محمد الى أذربيجان ولحق به سعد الملك أبو المحاسن الّذي كان نائبا بأصبهان بعد أن أبلى في المدافعة عنها ثم سلمها بعد الصلح الى نواب بركيارق واستوزره فأقام محمد الى صفر من سنة ثمان وتسعين ثم سار يريد الموصل على طريق مراغة ورحل وبلغ الخبر الى جكرمس فاستعد للحصار وأدخل أهل الضاحية الى البلد وحاصره محمد ثم بعث له يذكره ما **استقر عليه** بينه وبين أخيه وأن الموصل والجزيرة له وعرض عليه خط بركيارق بذلك وبإيمانه عليه ووعده أن يقرّها في عمالته فقال له جكرمس انّ السلطان كتب إلي بعد الصلح بخلاف ذلك فاشتدّ في حصاره واشتدّ أهل البلد في المدافعة ونفس الله عنهم برخص الأسعار وكان عسكر جكرمس مجتمعين قريبا من الموصل وكانوا يغزون على أطراف العسكر

---

[١] وفي بعض النسخ بترجرد وفي الكامل بروجرد وهو الصحيح.

[٢] كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٨١: ولما قوي أمره في هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقادوا له أدركته منيته.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٦٠٧/٣

[٣] كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٨٢: فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس، وحضر ايلغازي والأمير طغا بدك بالديوان.." (١)

"إقبال خادم المسترشد فلما بلغه خبر الواقعة وكان مقيما ببغداد كما قد مناه عبر الى الجانب الغربيّ ولحق بتكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز.

فتنة الراشد مع السلطان مسعود

لما بويع الراشد بعث اليه السلطان مسعود برتقش الزكوي يطالبه بما **استقرّ عليه** الصلح مع أبيه المسترشد وهو أربعمائة ألف دينار فأنكر الراشد أن يكون له مال وانما مال الخلافة كان مع المسترشد فنهب ثم جمع الراشد العساكر وقدّم عليهم كجراية وشرع في عمارة السور واتفق برتقش مع بك ايه على هجوم دار الخلافة وركبوا لذلك في العساكر فقاتلهم عساكر الراشد والعامّة وأخرجوهم عن البلد الى طريق خراسان وسار بك ايه [١] الى واسط وبرتقش الى سرخس ولما علم داود بن محمود فتنة عمه مسعود مع الراشد سار من أذربيجان الى بغداد في صفر سنة ثلاثين ونزل بدار السلطان ووصل بعده عماد الدين زنكي من الموصل وصدقة بن دبيس من الحلة ومعه عش بن أبي العسكر يدبر أمره ويديره وكان أبوه دبيس قد قتل بعد مقتل المسترشد بأذربيجان وملك هو الحلة ثم وصل جماعة من أمراء مسعود منهم برتقش بازدار صاحب فروق والبقش الكبير صاحب أصبهان وابن برسق وابن الاحمديلي وخرج للقائهم كجراية والطرنطاي وكان إقبال خادم المسترشد قد قدم من تكريت فقبض عليه الراشد وعلى ناصر الدولة أبي عبد الله الحسن بن جهير فاستوحش أهل الدولة وركب الوزير جلال الدين بن صدقة الى لقاء عماد الدين زنكي فأقام عنده مستجيرا حتى أصلح حاله مع الراشد واستجار به قاضي القضاة الزينبيّ ولم يزل معه الى الموصل وشفع في إقبال فأطلق وسار اليه ثم جدّ الراشد في عمارة السور وسار الملك داود لقتال مسعود استخلفه الراشد واستخلفه عماد الدين زنكي وقطعت خطبة مسعود من بغداد وولّى داود شحنة بغداد برتقش بازدار ثم وصل الخبر بأنّ سلجوق شاه أخا الأمير مسعود ملك واسط وقبض على الأمير بك ايه فسار الأمير زنكي لدفاعه فصالحه ورجع وعبر الى طريق خراسان للحاق داود واحتشد العساكر ثم سار السلطان مسعود لقتالهم وفارق زنكي داود ليسير الى مراغة ويخالف السلطان مسعود الى همذان وبرز الراشد من بغداد أوّل رمضان وسار الى طريق خراسان وعاد بعد ثلاث وعزم على الحصار ببغداد واستدعى داود الأمراء ليكونوا معه عنده فجاءوا لذلك ووصلت رسل السلطان مسعود بطاعة الراشد والتعريض بالوعيد

---

[١] ورد اسمه بك ابه (الكامل) ج ١١ ص ٢٥." (٢)

"أكابر الأمراء فلحقوا بالسلطان من دمشق منتصف رمضان وقدم بين يديه أميرين من أمراء غزة فوصلاها واجتمعت إليه العرب والتركمان وبلغ الخبر إلى الجاشنكير فجمع إليه شمس الدين سلار وبدر الدين بكتوت الجوكندار وسيف الدين

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥/٤٠

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥/٧٢

السلحدار وفاوضهم في الأمر فرأوا أنّ الخرق قد اتسع ولم يبق إلا البدار بالرغبة إلى السلطان أن يقطعه الكرك أو حماة أو صهيون ويتسلم السلطان ملكه فأجمعوا على ذلك وبعثوا بيبرس الدوادار وسيف الدين بهادر بعد أن أشهد الجاشنكير بالخلع وخرج من القلعة الى أطفيح بمماليكه فلم يستقرّ بها وتقدّم قاصدا أسوان واحتمل ما شاء من المال والذخيرة وخيول الإصطبل وقام بحفظ القلعة صاحبه سيف الدين سلار وكاتب السلطان يطالعه بذلك وخطب للسلطان على المنابر ودعي باسمه على المآذن وهتف باسمه العامّة في الطرقات وجهز سلار سائر شعار السلطنة ووصلت رسل الجاشنكير إلى السلطان بما طلب فأسعفه بصهيون وردّهم إليه بالأمان والولاية ووافى السلطان عيد الفطر بالبركة ولقيه هنالك سيف الدين سلار وأعطاه الطاعة ودخل السلطان إلى القلعة وجلس باقي العيد بالإيوان جلوسا فخما واستحلف الناس عامّة وسأله سلار في الخروج إلى إقطاعه فأذن له بعد أن خلع عليه فخرج ثالث شوّال وأقام ولده بباب السلطان ثم بعث السلطان الأمراء إلى أخميم فانتزعوا من الجاشنكير ما كان احتمله من المال والذخيرة وأوصلوها إلى الخزائن ووصل معهم جماعة من مماليكه كانوا أمراء واختاروا الرجوع إلى السلطان وولى السلطان سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جاندار نائبا بمصر وقراسنقر المنصوري نائبا بدمشق وبعث نائبها الأفرم نائبا بصرخد وسيف الدين قفجق نائبا بحلب وسيف الدين بهادر نائبا بطرابلس وخرجوا جميعا إلى الشام وقبض السلطان على جماعة من الأمراء ارتاب بهم وولى على وزارته فخر الدين عمر بن الخليلي عوضا عن ضياء الدين أبي بكر ثم انصرف بيبرس الجاشنكير متوجها إلى صهيون وبها بهادر [١] بها الأشجعيّ موكل به إلى حيث قصد ورجع عنه الأمراء الذين كانوا عنده إلى السلطان فاستضاف بعضهم إلى مماليكه واعتقل بعضهم ثم بدا للسلطان في أمره وبعث إلى قراسنقر وبهادر وهما مقيمان بغزة ولم ينفصلا إلى الشام أن يقبضا عليه فقبضا عليه وبعثا به إلى القلعة آخر ذي القعدة فاعتقل ومات هنالك والله تعالى وليّ التوفيق.

---

[١] بياض بالأصل وفي أخبار البشر ج ٤ ص ٥٨: ثم أن بيبرس المذكور قصد الى صهيون حسبما كان قد سأله فبرز من أطفيح إلى السويس وسار إلى الصالحية، ثم سار منها حتى وصل إلى موضع بأطراف غزة يسمى العنصر قريب الداروم، وكان قراسنقر متوجها إلى دمشق نائبا بها على ما **استقر عليه** الحال فوصل إليه المرسوم بالقبض على بيبرس الجاشنكير.." (١)

"وقال أبو إسماعيل التِّرْمِذيّ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

وقال إسماعيل بن الحسن السّرّاج: سألت أحمد عمّن يقول: القرآن مخلوق.

فقال: كافر.

وعمن يقول: لفْظي بالقرآن مخلوق.

فقال: جَهْميّ.

وقال صالح بن أحمد: تناهى إلى أبي أنّ أبا طالب يحكي أنّه يقول:

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥/٤٨٥

لفظي بالقرآن غير مخلوق. فأخبرت أبي بذلك، فقال: مَن أخبرك؟ قلت:
فلان. فقال: ابعث إلى أبي طالب. فَوَجَّهْتُ إليه، فجاء وجاء فوزان، فقال له أبي: أنا قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق؟
وغضب وجعل يرعد، فقال: قرأت عليك قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ١١٢: ١ [١] فقلت لي: ليس هذا بمخلوق.
فقال: فَلِمَ حكيت عنّي أنّي قلت لك: لفْظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبَلَغَني أنّكَ وَضَعْتَ ذلك في كتاب، وكتبتَ به إلى قومٍ.
فامْحه، واكتبْ إلى القوم أنّي لم أقُلْه لك. فجعل فَوْزان يعتذر إليه، وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد أبو طالب، فذكر
أنّه قد حَكَّ ذلك من كتابه، وأنّه كتب إلى القوم يخبرهم أنّه وهِمَ على أبي.
قلتُ: الَّذي **استقرّ عليه** قول أبي عبد الله: أنَّ مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جَهْميّ، ومَن قال: لفظي بالقرآن غير
مخلوق، فهو مبتدع.
وقال أحمد بن زَنْجَوَيْه: سمعت أحمد بن حنبل يقول: اللّفظيّة شرٌّ من الجَهْميّة.
وقال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: افترقت الجَهْميّة على ثلاث فرق:
فرقة قالوا: القرآن مخلوق.

---

[١] أول سورة الإخلاص.." (١)

"وقَالَ الْإِمَام أبو عَمْرو بْن الصّلاح: الَّذِي اختاره أبو مَنْصُورٌ وذكر أنّه الصّحيح من المذهب إنّه يعتبر خلاف دَاوُد.
قَالَ ابنُ الصّلاح: هَذَا هُوَ الَّذِي **استقرّ عليه** الأمر آخرًا هُوَ الأغلب الأعرف من صَفْو الأئمّة المتأخرين الذين أوردوا
مذهب دَاوُد فِي مصنّفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد، والماوَرْديّ، وأبي الطّيّب، فلولا اعتدادهم به لَمَا ذكروا مذهبه فِي
مصنَّفاتهم.
قَالَ: ورأى أن يُعتبر قوله إلّا فيما خالف فِيهِ القياس الجليّ، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه، أو بناه على أصوله الّتي
قام الدّليل القاطع على بُطلانها، واتّفاق من سواه إجماع منعقد، كقوله التَّغَوُّط فِي الماء الرّاكد، وتلك المسائل الشنيعة، وقوله
لا زنا فِي السنة المنصوص عليها، فخلافه فِي هَذَا ونحوه غير مُعْتَدّ به، لأنه مبنيّ على ما يقطع ببطلانه [١] ، والله أعلم.
تُوُفّيّ فِي رمضان سنة سبعين ومائتين.

---

[١] سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٠٦، ١٠٧.." (٢)

"وَقَالَ حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ: رُبَّمَا عَطِشَ حَمْزَةُ فَلا يستسقي كراهية أن يصادف مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ.
وَذَكَرَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَنَّ حَمْزَةَ مَرَّ بِهِ فَطَلَبَ مَاءً قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَلَمْ يَشْرَبْ مِنِّي لِكَوْنِي أَحْضُرُ الْقِرَاءَةَ عِنْدَهُ.
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: سَمِعْتُ ابْنَ فُضَيْلٍ يَقُولُ: مَا أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ الْبَلاءَ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلا بِحَمْزَةَ.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٨/٨٣

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٠/٩٥

وَكَانَ شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ: أَلا تَسْأَلُونِي عَنِ الدُّرِّ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ، وَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلا قَالَ لِحَمْزَةَ: يَا أَبَا عُمَارَةَ رَأَيْتُ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِكَ هَمَزَ حَتَّى انْقَطَعَ زِرُّهُ، فَقَالَ: لَمْ آمُرْهُمْ بِهَذَا كُلِّهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ: أَدْرَكْتُ الْكُوفَةَ وَمَسْجِدُهَا الْغَالِبُ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ الزَّيَّاتُ.

وَرَوَى عَنْ حَمْزَةَ قَالَ: إِنَّ لِهَذَا التَّحْقِيقِ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَكُونُ قَبِيحًا.

وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّمَا الْهَمْزُ رِيَاضَةٌ فَإِذَا حَسَّنَهَا الرَّجُلُ سَهَّلَهَا [١] .

وَقِيلَ إِنَّ حمزة أمّ الناس سنة مائة.

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ عَنِ ابْنِ مَعِينٍ قَالَ: حَمْزَةُ ثِقَةٌ.

وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَقَدْ كَرِهَ قُرَاءَةَ حَمْزَةَ: ابْنُ إِدْرِيسَ الأَوْدِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَجَمَاعَةٌ لِفَرْطِ الْمَدِّ وَالإِمَالَةِ وَالسَّكْتِ عَلَى السَّاكِنِ قَبْلَ الْهَمْزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى إِعَادَةَ الصَّلاةِ إِذَا كَانَتْ بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ، وَهَذَا غُلُوٌّ. وَالَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الاتِّفَاقُ وَانْعَقَدَ الإِجْمَاعُ عَلَى ثُبُوتِ

---

[١] في الأصل (سلها) .." (١)

"وقال الحسن بن علي الحلواني: سمعت يزيد بْن هارون يَقُولُ: لو كَانَ لِي سلطان لأمَّرت ابْن إسحاق عَلَى المحدّثين.

وقال أَبُو أمية الطرسوسي: ثنا علي بْن الْحَسَن النسائي ثنا فياض بن محمد الرقّيّ سَمِعْت ابْن أَبِي ذئب يَقُولُ: كُنَّا عند الزُّهْرِيّ فنظر إِلَى ابْن إِسْحَاق يُقْبِلُ فَقَالَ: لا يزال بالحجاز علم كثير مَا دام هَذَا الأحول بين أظهرهم.

وقال ابْن عَلية: سَمِعْت شُعْبَة يَقُولُ: هُوَ صدوق.

وقال ابْن المديني: قُلْتُ لسفيان: أكان ابْن إسحاق جالس فاطمة بِنْت المنذر؟ فَقَالَ: أخبرني أنها حدّثته فإنه دخل عليها.

قُلْتُ: الَّذِي **استقر عَلَيْهِ** الأمر أن ابْن إسحاق صالح الحديث وأنه فِي المغازي أقوى مِنْهُ فِي الأحكام. وقد قَالَ يحيى بْن سَعِيد: سَمِعْت هشام بْن عروة يكذّبه.

وقال أَبُو الْوَلِيد: نا وُهَيْب بْن خَالِد سَأَلت مالكًا عَن ابْن إِسْحَاق فَقَالَ واتّهمه.

وقال أَحْمَد بْن زهير: سَمِعْت ابْن مهدي يَقُولُ: كَانَ يحيى بْن سَعِيد الأَنْصَارِيّ ومالك يجُرّحان مُحَمَّد بْن إِسْحَاق.

وقال العقيلي: حدّثني الفضيل بْن جَعْفَر نا عَبْد الملك بْن مُحَمَّد نا سُلَيْمَان ابْن دَاوُد قَالَ لِي يحيى بْن سَعِيد القطَّان: أشهد أن مُحَمَّد بْن إِسْحَاق كذّاب.

قُلْتُ: وما يدريك؟ قَالَ: قَالَ لِي وُهَيْب. فَقُلْتُ لوهيب: مَا يدريك؟

قَالَ: قَالَ لِي مالك، فَقُلْتُ لمالك: وما يدريك؟ قَالَ: قَالَ لِي هشام بن عروة، قلت له: وما يدريك؟ قَالَ: حدّث عَن امرأتي وأُدْخِلَتْ عليّ وهي." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٨٥/٩

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٩١/٩

"وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّمَا الْهَمْزُ رِيَاضَةٌ فَإِذَا حَسَّنَهَا الرَّجُلُ سَهَّلَهَا.

وَقِيلَ: إِنَّ حَمْزَةَ أَمَّ النَّاسَ سنة مائة.

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ عَنِ ابْنِ مَعِينٍ قَالَ: حَمْزَةُ ثِقَةٌ.

وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَقَدْ كَرِهَ قُرَاءَةَ حَمْزَةَ: ابْنُ إِدْرِيسَ الأَوْدِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَجَمَاعَةٌ لِفَرْطِ الْمَدِّ وَالإِمَالَةِ وَالسَّكْتِ عَلَى السَّاكِنِ قَبْلَ الْهَمْزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى إِعَادَةَ الصَّلاةِ إِذَا كَانَتْ بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ، وَهَذَا غُلُوٌّ. وَالَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الاتِّفَاقُ وَانْعَقَدَ الإِجْمَاعُ عَلَى ثُبُوتِ قِرَاءَتِهِ وَصِحَّتِهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهَا أَفْصَحُ مِنْهَا إِذِ الْقِرَاءَاتُ الثَّابِتَةُ فِيهَا الْفَصِيحُ وَالأَفْصَحُ١.

وَبِالْجُمْلَةِ إِذَا رَأَيْتَ الإِمَامَ فِي الْمِحْرَابِ لَهِجًا بِالْقِرَاءَاتِ وَتَتَبَّعَ غَرِيبَهَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ فَارِغٌ مِنَ الْخُشُوعِ مُحِبٌّ لِلشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلامَةَ فِي الدِّينِ.

قِيلَ: -إِنَّ حَمْزَةَ- رَحِمَهُ اللَّهُ- مَاتَ بِحُلْوَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ، وكان أيضًا رأسًا في الفرائض.

وقيل: إِنَّهُ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدِ اسْتَوْفَيْتُ تَرْجَمَتَهُ فِي طَبَقَاتِ الْقُرَّاءِ٢. ومات وقد قارب الثمانين.

٢٧- حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي، أمير خراسان.

ولي أيضًا الجزيرة ومصر.

توفي سنة تسع وخمسين ومائة، وولي بعده ابن عَبْدُ اللَّهِ، وَقِيلَ: وَلِيَهَا أَبُو عَوْنٍ عَبْدُ الملك بن يزيد.

٢٨- حنظلة بن أبي سفيان –ع- بن عبد الرحمن بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ المكي الحافظ.

حدث عن طاوس، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وسعيد بن مينا، وعطاء، ونافع، وجماعة.

---

١ انظر المصدر السابق.

٢ راجع: طبقات القراء الكبار "٩٣-٩٩".." (١)

"أو أكثر جاء فاستودعها ابنَ إِسْحَاق وقال احفظها عليّ، فَإِن نسيتها كنت قد حفظتها عليّ.

وقال عَبْد الرَّحْمَن بْن مهدي: تكلّم أربعة فِي ابْن إِسْحَاق، فأما سُفْيَان وشعبة فكانا يقولان: أمير المؤمنين في الحديث. وقال أحمد بْن حنبل: حسن الحديث.

وقال الْحَسَن بن علي الحلواني: سمعت يزيد بْن هارون يَقُولُ: لو كَانَ لِي سلطان لأمَّرت ابْن إسحاق عَلَى المحدّثين.

وقال أَبُو أمية الطرسوسي: ثنا علي بْن الْحَسَن النسائي ثنا فياض بن محمد الرقي سَمِعْت ابْن أَبِي ذئب يَقُولُ: كُنَّا عند الزُّهْرِيّ فنظر إِلَى ابْن إِسْحَاق يُقْبِلُ فَقَالَ: لا يزال بالحجاز علم كثير مَا دام هَذَا الأحول بين أظهرهم. وقال ابْن علية: سَمِعْت شُعْبَة يَقُولُ: هُوَ صدوق.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٢٥٣/٩

وقال ابْن المديني: قُلْتُ لسفيان: أكان ابْن إسحاق جالس فاطمة بِنْت المنذر؟ فَقَالَ: أخبرني أنها حدّثته فإنه دخل عليها. قُلْتُ: الَّذِي **استقر عَلَيْهِ** الأمر أن ابْن إسحاق صالح الحديث وأنه فِي المغازي أقوى مِنْهُ فِي الأحكام. وقد قَالَ يحيى بْن سَعِيد: سَمِعْت هشام بْن عروة يكذّبه.

وقال أَبُو الْوَلِيد: نا وُهَيْب بْن خَالِد سَأَلت مالكًا عَن ابْن إسْحَاق فَقَالَ واتّهمه.

وقال أَحْمَد بْن زهير: سَمِعْت ابْن مهدي يَقُولُ: كَانَ يحيى بْن سَعِيد الأَنْصَارِيّ ومالك يجُرّحان مُحَمَّد بْن إسْحَاق.

وقال العقيلي: حدّثني الفضيل بْن جَعْفَر نا عَبْد الملك بن محمد نا سليمان بن دَاوُد قَالَ لِي يحيى بْن سَعِيد القطَّان: أشهد أن مُحَمَّد بْن إسْحَاق كذّاب. قُلْتُ: وما يدريك؟ قَالَ: قَالَ لِي وُهَيْب. فَقُلْتُ لوهيب: مَا يدريك؟ قَالَ: قَالَ لِي مالك، فَقُلْتُ لمالك: وما يدريك؟ قَالَ: قَالَ لِي هشام بن عروة، قلت له: وما يدريك؟ قَالَ: حدّث عَن امرأتي وأُدْخِلَتْ عليّ وهي بِنْت تسع سنين وما رآها رَجُل حَتَّى لَقِيتِ الله١. قُلْتُ: هَذِهِ حكاية باطلة، وَسُلَيْمَان الشاذكوني ليس بثقة، وما أُدْخِلت فاطمة عَلَى هشام إلا وهي بِنْت نيّفٍ وعشرين سنة فإنها أكبر مِنْهُ بنحوٍ من تسع سنين، وقد

---

١ وراجع سير أعلام النبلاء "٧/ ٤١-٤٢".." (١)

"لك. فجعل فَوْزان يعتذر إليه، وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد أبو طالب، فذكر أنّه قد حَكَّ ذلك من كتابه، وأنّه كتب إلى القوم يخبرهم أنّه وهِمَ على أبي.

قلتُ: الّذي **استقرّ عليه** قول أبي عبد الله: أنَّ مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جَهْميّ، ومَن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع.

وقال أحمد بن زَنْجَوَيْه: سمعت أحمد بن حنبل يقول: اللّفظيّة شرٌّ من الجَهْميّة١.

وقال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: افترقت الجَهْميّة على ثلاث فِرَق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق.

وفرقة قالوا: القرآن كلام الله تعالى، وسكتوا.

وفرقة قالوا: لفْظُنا بالقرآن مخلوق.

وقال أبي: لا يُصلِّي خلف واقِفيّ، ولا خلْف لفْظيّ.

وقال المَرُّوذيّ: أخبرتُ أبا عبد الله أنّ أبا شُعيب السُّوسيّ الذي كان بالرَّقَّة فرَّق بين ابنتهِ وزوجها لما وقف بالقرآن. فقال: أحسَن، عافاه الله. وَجَعَل يدعو له.

وقد كان أبو شُعيب شاور النُّفَيْليّ، فأمره أن يفرِّق بينهما.

قال المَرُّوذيّ: ولّما أظهر يعقوب بن شيبة الوقف حذَّر أبو عبد الله عنه، وأمَرَ بهجرانه وهجران من كلّمه.

قلت: ولأبي عبد الله في مسألة اللَّفظ نصوصٌ متعددَة.

وأولَ مَن أظهر اللّفظ الحسين بن عليّ الكرابيسيّ٢، وذلك في سنة أربعٍ وثلاثين ومائتين.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٩/٣٨٥

وكان الكرابيسيّ من كبار الفقهاء.

---

١ الجهمية: هم إحدى الفرق الكلامية التي تنسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية كانت لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالى وأسمائه.

٢ وراجع ترجمته في الكامل في الضعفاء لابن عدي "٢/ ٧٧٥-٧٧٧"، وميزان الاعتدال "١/ ٥٤٤"، والبداية "١١/ ٢".." (١)

"ونقل الأستاذ أبو مَنْصُورٌ الْبَغْدَادِيّ، عن أبي عليّ، عن أبي هُرَيْرَةَ، وطائفة فِي الشّافعيّين أنه لا اعتبار بخلاف دَاوُد، وسائر نفْله القياس فِي الفروع دون الأصول.

وقَالَ أبو المعاليّ الْجُوَينيّ: الَّذِي ذهب إليه أَهْل التحقيق أنّ مُنْكري القياس لا يُعَدُّون من علماء الأئمّة ولا مِن حملة الشريعة؛ لأنّهم مباهتون فيما ثبت استفاضةً وتواتُرًا، لأنّ مُعظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد، ولا تفي النّصوص بعُشْر معشارها، وهؤلاء يلتحقون بالعوامّ.

قلت: قول أبي المعالي رحمه الله فِيهِ بعض ما فِيهِ، فإنّما قاله باجتهاد، ونَفْيهم للقياس أيضًا باجتهاد، فكيف يُرَدّ الاجتهاد بِمِثْلِهِ؟ نعم، وأيضًا فإذا لم يُعْتَدّ بخلافهم لَزِمنا أنْ نقول إنهم خرقوا الإجماع بتأويلٍ سائغ، قُلْنَا: فهذا هُوَ المجتهد، فلا نقول يجوز تقليده، إنما يُحكى قوله، مع أنّ مذهبه أن لا يحلّ لأحدٍ أن يقلّدهم ولا أن يقلّد غيرهم، فلأن نحكي خلافهم ونعدُّه قولًا أهْوَن وأسلم من تكفيرهم.

ونحن نحكي قول ابنِ عَبَّاس فِي الصرف، والْمُتْعَة، وقول الكوفيين فِي النّبيذ، وقول جماعة من الصّحابة فِي ترك الغُسْلِ من الْجِماع بلا إنزال، ومع هَذَا فلا يجوز تقليدهم فِي ذلك.

فهؤلاء الظّاهرية كذلك، يُعتدّ بخلافهم، فإن لن يفعل صار ما تفرّدوا به خارقًا للإجماع، ومن خرق الإجماع المتيقَّن فقد مَرَقَ مِن الملَّة. لكنّ الإجماع المتيقَّن هُوَ ما عُلِم بالضرورة من الدّين: كوُجُوب رمضان، والحجّ، وتحريم الزّنا والسرَّقة، والرَّبا واللّواط. والظَّاهرية لهم مسائل شنيعة، لكنّها لا تبلغ ذلك، والله أعلم.

وقَالَ الْإِمَام أبو عَمْرو بْن الصّلاح: الَّذِي اختاره أبو مَنْصُورٌ وذكر أنّه الصّحيح من المذهب إنّه يعتبر خلاف دَاوُد.

قَالَ ابنُ الصّلاح: هَذَا هُوَ الَّذِي **استقرّ عليه** الأمر آخرًا هُوَ الأغلب الأعرف من صَفْو الأئمّة المتأخرين الذين أوردوا مذهب دَاوُد فِي مصنّفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد، والماوَرْديّ، وأبي الطّيّب، فلولا اعتدادهم به لَمَا ذكروا مذهبه فِي مصنَّفاتهم.

قَالَ: ورأى أن يُعتبر قوله إلّا فيما خالف فِيهِ القياس الجليّ، وما أجمع عليه." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١٨/٥٥

(٢) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٢٠/٦٥

"أَنْ تُجَادُّوهُمْ، وَإِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ- وَالْقَادِسِيَّةُ بَابُ فَارِسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ أَجْمَعُ تِلْكَ الأَبْوَابِ لِمَادَّتِهِمْ، وَلِمَا يُرِيدُونَهُ مِنَ تِلْكَ الآصل، وَهُوَ مَنْزِلٌ رَغِيبٌ خَصِيبٌ حَصِينٌ دُونَهُ قَنَاطِرُ، وَأَنْهَارٌ مُمْتَنِعَةٌ- فَتَكُونُ مَسَالِحُكَ عَلَى أَنْقَابِهَا، وَيَكُونُ النَّاسُ بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ عَلَى حَافَّاتِ الْحَجَرِ وَحَافَّاتِ الْمَدَرِ، وَالْجِرَاعُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ الْزَمْ مَكَانَكَ فلا تبرحه، فإنهم إذا احسوك انغضتهم وَرَمَوْكَ بِجَمْعِهِمُ الَّذِي يَأْتِي عَلَى خَيْلِهِمْ وَرِجْلِهِمْ وَحَدِّهِمْ وَجَدِّهِمْ، فَإِنْ أَنْتُمْ صَبَرْتُمْ لِعَدُوِّكُمْ وَاحْتَسَبْتُمْ لِقِتَالِهِ وَنَوَيْتُمُ الأَمَانَةَ، رَجَوْتُ أَنْ تُنْصَرُوا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لا يَجْتَمِعُ لَكُمْ مِثْلَهُمْ أَبَدًا إِلا أَنْ يَجْتَمِعُوا، وَلَيْسَتْ مَعَهُمْ قُلُوبُهُمْ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى كَانَ الْحَجَرُ فِي أَدْبَارِكُمْ، فَانْصَرَفْتُمْ مِنْ أَدْنَى مَدَرَةٍ مِنْ أَرْضِهِمْ إِلَى أَدْنَى حَجَرٍ مِنْ أَرْضِكُمْ، ثُمَّ كُنْتُمْ عَلَيْهَا أَجْرَأَ وَبِهَا أَعْلَمَ، وَكَانُوا عَنْهَا أَجْبَنَ وَبِهَا أَجْهَلَ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ عَلَيْهِمْ، وَيَرُدُّ لَكُمُ الْكَرَّةَ.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا بِالْيَوْمِ الَّذِي يَرْتَحِلُ فِيهِ مِنْ شَرَافَ: فَإِذَا كَانَ يَوْمُ كَذَا وَكَذَا فَارْتَحِلْ بِالنَّاسِ حَتَّى تَنْزِلَ فِيمَا بَيْنَ عُذَيْبِ الْهَجَانَاتِ وَعُذَيْبِ الْقَوَادِسِ، وَشَرِّقْ بِالنَّاسِ وَغَرِّبْ بِهِمْ.

ثم قدم عليه كتاب جواب عُمَرَ: أَمَّا بَعْدُ، فَتُعَاهِدْ قَلْبَكَ، وَحَادِثْ جُنْدَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ، وَمَنْ غَفَلَ فَلْيُحَدِّثْهُمَا، وَالصَّبْرَ الصَّبْرَ، فَإِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَالأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْحِسْبَةِ وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ عَلَى مَنْ أَنْتَ عَلَيْهِ وَمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ أَيْنَ بَلَغَكَ جَمْعُهُمْ، وَمَنْ رَأْسُهُمُ الَّذِي يَلِي مُصَادَمَتَكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ مَنَعَنِي مِنْ بَعْضِ مَا أَرَدْتَ الْكِتَابَ بِهِ قِلَّةُ عِلْمِي بِمَا هَجَمْتُمْ عَلَيْهِ، وَالَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** أَمْرُ عَدُوِّكُمْ، فَصِفْ لَنَا مَنَازِلَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْبَلَدِ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَدَائِنِ صِفَةً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَمْرِكُمْ عَلَى الْجَلِيَّةِ، وَخَفِ اللَّهَ وَارْجُهُ، وَلا تُدْلِ بِشَيْءٍ وَاعْلَمْ." (١)

"" باب ذكر حكم الأرضين وما جاء فيه عن السلف الماضية " (١) لا خلاف بين الأئمة من سلف هذه الأمة أن كل بلد صولح أهله على الخراج المعلوم أنه لا يجوز تغيير ما **استقر عليهم** من الرسوم وقد صح أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمضى لأهل مدينة دمشق الصلح كما تقدم في هذا الكتاب لأنه B هـ لما أشكل عليه الحال في الفتح وهل سبق من دخلها عنوة أو من دخلها بالصلح أمضاها كلها صلحا لأهلها وقبل منهم شروطا رضوا ببذلها فأما ما ظهر عليه المسلمون عنوة من أعمالها ونواحيها وحووه بالقهر والغلبة من أهلها فقد اختلف العلماء الماضون في حكمه ولم تتفق آراؤهم في انفاقه (٢) أو قسمه فذهب عمر وعلي ومعاذ بن جبل إلى أنها وقف بين المسلمين لا تقسم بين من غلب عليها من الغانمين وتجري غلتها (٣) عليهم وعلى من بعدهم من الخائفين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وذهب الزبير بن العوام وبلال بن رباح إلى أنها ملك الغانمين فيقسم بينهم على ما يراه إمام المسلمين وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري وهما من العلماء الكبار إلى أن الإمام في ذلك بالخيار إن شاء وقفها وإن شاء قسمها ووزعها على ما (٤) يراه بين من غنمها

---

(١) الاصل وخع وفي المطبوعة: الماضين

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٩١/٣

(٢) كذا وفي المطبوعة: إيقافه

(٣) بالاصل وخع: " ويجري عليها " والمثبت عن مختصر ابن منظور ١ / ٢٣١

(٤) زيادة عن خع ومختصر ابن منظور." (١)

"يعني داود وشبهه، فقال الجمهور: إنهم لا يبلغون رتبة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدهم القضاء، وهذا ينفى الاعتداد به فى الإجماع.

ونقل الأستاذ أبو منصور البغدادى من أصحابنا، عن أبى على بن أبى هريرة وطائفة من الشافعيين أنه لا اعتبار بخلاف داود وسائر نفاة القياس فى الفروع، ويعتبر خلافهم فى الأصول.

وقال إمام الحرمين: الذى ذهب إليه أهل التحقيق أن منكرى القياس لا يعدون من علماء الأمة وحملة الشريعة؛ لأنهم معاندون مباهتون فيما ثبت استفاضة وتواترًا، ولأن معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد، ولا تفى النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام.

وذكر إمام الحرمين أيضًا فى النهاية فى كتاب الكفارات قول داود، أن الرقبة المعيبة تجزىء فى الكفارة، وأن الشافعى، رضى الله عنه، نقل الإجماع أنها لا تجزىء. ثم قال: وعندى أن الشافعى، رحمه الله، لو عاصر داود لما عده من العلماء.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بعد أن ذكر ما ذكرته أو معظمه، قال: الذى اختاره الأستاذ أبو منصور وذكر أنه الصحيح من المذهب أنه يعتبر خلاف داود. وقال الشيخ: وهذا الذى **استقر عليه** الأمر آخرًا كما هو الأغلب الأعرف من صفو الأئمة المتأخرين، الذين أوردوا مذهب داود فى مصنفاتهم المشهورة، كالشيخ أبى حامد، والمحاملى، يعنى الماوردى، والقاضى أبى الطيب وشبههم، فلولا اعتدادهم به لما ذكروا مذهبه فى مصنفاتهم هذه.

قال الشيخ: والذى أجيب به بعد الاستخارة والاستعانة بالله تعالى أن داود يعتبر قوله، ويعتد به فى الإجماع إلا فيما خالف فيه القياس الجلى، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه أو بناه على أصوله التى قام الدليل القاطع على بطلانها باتفاق من سواه على خلافه إجماع منعقد، وقوله المخالف حينئذ خارج من الإجماع كقوله فى التغوط فى الماء الراكد، وتلك المسائل الشنيعة، وقوله: لا ربا إلا فى الستة المنصوص عليها، فخلافه فى هذه وشبهه غير معتد به؛ لأنه." (٢)

"للسنة، فقال عثمان: أرخوا من المحرم أول السنة، وهو شهر حرام، وأول الشهور في العدة، وهو منصرف الناس من الحج، فرضي عمر ومن شهده من أصحابه رأي عثمان **واستقر عليه** الأمر، وأصبح مبدأ تاريخ الإسلام (١).

٣ - أرض الخراج:

كان عثمان ممن أيدوا رأي عمر بن الخطاب في عدم تقسيم أرض الفتوح على الفاتحين وإبقائها فيئًا للمسلمين وللذرية من بعدهم (٢).

٤ - حجه مع أمهات المؤمنين:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٨٦/٢

(٢) تهذيب الأسماء واللغات النووي ١٨٣/١

لما استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف، فحج بالناس، وحج مع عمر أيضا آخر حجة حجها عمر سنة ثلاث وعشرين، وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الحج، فحُملن في الهوادج، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن فلا يدع أحدا يدنو منهن، وينزلن مع عمر كل منزل، فكان عثمان وعبد الرحمن ينزلان بهن في الشعاب فيقبلانهن الشعاب، وينزلان هما في أذل الشعب، فلا يتركان أحدا يمر عليهن (٣).

* * *

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص٦٠.

(٢) السياسة المالية لعثمان، ص٢٥.

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٤)، أنساب الأشراف للبلاذري، (١/ ٤٦٥، ٤٦٦)، مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر، ص ٢٦٣.." [1]

"رابعًا: هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة:

ذهب الشيخ المحقق صادق عرجون -رحمه الله- إلى أن صحف الصديق التي كانت أصلا للمصحف الإمام بإجماع المسلمين لم تكن جامعة للأحرف السبعة التي وردت صحاح الحديث بإنزال القرآن عليها، بل كانت على حرف منها، هو الذي وقعت به العرضة الأخيرة **واستقر عليها** الأمر في آخر حياة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وإنما كانت الأحرف السبعة أولا من باب التيسير على الأمة، ثم ارتفع حكمها لما استفاض القرآن وتمازج الناس وتوحدت لغاتهم. قال الإمام الطحاوي: إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم؛ لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، وسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا، فكانوا كذلك حتى كثرت منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد (١).

وقال الطبري: إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان جائزا لهم ومرخصا لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد أجمعوا على ذلك إجماعا شائعا، وهم معصومون من الضلالة (٢). وهذا الحرف الذي كتبت به صحف الإجماع القاطع ونقل عنها المصحف الإمام جامع لقراءات القراء السبعة وغيرها، مما يقرأ به الناس ونقل متواترا عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لأن الأحرف الواردة في الحديث غير هذه القراءات (٣). قال القرطبي: قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء

(١) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه - شخصيته وعصره علي محمد الصلابي ص/٥٤

القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه المصحف (٤)، وأقرب الآراء إلى الفهم عند ظننا في معنى الأحرف إنما هو الرأي القائل بأنها هي أفصح

---

(١) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص١٨٠.

(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص١٨٠.

(٣) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص١٨٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٧٩).." [١]

"والرابع قوم دلسوا عن شيوخ مجروحين سمعوا منهم فغيروا أسماءهم وهذا تدليس الشيوخ وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى

والخامس قوم دلسوا عن شيوخ سمعوا منهم الكثير وفاتهم بعض الشيء عنهم فدلسوه

والسادس قوم رووا عن شيوخ لم يروهم قط ولم يسمعوا منهم فيقولون قال فلان وحمل ذلك منهم على الاتصال وليس مسموعا ومثل ذلك بما ذكر أبو داود الطيالسي عن أشرس أن إسحاق بن راشد قدم الري فجعل يقول حدثنا الزهري قال فقلت له أين لقيت ابن شهاب قال لم ألقه مررت ببيت المقدس فوجدت كتابا له

قلت وهذا ليس من التدليس في شيء لما تقدم إن شرط التدليس أن يكون اللفظ محتملا لا صريحا فمتى كان صريحا في السماع ولم يكن كذلك فهو كذب يقتضي الجرح لفاعله اللهم إلا أن يؤول بتأويل بعيد كما قيل فما روي عن الحسن أنه قال حدثنا أبو هريرة وتأوله من لم يثبت له السماع منه على أنه أراد حدث أهل البصرة فيكون الضمير عائدا إليهم وكذلك قول طاووس قدم علينا معاذ اليمن وهو لم يدركه وإنما أراد قدم على أهل بلده وهذه الأقسام متداخلة كما تراها والتعاقد شرط في التقسيم

والذي ينبغي أن ينزل قول من جعل التدليس مقتضيا لجرح فاعله على من أكثر التدليس عن الضعفاء وأسقط ذكرهم تغطية لحالهم وكذلك من دلس اسم الضعيف حتى لا يعرف كما سيأتي ولهذا ترك جماعة من الأئمة كأبي حاتم الرازي وابن خزيمة وغيرهما الاحتجاج ببقية مطلقا قال ابن حبان سمع بقية من شعبة ومالك وغيرهما أحاديث مستقيمة ثم سمع من أقوام كذابين عن مالك وشعبة فروى عن الثقات بالتدليس ما أخذ عن الضعفاء ولا شك في أن مثل هذا مقتض للجرح لكن الذي استقر عليه عمل الأكثرين الاحتجاج بما رواه المدلس الثقة بلفظ صريح في السماع." [٢]

"وبهذه الأمثلة، ومثلها كثير، تظهر لنا ميزة " جوامع السيرة "، وبم تنفرد عن غيرها من السير، وبم يتميز ابن حزم المؤرخ في طريقته التاريخية.

---

(١) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه - شخصيته وعصره علي محمد الصلابي ص/٢٢٩

(٢) جامع التحصيل صلاح الدين العلائي ص/٩٩

فهذه الدقة البالغة في تحليل النص المنقول، واختيار الرواية الصائبة بعد الفحص والنظر والمقارنة، وتصحيح الأوهام التي تنجم عن سرعة أو قلة تدقيق ... هذه هي المميزات التي لا يستطيع أحد أن ينكرها على ابن حزم المؤرخ.

وهي مميزات لا يستكثر معها تلك اللهجة التقريرية القاطعة التي تغلب على كتابته، ولا يستنكر إزاءها قوله دائماً، " لا شك " و " لا بد ". فإن الثقة القائمة على التحري المخلص، والنقل الثابت قطعاً، هي وحدها التي تملى على ابن حزم هذه الألفاظ القوية الحاسمة.

ولقد عرف أبو محمد بين معاصريه بالضبط الدقيق في تقييد التواريخ، حتى إن تلميذه الحميدي لا يفتأ يقول كلما وجد رواية أستاذه تخالف رواية غيره: " وأبو محمد أعلم بالتواريخ "، أو كلاماً بهذا المعنى (١) .

ولذلك جاءت هذه السيرة تحمل رأياً قاطعاً لا تردد فيه، في تأريخ الأحداث لا لأن ابن حزم مؤرخ شديد الدقة والضبط فحسب، (بل لأنه ذو رأي مستقل في طريقه التأريخ الهجري. فهو يعتبر شهر ربيع الأول وهو الشهر الذي هاجر فيه الرسول إلى المدينة أول السنة الهجرية، محرراً بذلك تأريخ وقائع السيرة، ينسبها إلى الوقت الذي وقعت فيه الهجرة فعلاً. لا يقصد بذلك مخالفة التاريخ الهجري الذي **استقر عليه** المسلمون جميعاً، منذ عهد عمر إلى الآن، وإلى ما شاء الله، وهو اعتبار شهر المحرم بدء السنة الهجرية.) فصنيعه هذا من الناحية التأريخية الصرفة أدق في التوقيت وأقرب إلى الواقع التاريخي. وخاصةً حين أصبح المؤرخون يقولون: إن هذه الحادثة أو تلك حدثت في السنة الثانية أو الثالثة، وانصرفوا عن مثل قول الواقدي إنها حدثت مثلاً – على رأس خمسة عشر أو ستة عشر شهراً من مقدم الرسول إلى المدينة، وواضح أن بين التعبيرين

(١) انظر مثلاً ص: ٢٧٥ من جذوة المقتبس.." (١)

"ولم أفهم معنى قوله أزقة وقد صرح في موضع آخر ببنيان ما **استقرّ عليه** الأمر في المسجد النبوي فقال إنه عن شرقي المنبر أربع أساطين وعن غربيه أربع أساطين اه فتلخص إن جداره كان في موضع الأسطوانة الخامسة من الجهتين كما قدمناه إلا أنه يزيد على الأسطوانة الخامسة في المشرق شيئاً مما بينها وبين الأساطين اللاصقة بجدار القبر على ما سبق عن مالك وغيره في كونه كان في موازاة القناديل هناك قلت ويؤيد ذلك إنه قد ظهر عند تأسيس دعائم القبة الآتي ذكرها درج عند باب مقصورة الحجرة الشامي في موازاة الحدّ المذكور يقابل الباب المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام فالظاهر أنه كان هناك قبل نقله إلى محله اليوم وبهذا كله يظهر

ردّ ما عليه المتأخرون في حدود المسجد النبوي وغلط من توهم منهم أنّ عمر بن عبد العزيز بنى حائزة على الحجرة من جهة المغرب في طرف الروضة الشريفة من المسجد وأنقصها به لأجل المصلحة فلم يبنه إلا في أرض الحجرة والظاهر أنّ الجدار الداخل الذي عليه الحائز هو جدار الصفة وقد ذرعت من جدار الحائز المذكور إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر في المغرب فكان نحو مائة ذراع إنما ينقص عنها نحو أربع أذرع أو خمس وقد كان في جدار القبلة تجاه الأسطوانة الخامسة من غربي المنبر التي كان أسفلها مربعا طراز آخذ من سقف المسجد إلى العصابة السفلى الظاهرية ذهب في حريق زماننا وبقى

(١) جوامع السيرة ط المعارف ابن حزم ص/٦

موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين لم تذهب إلا عند هدم الجدار فقد كان علامة لما يحاذي نهاية المسجد النبوي من هذه الجهة خلاف ما زعمه المطري من إنه علامة لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه وهو مردود بلا شك لما سيأتي من أن عمر رضي الله عنه زاد من جهة المغرب دون المشرق وأنه جعل عرض المسجد مائة وعشرين ذراعا فيكون زاد على المسجد الأصلي عشرين ذراعا في هذه الجهة وهي أسطوانتان كما يعلم مما ذكر في ذرع ما بين كل أسطوانتين ولما سيأتي من أن عثمان رضي الله عنه زاد بعده في المغرب أسطوانة فقط وأن الوليد زاد بعده أسطوانتين وعليه استقر أمر الزيادة في المغرب ولا شك إن من الأسطوانة الخامسة المحاذية للطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربي اليوم خمس أساطين فقط فثلاث منها لعمر وعثمان رضي الله عنه وثنتان للوليد فلو كان الطراز لمذكور نهاية زيادة عثمان رضي الله عنه لكان بعده أسطوانتان للوليد فتبقى ثلاث أساطين زيدت بعد الوليد ولا قائل به إنما أوقع المطري في ذلك اعتماده لأن نهاية المسجد النبوي في المغرب الأسطوانة التي بعد المنبر وهو عجيب لأنه جازم بأن موضع المنبر لم يغير باتفاق فكيف يجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم منبره الذي يقف عليه لمخاطبة أصحابه في طرف مسجده ر يتوسطهم وإنما الصواب ما قدمناه وإنما أطلنا في ذلك لدفع ما تقدّم من التوهم ولما تصح ما أسلفناه للمقر الشجاعي شاهين الجمالي ناظر الحرم النبوي اتخذ لأعالي الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التي في قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف بدلا عن الطراز الذي كان تجاهها في جدار القبلة ونقش فيه ما حاصله إن ذلك هو الذي **استقر عليه** الأمر في نهاية المسجد النبوي وحدّه وفقنا الله وإياه لحفظ الحدود وألحقنا بالمقرّبين الشهود ويتقرع على ذلك ما قيل في اختصاص المضاعفة بالمسجد النبوي دون ما زيد فيه وقد حققنا المسألة في الأصل فراجعهليه المتأخرون في حدود المسجد النبوي وغلط من توهم منهم أنّ عمر بن عبد العزيز بنى حائزة على الحجرة من جهة المغرب في طرف الروضة الشريفة من المسجد وأنقصها به لأجل المصلحة فلم يبنه إلا في أرض الحجرة والظاهر أنّ الجدار الداخل الذي عليه الحائز هو جدار الصفة وقد ذرعت من جدار الحائز المذكور إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر في المغرب فكان نحو مائة ذراع إنما ينقص عنها نحو أربع أذرع أو خمس وقد كان في جدار القبلة تجاه الأسطوانة الخامسة من غربي المنبر التي كان أسفلها مربعا طراز آخذ من سقف المسجد إلى العصابة السفلى الظاهرية ذهب في حريق زماننا وبقى موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين لم تذهب إلا عند هدم الجدار فقد كان علامة لما يحاذي نهاية المسجد النبوي من هذه الجهة خلاف ما زعمه المطري من إنه علامة لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه وهو مردود بلا شك لما سيأتي." (١)

"من أن عمر رضي الله عنه زاد من جهة المغرب دون المشرق وأنه جعل عرض المسجد مائة وعشرين ذراعا فيكون زاد على المسجد الأصلي عشرين ذراعا في هذه الجهة وهي أسطوانتان كما يعلم مما ذكر في ذرع ما بين كل أسطوانتين ولما سيأتي من أن عثمان رضي الله عنه زاد بعده في المغرب أسطوانة فقط وأن الوليد زاد بعده أسطوانتين وعليه استقر أمر الزيادة في المغرب ولا شك إن من الأسطوانة الخامسة المحاذية للطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربي اليوم خمس أساطين فقط فثلاث منها لعمر وعثمان رضي الله عنه وثنتان للوليد فلو كان الطراز لمذكور نهاية زيادة عثمان رضي الله عنه لكان بعده

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢٢/٢

أسطوانتان للوليد فتبقى ثلاث أساطين زيدت بعد الوليد ولا قائل به إنما أوقع المطري في ذلك اعتماده لأن نهاية المسجد النبوي في المغرب الأسطوانة التي بعد المنبر وهو عجيب لأنه جازم بأن موضع المنبر لم يغير باتفاق فكيف يجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم منبره الذي يقف عليه لمخاطبة أصحابه في طرف مسجده ر يتوسطهم وإنما الصواب ما قدمناه وإنما أطلنا في ذلك لدفع ما تقدّم من التوهم ولما تصح ما أسلفناه للمقر الشجاعي شاهين الجمالي ناظر الحرم النبوي اتخذ لأعالي الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التي في قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف بدلا عن الطراز الذي كان تجاهها في جدار القبلة ونقش فيه ما حاصله إن ذلك هو الذي **استقر عليه** الأمر في نهاية المسجد النبوي وحدّه." (١)

"بضعا وخمسين وأن أقصرهن الغربية الشامية قال وعرض كل واحدة ثماني أذرع في ثمان وذكر أبن جبير أن المنارتين الشاميتين صغيرتان على هيئة برجين بخلاف اليمانية الشرقية فإنها على هيئة المنارات اه ولم يزل المسجد على ثلاث منارات إلى أن جددت المنارة الرابعة الغربية اليمانية سنة ست وسبعمائة في دولة الناصر محمد بن قلاوون على يد شيخ الخدّام كافور المظفري المعروف بالحريري وظهر عند الحفر لأساسها خوخة مروان الآتي ذكرها في ركن المسجد الغربي وبابها عليها من ساج لم يبل قال البدر بن فرحون أسفل من أرض المسجد يقامه ثم وجدوا تحصيب المسجد برمل أسود يشبه أن يكون من سلع ثم بلغوا الماء ولم يوجد أثر ولا صحة لما ذكر بعضهم من أن مئذنة كانت هناك تشرف على دار مروان انتهى قلت وهذا لا يمنع صحة ما سبق لاحتمال أنها كانت على باب المسجد وسطحه من غير أساس في الأرض لقصر المنارات حينئذ مع أن دار مروان متقدّمة على زيادة أبن أبنه الوليد قطعا وصنيع يحي يقتضي أن بناءها زمن عثمان وإن شيئاً مما دخل فيها من دار العباس أدخل في زيادة الوليد فالباب الذي ظهر إنما هو فيما أتخذه الوليد هناك بدلا عن باب مروان وصارت هذه المنارة أطول المنارات حتى عرفت بالطويلة وطولها خمسة وتسعون ذراعا بتقديم

التاء الفوقية من أعلى هلالها لكن لما هدمت المنارة المقابلة لها في المشرق المعروفة بالرسيسة بسبب الحريق الحادث في زماننا أعيدت أعني الرسيسة أطول من هذه إذ طولها يزيد على المائة بعد أن كان ينقص عن الثمانين ثم ظهر في المنارة الرسيسة ميل للتساهل في المبالغة لتأسيسها ومؤنها فأعيدت بعد أن بلغ بأساسها الماء وزيد في طولها ثانيا مع الأحكام التام حتى صار طولها أزيد من مائة وعشرين ذراعا على يد الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدام بالحرم الشريف وشاد عمائره بأمر الإشراف قايتباي وذلك في عام أثنين وتسعين وثمانمائة وطول الشرقية الشامية المعروفة بالسنجارية ثمانون إلا ذراعا وطول الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين كل ذلك من الهلال إلى الأرض خارج المسجد وهذا السياق ظاهر في أن الوليد أوّل من أتخذ المنارات ولأبي داود والبيهقيّ إن امرأة من بني النجار قالت كان بيتي من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر الحديث ولأبن زبالة حدثني محمد بن إسماعيل وغيره قال كان في دار عبد الله بن عمر أسطوانة في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب والأسطوانة مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار وهي في منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر وله عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبد العزيز استأجر حرسا للمسجد لا تحترق فيه وعن كثير بن زيد قال نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلي على الجنائز فيه وعن

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٢٣

عثمان بن أبي الوليد إن عروة قال له تضربون الناس في الصلاة في المسجد على الجنائز قال قلت نعم قال إما إن أبا بكر قد صلى عليه في المسجد وليحي ما يقتضي أن ذلك كان قبل زمن الوليد فإنه روى عن المقيري إنه رأى حرس مروان أبن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعوهم أن يصلوا على الجنائز وقد تلخص مما رواه أبن شبة أن الذي **استقر عليه** الأمر أنهم كانوا يحملون موتاهم حتى يصلي عليها النبي صلى الله عليه وسلم عند بيته في موضع الجنائز وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنه أنها أمرت أن يمرّ بجنازة أبن أبي وقاص في المسجد فيصلي عليه فأنكر الناس ذلك عليها فقالت ما أسرع ما نسى الناس ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهل بن بيضاء إلا في المسجد وفي رواية والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبني بيضاء في المسجد سهل وأخيه ويفهم منه أنه كان نادرا وليحي بسند جيد عن أبن عمر رضي الله عنه إنه صلى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد وفي رواية له إن عمر بن الخطاب صلى على أبي بكر في المسجد وأن صهيبا صلى على عمر بن الخطاب في المسجد عند المنبر ولأبن شبة إن الجنازة وضعت تجاه المنبر وذكر أبن النجار ما سبق عن حرس عمر بن عبد العزيز ثم قال إن هذه السنة في الجنائز باقية إلى يومنا إلا في حق العلو بين ومن أراد الأمراء من الأعيان وغيرهم والباقون يصلي عليهم خلف الحائط الشرقي أي من المسجد أي موضع الجنائز وفي زماننا يصلي على الجنائز بالمسجد ويخص الأعيان بالروضة إلا ما كان من جنائز الشيعة غير الأشراف فأنهم منعوا من إدخال جنائزهم إلى المسجد في دولة جقمق وذكرنا في الأصل كلاما حسنا في كيفية وضع الجنازة بين القبر والمنبر فراجعه. وقية من أعلى هلالها لكن لما هدمت المنارة المقابلة لها في المشرق المعروفة بالرسيسة بسبب الحريق الحادث في زماننا أعيدت أعني." (١)

"والأسطوانة مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار وهي في منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر وله عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبد العزيز استأجر حرسا للمسجد لا تحترق فيه وعن كثير بن زيد قال نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلي على الجنائز فيه وعن عثمان بن أبي الوليد إن عروة قال له تضربون الناس في الصلاة في المسجد على الجنائز قال قلت نعم قال إما إن أبا بكر قد صلى عليه في المسجد وليحي ما يقتضي أن ذلك كان قبل زمن الوليد فإنه روى عن المقيري إنه رأى حرس مروان أبن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعوهم أن يصلوا على الجنائز وقد تلخص مما رواه أبن شبة أن الذي **استقر عليه** الأمر أنهم كانوا يحملون موتاهم حتى يصلي عليها النبي صلى الله عليه وسلم عند بيته في موضع الجنائز وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنه أنها أمرت أن يمرّ." (٢)

"وسيأتي في الرابع عشر ما أحدثه متولي العمارة الشمس بن الزمن من التغيير في ذلك وتصوير ما **استقرّ عليه** الأمر وذكر أبن النجار أن على الحجرة أي سقفها ثوبا مشمعا مقل الخيمة وفوقه سقف المسجد وفيه أي فيما تحت المشمع المذكور خوخة عليها ممرق أي طابق مقفول وفوق الخوخة في سقف السطح أي سقف المسجد خوخة أخرى فوق تلك الخوخة وعليها ممرق مقفول أيضا وبين سقف المسجد وبين سقف السطح فراغ نحو الذراعين أي بين السقف الثاني لسطح

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١١٦/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١١٨/٢

المسجد والأوّل فإنه سقفان كما سيأتي بينهما فراغ نحو الذراعين وهذا الذي ذكره كان قبل الحريق الأوّل وأما بعده فقد أدركت بين سقفي المسجد في سقفه الذي يلي الحجرة ألواحا مسمرة سمر عليها ثوب مشمع وفيها طابق مقفل في محاذاة وسط بناء الحجرة الداخل لا كما قال المطري إنه إذا فتح يكون النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحائز الذي بناه عمر بن عبد العزيز قال وسقف الحجرة بعد الحريق إنما هو سقف المسجد وهو خطأ أيضا بل شاهدت عليها سقفا متقنا عمل بعد الحريق الأوّل لأنّ آثار خشب السقف المحترق ظهرت لنا تحت هذا السقف المجدّد عليها سترة من لبن ولم ير من جدّد هذا السقف وضعه في محل تلك الأخشاب لما يترتب عليه من إخراج رؤوس تلك الأخشاب المحترقة من الجدار فجعله فوق تلك السترة وجدّد له سترة نحو نصف ذراع وجعله من ألواح ساج على حزم من الساج." (١)

"يقرب من سقف المسجد فإن القبة المذكورة تحته ثم سدوا ما هدموه من الجدار الظاهر وأنا حاضر وحضرت في بعض بناء الحجرة متبركا بالعمل فيه ولم أحضر غير ذلك طلبا للسلامة وأنشدت في ذلك المحل الشريف قصيدتي التي تطفلت بها على واسع كرم الجناب الرفيع الحبيب الشفيع الحال بهذا الحمى المنيع التي أوّلها

قف بالديار لحيّ في ذرى الحرم ... وحيّ هذا المحيا من ذوي أضم

وكان ختم هذا البناء في يوم الخميس سابع شوّال عام أحد وثمانين وثمانمائة وصرفوا في ذلك وفي غيره من عمارة المسجد وترخيم الحجرة الشريفة وإعادة منارة مسجد قباء بعد سقوطها وبعض سقفه وإحكام مصرف مياه الأمطار التي كانت تجتمع حول المسجد وتسييرها إلى سروب وسنح عين الأزرق مالا جزيلا وقد صوّرنا ما **استقرّ عليه** الأمر في هيئة الحجرة المنيفة والقبور الشريفة بها وجعلنا صورة الحائز الظاهر بالأحمر والبناء الداخل بالأسود وجعلنا خطا لرأس القبر وخطوطا لما جعل عليه وعلى ما يحاذيه من الجدارات لأركان القبة فلا يتوهم إن ذلك بأرض الحجرة الشريفة." (٢)

"بينما يتناقص عدد النصارى القدماء. وبحثت تفاصيل المشروع ووسائله، وما يجب اتخاذه من التحوطات لضمان تنفيذه، خصوصاً وقد بدأت أنباء المشروع تتسرب إلى الموريسكيين، وظهرت بينهم أعراض الهياج فى سرقسطة وبلنسية. وكانت الخطوة التالية أن عُهد بدرس المشكل كله، إلى لجنة خاصة على رأسها الدوق دى ليرما، ووضعت هذه اللجنة أسس المشروع التمهيدية بعد كبير جدل، وخلاصتها أن يمنح الموريسكيون شهراً لبيع أملاكهم ومغادرة اسبانيا إلى حيث شاءوا، فمن جاز منهم إلى إفريقية منح السفر الأمين، ومن جاز إلى أرض نصرانية أوصى به خيراً، ومن تخلف عن الرحيل بعد انقضاء هذه المدة، عوقت بالموت والمصادرة؛ ولم يعترض أحد على هذه الأسس فى ذاتها، على أن هذه الأسس الرفيقة نوعاً لم يؤخذ بها.

وفى يناير سنة ١٦٠٩ بحث مجلس الدولة المسألة لآخر مرة، وقدم تقريراً ينصح فيه بوجوب نفى الموريسكيين، لأسباب دينية وسياسية فصّلها، وأهمها تعرض اسبانيا يومئذ خطر الغزو من مراكش وغيرها، وقيام الأدلة على أن الموريسكيين جميعاً خونة

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٤٠/٢

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٧٤/٢

مارقون، يستحقون الموت والرق، ولكن اسبانيا تؤثر الرفق بهم، وتكتفى بنفيهم من أراضيها. وتقرر أن ينفذ المشروع كله فى خريف هذا العام، وأرسلت الأوامر إلى حكام صقلية ونابولى وميلان، بإعداد جميع السفن الممكنة لنقل الموريسكيين، وجميع القوات اللازمة لحراستهم، واجتمعت منذ أوائل الصيف فى مياه ميورقة، عشرات من السفن المطلوبة، وسارت أهبة التنفيذ بسرعة ونشاط.

وهكذا انتهت السياسة الإسبانية بعد فترة من التردد، إلى اتخاذ خطوتها الحاسمة فى القضاء على البقية الباقية من الموريسكيين، وتحقيق أمنيتها القديمة، فى "تطهير" اسبانيا نهائيا من آثار الإسلام وآثار العرب، ومحو تلك الصفحة الأخيرة لشعب عظيم تالد.

– ٢ –

وفى ٢٢ سبتمبر سسنة ١٦٠٩ أعلن قرار (مرسوم) النفى النهائى للموريسكيين أو العرب المتنصرين، فساد بينهم الروع والاضطراب، وإليك نصوص هذا القرار الشهير فى صحف المآسى والاستشهاد:

يبدأ القرار بالتنويه بخيانة الموريسكيين، واتصالهم بأعداء اسبانيا، وإخفاق كل الجهود التى بذلت لتنصيرهم، وضمان ولائهم، وما **استقر عليه** رأى الملك من نفيهم جميعاً إلى بلاد البربر (المغرب). وبناء على ذلك فإنه يجب على جميع." (١)

"عمه سنجر فأكرمه وصفح عنه وسامحه على بدر منه، وعامله معاملة حسنة وقبل شفاعته في آخرين، واستقر الرأي على أن يبقى محمود بن محمد شهراً في خدمة عمه السلطان سنجر بالري وألا يدق له البوق (١) في حالة ركوبه أو نزوله، وأن يسير مترجلاً في ركاب عمه، وأن يترك كل ما يتعلق بشعائر السلطنة ورسومها (٢).

وأطاع محمود عمه السلطان سنجر ونفذ ما **استقر عليه** الرأي بينهما، فقرر السلطان سنجر اختياره ولياً لعهده ونائباً عنه في العراق سنة ٥١٣هـ، وسمح السلطان سنجر له بأن يلقب بلقب سلطان؛ وبتلك يعتبر أول من جلس على عرش سلطنة السلاجقة بالعراق هو السلطان محمود بن محمد، وأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية خاضعاً وتابعاً لسلطنة السلطان الأعظم سنجر في خراسان، بمعنى أن سلطنة العراق في عهد السلطان سنجر لا تكون إلا لمن ارتضاه وأقره سنجر، وكان سلاطين العراق يخضعون للسلطان سنجر ويذكرون اسمه في الخطبة قبل أسمائهم، وقد اعترف الخليفة العباسي المسترشد بالله بمحمود بن محمد سلطاناً على سلاجقة العراق رغم صغر سنه (٣)، وفي سنة ٥١٤هـ خطب للسلطان سنجر وابن أخيه السلطان محمود معاً (٤)، وبذلك أصبح هناك سلطانان في آن واحد إلا أن محمودًا كان يحكم بأمر من السلطان سنجر ومن ثم فهو خاضع له خضوعاً كاملاً في جميع أمور السلطنة، وقد أعاد السلطان سنجر لابن أخيه محمود بن محمد جميع البلاد التي كانت تحت سلطانه وحوزته ما عدا الري التي كان يراقب منها السلطان سنجر أعمال محمود خشية أن يخرج عليه ويعصيه مرة أخرى، وفي واقع الأمر فإن سلطان محمود الفعلي كان مقصورًا على العراقين العربي والعجمي، وظل يحكم أربعة عشر عاماً حاملاً لقب سلطان حتى توفي عام ٥٢٥هـ (٥). قال عنه ابن كثير: كان من خيار الملوك وكان فيه حلم

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥/٣٩٦

وأناة وبر وصلابة وجلسوا لعزائه ثلاثة أيام، سامحه الله (٦).

١ - بسط نفوذ سنجر على بقية أقاليم الدولة السلجوقية: وافق الخليفة العباسي المسترشد بالله في سنة ٥١٣هـ على تنصيب سنجر سلطاناً أعظم للسلاجقة وإقامة الخطبة باسمه بعد الخليفة في جميع أقاليم الدولة السلجوقية (٧)، وبناء على ذلك اتسع نفوذه وسلطانه وشمل بالإضافة إلى خراسان أكثر أقاليم إيران والعراق. هذا وقد أكرم سنجر -بعد أن أصبح سلطاناً أعظم للدولة السلجوقية- أبناء أخيه محمد فوزع عليهم حكم مدن وأقاليم إيران والعراق، واستطاع السلطان سنجر أن يعيد بسط نفوذه وسلطانه على أراضي

---

(١) البوق: هي أداة مجوفة ينفخ فيها ويزمر.

(٢) دول الإسلام (٢/ ٤١).

(٣) الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر، ص ٩٤.

(٤) دول الإسلام (٢/ ٤١).

(٥) العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٦١٧.

(٦) البداية والنهاية (١٦/ ٢٩٠).

(٧) الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر، ص ٩٧.." [١]

"بالرجوع التام إلى مذهب أهل السنة والجماعة، والتزام طريقتهم، واتباع منهجهم ومسلكهم، وكان هذا الذي أراد أن يلقى الله تعالى عليه، متبرئاً من المذاهب التي عاشها، وداعياً إلى طريقة السلف ومذهبهم، ومنتسباً إلى الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- وهذا الطور نظراً لأهميته في المجال الاعتقادي فقد أثبتناه له - بعد توفيق الله- بثلاثة وجوه: (١)

الوجه الأول: أقوال العلماء: لقد شهد كثير من العلماء والأئمة برجوع الأشعري الرجوع التام إلى مذهب السلف الصالح، وهؤلاء الأئمة ما قالوا هذه الشهادة إلا بعد أن سبروا حياته وعرفوا ما كان عليه وما **استقر عليه**، ومن هؤلاء العلماء (٢):

* شيخ الإسلام ابن تيمية (٣).

* تلميذه الحافظ ابن القيم (٤).

* الحافظ ابن كثير، وقد قال رحمه الله: ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

الحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبع: وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. وتأويل الخبرية، كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

الحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً (٥).

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/١٥٤

* الشيخ نعمان الآلوسي (٦).

* الشيخ أبو المعالي محمود الآلوسي (٧).

* العلامة محب الدين الخطيب. وقال رحمه الله في بيان أطوار الأشعري ورجوعه التام إلى مذهب السلف: أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل من كبار أئمة الكلام في الإسلام، نشأ أول أمره على الاعتزال، وتتلمذ فيه على الجبائي. ثم أيقظ الله بصيرته وهو في منتصف عمره وبداية نضجه، فأعلن رجوعه عن ضلالة الاعتزال، ومضى في هذا الطور نشيطاً يؤلف ويناظر ويُلقي الدروس في الرد على المعتزلة، سالكاً طريقاً وسطاً بين طريقة الجدل والتأويل، وطريقة السلف، ثم محض طريقته وأخلصها لله بالرجوع الكامل إلى طريقة السلف في إثبات

---

(١) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه، ص ٤٧.

(٢) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه، ص ٤٧.

(٣) الفتاوي (٦/ ٥٣).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ١١٢.

(٥) إتحاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدي، ص ٤٨.

(٦) جلاء العينين، ص ٢١٣.

(٧) غاية الأماني في الرد على النبهاني (٢/ ٤٠٨).." (١)

"في كتابه التبيين «للإشادة بحسن عقيدة الأشعري» قال ابن عساكر عن الأشعري: وتصانيفه بين أهل العلم مشهورة معروفة، بالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى «الإبانة» ، عرف موضوعه من العلم والديانة (١). ثم جاء ابن ورباس (ت ٦٥٩هـ)، وألف كتاباً في الذب عن الأشعري وأثبت له كتاب الإبانة. وقال: أما بعد .. فاعلموا معشر الإخوان وفقنا الله وإياكم للدين القويم وهدانا جميعاً للصراط المستقيم بأن كتاب «الإبانة عن أصول الديانة» الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي **استقر عليه** أمره فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال لمنّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها، وتبرأ إلى الله سبحانه منها، كيف وقد نصَّ فيه على أنه ديانته التي يدين لله سبحانه بها.

وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين، وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين: وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، فهل يسوغ أن يُقال: إنه رجع إلى غيره؟ فإلي ماذا يرجع تراه، يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله، خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون، وأئمة الحديث الماضون، وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم. هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين؟! وقد ذكر هذا الكتاب، واعتمد عليه وأثبته عن الإمام أبي الحسن رحمه الله وأثنى عليه بما ذكره فيه، وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منه إلى تصنيفه جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/٣٢٢

الإسلام، وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم (٢) ثم ذكر -رحمه الله- جماعة من هؤلاء الأئمة الذين أثبتوا كتاب «الإبانة» للأشعري ومنهم:

- إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفاسي (ت ٤٤٦هـ).
- الحافظ أبو عثمان الصابوني (ت ٤٤٩هـ).
- الفقيه الحافظ أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).
- الإمام الفقيه أبو الفتح نصرالمقدسي (ت ٤٩٠هـ).
- الفقيه أبو المعالي مجلي صاحب كتاب الذخائر في الفقه (ت ٥٥٠هـ) (٣).

وهناك جمع كثير من العلماء ممن أثبت كتاب «الإبانة» للأشعري، غير الذين ذكرهم ابن درباس ومنهم.

---

(١) تبيين كذب المفترى، ص ٢٨.

(٢) رسالة الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس، ص ١٠٧.

(٣) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه، ص ٥٢.." [1]

"٤٣ - وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم.

٤٤ - ويصدقون بأن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال الله، وأن السحر كائن موجود في الدنيا.

٤٥ - ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة، برهم وفاجرهم، وموارثتهم.

٤٦ - ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان.

٤٧ - وأن من مات مات بأجله وكذلك من قتل قتل بأجله.

٤٨ - وأن الأرزاق من قبل الله سبحانه يرزقها عباده حلالاً كانت أم حراماً.

٤٩ - وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه.

٥٠ - وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم.

٥١ - وأن السنة لا تنسخ القرآن (١).

٥٢ - وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد.

٥٣ - وأن الله عالم ما العباد عاملون وكتب أن ذلك يكون وأن الأمور بيد الله.

٥٤ - ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه، وإخلاص العمل والنصيحة للمسلمين، ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والعصبية والفخر والكبر والإزراء على الناس والعجب.

٥٥ - ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة.

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/٣٢٤

٥٦ – ويرون التشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه. وبكل ما ذكر من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير (٢). هذه عقيدة الإمام الأشعري التي **استقر عليها** وصرح بها، وهي من الآثار التي تركها بعد وفاته، وقد أسهمت بلا شك في توعية الأمة وتربيتها على أصول أهل السنة والجماعة سواء في

---

(١) مسألة فيها خلاف يطول عند أهل السنة.

(٢) اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث، شرح جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري وقرّره في مقالاته د. محمد عبد الرحمن الخميس، ص ١١ إلى ١٧١ وقد قام الدكتور بشرح هذه الأصول.." (١)

"وفي العشر الأوسط منه دارت الجهة المفردة بدمشق وأعمالها، وضمنت، وأقام لها ديوان، ومشد، وكانت أبطلت من الشام في الأيام الظاهرية من مدة تزيد على خمس عشرة سنة، وأعيدت هذه الحالة في الديار المصرية قبل هذا التاريخ بمدة، فلما كان يوم الأحد الخامس والعشرين منه، خرج مرسوم السلطان بإبطال الجهة المفردة من دمشق، والبلاد الشامية، وباراقة الخمور، وإقامة الحدود على مرتكب ذلك، وبتعظيم الانكار في ذلك، فركب الولاة، وطافوا على مظان ذلك بدمشق وظاهرها، وأراقوا الخمور، وأزالوا ما يناسب ذلك، وشددوا غاية التشديد في ذلك، وتضاعفت الأدعية للسلطان على ذلك. وفي بكرة يوم الأحد تاسع وعشرين منه عادت العساكر الشامية بكمالها، ويسير من العساكر المصرية من جهة سيزر إلى دمشق للاستغناء عنهم بالصلح. وفي اليوم المذكور انبرم الصلح بين الملك المنصور سيف الدين قلاوون والملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر صاحب الكرك، وحلف الملك المنصور على الصلح بما **استقر عليه** الحال، ونادت المنادية بذلك، ففرح الناس باجتماع الكلمة، ولله الحمد.

وفي الشهر المذكور قبض بالديار المصرية على وزيرها برهان الدين السنجاري، وصرف عن الوزارة، واعتقل بقلعة الجبل، وكان قد تقدم بأيام قلائل، قبض ولده وحاشيته، وخواصه، وأتباعه، وغلمانه، وحبسوا عن آخرهم، وطولب برهان الدين بمال كثير.." (٢)

"الحافظ الكبير (البيهقي) فإنه لما ذكر توسع من توسع في السماع من بعض محدثي زمانه الذين لا يحفظون حديثهم ولا يحسنون قراءته من كتبهم، ولا يعرفون ما يقرأ عليهم، بعد أن تكون القراءة عليهم من أصل سماعهم، وذلك لتدوين الأحاديث في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث، قال: فمن جاء اليوم بحديث واحد لا يوجد عند جميعهم لم يقبل منه أي لأنه لا يجوز أن يذهب على جميعهم، ومن جاء بحديث معروف عندهم فالذي يرويه لا ينفرد بروايته، والحجة قائمة برواية غيره.

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/٣٣٦

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٤/٨٩

وحينئذ (فلقد آل السماع) الآن (لتسلسل السند) أي بقاء سلسلته بحدثنا وأخبرنا، لتبقى هذه الكرامة التي خصت بها هذه الأمة شرفا لنبيها صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعني الذي لم يقع التبديل في الأمم الماضية إلا بانقطاعه.

قلت: والحاصل أنه لم كان الغرض أولا معرفة التعديل والتجريح، وتفاوت المقامات في الحفظ والإتقان؛ ليتوصل بذلك إلى التصحيح والتحسين والتضعيف حصل التشدد بمجموع تلك الصفات، ولما كان الغرض آخرا الاقتصار في التحصيل على مجرد وجود السلسلة السندية اكتفوا بما ترى.

ولكن ذلك بالنظر إلى الغالب في الموضوعين، وإلا فقد يوجد في كل منهما نمط الآخر، وإن كان التساهل إلى هذا الحد في المتقدمين قليلا.

وقد سبق البيهقي إلى قوله شيخ الحاكم ونحوه عن السلفي، وهو الذي **استقر عليه** العمل بل حصل التوسع فيه أيضا إلى ما وراء هذا، كقراءة غير الماهر في غير أصل مقابل بحيث كان ذلك وسيلة لإنكار غير واحد من المحدثين فضلا عن غيرهم عليهم. اهـ.." (١)

"السماع منه؟ فجوابه قوله: (والقصد بروايته والسماع منه أن يصير الحديث مسلسلا بحدثنا وأخبرنا وتبقى هذه الكرامة) وهي سلسلة الإسناد بلفظ التحديث والإخبار (التي خصت بها هذه الأمة فإنه لم يكن ذلك في الأمم الماضية شرفا) خبر لـ "تبقى" على أنه فعل ناقص على قول أو مفعول له أو حال من الكرامة (لنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تبقى أخباره على هذه الطريقة التي لا انقطاع فيها.

قلت: ولا يعزب عن ذهنك أن المصنف قد سرد في آخر بحث المرسل هذه الفائدة وزاد عليها فائدتين فتذكر (وكذا الاعتماد في روايتهم على الثقة المفيد لهم لا عليهم).

والحاصل أنه لما كان الغرض أولا معرفة التعديل والتجريح وتفاوت المقامات في الحفظ والإتقان ليتوصل بذلك إلى التصحيح والتحسين والتضعيف حصل التشديد بمجموع تلك الصفات، ولما كان الغرض آخرا هو الاقتصار في التحصيل على مجرد السلسلة السندية اكتفوا بما مر ذكره وتقريره (وهذا كله توصل من الحفاظ إلى حفظ الأسانيد، إذ ليسوا من شرط الصحيح إلا على وجه المتابعة، فلولا رخصة العلماء لما جازت الكتابة عنهم) لأنهم ليسوا على شرط من يكتب حديثه (ولا) جازت (الرواية إلا عن قوم منهم) انتهى كلام الحافظ البيهقي.

(قال زين الدين: وهذا هو الذي **استقر عليه** العمل، قال الذهبي في مقدمة كتابه " الميزان ": العمدة في زماننا ليس على الرواة بل على المحدثين والمفيدين الذين عرفت عدالتهم وصدقهم في ضبط أسماء السامعين قال: ثم من المعلوم أنه لا بد من صون المروي وستره) أي صائنا لعرضه ساترا لنفسه عن الأدناس وما يعيبه عليه الأكياس من الناس، كذا فسره البقاعي." (٢)

---

(١) رجال الحاكم في المستدرك مقبل بن هادي الوادعي ١٠/١

(٢) رجال الحاكم في المستدرك مقبل بن هادي الوادعي ١٢/١

".. ثم قال الحافظ ابن حجر: وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها – أى من روايات قصة الغرانيق – على شرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض.

... قلت: إن هذا التعميم فى الاحتجاج بالمرسل عند من يقول به، ومن لا يقول به غير مسلم، لأن الخلاف فى الاحتجاج بالمرسل إنما هو فى أحكام الفروع، ولا يمكن أن يكون جارياً فى أصول العقائد، لأنها لا تثبت إلا بدليل صحيح، والمرسل ضعيف عند جمهور المحدثين كما قال الإمام مسلم: "إن المرسل من الروايات فى أصل قولنا، وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة" (١) وقال ابن الصلاح: "ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه من وجه آخر، وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل، والحكم بضعفه هو المذهب الذى **استقر عليه** آراء جماهير حفاظ الحديث، ونقاد الأثر" (٢) .

الوجه السادس: أن الأمام ابن حجر يرى فى القصة ما هو محال أن يقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الزيادة فى القرآن عمداً أو سهواً، بيد أنه لم يشأ أن يقف عند هذه النتيجة التى كانت أمراً طبيعياً يسوق إليها البحث العلمى، وينتهى بها إلى أن هذه الأقصوصة أكذوبة باطلة، ما كانت تستحق أن تجول ساحبة ذيولها فى ساحة سيرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه خضع لقواعد الصنعة فى غير محلها – حيث يمس الأمر العقائد – وراح يتشبث بالتأويل فيما رآه محالاً، وحكى من ضروب هذا التأويل أقوالاً كلها بعيدة عن نص روايات القصة. وحتى التأويل الذى استحسنه ورجحه بعض الأئمة، بالتأمل فيه ترى أنه غير مقبول، وترده نص روايات القصة (٣) .

(١) مقدمة صحيح مسلم، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن ١٦٣/١.

(٢) علوم الحديث ص٤٩.

(٣) ينظر: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للشيخ عرجون ٨١/٢ – ٨٦ بتصرف.." [1]

"فخرج إليهم نقيطاً قطبان أنطاكية، وحاصرهم في المغاير، ودخن عليهم، وساعده على ذلك نصر بن صالح صاحب حلب، ثم التمسوا الأمان بعد اثنين وعشرين يوماً، فأخرجوهم بالأمان، وقبضوا على دعاتهم وقتلوهم، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

وفي هذه السنة استوحش سالم بن مستفاد الحمداني من شبل الدولة نصر، وكان صالح بن مرداس قد ولاه رئاسة حلب بعد ما سلمها إليه، وقدمه على الأحداث، وأبقاه نصر بعده على حاله إلى هذا التاريخ **واستقر عليه** أحداث حلب ورعاعها ولبسوا السلاح، وعولوا على محاربة القلعة.

وكان يتردد بين سالم وبين شبل الدولة كاتب نصراني يعرف بتوما وكان يحرف ما ينقله عن ابن مستفاد إلى نصر، ويزيد في التجني، ويسوم شططاً لا يمكن إجابته إليه، وذلك من غير علم ابن مستفاد.

فلما رأى شبل الدولة نصر كثرة تعديه حمل نفسه على محاربته، وركب إليه، فلما رآه الحلبيون دعوا له وانقلبوا إليه، وقاتلوا

(١) رد شبهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني ص/٤٧٩

دار ابن مستفاب، فطلب الأمان فحلف له أنه لا يجري له دماً وحبسه بالقلعة، ونهبت داره، ثم خاف استبقاءه فقتله خنقاً، ليخرج عن يمينه بأنه لم يجر له دماً.

وتبين لنصر بعد قليل كذب ذلك النصراني الكاتب، وما كان يحرفه في رسالته فقبض عليه، وطالبه بمال، فلما استصفى ماله دخل عليه بعض أجناد القلعة فخنقه في ذي القعدة. وقيل ذي الحجة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

نهاية نصر بن صالح بن مرداس

ودام نصر بن صالح في مملكة حلب إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وقتل في المصاف بينه وبين أمير الجيوش الدزبري.." (١)

"ثم سار إلى عسقلان، ونازلها يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة، وتسلمها يوم السبت سلخ جمادى الآخرة، بعد أن تسلم في طريقه مواضع كالرملة وينبا والداروم. وأقام على عسقلان، وتسلم أصحابه غزة، وبيت جبرين، والنطرون، وبيت لحم، ومسجد الخليل عليه السلام.

تسلم القدس من الفرنج

وسار إلى بيت المقدس، فنزل عليه يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين، فنزل بالجانب الغربي، وكان مشحوناً بالمقاتلة من الخيالة والرجالة. وكان عليه من المقاتلة ما يريد على ستين ألفاً غير النساء والصبيان. ثم انتقل إلى الجانب الشمالي، يوم الجمعة العشرين من شهر رجب ونصب عليه المنجنيقات، وضايقه بالزحف، والقتال، وكثرة الرماة، حتى أخذ النقب في السور، مما يلي وادي جهنم، في قرنة شمالية.

ولما رأوا ذلك وعلموا أن لا ناصر لهم، وأن جميع البلاد التي افتتحها السلطان صار من بقي من أهلها إلى القدس، خرج عند ذلك إليه ابن بارزان، ملقياً بيده، ومتوسطاً لأمر قومه، حتى استقر مع السلطان خروج الفرنج عنها بأموالهم وعيالهم، وأن يؤدوا عن كل رجل منهم عشرة دنانير، وعن كل امرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل لم يبلغ الحلم دينارين. ومن عجز عن ذلك استرق، فبلغ الحاصل من ذلك عن من خرج منهم مائتين وستين ألف دينار صورية، واسترق بعد ذلك منهم نحو ستة عشر ألفا.

وكان السلطان قد رتب في كل باب أميراً أميناً لأخذ ما **استقر عليهم**، فخانوا، ولم يؤدوا الأمانة، فإنه كان فيه، على التحقيق، العدة التي ذكرناها. وأطلق ابن." (٢)

"فبقاؤهم في النّوم مع السلامة في تلك المعركة من أدلّ الدلائل على حفظ الله تعالى لهم، ذلك مما يزيل الخوف من قلوبهم، ويورثهم الأمن، ولأنهم لو شاهدوا قتل إخوانهم الذين أراد الله تعالى إكرامهم بالشهادة لاشتد خوفهم.

السادس عشر: قوله: ونهى عن المثلة، قيل: فقد مثّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيّين فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/١٤١

(٢) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٤١١

أعينهم، وتركهم بالحرّة، وأجيب عن ذلك بأمرين: أحدهما: أنه فعل ذلك بهم قصاصا، لأنهم قطعوا أيدي الرّعاء وأرجلهم، وسملوا أعينهم، كما ذكر أنس، كما سيأتي ذلك في أبواب أحكامه صلى الله عليه وسلم في الحدود. ثانيهما: أن ذلك كان قبل تحريم المثلة.

السابع عشر:

وقع في رواية أبي الوقت والأصيليّ من رواه البخاري في باب غزوة احد من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه [عليه أداة الحرب] » .

قال الحافظ: وهو وهم من وجهين: أحدهما: أن هذا الحديث تقدّم سنده ومتنه في باب شهود الملائكة بدرا، ولهذا لم يذكره هنا أبو ذرّ ولا غيره من متقني رواة البخاريّ، ولا استخرجه الإسماعيلي ولا أبو نعيم. الثاني: أن المعروف في هذا المتن يوم بدر لا يوم أحد.

الثامن عشر: قول عبد الرحمن بن عوف: قتل مصعب بن عمير هو خير مني. لعلّه قاله تواضعا، ويحتمل أن يكون ما **استقرّ عليه** الأمر من تفضيل العشرة على غيرهم، بالنظر إلى من لم يقتل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد وقع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه نظير ذلك، كما تقدم في قتل سعد بن الربيع.

التاسع عشر: قول أنس بن النّضر: إنّي لأجد ريح الجنّة دون أحد، يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شمّ رائحة طيّبة زائدة على ما يعهده، فعرف أنها الجنّة، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين، حتى كأنّ الغائب عنه صار محسوسا عنده، والمعنى أنّ الموضع الذي قاتل فيه يؤول بصاحبه إلى الجنة.

العشرون: روى ابن إسحاق عمّن لا يتّهم عن مقسم عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجّي ببردة، ثم صلّى عليه فكبّر سبع تكبيرات، ثم أتي بالقتلى فوضعوا إلى حمزة فصلّى عليهم وعليه معهم ثنتين وسبعين صلاة.

قال السهيلي: هذا حديث ضعيف لضعف الحسن بن عمارة الذي أبهمه ابن إسحاق، وإن كان غيره فهو مجهول، ولم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا في هذه الرواية، في غزوة أحد، وكذلك لم يصل أحد من الأئمة بعده.

وروى الإمام أحمد من طريق عطاء بن السائب، عن الشعبيّ، عن ابن مسعود، نحو رواية ابن عباس، قال في البداية: سنده ضعيف من جهة عطاء بن السائب، ويرده ما رواه الستة:

إلا مسلما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين." (١)

"لقد احتوى هذا العمل على مجموعة من الأخطاء الأساسية التي كان مصدرها تبني أسلوب المستشرقين وتبني وجهات نظرهم وهم أساسا لا يعترفون بالإسلام دينا خاتما ولا بالنبي محمد. ولا يؤمنون بالوحي ولا يفرقون كما يفرق المسلمون بين الألوهية والنبوة.

وفي مقدمة هذا البحث، نؤكد أنّ كتابات العصريين في السيرة النبوية كانت في عصرها أمرا محببا أقبل الناس عليه وقدّمت

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤/٢٤٧

سيرة الرسول وعظمة الإسلام للجماهير التي كانت لا تلم بالدراسات العلمية إلا قليلا.

فقد كتبت هذه الفصول أول الأمر في المجلات الأسبوعية، الذائعة (السياسية الأسبوعية. والرسالة) مما كان لها أثرها في الانتشار والذيوع. وقد اختلفت فعلا عما سبقها من كتابات السيرة التي نشرت في مؤلفات لغلبة الأسلوب الصحفي الميسر.

ولقد كانت هذه الكتابات في تقدير المؤرخين والباحثين على حالتين:

الحالة الأولى:

العامل القريب والمباشر وهو ظهور حركة التبشير المسيحي الضخمة في القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية عام ١٩٣٢ وتنصير عدد من الطلاب المسلمين بها وكان ذلك جزءا من موجة ضخمة قام بها الغرب بعد أن استردت الفاتيكان الأموال الطائلة التي كانت قد احتجزتها الحكومة الإيطالية عنها.

الحالة الثانية:

أثر الحرب العالمية الثانية في نفوس الناس بالدعوة إلى الرجعة إلى الدين والتطلع إلى آفاق جديدة تقدمها رسالات السماء وفي مقدمتها الإسلام.

غير أن هناك عوامل أخرى خفية وراء ظواهر الأحداث تحدثت عنها كتابات الباحثين والمراقبين لهذه الأحداث منها:

أولا: رغبة حزب الأحرار الدستوريين في كسب مشاعر الوطنيين بعد أن عرف عنه أنه الحزب الذي يجمع دعاة التغريب وأساطينه والذي صدرت من تحت عباءته الكتب التي أثارت الضجة وخالفت مفاهيم الإسلام الأساسية وهزت مشاعر الناس وفي مقدمتها (الشعر الجاهلي لطه حسين) و (الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق) . وكانت الفكرة التي **استقر عليها** الرأي هو الدخول إلى مشاعر المسلمين من طريق الكتابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم (هذا بالنسبة لكتاب حياة محمد للدكتور هيكل) .

ثانيا: الموقف الذي أحدثته الحرب العالمية من ائتلاف بين البلاشفة والرأسماليين في." (١)

"إلى تاله وتنسك. وتعلق بأسباب العرفان وتمسك. وعفة وزهاده. وصلاح وطد به مهاده. وعمل زان به علمه. ووقار حلى به حلمه. وبلاغة وبراعه. ثقف بها لسانه ويراعه. وأخبرني غير واحد أن سلطان العجم الشاه عباس قصد يوماً زيارة الشيخ بهاء الدين محمد فراي بين يديه من الكتب ما ينوف على الألوف فقال له السلطان هل في العالم عالم يحفظ جميع ما في هذه الكتب فقال الشيخ لا وإن يكن فهو الميرزا إبراهيم وناهيك بها شهادة بفضله. واعترافاً بسمو مقداره ونبله. وكانت وفاته سنة ست وعشرين وألف ومن انشائه الذي بلغ من البلاغة الأرب. وعجز عن الحوك على مواله مدارة العرب. ما كتبه إلى الشيخ بهاء الدين المذكور وهو الاتحاد الحقيقي يقتضي سماحة توشيح مفتتح الخطاب. وترشيح مبتدا الكتاب. بما **استقر عليه** العرف العام. واستمر عليه الرسم بين الأنام. من ذكر المحامد والألقاب. ونشر المزايا في كل باب. مع أن ذلك أمر كفت شهرته مؤنة التصدي لتحريره. وأغنى ارتكازه في الأذهان عن شرحه وتقريره. فلو أطلقت عنان القلم في هذا

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي المقدمة/١٨

المضمار. وأجريت فلك التبيان في ذلك البحر الزخار لكنت كم يصف الشمس بالضياء. ويثني على حاتم بالسخاء. فلذلك ضربت صفحاً عن ذلك. وطويت كشحاً عن سلوك تلك المسالك. واقتصرت على الايماء إلى نبذة من عموم مديده. سلم برهان السلم عدم انحصارها. وشرذمة من غموم عديه. لا ينطبق دليل التطبيق على عشر معشارها. واكتفيت عن الاطناب في هذا الباب. بما تضمنه قول بعض ذوي الألباب. وأظنه العارف النسائي

جفاى جرخ وغم دهر انجنانم كرد ... كه ازدوكس بودم حسرت ازجكر خارى

يكى برانكه زراهى عدم بملك وجود ... ينامد وخبرش نيست زين كرفتارى

دبكر برنكه درين خاكدان غم برور ... بخواب رفت ونكر دار زوى بيدارى

نسأل الله سبحانه مفتح أبواب السرور. بقطع علائق عالم الزور وحسم عرائق دار مغرور. وتبديل الأصدقاء المجازيين. بالاخلا الروحانيين. والانزوا في زاوية العزله. والانفراد عن جلسا السوء والذله. وصرف الأوقات. في تلافي ما فات. واعداد الزاد. ليوم المعاد. فإن ذلك أعظم المقاصد وأعلاها. وأهم المطالب وأولاها.

نان جوين وخرفه بشمين اب شور ... سى باره كلام حديث بيمبرى

هم نسخه سرجارز علمه كه نافع است

وزدين ان لغوبو على وزاز بحترى ... رين مردمان كه ديوان شياف حرز كند

در كوشيه نهان شده بنشته دون برى

بايك دو اشتكاه نيرزد بنيم جو ... در بيش ملك همت شان ملك سنجرى

اين ان سعاد تست كه بروى حسد برد ... آب حيات ورونق ملك سكندرى

وهذه لمعة من كثير. وجرعة من غدير في القلب أشياء كثيره. لا سبيل إلى تقريرها. ولا طريق إلى تحريرها. زبان خموش وليكن ذهان براز عربست هذا ولقد أوجع قلبي. وأزعج لبي. ما صرحتم من حكاية السقطة التي ألمت قدم قدوة المتأهلين. وأوهنت رجل سلطان المتولهين. لكن ألقى هاتف الغيب في بالي أن السقوط مبشر بالارتقا. والهبوط مخبر عن غاية الاعتلا. فإن القطرة لما هبطت صارت لؤلؤه والحبة لما سقطت على الأرض صارت سنبله. مع أن المصيبة والابتلا. موكل بالانبيا ثم الأوليا. فيجب الشكر على التشبه بهم. والتهنئة بالانخراط في سلكهم.

تهنيت جزدر مصيبت بيش ما عيب است ... عيب عيد رادر مارسم مبارك بادنيست

ثم نسأل الله تعالى التوفيق لانتظام الأحوال وتحقيق الآمال هذا وابلا غ السلام إلى ثمرات دوحة السيادة والنقابه. وأغصان شجرة الامامة والنجابه. بلغهم الله أرفع معارج الكمال مأمول مسئول والسلام عليكم أولاً وآخراً. وباطناً وظاهراً

الحكيم أبو الحسن بن إبراهيم
الطبيب الشيرازي." (١)

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٢٨٣

"(الْبَاب السَّابِع من الْمَقْصد الثَّانِي)

فِي الْحَوَادِث من أول سنى هجرته إِلَى وَفَاته عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام لما دخل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام الْمَدِينَة الشَّرِيفَة أَقَامَ بهَا عشر سِنِين وَقبض فِي الْحَادِيَة عشرَة تتجدد لَهُ فِي كل سنة أُمُور وَشَرَائِع لَا تَنْحَصِر فلنذكر شَيْئا من ذَلِك على التَّرْتِيب نبدأ بِمَا فِي كل سنة من غَزْوَة ثمَّ من سَرِيَّة ثمَّ من غَيرهمَا

٣ - (حوادث السّنة الأولى من الْهِجْرَة)

لما استَقر عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام بِالْمَدِينَةِ وَاجْتمعَ عَلَيْهِ أَصْحَابه وَقَامُوا بنصره وَصَارَت الْمَدِينَة لَهُم دَار إِسْلَام ومعقلاً وملجأ يلجئون إِلَيْهِ شرع الله تَعَالَى جهادَ الْأَعْدَاء فَبعث الْبعُوث والسرايا وغزا وَقَاتل هُوَ وَأَصْحَابه حَتَّى دخل النَّاس فِي دين الله أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا وَكَانَ عدد مغازيه الَّتِي خرج فِيهَا بِنَفسِهِ سبعا وَعشْرين قَاتل فِي تسع مِنْهَا بِنَفسِهِ بدر وَأحد والمريسيع وَالْخَنْدَق وَقُرَيْظَة وخيبر وَفتح مَكَّة وحنين والطائف وَهَذَا على قَول من قَالَ إِن مَكَّة فتحت عنْوَة وَكَانَت سراياه الَّتِي بعث بهَا سبعا وَأَرْبَعين سَرِيَّة وَقيل إِنَّه قَاتل فِي بني النَّضِير قَالَ فِي فتح الْبَارِي السّرِيَّة بِفَتْح السِّين وَكسر الرَّاء وَتَشْديد التَّحْتِيَّة هِيَ الَّتِي تخرج بِاللَّيْلِ والسارية هِيَ الَّتِي تخرج بِالنَّهَارِ وَقيل سميت بذلك لِأَنَّهَا تخفي ذهابها وَهَذَا يقتضى أَنَّهَا أُخذت من السِّرّ وَلَا يَصح لاخْتِلَاف الْمَادَّة وهى قِطْعَة من الْجَيْش تخرج مِنْهُ وتعود إِلَيْهِ وَهِي من مائَة إِلَى خَمْسمِائَة فَمَا زَاد على خَمْسمِائَة يُقَال لَهُ منسر بالنُّون ثمَّ السِّين الْمُهْملَة فَإِن زَاد على الثَّمَانمِائَة سمي جَيْشًا فَإِن زَاد على أَرْبَعَة آلَاف سمي جحفلاً وَالْخَمِيس الْجَيْش الْعَظِيم وَمَا افترق من السّريَّة يُسمى بَعْثاً والكتيبة مَا اجْتمع وَلم ينتشر." (١)

"أَبُو القَاسِمِ سَعِيْدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ البَنَّاءِ "ح". وَأَخْبَرَنَا أَبُو المَعَالِي أَحْمَدُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المُؤَيَّدِ القَرَافِيُّ الزَّاهِدُ بِمِصْرَ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ موهوب بن الجواليقي سنة عشرين وستمائة بِبَغْدَادَ "ح". وَقَرَأْتُ عَلَى أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ عَبْدِ المُنْعِمِ الطَّائِيِّ، عَنْ أَبِي اليُمْنِ زَيْدِ بنِ الحَسَنِ الكِنْدِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الفَضْلِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ المُهْتَدِي بِاللهِ فِي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، قَالُوا: أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الزَّيْنَبِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ الوَرَّاقُ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بنُ سُلَيْمَانَ بنِ الأَشْعَثِ الحَافِظُ، حَدَّثَنَا عِيْسَى بنُ حَمَّادٍ التُّجِيْبِيُّ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ، عَنْ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيْهِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ زَيْدَ بنَ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ قَائِماً، مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُوْلُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! وَاللهِ مَا فِيْكُمْ أَحَدٌ عَلَى دِيْنِ إبراهيم غيري، وكان يحيي الموءودة يَقُوْلُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: مَهْ، لاَ تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيْكَ مُؤْنَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ، قَالَ لأَبِيْهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مُؤْنَتَهَا١.

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، وَإِنَّمَا يَرْوِيْهِ اللَّيْثُ، عَنْ هِشَامٍ بِالإِجَازَةِ، لأن البُخَارِيَّ أَخْرَجَهُ فِي "صَحِيْحِهِ" تَعْلِيقاً، فَقَالَ: وَقَالَ الليث: كتب إلي هشام بن عروة ... ، ذكر الحَدِيْثَ، فَهُوَ فِي "الصَّحِيْحِ"، وِجَادَةً٢ عَلَى إِجَازَةٍ.

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بنُ إِسْحَاقَ: أَخْبَرَنَا أَكْمَلُ بنُ أَبِي الأَزْهَرِ، أَخْبَرَنَا سَعِيْدُ بنُ أَحْمَدَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ زُنْبُوْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بنُ أَبِي دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عيسى

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢/٢٦

١ صحيح: علقه البخاري "٣٨٢٨" قال: قال الليث: كتب إليَّ هشام، عن أبيه، به. وقال الحافظ في "الفتح" "٧/ ١٤٥": وهذا التعليق رويناه موصولا في حديث زغبة من رواية أبي بكر بن أبي داود، عن عيسى بن حماد، وهو المعروف بزغبة عن الليث. وأخرج ابن إسحاق عن هشام بن عروة هذا الحديث بتمامه"، والحديث وصله الحاكم "٣/ ٤٤٠"، حَدَّثَنَا أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ يَعْقُوْبَ، حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ عَفَّان، حَدَّثَنَا أبو أسامة، حدثنا هشام بن عروة، به.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

٢ الوجادة: هي مصدر لوجد مولد غير مسموع من العرب. وهي أن يقف على أحاديث بخط راويها لا يرويها الواجد، فله أن يقول: وجدت، أو قرأت بخط فلان، أو في كتابه بخطه "حدثنا فلان"، ويسوق الإسناد والمتن، أو قرأت بخط فلان عن فلان، هذا الذي استقر عليه العمل قديما وحديثا، وهو من باب المنقطع؛ فالراوي إذا وجد في كتابه حديثا عن شيخنا كان على ثقة من أنه أخذه عنه، فإذا خانته ذاكرته، وجده في كتابه، أما إذا وجده في كتاب غيره، ولو كان أباه، فهذا انقطاع بلا ريب، وقد ذكرت مثالا لذلك في المجلد الثاني في كتابنا "الأرائك المصنوعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة" يسر الله طباعته ونشره، وأكثر النفع به، ونفعني به وبسائر كتبي يوم الدين بكرمه ومنه وسعة فضله.." (١)

"وَلاَ يَسْعَوْنَ بِالدَّاوِدِيَّةِ إِلَى السُّلْطَانِ بَلْ أَبلغُ مِنْ ذَلِكَ يَنْصِبُوْنَ مَعَهُم الخِلاَفَ فِي تَصَانِيفِهِم قَدِيْماً، وَحَدِيْثاً وَبِكُلِّ حَالٍ فَلَهُم أَشْيَاءُ أَحْسَنُوا فِيْهَا وَلَهُم مَسَائِلُ مُسْتَهْجَنَةٌ يُشْغَبُ عَلَيْهِم بِهَا وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيْرُ الإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو بنُ الصَّلاَحِ حَيْثُ يَقُوْلُ: الَّذِي اخْتَارَهُ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُوْرٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ الصَّحِيْحُ مِنَ المَذْهَبِ أَنَّهُ يُعْتَبَرُ خِلاَفُ دَاوُدَ ثُمَّ قَالَ ابْنُ الصَّلاحِ: وَهَذَا الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ آخِراً كَمَا هُوَ الأَغْلَبُ الأَعْرَفُ مِنْ صَفْوِ الأَئِمَّةِ المُتَأَخِّرِينَ الَّذِيْنَ أَوْرَدُوا مَذْهَبَ دَاوُدَ فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ المَشْهُوْرَةِ كَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الإِسْفَرَايِيْنِيِّ، وَالمَاوَرْدِيِّ وَالقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ فَلَوْلاَ اعتِدَادُهُم بِهِ لَمَا ذَكَرُوا مَذْهَبَهُ فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ المَشْهُوْرَةِ.

قَالَ: وَأَرَى أَنْ يُعْتَبَرَ قَوْلُهُ إِلَّا فِيمَا خَالَفَ فِيْهِ القِيَاسَ الجَلِيَّ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ القِيَاسِيُّوْنَ مِنْ أَنْوَاعِهِ، أَوْ بَنَاهُ عَلَى أُصُولِهِ الَّتِي قَامَ الدَّلِيْلُ القَاطِعُ عَلَى بُطلاَنِهَا فَاتِّفَاقُ مَنْ سِوَاهُ إِجمَاعٌ مُنْعَقِدٌ كقوله في التغوط في الماء الرَّاكِدِ، وَتِلْكَ المَسَائِلِ الشَّنِيعَةِ وَقَوْلِهُ: لاَ رِبَا إِلَّا فِي السِّتَّةِ المَنْصُوْصِ عَلَيْهَا١ فَخِلاَفُهُ فِي هَذَا، أَوْ نَحْوِهِ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهِ لأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا يُقْطَعُ بِبُطْلاَنِهِ.

قُلْتُ: لاَ رَيْبَ أَنَّ كُلَّ مسأَلَةٍ انْفَرَدَ بِهَا، وَقُطِعَ بِبُطْلاَنِ قَوْلِهِ فِيْهَا فَإِنَّهَا هَدْرٌ، وَإِنَّمَا نَحْكِيهَا لِلتَّعَجُّبِ وَكُلَّ مسأَلَةٍ لَهُ عَضَدَهَا نَصٌّ وَسَبَقَهُ إِلَيْهَا صَاحِبٌ أَوْ تَابِعٌ فَهِيَ مِنْ مَسَائِلِ الخِلاَفِ فَلاَ تُهْدَرُ.

وَفِي الجُمْلَةِ فَدَاوُدُ بنُ عَلِيٍّ بَصِيرٌ بِالفِقْهِ عَالِمٌ بِالقُرْآنِ حَافِظٌ لِلأَثَرِ رَأْسٌ فِي مَعْرِفَةِ الخِلاَفِ مِنْ أَوْعِيَةِ العِلْمِ له ذكاء خارق، وفيه دِيْنٌ مَتِيْنٌ، وَكَذَلِكَ فِي فُقَهَاءِ الظَّاهِرِيَّةِ جَمَاعَةٌ لَهُم عِلْمٌ بَاهِرٌ، وَذَكَاءٌ قَوِيٌّ فَالكَمَالُ عَزِيزٌ، وَاللهُ المُوَفِّقُ.

وَنَحْنُ: فَنَحْكِي قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي المُتعَةِ وَفِي الصَّرْفِ، وَفِي إِنكَارِ العَوْلِ وَقولَ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي تَرْكِ الغُسْلِ مِنَ الإِيْلاجِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ وَلاَ نُجَوِّزُ لأَحَدٍ تَقْلِيْدَهُم فِي ذَلِكَ.

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٧/٢٠٦

قَالَ ابْنُ كَامِلٍ: مَاتَ داود في شهر رمضان سنة سبعين ومئتين.

---

١ ورد عن عبادة بن الصامت قَالَ: إِنِّيْ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح وبالملح إلا سواء بسواء عينا بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى. أخرجه مسلم "١٥٨٧"واللفظ له، وأبو داود "٣٣٤٩"، والترمذي "١٢٤٠"، والنسائي "٧/ ٢٧٤"، وابن ماجه "٢٢٥٤".." (١)

"بَغْدَادَ إِبْرَاهِيْمَ الحَرْبِيِّ.

بَلْ سَكَتُوا لَهُ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ قَاسِمُ بنُ أَصْبَغَ: ذَاكَرْتُ الطَّبَرِيَّ -يَعْنِي: ابْنَ جَرِيْرٍ- وَابْنَ سُرَيْجٍ، فَقُلْتُ لَهُمَا: كِتَابُ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي الفِقْهِ، أَيْنَ هُوَ عِنْدَكُمَا؟

قَالاَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلاَ كِتَابُ أَبِي عُبَيْدٍ، فَإِذَا أَرَدْتَ الفِقْهَ فَكُتُبُ الشَّافِعِيِّ، وَدَاوُدَ، وَنُظَرَائِهِمَا (١) .

ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَابْنُ المُغَلِّسِ، وَعِدَّةٌ مِنْ تَلاَمِذَةِ دَاوُدَ، وَعَلَى أَكْتَافِهِم مِثْلُ: ابْنِ سُرَيْجٍ شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ، وَأَبِي بَكْرٍ الخَلاَّلِ شَيْخِ الحَنْبَلِيَّةِ، وَأَبِي الحَسَنِ الكَرْخِيِّ شَيْخِ الحَنَفِيَّةِ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ بِمِصْرَ.

بَلْ كَانُوا يَتَجَالَسُوْنَ وَيَتَنَاظَرُوْنَ، وَيَبْرُزُ كُلٌّ مِنْهُم بِحُجَجِهِ، وَلاَ يَسْعَوْنَ بِالدَّاوديَّةِ إِلَى السُّلْطَانِ.

بَلْ أَبلغُ مِنْ ذَلِكَ، يَنْصِبُوْنَ مَعَهُم الخِلاَفَ فِي تَصَانِيفِهِم قَدِيْماً وَحَدِيْثاً، وَبِكُلِّ حَالٍ فَلَهُم أَشْيَاءُ أَحْسَنُوا فِيْهَا، وَلَهُم مَسَائِلُ مُسْتَهْجَنَةٌ، يُشْغَبُ عَلَيْهِم بِهَا، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيْرُ الإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو بنُ الصَّلاَحِ، حَيْثُ يَقُوْلُ: الَّذِي اختَارَهُ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُوْرٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ الصَّحِيْحُ مِنَ المَذْهَبِ، أَنَّهُ يُعْتَبَرُ خِلاَفُ دَاوُدَ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الصَّلاحِ: وَهَذَا الَّذِي **اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** الأَمْرُ آخِراً، كَمَا هُوَ الأَغْلَبُ الأَعْرَفُ مِنْ صَفْوِ الأَئِمَّةِ المُتَأَخِّرِينَ، الَّذِيْنَ أَوْرَدُوا مَذْهَبَ دَاوُدَ فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ المَشْهُوْرَةِ، كَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الإِسْفَرَايِيْنِيِّ، وَالمَاوَرْدِيِّ، وَالقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ، فَلَوْلاَ اعتِدَادُهُم بِهِ لَمَا ذَكَرُوا مَذْهَبَهُ فِي مُصَنَّفَاتِهِمُ المَشْهُوْرَةِ.

قَالَ: وَأَرَى أَنْ يُعْتَبَرَ قَوْلُهُ، إِلاَّ فِيمَا خَالَفَ فِيْهِ القِيَاسَ الجَلِيَّ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ القِيَاسِيُّوْنَ مِنْ أَنْواعِهِ، أَوْ بَنَاهُ عَلَى أُصُولِهِ الَّتِي قَامَ الدَّلِيْلُ القَاطِعُ عَلَى بُطلاَنِهَا، فَاتِّفَاقُ مَنْ سِوَاهُ إِجمَاعٌ مُنْعَقِدٌ، كَقَوْلِهِ فِي التَّغَوُّطِ فِي المَاءِ

---

(١) تقدم الخبر قبل صفحات.." (٢)

"أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ بنُ القَوَّاس، أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِمِ بنُ الحَرَسْتَانِي حُضُوْراً، أَخْبَرَنَا ابْنُ المُسَلَّم، أَخبَرَنَا الحُسَيْنُ بنُ طلاَّب، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ أَبِي السَّفَر، حَدَّثَنَا زَيْدُ بنُ الحُبَاب، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ، عَنْ أَبِيْهِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَفرَدَ الحَجَّ (١) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٠/٢٧٥

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٣/١٠٦

١٠٣ - الشَهْرُزُورِيُّ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُبَيْدٍ *

الإِمَامُ، الحَافِظُ، الثَّبْتُ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُبَيْد بن جُهينَة الشَّهْرُزُوْرِيُّ (٢) .

---

(١) وأخرجه مالك ١ / ٣٣٥ في الحج: باب إفراد الحج، ومن طريقه مسلم (١٢١١) (١٢٢) عن عبد الرحمن بن القاسم بهذا الإسناد.

قلت: وقد ثبت عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر مع حجته، فقد روى أبو داود (١٩٩٢) من طريق أبي إسحاق عن مجاهد قال: سئل ابن عمر: كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مرتين، فقالت عائشة: لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع، وقال الحافظ في " الفتح " ٣ / ٣٤١: إن كل من روى عنه الافراد، حمل على ما أهل به في أول الحال، وكل من روى عنه التمتع، أراد ما أمر به أصحابه، وكل من روى عنه القران، أراد ما استقر عليه أمره، وتترجح رواية من روى عنه القران بأمور: منها أن معه زيادة علم على من روى الافراد وغيره، وبأن من روى الافراد والتمتع اختلف عليه في ذلك، فأشهر من روى عنه الافراد عائشة، وقد ثبت عنها أنه اعتمر مع حجته، وابن عمر، وقد ثبت عنه أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بالعمرة، ثم أهل بالحج، وثبت أنه جمع بين حج وعمرة، ثم حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك، وجابر، وقد تقدم قوله: إنه اعتمر مع حجته أيضا.

وروى القران عنه جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبأنه لم يقع في شيء من الروايات النقل عنه من لفظه أنه قال: أفردت ولا تمتعت، بل صح عنه أنه قال: " قرنت " وصح أنه قال: " لولا أن معي الهدي لاحللت ".

(*) تاريخ ابن عساكر " ٢ / ٢٦٩ أ - ٢٦٩ ب، تذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٤٦، طبقات الحفاظ: ٣٥٠، تهذيب ابن عساكر: ٢ / ٢٨٧.

(٢) ضبطت في الأصل بفتح الراء، وما أثبتناه من " الأنساب ": ٧ / ٤١٧.." [١]

"خلاصة

اعلم أن الفتوحات الإسلامية امتدت واتسعت في الجهات الشرقية والغربية زمن الخلفاء الراشدين لطهارة سيرتهم وصفاء سريرتهم ولعدلهم في بيت المال وغيره وكان الصحابة رضي الله عنهم هم الواسطة العظمى في انتشار الدين وتبليغه بنقل أقواله وأفعاله وأحواله وأخباره وبث العلم وانتشاره وبهم أشرقت على العالم أنوار النبوة المحمدية على صاحبها أشرف السلام وأزكى التحية واعترفت الأمة لله الواحد القهار بالوحدانية وبلغت من الرقيّ أعلاه ومن المجد أسناه وبسطت الخلافة الإسلامية يدها على مشارق الأرض ومغاربها كل ذلك بواسطة الصحابة ثم التابعين رضوان الله عليهم أجمعين فهم الذين مهّدوا لنا المسالك وفتحوا لنا الأقطار والممالك وذلوا الأمم وأقاموا منار العدل ومحوا آثار الفساد والبغي والظلم وقد كانوا أسود نزال وعلماء حرب وقتال وكانت لهم الحرية الحقيقية لا يسكتون على منكر ولا يقرون على ضيم وكانوا غير مستبدين في الأعمال لا

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٥/٢٤٩

يبرمون أمراً من أمور الدولة إلا بعد المشاورة فيه مع عظماء الأمة وكان اختيار الأعمال المنوطة بهم يوكل إليهم والخليفة ينفذ ما **استقر عليه** رأيهم لأنه أرجى في نجاح الأمور لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة فكانت الأعمال منظمة والرياسة في أهلها والنجاح متأصل الأطراف مأمون مما يخاف.

واعلم أني أشرت فيما تقدم للفتوحات الشرقية والغربية التي وقعت زمن الخلفاء الراشدين وهي في الحقيقة تمهيد للفتوحات الغربية وذكر أمراء إفريقية. وحيث كان ذلك هو الغرض الوحيد من تأليف هاته التتمة وقد آن الأوان فلنشرع في الغرض المقصود، مستعيناً بالواحد المعبود، فنقول:

الفتوحات الغربية على يد الصحابة

أول أمير تأمّر على جيوش إفريقية هو البطل المشهور المجاب الدعوة سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعهد من الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وتحرير الخبر في ذلك كان استعمل على الحرب في مصر عبد الله بن سعد وأمره بغزو إفريقية سنة ٢٤ هـ أو ٢٥ هـ وقال له: إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم، فأمر عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري الصحابي بالمولد على جند وعبد الله بن نافع بن الحارث على آخر وسرحهما فخرجوا إلى إفريقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدروا على التوغل فيها." (١)

"سنة خمس وأربعين وثمانمائة

فيها توفي تقي الدّين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصّمد المقريزي [١] الحنفي البعلي الأصل المصري [٢] المولد والدار والوفاة الإمام العالم البارع، عمدة المؤرّخين، وعين المحدّثين.

ولد بعد سنة ستين وسبعمائة، ونشأ بالقاهرة، وتفقه على مذهب الحنفية، وهو مذهب جدّه العلّامة شمس الدّين محمد بن الصّايغ، ثم تحول شافعيا بعد مدة طويلة [٣] ، وسمع الكثير من البرهان النشاوري، والبرهان الآمدي، والسّراج البلقيني، والزّين العراقي. وسمع بمكّة من ابن سكّر وغيره، وله إجازة من الشيخ شهاب الدّين الأذرعي، والجمال الإسنوي، وغيرهما. وكان علما من الأعلام، ضابطا مؤرّخا، مفنّنا، محدّثا، معظّما في الدولة [٤] ، ولي حسبة القاهرة غير مرّة وعرض عليه قضاء دمشق فأبى، وكتب الكثير بخطّه، وانتقى، وحصّل الفوائد، واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره، حتى صار يضرب به المثل، وكان منقطعا في داره ملازما للخلوة والعبادة، قلّ أن يتردد لأحد إلا لضرورة، إلا أنه كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم لميله إلى مذهب الظاهر.

---

[١] قال السخاوي في «الضوء اللامع» : «وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة» .

[٢] ترجمته في «إنباء الغمر» (٩/ ١٧٠) و «الضوء اللامع» (٢/ ٢١) و «الدليل الشافي» (١/ ٦٣) و «النجوم الزاهرة» (١٥/ ٤٩٠) و «حوادث الدهور» (١/ ٦٣- ٦٨) و «المنهل الصافي» (١/ ٣٩٤- ٣٩٩) و «التبر المسبوك» ص

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ١١١/٢

(٢١- ٢٤) .

[٣] قال السخاوي في «الضوء اللامع» : «واستقر عليه أمره» .

[٤] في «ط» : «في الدول» .." [١]

"وكسره ونهب الحلة، وهرب دبيس إلى الشام، فأجاره شهاب الدين ابن مالك بالدوسرية وأكرمه وسيّره إلى نجم الدين ابن أرتق إلى ماردين فأكرمه وصارت بينهما زيجة، وأعاده إلى الحلة.

- ٤١ - (١)

سنة٥١٥ : وفي جمادى الأولى كانت كسرة المسلمين ببلاد الكرج، وذلك أن داود ملك الكرج كان قد ظهر على الملك طغرل من الدروب، فاستنجد بنجم الدين ابن ارتق وجموح التركمان وصحبتهم دبيس بن صدقة بن مزيد، فانكفت الكرج في الدروب الضيقة وتبعهم خلق من المسلمين، فأخذ الكرج عليهم الدروب ورضخوهم بالصخر فانكسروا.

- ٤٢ - (٢)

سنة ٥١٨ : وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة عبر الأمير دبيس بن صدقة بن مزيد، من قلعة منبج ونزل بظاهر منبج، وكان له عمل في حلب ومكاتبة، فانكشفة على يد فضائل بن صاعد بن بديع، وقتل بعض القوم ونفى بعضاً، وكان بها التمرتاش حسام الدين بن نجم الدين إيلغازي بن أرتق.

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب كان خلاص البغدوين [ملك الفرنج] من شيزر، وكان استقر عليه ثمانون ألف دينار وقلعة عزاز، وحلف على ذلك ورهن جماعة من الفرنج أثني عشر نفساً، أخذهم الجوسلين، وعجل من المال عشرين ألف دينار، فما هو إلا أن خرج حتى غدر ونكث، ونفذ يعتذر إلى الأمير حسام الدين بن نجم الدين بأن البطريك لم يوافقه على تسليم عزاز، وأن خطية اليمين تلزمه، وترددت الرسل منهم إلى يوم الأحد ثامن عشر شعبان وعادة بنقض الهدنة. وخرج الملك إلى ارتاح وعزمه على حلب، فخرج التمرتاش من حلب

---

(١) بغية الطلب ٦: ٣٠٩ (انظر التاريخ الصغير ٣٨٨) .

(٢) بغية الطلب ٦: ٣٠٩.." [٢]

"الإذن: بأنهم ظلموا، كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج، فيقول لهم: "اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال"، حتى هاجر فأذن له بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية. انتهى.

وقال غيره: وإنما شرع الله الجهاد في الوقت اللائق به؛ لأنهم كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا، فلو أمر المسلمين -وهم قليل- بقتال الباغين لشق عليهم فلما بغى المشركون، وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله، واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة دار إسلام، ومعقلا يلجئون إليه، شرع الله تعالى جهاد

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣٧٠/٩

(٢) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٦٨/١

الفاعل، أي: الله "الإذن" لهم في القتال، "بأنهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج، فيقول لهم: "اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال" حتى هاجر فأذن له بالقتال، ولم يفرض عليهم، وظاهره: أنه لم يؤمر بالصبر بعد الهجرة مع أنه أمر بالصبر على أذى اليهود ووعد بالنصر عليهم، كما قال العلماء فيما نقله في الشامية لكنه نزله كالعدم بالنسبة لأذى أهل مكة، فإن كان بالمدينة في غاية العزة والقوة من أول يوم، وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال، وكان جبريل يأتيه من ربه بغالب الأجوبة أو لقلة مدته أتى بالتعقيب، أي: فأذن له بعد صبر قليل على أذى اليهود لما قويت الشوكة واشتد الجناح، "بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية" غالبها بمكة، "انتهى" ثم فرض عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتل، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وبين المصنف في غزوة قينقاع أن الكفار بعد الهجرة كانوا معه ثلاثة أقسام.

"وقال غيره" في بيان حكمة تأخر مشروعية الجهاد حتى هاجر، "وإنما شرع لله الجهاد في الوقت الائق به؛ لأنهم كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا، فلو أمر" الله "المسلمين وهم قليل بقتال الباغين لشق عليهم، فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله" عطف على بغي، "**واستقر عليه** السلام بالمدينة واجتمع عليه أصحابه" المهاجرون والأنصار، "وقاموا بنصره وصارت المدينة دار إسلام ومعقلا" بفتح الميم وكسر القاف: ملجأ "يلجئون إليه" تصريح بما علم من المعقل، وفي هامش تفسير المعقل بالحصن الكبير، "شرع الله جهاد الأعداء" جواب لما بغى، وفي نسخة: ولما استقر، بزيادة لما وحذفها أولى، لاحتياجها إلى تقدير جواب لما بغى، أي: هاجر "فبعث عليه السلام البعوث والسرايا." (١)

"المجلد الخامس

تابع الفصل السادس: في أمرائه ورسله وكتابه وكتبه إلى أهل الإسلام في الشرائع والأحكام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام

وأما مكاتبته عليه الصلاة والسلام إلى الملوك وغيرهم

...

تابع الفصل السادس: في أمرائه ورسله وكتابه وكتبه إلى أهل الإسلام في الشرائع والأحكام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام

بسم الله الرحمن الرحيم

[وأما مكاتبته عليه الصلاة والسلام إلى الملوك وغيرهم] :

فروي أنه لما رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية كتب إلى الروم، فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا أن يكون مختوما، فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، و"الله" سطر، وختم به الكتاب.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢/٢١٩

وفي القاموس النمر ككتف، ابن تولب، ويقال: النمر -بالفتح- شاعر للنبي -صلى الله عليه وسلم- وسيذكر المصنف كتابه إلى بني نهد في المقصد الثالث، فذكره هنا في قوله: إلى بني زهير لا فائدة فيه؛ لأنهما غيران، والله أعلم.

"وأما مكاتباته عليه الصلاة والسلام" أي: بيان كتابته "إلى الملوك وغيرهم، فروي" عند ابن سعد وغيره عن ابن عباس "أنه لما رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية" في ذي الحجة سنة ست، "كتب إلى الروم" يدعوهم إلى الإسلام، أي: أمر بالكتب، فكتب وأراد إرساله، "فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا أن يكون مختوما، فأخذ خاتما من فضة"، هكذا في رواية ابن سعد وغيره، وروى ابن عدي في هذه القصة، أنه عمل له خاتما من حديد، فجاء جبريل، فقال: انبذه من أصبعك فنبذه، فعمل له خاتما من نحاس، فأمره جبريل، فنبذه، فعمل له خاتما من فضة، فأقره جبريل، فإن صحا، فاقتصر من اقتصر على الفضة؛ لأنه الذي **استقر عليه** أمره، "ونقش فيه ثلاثة أسطر من محمد سطر ورسول" بالتنوين وعدمه على الحكاية "سطر والله" بالرفع والجر على الحكاية "سطر" ولابن سعد من مرسل ابن سيرين باسم الله محمد رسول الله.

قال الحافظ: ولم يتابع على هذه الزيادة، وقول بعض الشيوخ -يعني الإسنوي: إن كتابته كانت من فوق، يعني الجلالة أعلى الأسطر الثلاثة، ومحمد أسفلها، فلم أر التصريح بذلك في شيء من الأحاديث، بل رواية الإسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك، فإنه قال: محمد سطر، والسطر الثاني رسول، والسطر الثالث الله "وختم به الكتاب".

قال الحافظ: ولم تكن كتابة الخاتم على الترتيب العادي، فإن ضرورة الختم به تقتضي أن الأحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا انتهى.

وهو تعويل على العادة وأحواله -صلى الله عليه وسلم- خارجة عن طورها، بل في تاريخ ابن كثير عن بعضهم أن كتابته كانت مستقيمة، وكانت تطبع كتابة مستقيمة، وفي رواية ابن سعد وغيره، فخرج ستة نفر في يوم واحد، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم، "وإنما كانوا لا يقرءون الكتاب" إذا ورد عليهم، "إلا مختوما" بأن يطوى، ويجعل عليه ما يمنع فكه، ثم." (١)

"عبت الله ذلك عليهم، وذلك قبل بدر بأزيد من ام، فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة على ما تقدم قبل ذلك فلم ينكره الله عليه. لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدروكثرة أسرارها -والله أعلم- إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب أو إنكار أو تذنيب قاله القاضي عياض رحمه الله تعالى.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾

بأزيد من عام"، هذا سهو، لأن السرية كانت في رجب، وقيل: في جمادى الآخرة، وبدر في رمضان، كلاهما في ثانية الهجرة،

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣/٥

فبينهما أقل من ثلاثة أشهر، وقد تعقبوا الشفاء، متبوع المصنف بهذا، ومثله لا يخفى عليهما، ولكن الكمال لله، "فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسرى كان على تأويل" باجتهاد منه ومن أصحابه، "وبصيرة" جريًا "على ما تقدم قبل"، أي: قبل "ذلك" الفعل "مثله، فلم ينكره الله عليه، لكن الله تعالى أراد" وله ما كان لنبي ... إلخ.

"لعظم أمر بدر" بكسرها شوكة المشركين وإرعاب قلوبهم، فلو زادوا بقتل الاسرى كان أقوى، "وكثرة أسرارها"،جمع أسير، "الله أعلم" بما أراد جملة معترضة" "إظهار نعمته" مفعول أراد، أي: ظهورها على المسلمين، "وتأكيد منته" عليهم "بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ" على أحد الوجوه السابقة قريبًا في المراد بالكتاب "من حل ذلك" لهم، "لا على وجه عتاب" أي: لوم، بل لبيان النعمة "أو إنكار" عليهم "أو تذنيب" أي: نسبتهم لذنب في فعلهم "قال القاضي عياض رحمه الله تعالى": في الشفاء من أول قوله: وليس في هذا إلزام ذنب إلى هنا وهو وجيه خلافًا لقول بعض شراحه؛ أنه تكلف لا ينبغي ارتكابه، والحق أنه عتاب من الله.

وفي فتح الباري: اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب، فقال بعضهم: كان رأي أبي بكر، لأنه وافق ما قدر الله في نفس الأمر، ولما استقر عليه الأمر، ولدخول كثير منهم في الإسلام، إما بنفسه وإما بذريته التي ولدت له بعد الوقعة، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب، كما ثبت ذلك عن الله تعالى في حق من كتب له الرحمة، وأما من رجح الرأي الآخر، فتمسك بما وقع من العتاب على أخذ الفداء، وهو ظاهر، لكن الجواب عنه أنه لا يدفع حجة الرجحان عن الأول، بل ورد للغشارة إلى ذم من آثر شيئًا من الدنيا على الآخرة، ولو قل: "وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ على الحق بالعصمة، ﴿لَقَدْ كِدْتَ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ." (١)

"به أنه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك، لأنه أخر إلى أن صار مثل الشراك. ذكره في المجموع.

وقد بين ابن إسحاق في المغازي أن صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة، وهي ليلة الإسراء. ولفظه:

قال نافع بن جبير وغيره: لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسري به لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس، ولذلك سميت "الأولى" -أي صلاة الظهر- فأمر فصيح بأصحابه: "الصلاة جامعة" فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه. فذكر الحديث وفيه رد على من زعم أن بيان الأوقات إنما

الزوال أول وقت الظهر إذ لم ينقل أنه صلى قبله، وهذا هو الذي استقر عليه الإجماع وكان فيه خلاف قديم عن بعض الصحابة أنه جوز صلاة الظهر قبل الزوال، ومثله عن أحمد وإسحاق في الجمعة. انتهى.

"وأما حديث ابن عباس، فالمراد به أنه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك، لأنه أخر إلى أن صار مثل الشراك" وإن كان ذلك ظاهره لمخالفة غيره من الأحاديث، وهي يفسر بعضها بعضا، "ذكره في المجموع" شرح المهذب للنووي، "وقد بين" محمد "بن إسحاق" بن يسار "في المغازي أن صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥٠/٩

التي فرضت فيها الصلاة، وهي ليلة الإسراء، ولفظه"كما في الفتح: حدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير.
وقال عبد الرزاق: عن ابن جريج، قال: "قال نافع بن جبير"، "بضم الجيم" ابن مطعم بن عدي النوفلي "وغيره" فسقط من قلم المصنف أو نساخه بعض الكلام: "لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسري به" فيها "لم يرعه"، "بفتح الياء وضم الراء وإسكان العين" لم يفزعه "إلا جبريل نزل حين زاغت" بغين معجمة" أي: مالت "الشمس ولذلك سميت الأولى، أي صلاة الظهر" لأنها أول صلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم صبيحة الإسراء على المشهور في الأحاديث، ولابن أبي خيثمة والدارقطني وابن حبان في الضعفاء بإسناد ضعيف عن ابن عباس: لما فرضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل، فصلى به الصبح حين طلع الفجر.
وفي حديث أبي هريرة عند النسائي، قال صلى الله عليه وسلم: "هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم". فصلى الصبح حين طلع الفجر "فأمر" صلى الله عليه وسلم، "فصيح بأصحابه: الصلاة جامعة" برفعهما ونصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني وعكسه، "فاجتمعوا وصلى به جبريل، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه، فذكر." (١)
"اللسان، كما أنه عبودية القلب، والأفعال المنوية عبودية الجوارح. وبنحو ذلك أجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين بن كثير.
وأطنب ابن القيم –في غير الهدي– في رد الاستحباب، وأكثر في الاستدلال بما ذكره طول يخرجنا عن المقصود، لا سيما والذي **استقر عليه** أصحابنا استحباب النطق بها.
وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين، من حديث أنس: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا، يقول: "لبيك عمرة وحجا". وفي البخاري من حديث عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول –وهو بوادي العقيق: "أتاني الليلة آت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة". وهذا

كما أنه عبودية القلب، والأفعال المنوية عبودية الجوارح، وبنحو ذلك أجاب الشيخ تقي الدين" علي بن عبد الكافي "السبكي والحافظ عماد الدين بن كثير، وأطنب ابن القيم في غير الهدي في رد الاستحباب، وأكثر من الاستدلال بما في ذكره طول يخرجنا عن المقصود" من الاختصار، "لا سيما والذي **استقر عليه** أصحابنا استحباب النطق بها" بأن يقول: أصلي الظهر مثلا فرضا لله أربع ركعات: أداء أو قضاء مستقبل القبلة، هذا جملة ما يستحب النطق به عند الشافعية، "وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين من حديث أنس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا، يقول: "لبيك عمرة وحجا"، والجامع بينهما وبين الصلاة أن كلا عبادة لها نية، وقد نطق به في الإحرام، فيقاس عليه إحرام الصلاة. "وفي البخاري" في الحج والمزارعة والاعتصام "من حديث عمر" بن الخطاب: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق" أي: فيه وهو بقرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال: "أتاني الليلة آت" هو جبريل "من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك" أي: وادي العقيق، وعند ابن عدي عن عائشة مرفوعا: "تخيموا العقيق، فإنه مبارك". "بحاء

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٨٩/١٠

معجمة وتحتية" أمر بالتخييم، أي النزول به، لكن حكى ابن الجوزي عن حمزة الأصبهاني أنه تصحيف، والصواب بالفوقية وله اتجاه، لأن في معظم الطرق ما يدل على أنه من الخاتم، وقد وقع في حديث عمر: "تختموا بالعقيق، فإن جبريل أتاني به من الجنة". الحديث وأسانيده ضعيفة، "وقل عمرة في حجة" برفع عمرة للأكثر، وبنصبها لأبي ذر على حكاية اللفظ، أي: قل جعلتها عمرة، وأبعد من قال معناه عمرة مدرجة في حجة، أي: أن عمل العمرة يدخل في عمل الحج فيجزي لهما طواف واحد، ومن قال: معناه أنه معتمر في تلك السنة بعد." [1]

"حديث زيد بن ثابت من طريق عروة أنه كان يقرأ في المغرب بالقصار قال: وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه الدلالة.

وكيف يصح دعوى النسخ وأم الفضل تقول: إن آخر صلاة صلاها بهم قرأ بالمرسلات.

قال ابن خزيمة في صحيحه: هذا من الاختلاف المباح، فجائز للمصلي أن يقرأ في المغرب وفي الصلوات كلها بما أحب، إلا أنه إذا كان إماما استحب له أن يخفف القراءة. انتهى.

والراجح عند النووي: أن المفصل من "الحجرات" إلى آخر القرآن.

روى عقب حديث زيد بن ثابت من طريق عروة" بن الزبير "أنه" أي: عروة "كان يقرأ في المغرب بالقصار".

"قال" أبو داود: "وهذا يدل على نسخ حديث زيد، ولم يبين وجه الدلالة" قال الحافظ: وكأنه لما رأى عروة راوي الخبر عمل بخلافه حمله على أنه اطلع على ناسخه، ولا يخفى بعد هذا الحمل، "وكيف يصح دعوى النسخ" بمجرد فعل عروة "وأم الفضل تقول إن آخر صلاة صلاها بهم قرأ" فيها "بالمرسلات" فليس ضمير إنه للنبي صلى الله عليه وسلم كما توهمه من قال ليس فيه تصريح بأنها من قصار المفصل، فلا ينافي ما مر عن الحافظ بل الضمير لعروة، لأنه أقرب مذكور به أفصح الحافظ في توجيه الدلالة.

ما رأيت "قال ابن خزيمة في صحيحه وهذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلي أن يقرأ في المغرب وفي الصلوات كلها بما أحب إلا أنه إذا كان إماما استحب له أن يخفف القراءة. انتهى" كلام الحافظ، وزاد بعده، وهذا أي: كلام ابن خزيمة أولى من قول القرطبي ما ورد من تطويل القراءة فيما **استقر عليه** التطويل أو عكسه فهو متروك. انتهى.

ونقل الترمذي عن مالك كراهة القراءة في المغرب بالطور والمرسلات ونحوهما، وعن الشافعي استحباب ذلك غريب، فالمعروف في مذهبهما أنه لا كراهة ولا استحباب، بل هو جائز كما قاله ابن عبد البر وغيره.

نعم المستحب تقصيرها للعمل بالمدينة، بل وبغيرها، "والراجح عند النووي" وكذا عند المالكية "أن المفصل" أوله "من الحجرات إلى آخر القرآن" يعني من الخلاف في المراد به مع الاتفاق على أن منتهاه آخر القرآن هل هو من أول الصافات أو الشورى أو الجاثية أو الفتح أو الحجرات أو ق أو الرحمن أو النجم أو الصف أو تبارك أو سبح أو الضحى إلى آخر

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٠٢/١٠

القرآن.

أقول: قال الحافظ أكثرها مستغرب، والراجح الحجرات، ونقل المحب قولا شاذا أن." (١)

"الأعصار فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن. فعلى هذا فالميل بذراع الحديد خمسة آلاف ذراع ومائتان وخمسون ذراعا، وهذه فائدة جليلة قل من تنبه لها.

وروى البيهقي عن عطاء أن ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين، أي يقصران في أربعة برد فما فوقها. وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم. ورواه بعضهم في صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس.

وقد كان فرض الصلاة ركعتين ركعتين، فلما هاجر عليه الصلاة والسلام فرضت أربعا.. رواه البخاري من حديث عائشة، لكن يعارضه حديث ابن عباس: فرضت الصلاة في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين. رواه مسلم. وجمع بينهما بما يطول ذكره.

فالميل بذراع الحديد" زاد الحافظ على القول المشهور: "خمسة آلاف ذراع ومائتان وخمسون ذراعا، وهذه فائدة جليلة قل من تنبه لها" وفي الفتح: نفيسة قل من نبه عليها.

"وروى البيهقي عن عطاء" بن أبي رباح "أن ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين، أي: يقصران في أربعة فما فوقها، وذكره البخاري في صحيح تعليقا" بلا إسناد "بصيغة الجزم" فيكون صحيحا، فقال: وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد "ورواه بعضهم في صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس" الذي في الفتح، وقد روي عن ابن عباس مرفوعا، أخرجه الدارقطني وابن شيبة من طريق عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه وعطاء عن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "يا أهل مكة لا تقصروا الصلاة في أدنى من أربعة برد من مكة إلى عسفان"، وهذا إسناد ضعيف من أجل عبد الوهاب "وقد كان فرض الصلاة ركعتين ركعتين" بالتكرار "فلما هاجر عليه الصلاة والسلام فرضت أربعا، رواه البخاري" هكذا في الهجرة وأخرجه في مواضع بنحوه، وكذا مسلم بنحوه، كلاهما "من حديث عائشة لكن يعارضه حديث ابن عباس" قال: "فرضت الصلاة في الحضر أربعا، وفي السفر ركعتين، رواه مسلم" بلفظ: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم -صلى الله عليه وسل- في الحضر أربعا، وفي السفر: ركعتين، وفي الخوف: ركعة، وله أيضا أن الله عز وجل فرض الصلاة على لسان نبيكم -صلى الله عليه وسلم- على المسافر ركعتين، وعلى المقيم أربعا والخوف ركعة "وجمع بينهما بما يطول ذكره" ومن جملته أن هذا إخبار بما استقر عليه الفرضان، وحديث عائشة في بدء الأمر، وقوله في الخوف ركعة، أي: مع الإمام، وسكت عن الأخرى للعلم بأنه يتمها لنفسه وحده.." (٢)

"الفاعل له، كما يقال: بنى فلان دارا، ويريد أنه أمر ببنائه، وكما روي أنه عليه السلام رجم ماعزا، وإنما أمر برجمه، ثم احتج بأنه عليه السلام كان أفرد الحج. انتهى، وقال الخطابي نحوه.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٤٨/١٠

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٥٦/١١

قال النووي: كان -صلى الله عليه وسلم- أولا مفردا، ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك، وأدخلها على الحج، فمن روى الإفراد فهو الأصل، يعني حمله على ما أهل به أول الحال، ومن روى القران أراد أن ما **استقر عليه** أمره، ومن روى التمتع أراد به التمتع اللغوي والارتفاق، فقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة، وهو الاقتصار على فعل واحد.

غيره لا يجزى "ويجوز في لغة العرب إضافة الفعل إلى الآمر به" اسم فاعل "كما يجوز إضافته" أي: نسبته "إلى الفاعل له، كما يقال: بنى فلان دارا، ويريد" القائل "أنه" أي: القائل "أمر ببنائه" وضرب الأمير فلانًا إذا أمر بضربه.

"وكما روي أنه عليه السلام رجم ماعزا، وإنما أمر برجمه" وقطع سارق رداء صفوان، وإنما أمر بذلك ومثله كثير في الكلام كما في كلام الشافعي "ثم احتج" لترجيح الإفراد ولهذا الجمع الحسن "بأنه عليه السلام كان أفرد الحج. انتهى، وقال الخطابي نحوه" نقلا عن ملخص الكتاب المذكور للشافعي، ورجح أنه أفرد الحج.

قال الحافظ: وهذا هو المشهور عند المالكية والشافعية، وقد بسط الشافعي القول فيه في اختلاف الحديث وغيره، ورجح أنه -صلى الله عليه وسلم- أحرم إحراما مطلقا ينتظر ما يؤمر به، فنزل الحكم بذلك عليه وهو على الصفا. انتهى، وهذا خلاف ما نقله البغي والخطابي وعياض والنووي وغيرهم عن الشافعي؛ أنه رجح أنه -صلى الله عليه وسلم- أفرد الحج.

وقال عياض: به تظاهرت الروايات الصحيحة، ومن قال: أحرم إحراما مطلقا لا يصح قوله؛ لأن جابر وغيره من الصحابة مصرحة بخلافه. انتهى.

"وقال النووي" فيما نقله عن عياض: "كان -صلى الله عليه وسلم- أولا مفردا، ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج" وذلك خاص به وبأصحابه في تلك الحجة فقط عند الجمهور، وقال أحمد: بل عام لكل المسلمين في كل عام.

"فمن روى الإفراد فهو الأصل، يعني حمله على ما أهل به أول الحال، ومن روى القران أراد ما **استقر عليه** أمره، ومن روى التمتع أراد به التمتع اللغوي والارتفاق" عطف تفسير "فقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد" في الطواف والسعي.." (١)

"ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان". وقال: "أي شهر هذا"؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس ذا الحجة"؟ قلنا:

قال ابن التين: الصواب ثلاثة متوالية، يعني: لأن المميز الشهر، قال: ولعله أعاد على المعنى، أي: ثلاث مدد متواليات. انتهى، أو باعتبار العدة مع أن الذي لا يذكر التمييز معه جائز فيه التذكير والتأنيث "ذو القعدة وذو الحجة" بفتح القاف والحاء قاله المصنف، ولعله الرواية "والمحرم ورجب مضر" عطف على ثلاث لا على المحرم، وأضافه إلى مضر؛ لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من محافظة سائر العرب ولم يكن يستحله أحد من العرب، كذا قال المصنف.

وفي فتح الباري أضافه إليهم؛ لأنهم كانوا يتمسكون بتعظيمه بخلاف غيرهم، فيقال: كانت ربيعة تجعل بدله رمضان، وكان

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٥٣/١١

من العرب من يجعل في رجل وشعبان ما ذكر في المحرم وصفر فيحلون رجبا ويحرمون شعبان، ووصفه بقوله: "الذي بين جمادى وشعبان" تأكيدا وإزاحة للريب الحادث فيه من النسيء، وقيل: الأشبه أنه تأسيس؛ لأنهم كانوا يؤخرون الشهر عن موضعه إلى شهر آخر فينتقل عن وقته الحقيقي، فالمعنى لا رجب الذي هو عندكم وقد أنسأتموه.

قال الحافظ: وذكرها من سنتين لمصلحة توالي الثلاثة، إذ لو بدأ بالمحرم لفات مقصود التوالي، قال: وأبدى بعضهم لما **استقر عليه** الحال من ترتيب هذه الأشهر الحرم مناسبة لطيفة حاصلها أن لها مزية على ما عداها، فناسب أن يبدأ بها العام ويتوسطه ويختم بها، وإنما ختم بشهرين لوقوع الحج ختام الأركان الأربع لاشتمالها على عمل مال محض، وهو الزكاة وعمل بدن محض، وذلك تارة بالجوارح وهو الصلاة، وتارة بالقلب وهو الصوم؛ لأنه كف عن المفطرات، وتارة عمل مركب من مال وبدن وهو الحج، فلما جمعهما ناسب أن يكون له ضعف ما لواحد منها، فكان له من الأربعة الحرم شهران.

"وقال: "أي شهر هذا"؟ قال البيضاوي: يريد تذكيرهم حرمة الشهر وتقريرها في نفوسهم ليبني عليها ما أراد تقريره، وقولهم: "قلنا: الله ورسوله أعلم" مراعاة للأدب، وتحرز عن التقدم بين دي الله ورسوله، وتوقف فيما لا يعلم الغرض من السؤال عنه، وذلك من حسن أدبهم؛ لأنهم علموا أنه لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب، وأنه ليس مراده مطلق الإخبار مما يعرفونه، ولذا قالوا: "فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه" إشارة إلى تفويض الأمور كلها إليه "قال: "أليس ذا الحجة" بالنصب خبر ليس، وفي رواية: ذو بالرفع اسمها والخبر محذوف، أي: أليس ذو الحجة هذا الشهر "قلنا: بلى" هو ذو الحجة "قال: "أي بلد هذا"؟ بالتذكير "قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس البلد الحرام" مكة.." (١)

"وأنت إذا تأملت ما تقدم من أقوال الأئمة في حجته -صلى الله عليه وسلم- من الجمع استغنيت عن هذا التأويل المتعسف.

قال بعض العلماء المحققين: وفي عدهم عمرة الحديبية التي صد عنها -صلى الله عليه وسلم- ما يدل على أنها عمرة تامة. وفيه إشارة إلى حجة قول الجمهور: أنه لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية، ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة، وإنما سميت عمرة القضية والقضاء؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قاضى قرشيا فيها، لا أنها وقعت قضاء عن العمرة التي صد عنها، إذ لو كان كذلك لكانتا عمرة واحدة.

وأما حديث أبي داود عن عائشة: أنه اعتمر في شوال، فإن كان محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة حين خرج في شوال، ولكن إنما أحرم في ذي القعدة.

والشافعي أنه كان مفردًا "وأنت إذا تأملت ما تقدم من أقوال الأئمة في حجته -صلى الله عليه وسلم- من الجمع" بأن الإفراد إخبار عن أول أمره والقران إخبار عما **استقر عليه** "استغنيت عن هذا التأويل المتعسف" لأن خلاف الظاهر، لكنه مبني على الأصح عند الشافعية، والمالكية أنه حج مفردا، ومر أن الإمام الشافعي أول ما ورد بخلافه على أمره لغيره كبني

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٤٩/١١

الأمير المدينة، فما هنا عن عائشة وابن عمر من ذلك فلا تعسف فيه.

"قال بعض العلماء المحققين" هو ابن التين كما في الفتح "وفي عدهم" أي: الصحابة عائشة وأنس وابن عمر "عمرة الحديبية التي صد عنها -صلى الله عليه وسلم" خبر مقدم على المبتدأ، وهو "ما يدل على أنها عمرة تامة" لعل المراد من حيث الثواب؛ لأنه لم يأت من أعمالها بشيء سوى الإحرام، قاله شيخنا "وفيه إشارة إلى حجة قول الجمهور أنه لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية" زاعمين بأن عمرة القضاء إنما سميت بذلك لكونها قضاء عن التي صد عنها ولا يصح ذلك "فلو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة" والصحابة الفقهاء الفهماء عدوهما ثنتين "وإنما سميت عمر القضية والقضاء؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قاضى قريشا فيها" على أن يأتي من العام القابل يعتمر ويقيم ثلاثة أيام "لا أنها وقعت قضاء عن العمرة التي صد عنها، إذ لو كان كذلك كانتا عمرة واحدة" وقد عدهما الصحابة اثنتين.

"وأما حديث أبي داود عن عائشة أنه اعتمر في شوال" السابق آنفا "فإن كان محفوظا فلعله" أي: الراوي عائشة "يريد عمرة الجعرانة حين خرج في شوال، ولكنه إنما أحرم في ذي." (١)

"وهو بنون قبل الألف وخاء معجمة بعدها يقال أناخ الجمل فاستناخ أي بركه فبرك (وشدّ عليها رحلها) أي ربط عليها قتبها (واستوى عليها) أي **استقر عليها** جالسا (وإنّي لو تركتكم حيث قال الرّجل) أي حين قوله (ما قال) أي شيئا قاله أو لا (فقتلتموه دخل النّار) أي عقوبة له بما ظهر من الكفر في اساءة أدبه معه صلى الله تعالى عليه وسلم فكان حسن ملاطفته وزيادة عطيته سببا لإرضائه وباعثا لتوبته فهو أرفق بأمته وأعلم بحالهم منهم فإنه بهم رحيم وبدوائهم حكيم ومما يناسب المقام ويلائم المرام ما روي عن خوات بن جبير من الصحابة الكرام أنه قال نزلت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمر الظهران فإذا نسوة يتحدثن فأعجبتني فأخرجت حلة من عيبتي فلبستها وجلست إليهن فمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهبته فقلت يا رسول الله جمل لي شرود وأنا ابتغي له قيد والله فمضى وتبعته فألقى على ردائه ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال يا أبا عبد الله ما فعل شراد جملك ثم ارتحلنا فجعل كلما لحقني قال السلام عليك يا أبا عبد الله ما فعل شراد جملك فتعجلت المدينة وتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك علي فتحينت خلو المسجد ثم دخلت فطفقت أصلي فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت رجاء أن يذهب عني فقال طول أبا عبد الله ما شئت فلست ببارح حتى تنصرف فقلت والله لأعتذرن إليه فانصرفت فقال السلام عليك يا أبا عبد الله ما فعل شراد الجمل فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ اسلمت فقال رحمك الله مرتين أو ثلاثا ثم لم يعد.

(وروي عنه) بصيغة المجهول وهو مروي من طريق أبي داود عنه (أنّه صلى الله تعالى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ) من التبليغ أو الإبلاغ كما قرئ بهما في السبعة قوله تعالى أُبَلِّغُكُمْ وهو يحتمل النهي والنفي وهو بمعنى النهي كما هو أبلغ أي لا يوصلني أحد منكم بأن ينقل (عن أحد من أصحابي شيئا) أي مما ينكر فعله من أيهم كان من أي وقت كان وهذه النكرات وردت في حيز نفي متوشحة بنهي فعمت جميع الأصحاب والأوقات والأشياء مكروهة أو حراما بشهادة المقام إذ

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٨٢/١١

لا يتعلق نهى بماح ومأذون فيه (فإنّي أحبّ أن أخرج) أي من الدنيا (إليكم وأنا سليم الصّدر) جملة حالية وفيه إيماء إلى قوله تعالى إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ أي سالم من الغش والحقد للخلق ومن الغفلة عن ذكر الحق.

(ومن شفقته على أمّته عليه الصلاة والسلام تخفيفه) أي عنهم أعباء التكاليف (وتسهيله عليهم) أي وتهوينه بما يقوي قلوبهم عليه من الترغيب والترهيب. (وكراهته) أي لهم (أشياء مخافة أن تفرض) أي تلك الأشياء (عليهم) ومخافة منصوب على العلة للأفعال الثلاثة وفي نسخة بدلها خوف أن تفرض عليهم وهذا حكم إجمالي أو رد لكل ما يناسبه جمعا وتقسيما (كقوله) على ما رواه الشيخان (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مع كلّ وضوء) أي أمر وجوب فيؤخذ استحبابه في كل حال ولو كان للصائم بعد الزوال فإن لولا لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى امتنع الأمر بالفريضة لوقوع المشقة. (وخبر صلاة." (١)

"منصور البغدادي من الشافعية أن الصحيح من المذهب أنه يعتبر خلاف داود قال الشيخ وهو الذي **استقر عليه** الأمر آخرا فإن الأئمة المتأخرين أوردوا مذهب داود في مصنفاتهم قال والذي أجيب به أن داود يعتبر قوله ويعتد في الإجماع إلا فيما خالف فيه القياس الجلي وما أجمع عليه القياسيون وبناه على أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانها فاتفاق من سواه على خلافه إجماع منعقد وقول المخالف حينئذ خارج من الإجماع وذكر الذهبي في الميزان أن داود اراد الدخول على الإمام أحمد فمنعه وقال كتب إلى محمد بن يحيي في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني فقيل يا أبا عبد الله أنه يتقي من هذا وينكره فقال محمد بن يحيي أصدق منه (وقال) أي الباقلاني (وحكى قوم عنهما) أي عن داود والعنبري (أنّهما قالا ذلك) أي تصويب المجتهدين في أصول الدين (في كُلِّ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حاله استفراغ الوسع) أي بذل طاقته واجتهاده (في طلب الحقّ) وإن أخطأ (من أهل ملّتنا أو من غيرهم) هذا باطل قطعا لأن غير أهل ملتنا كل منهم يدعي من حاله استفراغ التوسع في طلب الحق وكماله لا سيما أهل الكتاب وقد أخبر الله أنهم وغيرهم اجمعون كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (وقال نحو هذا القول) المنسوب إليهما (الجاحظ وثمامة) بضم المثلثة وكلاهما من المعتزلة قال الحلبي أما الجاحظ فهو الكناني الليثي البصري العالم المشهور صاحب التصانيف المشهورة في كل فن قال المسعودي ولا نعلم أحدا من الرواة وأهل العلم وأكثر كتبا منه وله مقالة في أصول الدين وإليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن يسار البلخي المتكلم المشهور ومن أحسن تصانيفه كتاب حياة الحيوان الكبير فقد جمع فيه كل غريبة وكتاب البيان والتبيين وهو كبير جدا وكتاب في اللصوصية يعلم فيه الشخص كيف يسرق وينقب ويتسلق ويدخل البيوت في مجلد وكتاب في مدح البخل بحيث الناظر فيه يجلس اليوم واليومين لا يأكل شيئا ويبقى أياما لا تطيب نفسه باخراج شيء وكان الجاحظ مع فضله مشوه الخلق قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء وأصابه في آخر عمره فالج فكان يطلي شقه الأيمن بالصندل والكافور من شدة الحرارة وشقه الآخر لو قرض بالمقاريض لما احس به وأصابه الحصى وعسر البول توفي سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على التسعين وأما ثمامة فهو ابن أشرس النميري قال الذهبي في الميزان من كبار المعتزلة ومن رؤوس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون وكان ذا نوادر وملح قال ابن حزم كان ثمامة يقول إن

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢٨٤/١

العالم فضله الله بطباعه لأن المقلدين من أهل الكتاب وعباد الأصنام لا يدخلوا النار بل يصيرون ترابا وأن من مات مصر على كبيرة خلد في النار وأن أطفال المؤمنين يصيرون ترابا انتهى ولا يخفى أنه بقوله صاحب الكبيرة مخلد في النار مبتدع موافق للخوارج والمعتزلة وبقوله المقلد للكفار لا يدخل النار دخل في جملة الكفرة (في أنّ كثيرا من العامّة) أي الجهلة (والنّساء والبله) بضم الباء جمع أبله أي المغفلون عن الشر المطبوعون على الخير وكأنه أراد بهم من لم يكن لهم عقل الآخرة." (١)

"مذهب أهل السنة والحديث، ولكن لما كثر جداله معهم ورده عليهم ومناظرته لهم بالطرق القياسية، سلَّم لهم أصولا هم واضعوها، فمن هنا دخلت البدعة في طريقته (١)، وكان ابن كلاب قد أحدث مذهباً جديداً، فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية (٢)، وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين: فأهل السنة والجماعة يُثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤوها ويقدر عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا، فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها (٣)، ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري (٤)، وهذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب دفع الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السلف إلى أن يحذروا منه ومن أتباعه الكلابية (٥)، وهذه الطريقة التي أحدثها ابن كلاب البصري لم يسبقه إليه غيره، ووافقه عليها الأشعري وردَّ من خلالها على الجهمية والمعتزلة (٦).

الطور الثالث: مكث الأشعري زمناً على طريقة ابن كلاب يرد على المعتزلة وغيرهم من خلال ما اعتقده في هذه الطريقة ولكن الله تعالى مَنَّ عليه بالحق فنَّور بصيرته وذلك بالرجوع التام إلى مذهب أهل السنة والجماعة، والتزام طريقتهم، واتباع منهجهم ومسلكهم وكان هذا هو الذي أراد أن يلقى الله تعالى عليه، متبرئاً من المذاهب التي عاشها، وداعياً إلى طريقه السلف ومذهبهم، ومنتسباً إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهذا الطور نظراً لأهميته في المجتال الاعتقادي فقد أثبتناه له – بعد توفيق الله بثلاثة وجوه (٧):-

الوجه الأول: أقوال العلماء: لقد شهد كثير من العلماء والأئمة برجوع الأشعري الرجوع التام إلى مذهب السلف الصالح، وهؤلاء الأئمة ما قالوا هذه الشهادة إلا بعد أن سبروا حياته وعرفوا ما كان عليه وما **استقر عليه**. ومن هؤلاء العلماء (٨).

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤.

(٣) الفتاوى (١٣/ ١٣١ – ١٥٤).

(٤) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (٢/ ٤ – ٥) على هامش منهاج السنة.

(٥) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٨).

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٥٠٥

(٦) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري ص ٤٥.

(٧) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص ٤٧.

(٨) المصدر نفسه ص ٤٧.." (١)

"المسمى "الإبانة" عرف موضعه من العلم والديانة (١) ثم جاء ابن درباس ت ٦٥٩هـ، وألف كتاباً في الذب عن الأشعري وأثبت له كتاب الإبانة. وقال: أما بعد .. فاعلموا معشر الإخوان وفقنا الله وإياكم للدين القويم وهدانا جميعاً للصراط المستقيم بأن كتاب "الإبانة عن أصول الديانة" الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال بِمَنّ الله ولطفه، وكل مقالة تُنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها، وتبرأ إلى الله سبحانه وتعالى بها.

وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين، وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، فهل يسوع أن يُقال: أنه رجع إلى غيره؟ فإلي ماذا يرجع تراه، يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله، خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون، وأئمة الحديث الماضيين، وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم. هذا لعمري مالا يليق نسبته إلى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين وقد ذكر هذا الكتاب، واعتمد عليه وأثبته عن الإمام أبي الحسن رحمه الله وأثنى عليه بما ذكره فيه، وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منه إلى تصنيفه، جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام، وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم (٢) ثم ذكر رحمه الله جماعة من هؤلاء الأئمة الذين أثبتوا كتاب "الإبانة" للأشعري ومنهم:

- إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفاسي ت ٤٤٦هـ.
- الحافظ أبو عثمان الصابوني (ت ٤٤٩هـ).
- الفقيه الحافظ أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ).
- الإمام الفقيه أبو الفتح نصر المقدسي ت ٤٩٠هـ.
- الفقيه أبو المعالي مجلي صاحب كتاب الذخائر في الفقه ت ٥٥٠هـ (٣).

وهناك جمع كثير من العلماء ممن أثبت كتاب "الإبانة" للأشعري، غير الذين ذكرهم ابن درباس ومنهم.

- الإمام ابن تيمية رحمه الله ت ٧٢٨هـ.
- الحافظ الذهبي ت ٧٤٨هـ وقال: وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن،

---

(١) تبيين كذب المفتري ص ٢٨.

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٢٦٥

(٢) رسالة الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس ص ١٠٧ تحقيق د. علي ناصر الفقيهي.
(٣) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص ٥٢.." (١)

"المسلمين، وإجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والعصبية والفخر والكبر والأزراء على الناس والعجب.
٥٥. ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة.
٥٦. ويرون التشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب.
٥٧. فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكر من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير (١).

هذه عقيدة الإمام الأشعري التي **استقر عليها** وصرح بها، وهي من الآثار التي تركها بعد وفاته وقد ساهمت بلا شك في توعية الأمة وتربيتها على أصول أهل السنة والجماعة سواء في المدارس النظامية في عهد السلاجقة أو في عهد الزنكيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين وإلى يومنا هذا ومن الإنصاف العلمي القول بأن المذهب الأشعري لم يستقر على ما مات عليه الإمام أبو الحسن الأشعري بل حدث تطور في المذهب الأشعري بحيث أن أقوال الأشاعرة تعددت واختلفت في مسائل عديدة ومن أشهر الذين اجتهدوا وخالفوا أبا الحسن الأشعري، في بعض المسائل، أبي بكر الباقلاني وابن فورك وعبد القاهر البغدادي، والبيهقي والقشيري، والجويني والغزالي وغيرهم على درجات متفاوت بينهم في ذلك وقد قام الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود بتتبع هذا التطور بنوع من التفصيل في كتابه القيم موقف ابن تيمية من الأشاعرة.
– وفاته: وكانت وفاته سنة ٣٢٤هـ ودفن ببغداد في مشروع الزوايا (٢)، ونودي على جنازته: اليوم مات ناصر السنة (٣).
هذه هي العقيدة السنية التي سارت عليها الدولة الأيوبية، ولقد قام علماء السنة بتفنيد فكرة النص التي قال بها الشيعة الرافضة وبنوا عليها مذهبهم في الإمامة، وأوضحوا تهافتها اعتماداً على ما تم من اختيار أبو بكر ومبايعة المسلمين له في

---

(١) اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث شرح جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري وقرّره في مقالاته د. محمد عبد الرحمن الخميس ص ١١ إلى ١٧١ وقد قام الدكتور بشرح هذه الأصول.
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٤١٢).
(٣) رجال الفكر والدعوة (١/ ١٥١).." (٢)

"– ضمُّ سنجار: نتيجة لفشل المفاوضات بين الطرفين، رأى صلاح الدين أن يضيِّق الخناق على الموصل وعَزْلها على حلب، وكانت سنجار هي المدينة التي توفر له هذه السياسة لذلك فكَّ الحصار عن الموصل وتوجه إلى سنجار في ١٦ شعبان

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٢٦٨
(٢) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٢٧٦

عام ٥٧٨هـ/١٥ كانون الأول عام ١١٨٢م، أخطر الخليفة بما **استقر عليه** رأيه، فحاصرها مدة خمسة عشر يوماً حتى سقطت في يده (١)

– ذيول ضَّم سنجار: أثار ضمَّ سنجار حفيظة أمراء الجزيرة، فتنادوا إلى عقد حلف دفاعي موجَّه ضد سياسة صلاح الدين، وقد أزعجهم توغله في إقليم الجزيرة، وضمُّ سنجار، مما يهدَّد أمنهم، وتألف الحلف من شاه أرمن سقمان، صاحب خلاط، وقطب الدين بن نجم الدين ألبي صاحب ماردين، ودولة شاه صاحب بدليس (٢)، وأرزن (٣)، بالإضافة إلى عز الدين مسعود الأول (٤)، وخرج الخلفاء للتصدي له، مستغلين تفرق جيشه في أنحاء الجزيرة وعسكروا في حرزم من أعمال ماردين، ولما علم بمسيرهم جمع جيشه وسار إلى رأس العين (٥)، لملاقاتهم، ويبدوا أنهم خشوا الدخول في معركة، فتفرقوا عائدين إلى بلادهم (٦)، وبذلك أخفق عز الدين مسعود الأول في مسعاه لإخراج صلاح الدين من منطقة الجزيرة على الرغم من تأييد بعض أمرائها له ولم يعْد له من القوة ما يكفي لعرقلة مشاريعه في المنطقة (٧).

– ضم آمد: استغل صلاح الدين تفُّرق خصومه، وضعفهم، فتقدم إلى آمد، بعد أن أستأذن الخليفة الناصر لدين الله بمهاجمتها، فأذن له. وكان نور الدين محمد صاحب حصن كيفا يلح عليه بمهاجمتها والاستيلاء عليها وتسليمها إليه، وفقاً للاتفاق الذي تّم بينهما (٨) وصل صلاح الدين إلى آمد في ١٧ ذي الحجة عام ٥٧٨هـ/١٥ نيسان عام ١١٨٣م وضرب

---

(١) الكامل في التاريخ نقلاً عن تاريخ الأيوبيين ص ٧٢.

(٢) بدليس: بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط الحموي (١/ ٣٥٨).

(٣) أرزن: مدينة مشهورة قرب خلاط.

(٤) تاريخ الزمان، غريغوريوس الملطي ص ١٩٩.

(٥) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حّران ونصيبين.

(٦) الكامل في التاريخ نقلاً عن تاريخ الأيوبيين ص ٧٣.

(٧) تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام ص ٧٣.

(٨) المصدر نفسه ص ٧٣.." [١]

"أَمر دينهم ذكره الإِمَام أَحْمد بْن حَنْبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ عقيبة نظرت فِي سنة مائَة فَإِذا هُوَ رجل من آل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمر بْن الْعَزِيز وَنظرت فِي رَأس الْمِائَة الثَّانِيَة فَإِذا هُوَ رجل من آل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّد بْن إِدْرِيس الشَّافِعِي

قلت وَهَذَا ثَابت عَن الإِمَام أَحْمد سقى الله عَهده

وَمن كَلَامه إِذا سُئِلت عَن مَسْأَلَة لَا أعلم فِيهَا خَبرا قلت فِيهَا يَقُول الشَّافِعِي لِأَنَّهُ عَالم قُرَيْش وَذكر الحَدِيث وتأوله عَلَيْهِ كَمَا قُلْنَاهُ

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٤٣٨

وَلأَجل مَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَة الثَّانِيَة من الزِّيَادَة لَا أَسْتَطِيع أَن أَتكَلّم فِي المئين بعد الثَّانِيَة فَإِنَّهُ لم يذكر فِيهَا أحد من أهل النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِن هُنَا دقيقة ننبهك عَلَيْهَا

فَنَقُول لما لم نجد بعد الْمِائَة الثَّانِيَة من أهل الْبَيْت من هُوَ بِهَذِهِ المثابة وَوجدنَا جَمِيع من قِيلَ إِنَّه الْمَبْعُوث فِي رَأس كل مائَة مِمَّن تمذهب بِمذهب الشَّافِعِي وانقاد لقَوْله علمنَا أَنه الإِمَام الْمَبْعُوث الَّذِي اسْتَقر أَمر النَّاس عَلَى قَوْله وَبعث بعده فِي رَأس كل مائَة من يُقرر مذْهبه وَبِهَذَا تعين عِنْدِي تَقْدِيم ابْن سُرَيج فِي الثَّالِثَة عَلَى الْأَشْعَرِيّ فَإِن أَبَا الْحسَن الْأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِن كَانَ أَيْضا شَافِعِيّ الْمَذْهَب إِلَّا أَنه رجل مُتَكَلم كَانَ قِيَامه للذب عَن أصُول العقائد دون فروعها وَكَانَ ابْن سُرَيج رجلا فَقِيها وقيامه للذب عَن فروع هَذَا الْمَذْهَب الَّذِي ذكرنَا أَن الْحَال **اسْتَقر عَلَيْهِ** فَكَانَ ابْن سُرَيج أولى بِهَذِهِ الْمنزلَة لاسيما ووفاة الْأَشْعَرِيّ تَأَخَّرت عَن رَأس الْقرن إِلَى بعد الْعشْرين

وَقد صَحَّ أَن هَذَا الحَدِيث ذكر فِي مجْلِس أَبِي الْعَبَّاس بْن سُرَيج فَقَامَ شيخ من أهل الْعلم فَقَالَ أبشر أَيهَا القَاضِي فَإِن اللَّه تَعَالَى بعث عَلَى رَأس الْمِائَة عمر بْن عَبْد الْعَزِيز وعَلى الثَّانِيَة الشَّافِعِي وبعثك على رَأس الثلاثمائة ثمَّ أنشأ يَقُولُ." (١)

"وَمن حَدِيث دَاوُد أَيْضا من آذَى ذِمِّيا فَأَنا خَصمه وَمن كنت خَصمه خصمته يَوْم الْقِيَامَة

رَوَاهُ الْخَطِيب فى تَرْجَمَة دَاوُد وَالْحمل فِيهِ على الراوى عَنهُ الْعَبَّاس بن أَحْمد بن الْمُذكر

ذكر اخْتِلَاف الْعلمَاء فى أَن دَاوُد وَأَصْحَابه هَل يعْتد بخلافهم فى الْفُرُوع

الذى تحصل لى فِيهِ من كَلَام الْعلمَاء ثَلَاثَة أَقْوَال أَحدهَا اعْتِبَاره مُطلقًا وَهُوَ مَا ذكر الْأُسْتَاذ أَبُو مَنْصُور البغدادى أَنه الصَّحِيح من مَذْهَبنَا وَقَالَ ابْن الصّلاح إِنَّه الذى **اسْتَقر عَلَيْهِ** الْأَمر آخرا

والثانى عدم اعْتِبَاره مُطلقًا وَهُوَ رأى الْأُسْتَاذ أَبى إِسْحَاق الإسفرايني وَنَقله عَن الْجُمْهُور حَيْثُ قَالَ قَالَ الْجُمْهُور إِنَّهُم يعْنى نفاة الْقيَاس لَا يبلغون رُتْبَة الِاجْتِهَاد وَلَا يجوز تقليدهم الْقَضَاء وَإِن ابْن أَبى هُرَيْرَة وَغَيره من الشافعيين لَا يعتدون بخلافهم فى الْفُرُوع

وَهَذَا هُوَ اخْتِيَار إِمَام الْحَرَمَيْنِ وَعَزاهُ إِلَى أهل التَّحْقِيق فَقَالَ والمحققون من عُلَمَاء الشَّرِيعَة لَا يُقيمُونَ لأهل الظَّاهِر وزنا وَقَالَ فى كتاب أدب الْقَضَاء من النِّهَايَة كل مَسْلَك يخْتَص بِهِ أَصْحَاب الظَّاهِر عَن القياسيين فَالْحكم بحسنه مَنْصُوص

قَالَ وبحق قَالَ حبر الْأُصُول القاضى أَبُو بكر إنى لَا أعدهم من عُلَمَاء الْأمة وَلَا أبالى بخلافهم وَلَا وفاقهم

وَقَالَ فى بَاب قطع الْيَد وَالرجل فى السّرقَة كررنا فى مَوَاضِع فى الْأُصُول وَالْفُرُوع أَن أَصْحَاب الظَّاهِر لَيْسُوا من عُلَمَاء الشَّرِيعَة وَإِنَّمَا هم نقلة إِن ظَهرت الثِّقَة

انْتهى." (٢)

"قَالَ الْأَولونَ وَهَذَا لَا يَصح لِأَنَّهُ يجوز أَن يكون صَادِقا فى الْقَذْف فَيصير بكذبه عَاصِيا كَمَا كَانَ بقذفه عَاصِيا

وَقَالَ بَعضهم هُوَ أَن يَقُول مَا كنت محقا فى الْقَذْف وَلَا أَعُود إِلَيْهِ وَكَلَام الشافعى رَحمَه الله مَحْمُول على تَكْذِيب نَفسه فى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٠٠/١

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٨٩/٢

قَوْله أَنا محق فى إظْهَاره والمجاهرة بِغَيْر حجَّة انْتهى

وَقَوله الْقَذْف بَاطِل حرَام ذكره لفظ حرَام مَعَ بَاطِل تبع فِيهِ من قدمنَا ذكره إِيَّاهَا وهى لَفْظَة مَحْمُولَة على التَّوَسُّع فى الْعبارَة وَإِلَّا فَكل قذف خرج مخرج الشتم فَهُوَ حرَام وَإِن خرج مخرج الشَّهَادَة وَلم يتم الْعدَد وَقد كَانَ يحسبه تمّ فَلَيْسَ بِحرَام فَمَا للفظة موقع

فَإِن قلت مَا الذى اسْتَقر عَلَيْهِ رَأْيكُمْ فى صِيغَة تَوْبَة الْقَاذِف أيترجح عنْدك قَول أَبى سعيد أم قَول الْجُمْهُور

قلت إِن كَانَ الْقَاذِف يعلم أَنه كَاذِب فالأرجح عندى قَول أَبى سعيد لِأَن مدَار التَّوْبَة على نَحْو مَا مضى مَا أمكن وتدارك مَا يُمكن تَدَارُكه وَلَا يتدارك ثلبه عرض أَخِيه ونيله مِنْهُ إِلَّا بذلك فَهُوَ نَظِير وَفَاء الدّين ورد الظلامة وَلَا يغنى عَن لفظ الْكَذِب لفظ مجمجم لَيْسَ بِصَرِيح فى مَعْنَاهُ بل من نَالَ من أَخِيه قذفا وَهُوَ يعلم أَنه برئ فتوبته بِأَن يبين للنَّاس أَنه برئ وَلَا يبين ذَلِك إِلَّا بتسجيله على نَفسه بِصَرِيح الْكَذِب والبهت وَإِن علم أَنه صَادِق أَو شكّ فَالْمَسْأَلَة مُحْتَملَة يحْتَمل أَن يَكْفِيهِ قذفى بَاطِل كَمَا قَالَه الْجُمْهُور وَيدل لَهُ نَص الشافعى دلَالَة وَاضِحَة على رِوَايَة من روى فى لفظ النَّص بِأَنَّهُ أذْنب بِأَن نطق بِالْقَذْفِ إِلَى آخِره فَكَأَن الشافعى رَحمَه الله فسر إكذابه نَفسه بِهَذَا وَيحْتَمل أَن يشْتَرط لفظ الْكَذِب ليجبر مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا ذَكرُوهُ من أَنه قد يكون صَادِقا قد قدمنَا جَوَابه وَهُوَ أَن الصدْق هُنَا لَيْسَ مُطَابقَة مَا فى نفس الْأَمر بل كل قَاذف." (١)

"ذكر كَلَام أَبى الْعَبَّاس قاضى الْعَسْكَر الحنفى

كَانَ أَبُو الْعَبَّاس هَذَا رجلا من أَئِمَّة أَصْحَاب الْحَنَفِيَّة وَمن الْمُتَقَدِّمين فى علم الْكَلَام وَكَانَ يعرف بقاضى الْعَسْكَر

وَقد حكى الْحَافِظ أَبُو الْقَاسِم فى كتاب التَّبْيين جملَة من كَلَامه فَمِنْهُ قَوْله وَقد وجدت لأبى الْحسن الأشعرى كتبا كَثِيرَة فى هَذَا الْفَنّ يعْنى أصُول الدّين وهى قريب من مائتى كتاب والموجز الْكَبِير يأتى على عَامَّة مَا فى كتبه وَقد صنف الأشعرى كتابا كَبِيرا لتصحيح مَذْهَب الْمُعْتَزلَة فَإِنَّهُ كَانَ يعْتَقد مَذْهَبهم ثمَّ بَين الله لَهُ ضلالتهم فَبَان عَمَّا اعتقده من مَذْهَبهم وصنف كتابا ناقضا لما صنف للمعتزلة وَقد أَخذ عَامَّة أَصْحَاب الشافعى بِمَا اسْتَقر عَلَيْهِ مَذْهَب أَبى الْحسن الأشعرى وصنف أَصْحَاب الشافعى كتبا كَثِيرَة على وفْق مَا ذهب إِلَيْهِ الأشعرى إِلَّا أَن بعض أَصْحَابنَا من أهل السّنة وَالْجَمَاعَة خطأ أَبَا الْحسن الأشعرى فى بعض الْمسَائِل مثل قَوْله التكوين والمكون وَاحِد وَنَحْوهَا على مَا نبين فى خلال الْمسَائِل إِن شَاءَ الله فَمن وقف على الْمسَائِل الَّتِى أَخطَأ فِيهَا أَبُو الْحسن وَعرف خطأه فَلَا بَأْس لَهُ بِالنّظرِ فى كتبه وَقد أمسك كتبه كثير من أَصْحَابنَا من أهل السّنة وَالْجَمَاعَة ونظروا فِيهَا انْتهى

ذكر الْبَحْث عَن تَحْقِيق ذَلِك

سَمِعت الشَّيْخ الإِمَام رَحمَه الله يَقُول مَا تضمنته عقيدة الطحاوى هُوَ مَا يَعْتَقِدهُ الأشعرى لَا يُخَالِفهُ إِلَّا فى ثَلَاث مسَائِل قلت أَنا أعلم أَن الْمَالِكِيَّة كلهم أشاعرة لَا أستثنى أحدا وَالشَّافِعِيَّة غالبهم أشاعرة." (٢)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٣/٢٥٠

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٣/٣٧٧

"وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: الذي اختاره الأستاذ أبو منصور، وذكر أنه الصحيح من المذهب أنه يعتبر خلاف داود، قال ابن الصلاح: وهذا الذي **استقر عليه** الأمر آخرا كما هو الأغلب، إلا ما عرف من صغار الأئمة المتأخرين الذين أوردوا مذهب داود في مصنفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد، والماوردي، وأبي الطيب، فلولا اعتدادهم به لما ذكروا مذهبه في مصنفاتهم، قال: وأرى أن يعتد بقوله إلا فيما خالف فيه القياس الجلي، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه، أو بناه على أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانها باتفاق من سواه إجماع منعقد.
قال ابن كامل: توفي في رمضان سنة سبعين ومائتين، رحمه الله، وقد أورد له الخطيب، في تاريخه، حديثين استنكر إسنادهما، وقد استمعتهما من لفظ شيخنا المزني.

عبدان بن محمد بن عيسى الفقيه أبو محمد المروزي الجنوجردي
نسبة إلى قرية من قرى مرو، وقال السمعاني: اسمه: عبد الله، ولقبه: عبدان، قال: وهو أحد من أظهر مذهب الشافعي بخراسان، وكان المرجوع إليه في الفتاوى، والمعضلات، بعد أحمد بن سيار، وكان أحمد بن سيار قد حمل كتب الشافعي إلى مرو، وأعجب بها الناس، فأراد عبدان، أن ينسخها فمنعها ابن سيار من ذلك، فباع ضيعة له بجنوجرد، وسافر إلى مصر، ونسخ كتب الشافعي على الوجه، وأكثر ورجع، فدخل عليه أحمد بن سيار مُسَلِّمًا ومهنئا واعتذر من منع الكتب، فقال: لا تعتذر، فإن لك علي منة في ذلك، فلو دفعت الكتب إلي لما دخلت إلى مصر، قلت: رحل إلى مصر، وتفقه بأصحاب." (١)

"الآراء متضاربة سواء في الأندية والمجالس، أو المباحثات والمحاورات، نسمع أن العشائر ما زالوا على وضعهم، فلا أمل في تهذيبهم، والمحافظة على الحالة من أسباب بقائهم على الجهل والأمية، وكأن القوم في استقرار على وضع لا يستطيعون الخروج منه، أو أنهم قوم لا يقبلون التعليم وجماعة لا يفيد معها التهذيب، و (من التعذيب تعليم الذيب) ، فلا أمل من مزاولة تهذيبهم ... وآخرون يرون لزوم الانتقال بهم من حالة البداوة الى الحياة الريفية، وهؤلاء يريدون مطالب يرجون تحقيقها ... ثم مراعاة تثقيفهم ... ولعل هذا من نوع التعليق بالمحال، لأن الانتقال تابع لأحوال، وأوضاع طبيعية أو مشاريع قطعية ... ولم يكونوا في حالة يمكن إفراغها بالشكل الذي نبتغيه متى شئنا ... وإبقاء القوم في جهل يؤدي إلى قبول نتائجه الوخيمة والكثيرة طول هذه المدة ... وأرى أن هذا الرأي مدخول، لا يوزن بميزان صحيح ... ويكوّن عجزاً عن إيجاد طريقة لتعليم العشائر وهكذا يرى آخرون لزوم تعليق هذا الأمر الى ان يوجد مدرسون حائزون لأوصاف تلائم البادية، ورجال دينون مهذبون وان تتوازن القدرة بين المدرس والرجل الديني والا فأولى أن لا نعمل لإنجاز المشروع وحينئذ من السهل ان يحبط ويفرط التدبير ... وهل استعصى وجود مدرس حائز لهذه الأوصاف ... ! وهناك آراء كثيرة أمثال هذه ...
وإذا قبلنا أساس تعليمهم ولم نلتفت الى الأقوال المارة أو أمثالها أو نجهد لتحقيق بعضها.... فماذا نلاحظ؟ هل يصل أهل البادية إلى درجة مهمة من التعليم نظراً للاهتمام الذي نراه بحيث يضارعون أهل المدن في علومهم، ويجارونهم في ثقافته

(١) طبقات الشافعيين ابن كثير ص/١٧٤

فنجعل منهاجهم كسائر مناهج المعارف؟ وهل لهم قدرة وصبر على اجتياز العقبات في هذا السبيل حتى يتساوى الحضري والبدوي في التعليم.!؟ قبل كل شيء يجب أن نفكر في ادخال التعليم البسيط بين ربوعهم ونجرب بعض التجارب التي **استقر عليها** رأينا ... ثم نلاحظ تقويتها، وتوسيعها تدريجياً..! والتمنيات لا حدّ لها، ولكن على كل حال يتحتم علينا أن نزاول الموضوع من وجهته العملية الممكنة.

وهنا يعترضنا عند الكلام على طريقة التعليم الوقوف على اثر التعليم في البدو الدرجة التي يستحقون ان تبلغ بهم ليكونوا أعضاء فعالة لخير الأمة، وينالوا النصيب التام منها كغيرهم من اهل المدن؟ – لا أتطلب أن تنقلب البادية الى مدار س راقية بحيث لا تفترق في تشكيلاتها عن المدن، ولا يخطر ذلك ببالي في وقت بل ينبغي ان لا نزاول هذه الأمور، وإنما نسعى أن نمكنهم من أن يكونوا متعلمين لدرجة وافية بحاجتهم على الأقل، ومؤدية ما يتطلبونه من اغراض أو بالتعبير الأولى أن يكونوا عارفين بما عندهم وزيادة قليلة ...

هؤلاء لم يشبعوا الخبز، فكيف نريد ان نوجد فيهم (تخمة) من العلوم وليس لهم مأوى ونحاول أن نعلمهم الكماليات وأصول ادارة المسكن وخدمه، والزوجة وحقوقها ... أو آداب المعاشرة، وهكذا نسير معهم بطرق معوجة، وغير مثمرة ... والأنكى من هذا أن ننزع الى لزوم تعليمهم بهارج الحضارة وزينة الملاهي، أو نزين لهم هذه الأمور ... ! وبهذا نكون قد قمنا بخدمة تدريبهم الى الخلاعة ...

وعلى كل حال يجب أن نراعي فيهم منهجاً خاصاً في الحياة البدوية، وطريقة مرضية في لوازمها من معرفة بسيطة وثقافة بقدر ما تقتضيه حاجتهم ... ليحافظوا على أوضاعهم ويقوموا بواجباتهم ... فيعلموا طريق الحياة، ووسائل الانتهاج، وأن يلقنوا عقائدهم، وأن يقتصر فيها على الفروض والواجبات، وأن يعلموا علاقتهم بالحكومة من ناحية الأمن والضرائب مما يتعلق بهم، ونعين أوضاعهم ... فلا نخرج عما يأتلف وهذه الأوضاع، وان يؤدي عملنا هذا الى ما يزيد في ثقافتهم العامة ويبين لهم فكرة عن الحضارة، ويكمل ما علموه من البداوة لحاجات رأوها ... !." (١)

"١٠. انقطعت دولة بني العباس من بغداد وأخرج الخليفة وحُمل إلى الأنبار وحبس بالحديثه، عند صاحبها مهارش بن مجلي العقيلي، فتولى خدمة الخليفة بنفسه وكان أحد وجوه بني عقيل وخطب لبني عبيد الفاطميين في بغداد أربعين جمعه في ولاية المستنصر وحاول البساسيري أخذ الخليفة العباسي وترحيله إلى مصر إلا أن قريشاً بن بدران تصدى لهذه المحاولة وعهد إلى ابن عمه الأمير محي الدين بن مهارش بالتحفظ عليه وتأمين حياته بعد أن استنجد به الخليفة قائلاً: عرفت ما **استقر عليه** العزم من إبعادي عنك واخراجي من يديك وما سلمت نفسي إليك إلا لما أعطيتني الذمام الذي يلزمك الوفاء به، وقد دخلت إليك ووجب لي ذمام عليك، فالله الله في نفسي، فمتى سلمتني أهلكتني وضيعتني ما ذلك معروف في العرب. وعلى الرغم من ذلك فلم يسمح البساسيري للخلفية القائم بأمر الله بالرحيل إلى الحديثة إلا بعد أن أرغمه على

---

(١) عشائر العراق عباس العزاوي ص/١٢٧

كتابة اعتراف بعدم أحقية بني العباس في الخلافة الإسلامية مع وجود بني فاطمة الزهراء عليها السلام – على حد زعمه – ولم يكتف البساسيري بذلك بل استولى على ثوب الخليفة وعمامته وأنفذها إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي.." (١)

"فَرْضِهَا كَانَتْ كَذَلِكَ وَسَيَأْتِي. قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ فَرْضَ الصَّلاةِ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا إِلَّا الْمَغْرِبَ وَالصُّبْحَ لا يَعْرِفُونَ غَيْرَ ذَلِكَ عَمَلا وَنَقْلا مُسْتَفِيضًا، وَلا يَضُرُّهُمُ الاخْتِلافُ فِيمَا كَانَ أَصْلُ فَرْضِهَا، إِذِ لا خِلافَ بَيْنَهُمْ فِيمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا **وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ** حَالُهَا، وَأَمَّا الصَّلاةُ طَرَفِي النَّهَارِ

فَرُوِّينَا عَنِ ابْنِ الصَّوَّافِ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ آنِفًا: ثَنَا إبراهيم بن إسحق الضَّبِّيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانٍ عَنْ أَبِي إسحق عن عمارة بن رويبة الثقفي قال: سمعت أُذُنَايَ وَوَعِيَ قَلْبِي مِنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» [١]

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكارِ [٢] .

[(١)] انظر كنز العمال (٧/ ١٩٣١٠) .

[(٢)] سورة غافر: الآية ٤٠.." (٢)

"الله وَكَانَ متميزا فِي الطِّبّ وَعَمله

وَرَأَيْت خطه على كتاب من تصنيفه قد قرئَ عَلَيْهِ وَهُوَ كثير اللّحن يدل على أنه لم يشْتَغل بِشَيْء من الْعَرَبيَّة

وَكَانَ تَارِيخه لذَلِك فِي تَاسِع شهر رَمَضَان سنة خَمْسمِائَة

وَلأبي الْخطاب من الْكتب كتاب الشَّامِل فِي الطِّبّ جعله على طَرِيق الْمَسْأَلَة وَالْجَوَاب فِي الْعلم وَالْعَمَل وَهُوَ يشْتَمل على ثَلَاث وَسِتِّينَ مقَالَة

ابْن الوَاسِطِيّ

كَانَ طَبِيبا للمستظهر بِاللَّه وَكَانَ عِنْده رفيع الْمنزلَة

فاتفق أَن أَبَا سعيد بن المعوج تولى صَاحب ديوَان **وَاسْتقر عَلَيْهِ** قَرْيَة مبلغها ثَلَاثَة آلَاف دِينَار فوزن مِنْهَا ألفي دِينَار وَبَقِي عَلَيْهِ ألف دِينَار فَسَأَلَ أنظاره بهَا سنة إِلَى أَن يصل المستغل

فَلَمَّا حل الْمبلغ نكبت الْغلَّة وَالثَّمَرَة وَلم يحصل لَهُ من ملكه مَا يصرفهُ فِي ذَلِك

وَكَانَ حَاجِبه وخاصته مظفر بن الدواتي فَأَشَارَ إِلَيْهِ بالمضي إِلَى ابْن الوَاسِطِيّ الطَّبِيب ويقصده فِي دَاره ويسأله أَن يُخَاطب الْخَلِيفَة المستظهر بِاللَّه فِي إنظاره إِلَى سنة أُخْرَى إِلَى أَن تدخل الْغلَّة

فَلَمَّا نَهَضَ من الدِّيوَان أَشَارَ إِلَى أَصْحَابه بِالْعودِ وَأَنه يُرِيدَان يمْضِي إِلَى دَاره فَلَمَّا عَادوا مضى هُوَ والحاجب مظفر بن الدواتي

---

(١) عصر الدولة الزنكية علي محمد الصلابي /

(٢) عيون الأثر ابن سيد الناس ١/١٧٦

فَحَيْثُ وصل اسْتَأْذن عَلَيْهِ فَخرج وَقبل يَده وَقَالَ الله يَا مَوْلَانَا وَمن ابْن الوَاسِطِيّ حَتَّى يَجِيء مَوْلَانَا إِلَى دَاره
فَلَمَّا دخل جلس بَين يَدَيْهِ فَأَشَارَ ابْن المعوج إِلَى الْحَاجِب مظفر وَقَالَ لَهُ تصرف الْجَمَاعَة للخلوة وتعود أَنْت بمفردك فَلَمَّا صَارُوا بالدهليز قَالَ لَهُ تصون الْبَاب

فَفعل

فَلَمَّا عَاد قَالَ لَهُ أَتَقول للحكيم فيماذا أَتَيْنَا فَقَالَ لَهُ الْحَاجِب أَن مَوْلَانَا جَاءَ إِلَيْك يعرفك أَنه كَانَ قد **اسْتَقر عَلَيْهِ** قربَة مبلغها ثَلَاثَة آلَاف دِينَار وَأَنه صَحَّ مِنْهَا ألفا دِينَار وتخلف عَلَيْهِ ألف دِينَار وَكَانَ سَأَلَ الْخَلِيفَة انظاره إِلَى أَوَان الْغلَّة فَلم يتَحَصَّل لَهُ من ملكه فِي هَذِه السّنة شَيْء وَقد أنفذ الدِّيوَان وضايق على ذَلِك

وَقد رهن كتب دَاره على خَمْسمِائَة دِينَار وَهُوَ يَسْأَلك أَن تسْأَل الْخَلِيفَة أَن يُؤَخر إِلَى سنة أُخْرَى بِالْبَاقِي إِلَى حِين أَوَان الْغلَّة فَقَالَ السّمع وَالطَّاعَة أخدم وأبالغ وَأَقُول مَا يتَعَيَّن

فَنَهَضَ من عِنْده فَلَمَّا كَانَ من الْغَد عَنهُ نهوضه من الدِّيوَان صرف الْحَاشِيَة على الْعَادة وَقَالَ يَا مظفر نمضي إِلَيْهِ فَإِن كَانَ قد خَاطب الْخَلِيفَة سمعنَا الْجَواب وَإِن لم يكن خاطبه فَيكون على سَبِيل الإذكار

فَمضى إِلَيْهِ وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأذن لَهُ وَخرج إِلَى الْبَاب وَقبل يَده مثل ذَلِك ودعا لَهُ

فَلَمَّا دخل وَجلسَ أخرج لَهُ خطّ الْخَلِيفَة بوصول الْخَمْسمِائَةِ دِينَار وَقَالَ لَهُ هَذِه كتب الدَّار الَّتِي رَهنهَا مَوْلَانَا يقبلهَا من الْخَادِم وَكَانَ قد استفكها من مَاله

فشكره وَقبض الْكتب والخط وَانْصَرف

فَلَمَّا جَاوز الدهليز صَاح بالحاجب مظفر واخرج لَهُ منشفة فِيهَا جُبَّة خارا وبقيار قصب وقميص." (١)

"عَظِيم حَتَّى وهبني الله من ذَلِك بفضله بِقدر مَا اطلع عَلَيْهِ من نيتي فِي إحْيَاء مَا خفت يدرس وَتذهب منفعَته لأبدان النَّاس فَالله قد خلق الشِّفَاء وبثه فِيمَا انبتته الأَرْض **وَاسْتقر عَلَيْهَا** من الْحَيَوَان المشاء والسابح فِي المَاء والمنساب وَمَا يكون تَحت الأَرْض فِي جوفها من المعدنية كل ذَلِك فِيهِ شِفَاء وَرَحْمَة ورفق

وَلابْن جلجل من الْكتب كتاب تَفْسِير أَسمَاء الْأَدْوِيَة المفردة من كتاب ديسقوريدس أَلفه فِي شهر ربيع الآخر سنة اثْنَتَيْنِ وَسبعين وثلثمائة بِمَدِينَة قرطبة فِي دولة هِشَام بن الحكم الْمُؤَيد بِاللَّه

مقَالَة فِي ذكر الْأَدْوِيَة الَّتِي لم يذكرهَا ديسقوريدس فِي كِتَابه مِمَّا يسْتَعْمل فِي صناعَة الطِّبّ وَينْتَفع بِهِ وَمَا لَا يسْتَعْمل لكيلا يغْفل ذكره

وَقَالَ ابْن جلجل أَن ديسقوريدس اغفل ذَلِك وَلم يذكرهُ إِمَّا لِأَنَّهُ لم يره وَلم يُشَاهِدهُ عيَانًا وَإِمَّا لِأَن ذَلِك كَانَ غير مُسْتَعْمل فِي دهره وَأَبْنَاء جنسه

رِسَالَة التَّبْيِين فِيمَا غلط فِيهِ بعض المتطبيين

كتاب يتَضَمَّن ذكر شَيْء من أَخْبَار الْأَطِبَّاء والفلاسفة ألف فِي أَيَّام الْمُؤَيد بِاللَّه

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٤٤

أَبُو الْعَرَب يُوسُف بن مُحَمَّد

أحد المتحققين بصناعة الطِّبّ والراسخين فِي علمه

قَالَ القَاضِي صاعد حَدثنِي الْوَزير أَبُو الْمطرف ابْن وَافد وَأَبُو عُثْمَان سعيد بن مُحَمَّد بن البغونش إِنَّه كَانَ محكا لأصول الطِّبّ نَافِذا فِي فروعه حسن التَّصَرُّف فِي أَنْوَاعه

قَالَ وَسمعت غَيرهمَا يَقُول لم يكن أحد بعد مُحَمَّد بن عبدون يوازي أَبُو الْعَرَب فِي قِيَامه بصناعة الطِّبّ ونفوذه فِيهَا وَكَانَ غلب عَلَيْهِ فِي آخر عمره حب الْخمر فَكَانَ لَا يُوجد صَاحِيًا وَلَا يرى مفيقا من خمار وَحرم بذلك النَّاس كثيرا من الِانْتِفَاع بِهِ وبعلمه

وَتُوفِّي وَقد قَارب تسعين سنة وَذَلِكَ بعد ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعمِائَة

ابْن البغونش

هُوَ أَبُو عُثْمَان سعيد بن مُحَمَّد بن البغونش

قَالَ القَاضِي صاعد كَانَ من أهل طليطلة ثمَّ رَحل إِلَى قرطبة لطلب الْعلم بهَا فَأخذ عَن مسلمة بن أَحْمد علم الْعدَد والهندسة وَعَن مُحَمَّد بن عبدون الْجبلي وَسليمَان بن جلجل وَابْن الشناعة ونظرائهم علم الطِّبّ

ثمَّ انْصَرف إِلَى طليطلة واتصل بهَا بأميرها الظافر إِسْمَعِيل بن عبد الرَّحْمَن بن إِسْمَعِيل بن عَامر بن مطرف بن ذِي النُّون وحظي عِنْده وَكَانَ أحد مديري دولته

قَالَ ولقيته أَنا فِيهَا بعد ذَلِك فِي صدر دولة الْمَأْمُون ذِي الْمجد بن يحيى بن الظافر إِسْمَعِيل بن ذِي النُّون وَقد ترك قِرَاءَة الْعُلُوم وَأَقْبل على قِرَاءَة الْقُرْآن وَلزِمَ دَاره والانقباض عَن النَّاس فَلَقِيت مِنْهُ رجلا عَاقِلا جميل الذّكر وَالْمذهب حسن السِّيرَة نظيف الثِّيَاب ذَا كتب جليلة فِي أَنْوَاع الفلسفة وضروب الْحِكْمَة

وتبينت مِنْهُ أَنه قَرَأَ الهندسة وفهمها وَقَرَأَ الْمنطق وَضبط كثيرا مِنْهُ ثمَّ أعرض عَن ذَلِك وتشاغل بكتب جالينوس وَجَمعهَا وتناولها بِتَصْحِيحِهِ." (١)

"وهكذا لما أخرجه المشركون المعاندون والمخالفون لأمره من مكّة، قال أبو بكر رضي الله عنه: "أخرجوا نبيّهم، ليهْلَكُنَّ". فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُون بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ الله عَلَى نَصْرِهِم لَقَدِيرٌ﴾ . [سورة الحجّ، الآية: ٣٩] .

فقال أبو بكر رضي الله عنه: "لقد علمت أنه سيكون قتال".

قال ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما .: "وهي أوّل آية أُنزلت في القتال"١.

وكان ذلك من باب المعاملة بالمثل، كما ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم عنه، قال: "إنّ الله أمرني أن أحرّق قريشاً، فقلت: ربّ إذن يثلغوا٢ رأسي فيدعوه خبزاً، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك،

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٤٩٥

وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك مَن عصاك"٣.
وهكذا شرع الله الجهاد في الوقت الأليق به، لأنهم عندما كانوا بمكّة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أُمر المسلمون، وهم قليل، بقتال الباغين لشقّ عليهم، فلمّا بغى المشركون، وأخرجوه – عليه السلام – من بين أظهرهم، وهمّوا بقتله، **واستقرّ عليه** السلام بالمدينة، واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة دار إسلام، ومعقلاً يلجأون إليه،
١ أخرجه الترمذي وحسّنه. (انظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي ٩/١٤-١٥) ، وأخرجه الحاكم (المستدرك ٢/٧٦، ٣/٨-٩) ، وصحّحه. ووافقه البيهقي.
٢ ثلغ رأسه: شدخه.
٣ أخرجه مسلم (الصحيح ١٠/٣١٤) .." (١)

"القسم الثالث من البعثة إلى الهجرة مراحل الدّعوة الإسلاميّة في حياة النّبي صلّى الله عليه وسلم
مرّت الدّعوة الإسلامية في حياته عليه الصلاة والسلام، منذ بعثته إلى وفاته بأربع مراحل:
المرحلة الأولى: الدّعوة سرّا، واستمرت ثلاث سنوات.
المرحلة الثانية: الدّعوة جهرا، وباللسان فقط، واستمرت إلى الهجرة.
المرحلة الثالثة: الدّعوة جهرا، مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال أو الشّر، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.
المرحلة الرابعة: الدّعوة جهرا مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول في الإسلام- بعد فترة الدعوة والإعلام- من المشركين أو الملاحدة أو الوثنيين.
وكانت هذه المرحلة هي التي **استقر عليها** أمر الشريعة الإسلامية وقام عليها، حكم الجهاد في الإسلام.

الدّعوة سرّا
بدأ النّبي صلّى الله عليه وسلم يستجيب لأمر الله، فأخذ يدعو إلى عباده الله وحده ونبذ الأصنام، ولكنه كان يدعو إلى ذلك سرّا حذرا من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيتها، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يظهر الدّعوة في المجالس العمومية لقريش، ولم يكن يدعو إلا من كانت تشدّه إليه قرابة أو معرفة سابقة.
وكان في أوائل من دخل الإسلام من هؤلاء: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام ومتبنّاه، وأبو بكر بن أبي قحافة، وعثمان بن عفان، والزّبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.. وغيرهم، رضي الله عنهم جميعا.
فكان هؤلاء يلتقون بالنّبي صلّى الله عليه وسلم سرّا، وكان أحدهم إذا أراد ممارسة عبادة من العبادات ذهب إلى شعاب مكة يستخفي فيها عن أنظار قريش.." (٢)

---

(١) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية بريك العمري ص/١٢
(٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة رمضان البوطي ص/٦٨

"والحديث الذي ذكرناه في هذا صريح بجواز العزل. فقد قال لهم حينما استفتوه في ذلك:
«ما عليكم أن لا تفعلوا» ، (وفي رواية مسلم: لا عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة) . أي ليس عليكم أن تتركوا العزل، لأن ما قد قدر الله واقع لا ريب فيه، فلا يمكن أن يمتنع المقدر بعملكم. وأصرح من هذا الحديث ما رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نعزل على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم والقرآن ينزل» .

وقد ذهب جمهور الأئمة بناء على هذا إلى جواز ممارسة العزل، ولكنهم اشترطوا لذلك موافقة الزوجة، لما قد يكون من الضرر بها، غير أنه يكره ذلك إذا كان سببه خشية النفقة وقلة ذات اليد.

وخالف ابن حزم الجمهور، فذهب إلى حرمة العزل مطلقا، مستدلا بما رواه مسلم أن النبي صلّى الله عليه وسلم سئل عن العزل، فقال: «ذلك الوأد الخفي» ، واستدل بأحاديث أخرى كلها موقوفة على الصحابة. فمن ذلك ما رواه بسنده عن نافع أن ابن عمر كان لا يعزل، وقال: «لو علمت أحدا من ولدي يعزل لنكلته» . ومنه ما رواه من طريق الحجاج بن المنهال أن علي بن أبي طالب كان يكره العزل.

وأجاب ابن حزم عن حديث جابر الذي استدل به الجمهور بأنه منسوخ «٦٢» .

وذكر ابن حجر في فتح الباري رأي ابن حزم هذا ثم قال: «وهذا معارض بحديثين أحدهما أخرجه الترمذي والنسائي وصححه من طريق معمر عن يحيى بن كثير.. عن جابر قال: «كانت لنا جواري وكنا نعزل، فقالت اليهود: إن تلك الموؤودة الصغرى، فسئل رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: كذبت اليهود، لو أراد الله خلقه لم تستطع رده» ، قال: والحديث الثاني في النسائي من وجه آخر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة «٦٣» .

أقول: وواضح أن قول النبي صلّى الله عليه وسلم عن العزل: «الوأد الخفي» ، لا يعني التحريم، بل الأظهر أن يحمل كلامه هذا- على ضوء الأحاديث الثابتة الأخرى- على النهي التنزيهي كما ذهب إلى ذلك الجمهور.

ودعوى ابن حزم أن الأحاديث المبيحة للعزل منسوخة، يردّها ما رواه الستة خلا أبا داود من حديث جابر: «كنا نعزل على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم والقرآن ينزل» . زاد مسلم: «فبلغ ذلك نبي الله صلّى الله عليه وسلم فلم ينهنا فلولا أن حكم إباحة العزل ظل مستمرا إلى وفاته صلّى الله عليه وسلم، لما قال جابر رضي الله عنه ذلك، ولأوضح آخر ما استقر عليه الحكم الشرعي» .

---

(٦٢) انظر المحلى لابن حزم: ١٠/ ٨٧

(٦٣) راجع فتح الباري: ٩/ ٢٤٥." [١]

"الصفحة الأخيرة لشعب عظيم تالد.

ب - وفي (٢٢ أيلول ت سبتمبر سنة ١٦٠٩ م) أعلن قرار (مرسوم) النفي النهائي للموريسكيين أو العرب المتنصرين،

---

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة رمضان البوطي ص/٢٠٧

فساد بينهم الروع والاضطراب، وإليك نص هذا القرار الشهير في صحف المآسي والاستشهاد:

يبدأ القرار بالتنويه بخيانة الموريسكيين، واتصالهم بأعداء إسبانيا، وإخفاق كل الجهود التي بذلت لتنصيرهم، وضمان ولائهم، وما **استقر عليه** رأي الملك من نفيهم جميعاً إلى بلاد البربر (المغرب). وبناء على ذلك فإنه يجب على جميع الموريسكيين من الجنسين، أن يرحلوا مع أولادهم في ظرف ثلاثة أيام من نشر هذا القرار من المدن والقرى إلى الثغور التي يعينها لهم مأمورو الحكومة، والموت عقوبة المخالفين، وأن لهم أن يأخذوا من متاعهم ما يستطاع حمله على ظهورهم، وأن السفن قد أعدت لنقلهم إلى بلاد المغرب، وسوف تتكفل الحكومة بإطعامهم أثناء السفر، ولكن عليهم أن يأخذوا ما استطاعوا من المؤن، وأنهم يجب عليهم أن يبقوا خلال مهلة الأيام الثلاثة في أماكنهم رهن إشارة المأمورين، ومَن وُجد متجولاً بعد ذلك يكون عرضة للنهب والمحاكمة، أو الإعدام في حالة المقاومة. وقد منح الملك السادة كل الأملاك العقارية والأمتعة الشخصية التي لم تحمل، فإذا عمد أحد إلى إخفاء الأمتعة أو دفنها، أو أضرم النار في المنازل أو المحاصيل، عوقب جميع سكان الناحية بالموت. ونص القرار على إبقاء ستة في المائة فقط من الموريسكيين للانتفاع بهم في صون المنازل، والعناية بمعامل السكر، ومحصول الأرز، وتنظيم الري، وإرشاد السكان الجدد، وهؤلاء يختارهم السادة من بين الأسر الأكثر خبرة وأشد ولاء للنصرانية. أما الأطفال فإذا كانوا دون الرابعة، فإنه يسمح لهم بالبقاء إذا شاءوا (كذا) ورضي آباؤهم وأولياؤهم، وإذا كانوا دون السادسة سمح لهم بالبقاء إذا كانوا من أبناء النصارى القدماء (أعني من غير العرب المتنصرين)، وسمح كذلك بالبقاء لأمهم الموريسكية، فإذا كان الأب موريسكياً والأم نصرانية أصيلة، نُفِي الأب." (١)

"قال الإمام الذهبي –رحمه الله–: "الذي **استقر عليه** الأمر أن ابن إسحاق صالح الحديث، وأنه في المغازي أقوى منه في الأحكام (٥) ".

وأكثر هذه المرويات قد أشار أهل العلم رحمهم الله إلى ضعفها، وعدم ثبوتها، ومن أجل من نقدها، وبيّن حالها: مؤرخ الإسلام الإمام الحافظ أبو عبد الله الذهبي –رحمه الله– خاصة في كتابيه العظيمين: (تاريخ الإسلام) و (سير أعلام النبلاء)، ثم تبعه على ذلك: تلميذه الإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير –رحمه الله– في تاريخه المشهور: (البداية والنهاية) في القسم الخاصّ بالسيرة، وهو من أطول المصنّفات في السيرة النبوية، وأكثرها فائدة. وكذا الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني –رحمه الله– خاصة في كتابه العُجاب: (فتح الباري) وكتابه: (الإصابة).

ومن المعاصرين: الشيخ الإمام الألباني، خاصة في سلسلتيه النافعتين: الصحيحة، والضعيفة، وكتابه: (إرواء الغليل) وكتابه في الردّ على البوطي ومنهم الدكتور الفاضل: أكرم العمري، خاصة في كتابه: (السيرة النبوية الصحيحة). والشيخ محمَّد رزق بن طرهوني، في كتابه: (السيرة الذهبية).

وقد حرصت عند تضعيف إحدى الروايات أن أُبيّن ما يغني عنها مما صحّ. وأنا راجع عن كل رواية تبيّن ثبوتها، فالحكمة ضالة المؤمن، والحقّ أحقّ أن يُتّبع والتزمت –غالبًا– أن أُصلي على النبي – صلى الله عليه وسلم – عند ذكره، وأنّ أترضّى

---

(١) قادة فتح الأندلس محمود شيت خطاب ٣٨٤/٢

عن الصحابة – رضي الله عنهم –، وأترحّم على أهل العلم –رحمهم الله–، مستحضرًا المقولة اللطيفة التي قالها أبو محمَّد التميمي رحمه الله: "ما لكم تأخذون العلم عنّا وتستفيدونه منّا ثم لا تترحمون علينا؟ (٦) ".

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

محمد بن عبد الله العوشن

الرياض في ١/ ٧/ ١٤٢٨ هـ

ص. ب ٢٥٦٦٣

الرياض ١١٤٧٦

mo_aloshan@yahoo.com

---

(٥) تاريخ الإسلام (١٤١/ ٥٩١)

(٦) قضاة الأندلس، ص ١٣٣.." [١]

"ذكر حكم الأرضين وما جاء فيه

قال: لا خلاف بين الأئمة أن كل بلد صولح أهله على الخراج المعلوم أنه لا يجوز تغيير ما **استقر عليه**. وقد صح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمضى لأهل مدينة دمشق الصلح، لكنه لما أشكل عليه الحال في الفتح وهل سبق من دخلها عنوة أو من دخلها بالصلح أمضاها كلها صلحاً لأهلها، وقبل منهم شروطاً بذلوها، فأما ما ظهر عليه المسلمون عنوة من أعمالها ونواحيها، وحووه بالقهر والغلبة من أرضيها فقد اختلف فيه: فذهب عمر وعلي ومعاذ بن جبل إلى أنها وقف على المسلمين، لا تقسم بين من غلب عليها من الغانمين، وتجري غلتهم عليهم وعلى من بعدهم. وذهب الزبير بن العوام وبلال بن رباح إلى أنها ملك للغانمين، فتقسم بينهم على ما يراه الإمام. وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري إلى أن الإمام في ذلك بالخيار، إن شاء وقفها، وإن شاء قسمها ووزعها على ما يراه بين من غنمها. وذهب مالك إلى أنها تصير وقفاً بنفس الاغتنام. ولا يكون فيها اختيار للإمام. وذهب الشافعي إلى أنه ليس للإمام أن يقفها بل يلزمه أن يقسمها إلا أن يتفق على وقفها المسلمون، فيرضى بذلك من غنمها.

فأما ما روي عن عمر وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: لولا آخر المسلمين ما فتحت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر.

وعنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: أما والذي نفسي بيده، لولا أن أترك آخر الناس بباناً ليس لهم شيء ما فتحت علي قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر، ولكن أتركها لهم حراثة.

---

(١) ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية محمد بن عبد الله العوشن ٤/١

ومعنى بباناً أي باجاً واحداً وشيئاً واحداً.

وعن يزيد بن أبي حبيب قال: كتب عمر إلى سعد حين افتتح العراق: أما بعد. فقد بلغني كتابك، تذكر أن الناس." [(١)]

"وإلا تركناهم محروبين؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: فامضوا على اسم الله"١.

نلاحظ من خلال هذا النص حدة موقف المسلمين فرسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في الإغارة على أهالي أولئك الذين قاموا بتعزيز جانب قريش ثم يستقر رأيهم أخيراً على قتال كل من حاول صدهم عن البيت.

كان هذا موقف المسلمين الذي **استقر عليه** رأيهم بعد المشورة، لكن رأينا بعد ذلك تصريحاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يباين ذلك الموقف تماماً.

يقول صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ... ".

بالمقارنة بين هذا النص والنص السابق نرى الفارق بينهما، ذلك أن النص السابق يشعر بالحزم والصرامة، أما الأخير فيوحي باللين والتسامح إلى حد بعيد.

فما الذي حول الموقف السابق يا ترى؟

هذه العبارة التي صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل في غضونها السماحة واللين سبقها في الحديث ما نصه: "حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس: حل، حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة ... "٢ الخ.

فهذا النص يفسر لنا الحامل لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك التصريح الذي حول موقفه الأول، فما الذي جاء في هذا النص؟

جاء فيه حادثة بروك ناقته صلى الله عليه وسلم، وإذن فبروك الناقة هو السبب في تحويل موقفه، ولا أعني ببروك ناقته البروك ذاته لكن أقصد ما وراء البروك وهو ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ... ".

---

١ صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي: ٤١٧٨ - ٤١٧٩، وتقدم تخريجه برقم (٣٥) .

٢ صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الصلح: ٢٧٣١ - ٢٧٣٢ وتقدم سنده مع طرف من أوله برقم (٣٥) .." [(٢)]

"جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين قالت: "لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له وكاتبته على نفسها

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٣١/١

(٢) مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة حافظ بن محمد حكمي ص/١٥٩

الحديث"١...

ورواه أيضاً خليفة بن خياط، وأبو يعلى الموصلي، وابن جرير الطبري، وابن الأثير، وابن كثير وابن حجر، جميعهم من طريق ابن إسحاق٢.

وعلى هذا فالحديث بجميع طرقه يدور على ابن إسحاق.

وقد صرح بالتحديث عند البيهقي وأحمد والسيرة الهشامية، وكذا عند ابن كثير وابن حجر. فأمن تدليسه.

قال ابن حجر: "ابن إسحاق حسن الحديث إلاَّ أنه لا يحتج به إذا خولف"٣.

وقال الألباني: "الذي **استقر عليه** رأي العلماء المحققين أن حديث ابن إسحاق في مرتبة الحسن بشرطين: أن يصرح بالتحديث وأن لا يخالف من هو أوثق منه"٤.

وبهذا التقرير يكون الحديث حسناً لذاته، وهو ظاهر في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدى عن جويرية كتابتها وكان ذلك صداقاً لها.

وقد ورد عند ابن سعد ما يخالف هذا وهو:

١- أخبرنا محمد بن عمر٥، حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح٦،

١ مسند أحمد ٦/٢٧٧.

٢ انظر تاريخ خليفة، ص ٨٠، ومسند أبي يعلى ٤/ق ٤٥٥ أ، وتاريخ الطبري ٢/٦١٠، أسد الغابة ٧/٥٦، والبداية والنهاية ٤/١٥٩، والإصابة ٤/٢٦٥.

٣ فتح الباري ٤/٣٢.

٤ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على البوطي ص ٨٢.

٥ محمد بن عمر هو الواقدي.

٦ عبد الله بن أبي نجيح، يسار، أبو يسار، الثقفي، مولاهم، ثقة رمي بالقدر، وربما دلس، من السادسة (ت ١٣١) أو بعدها/ ع. التقريب ١/٤٥٦.." (١)

"٨- وتأسيسا على ما نقّدم نستطيع القول باطمئنان إنّ شخصية العمري الناقدة، وثقافته الواسعة، ونجاحه في الاختيار يظهر جليّا سواء أكان في تلك المقدّمات أم في الشعر المختار، فهو يفيد في تلك المقدمات من التراث النقدي، والأدبي الذي سبقه، وينتقي منه ما يقتنع به ويستصفي لكتابه ما هو لائق به ليصبّه أخيرا بأسلوبه الخاص، ومنهجه الذي ارتضاه لنفسه.

٩- وممّا يتعلّق بالنقطة السابقة، أي موقفه النقدي من الشعراء، ما رأيناه من فصله الحاسم بين حياة الشاعر، وما ورد في شعره من خروج على التقاليد، وبين حكمه النقدي عليه، فهو يبدو غير متأثّر البتّة بالأحكام الأخلاقية التي تزن الشاعر

---

(١) مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع إبراهيم بن إبراهيم قريبي ص/١١٧

وشعره بميزان الحرص على القيم السائدة، وترك الخروج عليها فله على سبيل المثال رأي حسن في ابن الحجّاج، وابن منير الطرابلسي مع أنّ إبداعهما مليء بما يخدش الثابت والقارّ، وكأنّه بذلك يرسخ ذلك الاتجاه القديم الجديد في النقد العربي من الدعوة إلى فصل الشعر عن الأخلاق، والنظر إليه بمعايير الفنّ وحده، وهو الاتجاه الذي نظّر له تنظيرا هامّا الناقد قدامة بن جعفر في كتابه [نقد الشعر] .

وظلّت الجمهرة من النقّاد العرب وفيّة له على مرّ عصور النقد العربي، وجاء العمري بأخرة ليدعمه من خلال الرأي، والاختيار لكليهما.

١٠- ومن الضروري أن نشير هنا إلى ما يظهر جليّا في تلك المقدمات من اصطناع صاحبها فيها لأساليب الصنعة اللفظية، وأفانين الزخرفة اللغوية بحيث تكاد تكون هي الصوت المنفرد العالي فيها، إذ يعمد بشكل مقصود إلى توظيف الجناس، والطباق والسجع، والتضمين حتى ليكاد القارئ يشعر أنّ القطعة ترزح تحت وطأة حمل كبير وترسف بأغلال ثقيلة تمنعها من التحرك والانطلاق، ولعلّ هذا قد جاء منسجما مع أسلوب الكتابة السائد في عصره من جهة، وهو يتناغم مع ما استقرّ عليه في الكتابة الديوانية التي صار جزءا أصيلا فيها من جهة أخرى.

هذه هي الصورة العامة لهذا السفر، وهو يتضافر مع أسفار الكتاب الأخرى مقدّما جهدا علميا نادرا، وصبرا على التصنيف قلّ نظيره.." (١)

"وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل بن الكامل قد أرسله المعظم لما وصل إلى الشّوبك واعتقله، وكان النائب بالكرك والشّوبك لؤلؤ الصالحي «١» فلما جرى ما ذكرناه من قتل المعظم، وما استقر عليه الحال بادر بدر الدين لؤلؤ (٢٧٥) فأفرج عن المغيث وملكه قلعتي الكرك والشّوبك، وقام في خدمته أتم قيام.

ولما لم يجب أمراء دمشق إلى ما دعاهم إليه المصريون كاتب الأمراء القيمرية الذين بدمشق الملك الناصر صاحب حلب، فسار إليهم وملك دمشق ودخلها يوم السبت لثمان بقين «٢» من ربيع الآخر هذه السنة.

ولما استقر الناصر المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين [بن] «٣»

يغمور وعلى أمراء دمشق وأحسن إليهم، واعتقل جماعة من مماليك الصالح أيوب، وعصت عليه بعلبك وعجلون وسميمس [مدة] «٣» مديدة، ثم سلمت إليه جميعها.

ولما بلغ الخبر بذلك إلى مصر قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل إلى الحلبيين.

ثم إنّ أمراء الدولة وأكابرها اتفقوا على إقامة عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحي في السلطنة، وأقاموا أيبك المذكور، وركب بالسناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر هذه السنة ولقب الملك العزيز، وأبطلت السكة والخطبة التي كانت باسم شجر الدّر.

ثم اجتمعت الأمراء واتفقوا على أنه لابد من إقامة شخص من بني أيوب في." (٢)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٩/١٥

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٤٤/٢٧

"(٥) تاريخ هراة للفامي.

(٦) تاريخ همذان لشيرويه.

وأحيانا يغرب على القارىء فلا يعرف الكتاب الذي يعتمده وذلك حين يقول إنه ينقل عن كتاب لابن عبد الرحيم أو لأحد بني عبد الرحيم وعن كتاب لأبي سعد السمعاني (وكتبه كثيرة) وعن كتاب للنحاس وعن كتاب للتوحيدي، وكتب التوحيدي مميزة لديه فهو ينقل عن أخلاق الوزيرين والامتاع ومحاضرات العلماء وتقريظ الجاحظ.

٦- مختصر معجم الأدباء:

قد تحدثت عن هذا المختصر في مقدمة موجزة للجزء الأول، ولكني أود أن أضيف هنا إلى أن اسمه «بغية الألباء من معجم الأدباء» قد يرجح أن التكريتي مختصره كان يملك نسخة من الأصل تحمل العنوان الذي **استقرّ عليه** المؤلف وهو «إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء» وهي التسمية التي كانت جديرة بأن تظهر هنا؛ لولا أنني لم أكتشف هذه الحقيقة إلا بعد أن نجز طبع الكتاب.

٧- خاتمة:

أخيرا أقول لقد وسّع ياقوت كثيرا في مدلول لفظة «أدباء» كما وسّع من المجال الزمني الذي سيحيط به كتابه، ولهذا فاته عشرات وعشرات ممن يقعون تحت شرطه.

٥- ياقوت الأديب الناقد:

ترك ياقوت- عدا مقدمات كتبه- نموذجا نثريا واحدا هو رسالته إلى القفطي- التي مرّت الإشارة إليها، وهي رسالة نقلها ابن خلكان في ترجمة ياقوت على طولها، ولم يستطع الاجتزاء ببعضها، ويبدو أنه كان معجبا بمستواها الأسلوبي وبسببها قال الذهبي فيه «وكان جيد الإنشاء» «١» وقال أيضا: «وتواليفه حاكمة له بالبلاغة» «٢» .." (١)

"٢٨٤٠ - أبو جعفر الأنصارى المدنى المؤذن: روى عن أبى هريرة. روى عنه يحيى بن أبى كثير، وقال الترمذى: لا نعرف اسمه. وقال غيره: هو محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنهم. روى له البخارى فى الأدب، وفى أفعال العباد، والنسائى فى اليوم والليلة، والباقون سوى مسلم، وروى له أبو جعفر الطحاوى.

٢٨٤١ - أبو جعفر الباقر: اسمه محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وقد تقدم.

٢٨٤٢ - أبو جعفر الخطمى المدنى: اسمه عمير بن يزيد، وقد تقدم.

٢٨٤٣ - أبو جعفر الرازى: مولى بنى تميم، قيل: اسمه عيسى بن عبد الله بن ماهان، قاله يونس بن بكير.

٢٨٤٤ - أبو حاتم الرازى: وهو مروزى الأصل، سكن الرى، وقيل: كان متجره إلى

٢٨٤٠ - قال فى التقريب: مقبول، ومن زعم أنه محمد بن على بن الحسن، فقد وهم. انظر: التقريب (٨٠٤٧) ، وتهذيب الكمال (٣٣/١٩١) (٧٢٨٣) .

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٩٢٥/٧

٢٨٤١ – فى المختصر: أبو جعفر: عن محمد بن على، وعلى بن أبي طالب، وعنه الحجاج، وابن إسحاق، هو محمد بن على الإمام الباقر، عليه السلام، المذكور فى الأسماء.

– وفى المختصر أيضًا: محمد بن على بن عمر: عن الحسين، وابن عباس، وعنه ابن جريج، لم أر له ترجمة فيما عندى، وقد أخرج حديثه الإمام أحمد فى مسنده، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد، وقال: رجاله رجال الصحيح، يعنى صحيح البخارى ومسلم، والذى يغلبه على ظنى، بل يتحقق عندى، أن لفظة ابن عمر زائدة وقعت غلطًا، ومحمد بن على هو الإمام الباقر، عليه السلام، المذكور، فإنه الذى يروى عن جده الحسين، وابن عباس، ويروى عنه ابن جريج، وهو الذى من رواة الصحيح، وقد جاء فى مسند الإمام أحمد كذلك بغير هذه الزيادة ما نصه: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا ابن جريج، قال: سمعت محمد بن على يزعم عن حسين وابن حباس، أو عن أحدهما ... إلخ، والإمام الباقر من رجال التهذيب، فلهذا لم يترجم له الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة الذى استوعب فيه رجال مسند الإمام أحمد الزائدة على التهذيب، ولو لم يكن من رجال التهذيب لذكره فيه مع هذه الزيادة، فكل هذا يقوى بل يحقق ما **استقر عليه** ظنى، والله تعالى أعلم بالصواب.

٢٨٤٢ – فى المختصر: أبو جعفر الخطمى: بفتح المعجمة، وسكون المهملة، هو عمير بن يزيد بن عمر ابن حبيب الأنصارى المدنى نزيل البصرة، صدوق.

٢٨٤٣ – فى المختصر: أبو جعفر الرازى التميمى: مولاهم، اسمه عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان، أصله من مرو، كان يتجر إلى الرى، صدوق، سيىء الحفظ، خصوصًا عن المغيرة.

قال فى التقريب: صدوق، سيىء الحفظ، خصوصًا عن مغيرة. انظر: التقريب (٨٠٤٩) ، وتهذيب الكمال (١٩٢/٣٣) (٧٢٨٤).." [(١)]

"حرف الباء

٤١٥٣ – الباقر: أبو جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، رضى الله عنهم.

٤١٥٤ – بحر الجود: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، رضى الله عنه.

٤١٥٥ – بحشل: أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن أخى عبد الله بن وهب.

٤١٥٦ – البراد: جماعة: منهم إبراهيم بن أبي أسيد البراد.

٤١٥٧ – بزدان: ابن أبي النضر، اسمه إبراهيم، واسم أبيه أبي النضر سالم بن أبي أمية.

٤١٥٨ – بطين: مسلم بن عمران الكوفى.

٤١٥٩ – بندار: محمد بن بشار.

٤١٦٠ – بومة: محمد بن سليمان بن أبي داود الحرانى.

* * *

---

(١) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار بدر الدين العيني ٢٨٦/٣

٤١٥٣ – فى المختصر: أبو جعفر: عن محمد بن على، وعلى بن أبى طالب، وعنه الحجاج، وابن إسحاق، هو محمد بن على الإمام الباقر، عليه السلام، المذكور فى الأسماء.

– وفى المختصر أيضًا: محمد بن على بن عمر: عن الحسين، وابن عباس، وعنه ابن جريج، لم أر له ترجمة فيما عندى، وقد أخرج حديثه الإمام أحمد فى مسنده، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد، وقال: رجاله رجال الصحيح، يعنى صحيح البخارى ومسلم، والذى يغلبه على ظنى، بل يتحقق عندى، أن لفظة ابن عمر زائدة وقعت غلطًا، ومحمد بن على هو الإمام الباقر، عليه السلام، المذكور، فإنه الذى يروى عن جده الحسين، وابن عباس، ويروى عنه ابن جريج، وهو الذى من رواة الصحيح، وقد جاء فى مسند الإمام أحمد كذلك بغير هذه الزيادة ما نصه: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا ابن جريج، قال: سمعت محمد بن على يزعم عن حسين وابن حباس، أو عن أحدهما ... إلخ، والإمام الباقر من رجال التهذيب، فلهذا لم يترجم له الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة الذى استوعب فيه رجال مسند الإمام أحمد الزائدة على التهذيب، ولو لم يكن من رجال التهذيب لذكره فيه مع هذه الزيادة، فكل هذا يقوى بل يحقق ما **استقر عليه** ظنى، والله تعالى أعلم بالصواب.

٤١٥٩ – فى المختصر: بندار: هو محمد بن بشار بن عثمان العبدى البصرى، أبو بكر، ثقة.." (١)

"ملك لَهُ ومختصر القَوْل أَن الكلاسة لم يبْق لَهَا من الْمدرسَة إِلَّا الِاسْم ثمَّ أخنى عَلَيْهَا الزَّمَان فهدمت كلهَا فِي أيامنا وَالله يقلب الْأُمُور كَيْفَمَا شَاءَ

الْحلقَة الكوثرية

تجاه شباك الكلاسة تَحت مئذنة الْعَرُوس بالجامع الْأمَوِي وَقفهَا السُّلْطَان نور الدّين على صبيان صغَار وأيتام يقرؤون كل لَيْلَة بعد الْعَصْر سُورَة الْإِخْلَاص ثَلَاث مَرَّات ثمَّ يهْدُونَ ثَوَابهَا للْوَاقِف وَلَهُم على ذَلِك مُرَتّب يتناولونه من ديوَان السَّبع الْكَبِير الَّذِي كَانَ بالجامع وان عدَّة من فِيهِ يَوْمئِذٍ يَعْنِي فِي عصر التسْعمائَة على مَا **اسْتَقر عَلَيْهِ** الْحَال ثَلَاثمِائَة وَأَرْبَعُونَ أَو خَمْسُونَ نَفرا

قلت قد كَانَ ذَلِك وَالْحَال تغير وَأما الْحلقَة الْمَذْكُورَة فبناؤها بَاقٍ وَقد أضحت حجرَة يسكنهَا مُتَوَلِّي الْجَامِع ويدرس بهَا أَن كَانَ عَالما وَأَلا جعلهَا منتدى لأشغاله وَتلك حِكْمَة الله

حرف الْمِيم وَالنُّون

الْمدرسَة المجاهدية الجوانية

بِالْقربِ من بَاب الخواصين قَالَه فِي التَّنْبِيه والخواصين كَانَ يُسمى بِهِ قَدِيما مَحل الْمدرسَة النورية وَقد أشكل محلهَا على العلموي الْمُتَوفَّى سنة إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَتِسْعمِائَة فَقَالَ فِي مُخْتَصره لَعَلَّ هَذِه الْمدرسَة هِيَ الَّتِي وَرَاء سوق جقمق وَهِي الْآن سكن

---

(١) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار بدر الدين العيني ٤٧٨/٣

الشَّيْخ نَاصِر الدّين الْحَنَفِيّ وَرُبمَا تكون الْمُقَابلَة لباب قيسارية القواسين لِأَنِّي اعْلَم أَن اسْمهَا قَدِيما المجاهدية وَأما الْآن فيسمونها الحجازية لِأَنَّهَا كَانَت منزولا لَهُم وَأما حِينَئِذٍ فَهِيَ منزول نواب قَاضِي الشَّام وَغَيرهم من الاروام انْتهى وَيُمكن أَن تكون المحكمة الْمُسَمَّاة الْآن بمحكمة الْبَاب

تَرْجَمَة واقفها

هُوَ مُجَاهِد الدّين أَبُو الفوارس بزان بن ياسين بن عَليّ بن مُحَمَّد الجلالي الْكرْدِي كَانَ من مقدمي الجيوش فِي دمشق فِي أَيَّام نور الدّين مَحْمُود بن زنكي وَلما كَانَ فتح." (١)

"........

فقط، وفي سورة هود نبينا ومن تبعه من أمة الإجابة، فلما علم أنّهم لم يخرجوا من عهدة القيام بهذا الأمر الخطير كما يجب؛ اهتم بحالهم وملاحظة عاقبة أمرهم، فصار معتكفا في زوايا الهموم والغموم، ولا ريب أن تدبير تلك العظائم يظهر الغمّ والهمّ، ويظهر في صفحات وجنات الإنسان الضعف والسقم. انتهى «مناوي» .

يقول العبد الضعيف عبد الله بن سعيد اللحجي مقيّد هذا التعليق اللطيف: إني وقفت على مؤلّف خاصّ يسمى «فيض الجود على حديث: شيّبتني هود» منسوب للشيخ العلّامة المحقّق عزّ الدين بن علي بن عبد العزيز المكي الزمزمي الشافعي المولود سنة: - ٩٠٠- تسعمائة- بتقديم المثناة على السين المهملة-، والمتوفّى سنة: - ٩٦٣- ثلاث وستين وتسعمائة، أطال فيه ذيول الكلام، وذكر أن هذا الحديث أخرجه على اختلاف ألفاظه وطرقه خاتمة الحفّاظ شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني في اختصاره كتاب «تخريج أحاديث الكشاف» للإمام أبي محمد الزيلعي، وأخرجه أيضا تلميذه الحافظ السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة» ؛ وأورده أتمّ من ابن حجر رحمهم الله تعالى. آمين.

وحاصل ما **استقرّ عليه** رأي الزمزمي في هذه الرسالة: أنه ردّ القول بأن المراد من هود آية (فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ) [١١٢/ هود] قال: ويحتاج بعد أن رددنا القول بأن المراد من سورة هود آية (فَاسْتَقِمْ)

[١١٢/ هود] أن نبيّن المراد من الحديث!! قال:

وقد قدّمنا عن ابن عطية أنه إشارة إلى ما فيها مما حلّ بالأمم إلى آخره. قال: وهذا التأويل حسن في ذاته، لكنه لا يتأتّى في جميع السور الواردة من الطرق الصحيحة.

قال: ولم أر لغير ابن عطية من المفسّرين كلاما في ذلك!! قال:

فالصواب أن يحمل على أمر يوجد في جميع تلك السور، ولعله- والله أعلم- ذكر القيامة وأحوالها، فإنه موجود في جميع السور المذكورة في الروايات. أو يقال: المراد به ما هو أعمّ من ذلك مما يقتضي الخوف والفزع؛ مما هو موجود في جميع السور أو بعضها؛ كالأمر بالاستقامة.." (٢)

---

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ابن بدران ص/١٤٦

(٢) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ٣٢٨/١

"تحته، وصعد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتّى استوى على الصّخرة، قال: سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «أوجب طلحة» - أي: فعل فعلا أوجب لنفسه بسببه الجنّة.

أحد العشرة الّذين شهد لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالجنّة، وأحد الثّمانية السّابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الّذين أسلموا على يد أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه، وأحد السّتّة أصحاب الشّورى.

وسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «طلحة الخير» ، و «طلحة الجود» ، وهو من المهاجرين الأوّلين، ولم يشهد بدرا، ولكن ضرب له رسول الله صلّى الله عليه وسلم بسهمه وأجره كمن حضر. وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد.

وروي له عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا؛ اتفق البخاريّ ومسلم على حديثين، وانفرد البخاريّ بحديثين، وانفرد مسلم بثلاثة.

وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الأولى سنة: - ٣٦- ستّ وثلاثين.

وهذا لا خلاف فيه، وكان عمره أربعا وستّين سنة، على خلاف في ذلك، وقبره بالبصرة مشهور يزار ويتبرّك به، رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

(تحته) فصار طلحة كالسّلّم؛ (وصعد) - بكسر العين- (النّبيّ صلّى الله عليه وسلم) ؛ أي: فوضع رجله فوقه وارتفع (حتّى استوى على الصّخرة) ؛ أي: استقرّ عليها.

(قال) - أي: الزّبير-: (سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلم يقول: «أوجب طلحة») رضي الله تعالى عنه- (أي: فعل فعلا) هو إعانته له صلّى الله عليه وسلم على الارتفاع على الصّخرة الّذي ترتّب عليه جمع شمل المسلمين وإدخال السّرور يومئذ على كلّ حزين.

و (أوجب لنفسه بسببه الجنّة) ، ويحتمل أنّ ذلك الفعل هو جعله نفسه فداء له صلّى الله عليه وسلم ذلك اليوم حتّى أصيب ببضع وثمانين طعنة، وشلّت يده في دفع الأعداء عنه، ولا مانع من إرادة الجميع؛ وكان أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه إذا ذكر أحدا." (١)

"الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وملّة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين» .

- بكسر الفاء- (الإسلام) ؛ أي: دينه الحق، وقد ترد الفطرة بمعنى السّنّة.

(وكلمة الإخلاص) ، هي كلمة الشهادة، (ودين نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلّم) ، الظاهر أنّه قال [ذلك] تعليما لغيره. ويحتمل أنّه جرّد من نفسه نفسا يخاطبها.

قال ابن عبد السلام في «أماليه» : و «على» في مثل هذا تدلّ على الاستقرار والتمكّن من ذلك المعنى، لأن الجسم إذا علا شيئا تمكّن منه واستقرّ عليه، ومنه أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ [٥/ البقرة] . قال النووي في «الأذكار» : لعله صلى الله عليه وسلّم قال ذلك جهرا ليسمعه غيره؛ فيتعلّمه منه. انتهى مناوي على «الجامع» .

---

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ٦٠٣/١

(وملّة أبينا إبراهيم) الخليل (حنيفا) : مائلا إلى الدين المستقيم، (مسلما؛ وما كان من المشركين») .

قال العلقمي في «شرح الجامع الصغير» : قال شيخنا- يعني السيوطي-:

فائدة؛ وهي عزيزة النقل: فرع أوّل المساء: من الزوال. ذكره الفقهاء عند كلامهم على كراهة السّواك للصائم بعد الزوال، أما الصباح!! فقلّ من تعرّض له، وطالما فحصت عنه!! إلى أن وقفت عليه في ذيل «فصيح ثعلب» للعلاّمة موفق الدين البغدادي قال: الصباح عند العرب: من نصف الليل الأخير إلى الزوال، ثم المساء إلى آخر نصف الليل الأول. انتهى ما نقله.

قلت: ومن فوائده أنه يشرع ذكر الألفاظ الواردة في الأذكار المتعلّقة بالصباح والمساء، وهذا واضح في «الأذكار» التي فيها ذكر المساء والصباح، أمّا التي فيها ذكر اليوم والليلة!! فلا يتأتّى فيها ذلك إذ أوّل اليوم شرعا من طلوع الفجر، والليل من غروب الشمس. انتهى.

وقال ابن حجر في «شرح المشكاة» – بعد كلام الموفّق-: والظاهر أنّ المراد في الأحاديث بالمساء: أوائل الليل، وبالصباح: أوائل النهار.." (١)

"في وجهي وأنا ابن خمس سنين".

* قال ابن الصلاح: "**واستقر عليه** عمل أهل الحديث".

* وزينب هذه روى لها البخاريّ (٦/ ٥٢٥ – فتح) حديثًا من طريق كليب بن وائل عنها، أنَّ النبيّ –صلى الله عليه وسلم– نهى عن الدبّاء والحنتم والُمقيَّر والُمزفَت. . الحديث". ولا أعلمُ أنَّ أحدًا أعلَّ هذا الحديث بالإرسال. . والله أعلم.

* وقال ابنُ القيم في "تهذيب السنن" (١/ ٤٨٥): "وقد أعل ابنُ القطان هذا الحديث بأنه مرسل. . ثم قال: وهذا تعليلٌ فاسدٌ، فإنها معروفة الرواية عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، وعن أمِّها، وأمِّ حبيبة، وزينب. وقد حفظت عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، ودخلت عليه وهو يغتسل فنضح في وجهها، فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت. ." اهـ.

* قلتُ: وآخر كلام ابن القيم، قال الحافظ في "الإصابة": "وروينا في القطيعيات من طريق عطاف بن خالد، عن أمِّه، عن زينب بنت أبي سلمة، قالت: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا دخل يغتسل تقول أمي: أدخلي عليه، فإذا دخلتُ نضح في وجهي شيء، وفي روايةٍ ذكرها أبو عُمر: فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعمرت. . " اهـ.

* وهذا سندٌ جيد. . فيظهر مما ذكرت أن زينب صحابية، خلافًا لمن ذهب إلى أنها تابعية كأبي حاتم العجلي وابن سعد. والله أعلم.

* ويؤكده ما ذكره يعقوب بنُ سفيان في "تاريخه" (٢/ ٧٢٢)، عن سفيان بن عيينة، قال: "زينب بنت أم سلمة رأت النبيّ –صلى الله عليه وسلم–".

* هذا، وإنْ كانت مجرد الرؤية لا تقتضي السماع ولكن ما سبق يؤكد أنها رؤية سماع، والله أعلم. غوث المكدود ١/ ١٢٠ – ١٢١ ح ١١٥

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ١٩٣/٣

٥١٩٨ – زينب بنت عبد الله ابن الرضى: [هي الصالحية. ت –٧١٧ هـ.." (١)

"قد انقضت معجزات الرسل منذ قضوا ... نحبا وأفحم منه ذلك الجيل

ومعجزات رسول الله باقية ... محفوظة ما لها في الدهر تحويل

تكفّل الله هذا الذّكر يحفظكم ... فلن يضيع الذى بالله مكفول

هذي المفاخر، لا تحظي الملوك بها ... الملك منقطع، والوحى موصول

[كيفية نزول القران] :

وأنزل الله القران كله إلى السماء الدنيا جملة، ثم فرّقه في ثلاث وعشرين سنة مدة الوحى، بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، فكان جبريل ينزل بالسورة أو الاية لأمر يحدث، ويخبر النبى صلّى الله عليه وسلّم بموضعها من القران، وعلى هذا الترتيب كان صلّى الله عليه وسلّم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التى توفى فيها مرتين. وما **استقر عليه** الأمر في العرضة الأخيرة هو الذى وقع عليه ترتيب المصحف العثماني، وأمّا ما وقع في غيره من مصاحف بعض الصحابة كمصحف ابن مسعود، ومصحف أبيّ بن كعب من الترتيب والقرات، وزيادة بعض السور مما هو مخالف للمصحف العثماني، فقد وقع ذلك أوّلا بتوقيف، ثم نسخ ذلك بما **استقر عليه** الأمر في العرضة الأخيرة وكتب في المصحف العثماني، ولم يبلّغ النسخ من ذكر من الصحابة، ولا ما **استقرّ عليه** الأمر، فأبقوا مصاحفهم على ما كان عندهم.

فإن قيل: نزوله جملة إلى السماء هل كان قبل نبوته صلّى الله عليه وسلّم أو بعدها؟ أجيب بأنه جوّز أبو شامة الأمرين، واستظهر هو الأوّل، والجلال السيوطى الثانى، قال:

والاثار صريح سياقها فيه، وربما فهم من كلام بعض المتأخرين اختيار المعية، فإن قيل: فما السر في نزوله منجّما؟ وهلّا نزل كسائر الكتب جملة؟ أجيب: هذا سؤال تولّى الله جوابه، فقال تعالى: وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً [الفرقان: ٣٢] يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم تعالى بقوله كَذلِكَ أي أنزلناه مفرقا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ [الفرقان: ٣٢] أى لنقوى به قلبك؛ فإن الوحى إذا كان يتجدد في كل حادثة كل أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجديد العهد به وبما معه من." (٢)

"ذوي الأرحام، وكان عليه الصلاة والسلام يقول لكل اثنين تاخيا في الله: أخوين أخوين) «١» ودام هذا الميراث إلى أن نزل الله سبحانه قوله في سورة الأحزاب وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ «٢» .

هجرة أهل البيت

---

(١) نثل النبال بمعجم الرجال أبو إسحق الحويني ٥٩٧/٤

(٢) نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز رفاعة الطهطاوى ص/٤٤٢

ولما استقرّ عليه الصلاة والسلام بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكّة ليأتيا بمن تخلّف من أهله، وأرسل معهما عبد الله بن أريقط «٣» يدلهما على الطريق، فقدما بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه عليه السلام، وسودة زوجه، وأم أيمن زوج زيد وابنها أسامه، أما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع، وخرج مع الجميع عبد الله بن أبي بكر بأم رومان «٤» زوج أبيه، وعائشة أخته، واسماء زوج الزبير بن العوام، وكانت حاملا بابنها عبد الله، وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة.

حمّى المدينة

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقا للمهاجرين من أهل مكّة، فأصاب كثيرا منهم الحمّى «٥» ، وكان رسول الله يعودهم فلمّا شكوا إليه الأمر قال: اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكّة وأشدّ وبارك في مدّها وفي صاعها، وانقل وباءها إلى الجحفة «٦» ، فاستجاب الله جلّ وعلا دعوته، وعاش المهاجرون في المدينة بسلام.

---

(١) قاله محمد بن اسحاق. ويقول الإمام ابن القيم، وقد قيل: إنه اخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية واتخذ فيها عليا أخا لنفسه.

(٢) اية ٦.

(٣) الليثي الدئلي دليل النبي صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر لما هاجر إلى المدينة وأنه على دين قومه.

(٤) هي بنت عامر، امرأة أبي بكر الصديق وأم عائشة وعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم، توفيت في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذلك في سنة ستة من الهجرة، فنزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قبرها واستغفر لها.

(٥) أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة.

(٦) قرية على اثنين وثمانين ميلا من مكة وهي ميقات أهل الشام. (المؤلف) (وكان بها يهود حينئذ) . والحديث رواه البخاري في صحيحه.." (١)

"معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحوز ماله دون نفسه، وإنه لطيبة لمن أخذه من الناس وإنه لا يحلّ أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر.

كتاب أهل أذرح وجرباء

وكتب لأهل أذرح وجرباء كتابا صورته: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمّد النبي لأهل أذرح وجرباء، إنهم امنون بأمان الله وأمان محمّد، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل بالنصح والإحسان للمسلمين» وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم.

ثم إنّ الرسول استشار أصحابه في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام، فقال له عمر: إن كنت أمرت بالسير

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد الخضري ص/٨١

فسرّ. فقال عليه الصلاة والسلام: لو كنت أمرت بالسير لم أستشر، فقال: يا رسول الله إن للروم جموعا كثيرة، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام، وقد دنونا وقد أفزعهم دنوّك، فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا، فتبع عليه الصلاة والسلام مشورته، وأمر بالقفول فرجع الجيش إلى المدينة.

مسجد الضّرار

ولّما كان على مقربة منها «١» بلغه خبر مسجد الضّرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين «٢» معارضة لمسجد قباء، ليفرقوا جماعة المسلمين. وجاء جماعة منهم إلى الرسول طالبين منه أن يصلّي لهم فيه، فسألهم عن سبب بنائه، فحلفوا بالله إن أردنا إلّا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون، فأمر عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه «٣» لينطلقوا إليه ويهدموه ففعلوا. هذا ولّما استقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلّفوا يعتذرون كذبا. فقبل منهم عليه الصلاة والسلام علانيتهم، ووكل ضمائرهم إلى الله واستغفر لهم.

---

(١) أي من المدينة بذي أوان، بينها وبين المدينة ساعة. وبلغه خبره من السماء.

(٢) قال السهيلي ذكر منهم جارية بن عامر وابنه مجمّع بن جارية وخذام بن خالد وثعلبه بن حاطب، ومعتّب ابن قشير وبنتل بن الحارث.

(٣) وهما مالك بن الدخشم ومعن بن عدي.." [1]

"الخامس عشر: في المقصودة التي اتخذها به، السادس عشر: في زيادة الوليد على يد عمر بن عبد العزيز، السابع عشر: فيما اتخذه عمر فيها من المحراب والشرفات والمنارات والحرس، ومنعهم من الصلاة على الجنائز فيه، الثامن عشر: في زيادة المهدي، التاسع عشر: فيما كانت عليه الحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة في مبدأ الأمر، العشرون: في عمارتها بعد ذلك، والحائز الذي أدير عليها، الحادي والعشرون: فيما روي في صفة القبور الشريفة بها، وأنه بقي هناك موضع قبر لعيسى عليه الصلاة والسلام، وتنزل الملائكة حافين بالقبر الشريف، وتعظيمه، والاستسقاء به، الثاني والعشرون: فيما ذكر من صفتها وصفة الحائز الدائر عليها، وما شاهدناه مما يخالف ذلك، الثالث والعشرون: في عمارة اتفقت بها بعدما تقدم، على ما نقله بعضهم، وما نقل من الدخول إليها وتأزيرها بالرخام، الرابع والعشرون: في الصندوق الذي في جهة الرأس الكريم والمسمار الفضة المواجه للوجه الشريف، ومقام جبريل عليه السلام، وكسوة الحجرة وتحليتها، الخامس والعشرون: في قناديلها ومعاليقها، السادس والعشرون: في الحريق الأول القديم المستولي على تلك الزخارف المحدثة بها وبالمسجد وسقفها وما أعيد من ذلك، السابع والعشرون: في اتخاذ القبة الزرقاء تمييزا للحجرة الشريفة والمقصورة الدائرة عليها، الثامن والعشرون: في عمارتها المتجدّدة في زماننا، على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، وما حصل من إزالة هدم الحريق من ذلك والمحل الشريف، ومشاهد وضعه المنيف، وتصوير ما استقر عليه أمر الحجرة، التاسع والعشرون: في الحريق الحادث

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد الخضري ص/٢٢١

في زماننا بعد العمارة السابقة، وما ترتب عليه ألحقته هنا مع إلحاق ما تقدمت الإشارة إليه في الفصول؛ لحدوثه بعد الفراغ من مسوّدة كتابنا هذا، وفي آخره خاتمة فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد لخندق مملوء من الرصاص حول الحجرة، الثلاثون: في تحصيب المسجد «١» ، وأمر البزاق فيه، وتخليقه «٢» ، وإجماره، وشيء من أحكامه، الحادي والثلاثون: فيما احتوى عليه من الأروقة والأساطين والبلوعات والسقايات والحواصل، وغير ذلك، الثاني والثلاثون: في أبوابه وخوخاته، وما يميّزها من الدور المحاذية لها، الثالث والثلاثون: في خوخة آل عمر رضي الله عنه، الرابع والثلاثون: فيما كان مطيفا به من الدور، الخامس والثلاثون: في البلاط وما حوله من منازل المهاجرين، السادس والثلاثون: في سوق المدينة، السابع والثلاثون: في منازل القبائل من المهاجرين، وما حدث من اتخاذ السور.

---

(١) حصّب المسجد: فرشه بصغار الحصى.

(٢) الخلاق: ضرب من الطيب، أعظم أجزائه الزعفران. إجماره: تبخيره بالمجمر.." [1]

"الشريفة التي كانت مبنية به أولا جعل للتبرك لأنه أتى غير مستو، والجدار مبني بالحجارة الوجوه المحكمة وبالقصة؛ فلا يناسبه وضع ذلك فيه، ولهذا جعل بين الحجارة الوجوه في أعالي الجدار، وقد تقدم أن الذي **استقر عليه** عرض الجدار في زمنه صلّى الله عليه وسلّم الأنثى والذكر، وهما لبنتان مختلفتان، واللبنتان المختلفتان من هذا اللبن الذي رأيناه أو اللبنة ونصف الآخرى وهو السعيدة يزيد على ذراع ونصف يسيرا، فيكون ذلك هو عرض الجدار في زمنه صلّى الله عليه وسلّم ويشهد له ما شاهدناه أيضا في عرض جدار الحجرة الشريفة على ما سنذكره، ثم اتضح الحال بظهور المرمر الذي في قبلة المنبر؛ فإنا وجدنا بينه وبين الدرابزين المذكور أرجح من ذراع، وبينه وبين طرف محل المنبر الأصلي من جهة القبلة ثلاثة أذرع سواء، كما ذكر ابن زبالة، فذلك هو عرض الجدار مع ما كان بين المنبر وبينه.

وأما ما ذكره ابن النجار من التحديد بالأسطوانة التي تلي المنبر من جهة المغرب وأنها آخر البلاط وبالحجرة الشريفة من جهة المشرق؛ فالبلاط الذي ذكره لا يوجد اليوم، وكأنه يريد به الرخام الذي كان المنبر وسطه، وقد عبر عن ذلك ابن جماعة كما تقدم بقوله: من الحجرة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب، فإن السابعة من صف الأساطين المذكورة هي التي تلي المنبر من المغرب إن عددنا الأسطوان الملاصق للحجرة، ولم أر لما ذكره ابن جماعة مستندا في كلام المؤرخين سوى ما ذكره ابن النجار؛ فيتعين الحمل على الأسطوانة المذكورة، وقد ذرعت ما بين الأسطوانة التي تلي المنبر عند ظهره من المغرب إلى حائز عمر بن عبد العزيز الذي داخله الحجرة الشريفة بمقط؛ فكانت مساحته سبعة وخمسين ذراعا ونصف ذراع راجح، وعرض الحائز المذكور ذراع وربع راجح، كما تحرر لي عند عمارة ما نقض منه، وليس بينه وبين جدار الحجرة من هذه الجهة فضاء أصلا، بل هو لاصق به ليس بينهما مغرز إبرة خلاف ما ذكره المؤرخون؛ فيكون ما بين الأسطوانة المذكورة والحجرة الشريفة تسعة وخمسون ذراعا ينقص يسيرا، وكأن ابن النجار جرى على قول من تقدمه من المؤرخين في أن بين الحائز وجدار الحجرة فضاء من هذه الجهة، وظن أن عرض الحائز أكثر مما ذكرناه؛ فجعل نهاية قولهم في عرض المسجد

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٠/١

ستين ذراعا أو يزيد إلى الأسطوانة التي تلي المنبر أو أن ذلك القدر الناقص لتفاوت الأذرعة، على أن الظاهر أن ابن جماعة لم يعتبر الأسطوانة اللاصقة بالحجرة، وأنه جعل السارية السابعة هي التي تلي السارية التي تلي المنبر في جهة المغرب، وهي الثانية من المنبر في تلك الجهة، فإنه قال: إنه ذرع ما بين الأسطوانة السابعة إلى حائز الحجرة الشريفة فكان ذلك اثنين وأربعين ذراعا وثلثي ذراع بذراع العمل.

قلت: وقد اعتبرت ما ذكره من الذرع بذراع العمل فرأيته ينتهي إلى الأسطوانة الثانية." (١)

"المشرق إلى الأسطوان التي دون المربعة التي عند القبر، وعلامة تلك الأسطوان أن لها نجافا «١» طالعا في الرحبة من بين الأساطين، ومن المغرب إلى الأسطوان التي تلي المربعة التي لها نجاف أيضا من بين الأساطين، وظهر ذلك أي حد المسجد بحجارة، وعبارة يحيى: وقد صمد بحجارة تحت الحصباء، منها أرفة عند الأسطوان التي بين أسطوان التوبة وبين القبر في صف الأسطوان التي لها نجاف، ومن المغرب مثل ذلك بأرفة حجارة في الأرض مبنية، وترك مما يلي الشام لم يزد فيه، انتهى كلام ابن زبالة بحروفه.

وقوله: «ومن المغرب مثل ذلك» أي ظهر الحد بأرفة حجارة في الأرض، ولا أدري معنى قوله بأرفة «٢» .

وذكر ابن زبالة أيضا في موضع آخر ذرع مسجد النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي كان في زمنه، يعني ما **استقر عليه** في آخر الأمر، ثم قال: وحده من شرقي المنبر أربع أساطين، ومن غربيه أربع أساطين، انتهى.

والعجب من ابن النجار فمن بعده من المؤرخين حيث لم يتعرضوا لهذا، لكن ابن النجار اعتذر في أول كتابه بأنه كان مجاورا بالمدينة، ولم تكن كتبه حاضرة عنده، وذكر ما يقتضي أنه كتب ذلك مما علق بفكره، والمطري جرى على منواله، وابن زبالة ويحيى عمدة في ذلك؛ فإنهما أقدم من أرخ للمدينة لأن ابن زبالة هو محمد بن الحسن أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس، ويؤخذ من كلامه أنه وضع كتابه في صفر سنة تسع وتسعين ومائة، وأما يحيى فهو من أصحاب أصحابه، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين ومائتين عن ثلاث وستين سنة، وأما ابن شبة فكان معاصرا ليحيى وقبله بيسير، ولم أظفر من كتابه بهذا المحل المشتمل على ذكر المسجد، ولو ظفرت به لكان الشفاء؛ فإنه يوضح الأمور إيضاحا تاما، وهو إمام ثقة، وابن زبالة وإن كان ضعيفا لكن اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب.

ثم ظفرت في كلام المرجاني نقلا عن المحاسبي بما يوافق كلامه؛ فهو العمدة عندي.

قال المرجاني: قال الحارث بن أسد المحاسبي: حد المسجد الأول ستة أساطين في عرضه عن يمين المنبر إلى القناديل التي حذاء الخوجة، وثلاث سوار عن يساره من ناحية المنحرف منه، ومنتهى طوله من قبلته إلى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان المسجد

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١/٢٦٦

(١) النجاف: الناتئ المشرف على الشيء.

(٢) الأرفة: علامة تنصب، تبين الحدّ بين الأرضين.." (١)

"ما بقي منها زاد عثمان رضي الله عنه بعضه، وما بقي دخل في دار مروان بن الحكم.

وروى يحيى في قصة زيادتها ما يصرح بأنها كانت ملاصقة بجدار المسجد النبوي، بل روي أنه كان لها ميزاب يصب فيه، وقد نقل يحيى أنها كانت فيما بين الأسطوان المربعة التي تلي دار مروان بن الحكم، أي والباب الذي يلي دار مروان بن الحكم؛ لما تقدم من دخول بعضها في دار مروان؛ فوجب أن تكون المربعة المذكورة أول دار العباس وآخر المسجد النبوي.

السابع: ما قدمناه من أن المربعة الغربية إذا أطلقت، فالمراد بها الأسطوانة التي كانت ركن صحن المسجد في المغرب عند نهاية المسقف القبلي قبل زيادة الرواقين الآتيين فيه، وهي المثمنة اليوم؛ فهي المرادة بما تقدم عن الجمهور من أن المسجد النبوي كان إلى الفرضتين اللتين في الأسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتي في القبر كما نقله ابن زبالة، ولا شك أن الأسطوانة الخامسة من المنبر في جهة المغرب دون المربعة المذكورة؛ لأن المربعة المذكورة هي السادسة من المنبر، فوضح أنها المراد بذلك، فيكون الجمهور على رواية أن المسجد كان مائة في مائة، ومما يرجح هذه الرواية أيضا ما تقدم عن المحاسبي من تحديد مؤخر المسجد الأول نقلا عن مالك بعضادة الباب الثاني من باب جبريل- وهو باب النساء- وما سيأتي من أن باب الرحمة- ويعرف بباب عاتكة- لم يغيره عمر رضي الله عنه، يعني أنه نقله فأخره فقط وجعله في تجاه الباب الأول، لأنه زاد في المسجد من جهة المغرب، وبين باب الرحمة وبين الحجرين اللذين ذكر أنهما حد المسجد من جهة الشام تفاوت ظاهر؛ لتأخره عن موازاتهما كثيرا، وكأنهما إنما جعلا هناك تميزا لفوهتي بالوعة عندهما الحجران المذكوران هناك؛ فالذي يترجح في النقد رواية المائة وما ذكرناه من التحديد، ويحتمل أن ابن النجار لما رأى اختلاف الروايات أراد الأخذ بالأقل لأنه المحقق فذكر التحديد المتقدم، وتبعه من بعده، على أنه اعتذر في أول كتابه بغيبة كتبه، وأن الحفظ قد يزيد وينقص، ولما اتضح ذلك للمقر الشجاعي شاهين الجمالي ناظر الحرم الشريف النبوي وشاد عمائره وشيخ خدامه اتخذ لأعالي الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التي في قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف منقوشا فيه أن ذلك هو الذي استقر عليه الأمر في نهاية المسجد النبوي وحده، فالله تعالى يوفقه للمداومة على حفظ الحدود، ويلحقه بالمقر بين الشهود.

ويتفرع على ذلك مسألة ذكرها النووي فقال في شرح مسلم والمناسك وغيرهما: إن الصلاة إنما تتضاعف في المسجد الذي كان في زمنه صلّى الله عليه وسلّم دون بقية الزيادات، ولم يحك غيره، لكن الخطيب بن حملة نقل عن المحب الطبري أن المسجد المشار إليه في حديث." (٢)

"قلت: ولما حفر متولي العمارة في زماننا أرض المسجد الشريف وسواها بأرض المصلى الشريف وجد هذا الرخام المذكور، وارتفاعه عن أرض المصلى الشريف نحو ما ذكره ابن النجار وابن جبير؛ ثم لما أرادوا تأسيس المنبر الرخام الآتي ذكره حفروا حول الدكة المذكورة فظهر أنها منخفضة عن أرض المصلّى الشريف التي استقر عليها الحال اليوم يسيرا، وخلفها من

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢٧٠/١

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢٧٣/١

جهة القبلة إفريز نحو ثلث ذراع، وطولها سبع أذرع، بتقديم السين، وشبر، وهي مجوفة شبيهة بالحوض، فصح ما ذكره ابن جبير في تسميتها حوضا، وصح أيضا ما سيأتي عنه من أن سعة المنبر خمسة أشبار؛ لأن جوف هذا الحوض الذي وجدناه بما دخل من عمودي المنبر في أحجاره خمسة أشبار، وقول ابن زبالة أولا «وذرع طول المنبر اليوم أربع أذرع» مراده ارتفاعه في الهواء مع الدرج الست التي زادها مروان؛ فيكون طول الدرج الست ذراعين؛ فتكون كل درجة ثلث ذراع، فيقرب مما قدمه ابن زبالة في طول درج منبر النبي صلّى الله عليه وسلم، وهو الذي تقتضيه المناسبة.

ونقل الزين المراغي عن ابن زبالة أنه قال: طول منبر النبي صلّى الله عليه وسلّم بما زيد فيه أربعة أذرع، ومن أسفل عتبته إلى أعلاه تسعة أذرع وشبر.

قلت: كذا رأيته بخط الزين، وضبط قوله: «تسعة أذرع» بتقديم التاء الفوقية، وهو غلط في النسخة التي وقعت له؛ لأن الذي قدمناه عن ابن زبالة إنما هو من أسفل عتبته إلى مؤخره، وقررناه بما تقدم، وإنما قضينا على ذلك بالغلط لأنه حينئذ لا يلتئم أطراف كلامه، ولأنه يقتضي أن يكون ارتفاع المنبر في الهواء تسعة أذرع، بتقديم التاء، وشبرا، فإذا قام عليه القائم يقرب من سقف المسجد، ويبعد كل البعد كون منبر في ذلك الزمان ارتفاعه هذا القدر، وأيضا فابن زبالة قد صرح بأن الذي زاده مروان ست درج، فيلزم أن يكون كل درجة ذراعا وشيئا، وهو في غاية البعد، وما نقلناه عن ابن زبالة يقرب مما ذكره ابن النجار؛ فإنه قال عقب ما قدمناه عنه في وصف منبر النبي صلّى الله عليه وسلّم ما لفظه: وطول المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاث أصابع، والدكة التي عليها من رخام طولها شبر وعقد، ومن رأسه- أي المنبر- دون دكته إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع، وقد زيد فيه اليوم عتبتان وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة، انتهى؛ فهو قريب مما ذكره ابن زبالة من أن طول المنبر- يعني في الهواء- أربعة أذرع، وامتداده هو خاصة في الأرض من عتبته إلى مؤخره ستة أذرع، ويوافق أيضا ما ذكره الفقيه أبو الحسين محمد بن جبير من حديث القدر، فإنه قال: رأيت منبر المدينة الشريف في عام ثمان وسبعين وخمسمائة، وارتفاعه من الأرض نحو القامة أو أزيد، وسعته خمسة أشبار، وطوله خمس خطوات، وأدراجه ثمانية، وله باب على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة، وطوله- أي الباب- أربعة أشبار ونصف شبر، وهذا." (١)

"يدفن معه، قال: فقال أبو مودود: وقد بقي في البيت موضع قبر، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي بعض النسخ: حسن غريب، هكذا قال عثمان بن الضحاك، والمعروف الضحاك بن عثمان المدني، انتهى كلام الترمذي.

وفي رواية للطبراني عن عبد الله بن سلام قال: يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر وعمر؛ فيكون قبرا رابعا، وهو من رواية عثمان بن الضحاك، وقد وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود.

وذكر الزين المراغي أن ابن الجوزي روى في المنتظم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض، فيتزوج ويولد له، فيمكث خمسا وأربعين سنة، ثم يموت فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر.

وقال ابن النجار: قال أهل السير: وفي البيت موضع قبر في السهوة الشرقية، قال سعيد بن المسيب: فيه يدفن عيسى بن

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٤

مريم.

والسهوة: بيت صغير منحدر في الأرض قليلا شبيه بالمخدع والخزانة، وقيل: هو كالصفة يكون بين يدي البيت، وقيل: هو شبيه بالرف والطاق يوضع فيه الشيء، ولعل المراد بذلك الموضع الذي ضربت عليه عائشة جدارا وسكنت به كما سبق.

الملائكة يحفون بالقبر

وسنذكر فيما **استقر عليه** بناء الحجرة أنه عقد على نحو ثلثها الشرقي عقد، فصار ذلك المحل مميزا عن بقية البيت، وكان قبله في البناء ما يشهد لجدار آخر من الشام إلى القبلة في تلك الجهة، فلعله الموضع المذكور.

وروى يحيى وابن النجار عن كعب الأحبار قال: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي صلّى الله عليه وسلّم، حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة، صلّى الله عليه وسلّم.

وفي صحيح الدارمي نحوه من رواية عائشة رضي الله عنها، وقال فيه: سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفا بالنهار، ذكره في باب ما أكرم الله به نبيه صلّى الله عليه وسلّم بعد موته، رواه البيهقي في شعبه.

لا ينبغي رفع الصوت في المسجد

وقد تقدم قول عمر رضي الله عنه «إن مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات» وقال أبو بكر رضي الله عنه: لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا.." (١)

"الفصل الثامن والعشرون فيما تجدد من عمارة الحجرة الشريفة في زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، وما حصل بسببه من إزالة هدم الحريق الأول من ذلك المحل الشريف، ومشاهدة وضعه المنيف، وتصوير ما **استقر عليه** أمر الحجرة في هذه العمارة

اعلم أن بعض سقف المسجد التي تقدم تجديدها كان قد ظهر تكسّر بعض أخشابه في هذه الدولة الأشرفية- أعز الله أنصارها، وأعلى في سلوك العدل منارها- فورد المدينة المقر الأشرف السيفي شاهين الجمالي منصرفه من جدة المعمورة، فأروه ذلك، وأروه الحائز المخمس الدائر على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم يظهر إذا رفعت الكسوة عند منتهى الصفحة الشرقية وانعطافها إلى الزاوية الشمالية، فرفعوا عنه الكسوة، وأحضروا بعض أرباب الخبرة بسبب ذلك، فاختلف النقل عمن حضر ذلك في كونه ضروريا أو غير ضروري، فاجتمعت بالمشار إليه بسبب ذلك، فذكر لي أن الذي تحرر أنه ليس بضروري؛ لأنه شق في طول الحائط لا في عرضه، وهو قديم مملوء بالجص، والحائط ليس عليه سقف يثقله فنخشى عليه، فأعجبني كلامه.

ثم أنهى في سنة ثمان وسبعين لمولانا السلطان الأشرف احتياج المسجد الشريف للعمارة، وسقوط منارة مسجد قباء، وكان

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٢٢

الجناب الخواجكي الشمسي بن الزمن مغرما بمثل ذلك، وسبق له بالمدينة الشريفة عمارة لمدرسته المعروفة بالزمنية على يد بعض جماعته، ففوض إليه السلطان أمر عمارة المسجد النبوي، فكان ما تقدم من مجيئه إلى المدينة الشريفة في أثناء سنة تسع وسبعين، وتقريره أمر العمارة، ثم توجه إلى مصر المحروسة، فكان من أمر العمارة ما قدمناه.

ثم رغب في أمر العمارة المقر الشرقي شرف الدين الأنصاري تغمده الله برحمته ففوض له ذلك، وحضر صحبة الحاج إلى مكة المشرفة، وأقام بها مدة حتى يتكامل حصول آلات العمارة، فتوفي بها ليلة سابع عشر صفر عام أحد وثمانين وثمانمائة بعد شكوى خفيفة.

ثم وردت المراسيم الشريفة بتفويض أمر العمارة للجناب الشمسي بن الزمن وكان بجدة المعمورة فورد المدينة الشريفة صحبة شاد جدة في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين، وأحضر معه جماعة من أرباب الصنائع، وأقام لينظر في أمر العمارة بنفسه، فكان ما تقدم من إصلاح السقف الأعلى وعمارة غيره من السّقف المتقدم ذكرها، وإحكام القبة الزرقاء المحاذية للحجرة الشريفة بسقف المسجد، وإصلاح حلية الصندوق الكائن بأصل الأسطوان التي في جهة الرأس الشريف والقائم المجدد فوقه.." (١)

"قف بالديار لحي في ذرى الحرم ... وحيّ هذا المحيّا من ذوي إضم

وكان الفراغ من ذلك وختم بناء الجدار الظاهر في يوم الخميس المبارك سابع شوال من السنة المذكورة، وأصرفوا في ذلك وفي غيره من عمارات المسجد وإعادة منارة مسجد قباء وتجديد بعض سقفه وإحكام مصرف المياه التي كانت تجتمع حول المسجد عند كثرة الأمطار مالا جزيلا، ومن أعظم ذلك نفعا ما جعل لمصرف المياه المذكورة كما سيأتي وصفه فقد عم نفعه، وذلك كله في الصحائف الشريفة السلطانية الأشرفية، أعز الله أنصارها، وأعلى في سلوك العدل منارها، على يد متولي العمارة الجناب الشمسي المتقدم ذكره ضاعف الله تعالى حسناته.

وهذا تصوير ما استقر عليه الأمر من هذه العمارة في صورة الحجرة المشرفة والقبور الشريفة بها:

ثم حدث بعد الحريق الثاني عند إنشاء القبة الثانية التي جعلوها بدلا عن القبة الزرقاء المتقدم ذكرها تأسيس دعامة وعقد في جهة المغرب عند مقام جبريل عليه السلام متصل بجدار الحجرة الظاهر من أعلاه وأسطوان وعقد في مقابلة ذلك في المشرق متصل بالجدار الظاهر أيضا في جهة المغرب.." (٢)

"وحديث ابن عمر رواه البزار وابن خزيمة في صحيحه، وروى أحمد عن أبي أمامة أنه صلّى الله عليه وسلّم قال: «البصاق في المسجد سيئة، ودفنه حسنة» . ورواه ابن شبة بمعناه.

وروى أيضا عن أبي هريرة قال: «إن المسجد لينزوى من النخامة كما ينزوي الجلد من النار» ولهذا جزم النووي في التحقيق وشرح المهذب بتحريمه. ووقع في عبارة بعض أصحابنا التعبير بالكراهة، وحملها بعضهم على كراهة التحريم، وقال بعض العلماء: إنما يكون البزاق في المسجد خطيئة لمن لم يدفنه لأنه يقذر المسجد ويتأذى به.

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٦٤/٢

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٧٤/٢

قال القرطبي: ويدل على صحة هذا التأويل حديث أبي ذر الذي رواه مسلم وغيره:

«ووجدت في مساوي أعمالها– أي: الأمة– النخامة تكون في المسجد لا تدفن» فلم يثبت لها حكم السيئة بمجرد إيقاعها في المسجد، بل بذلك وببقائها غير مدفونة.

قلت: الرواية الأولى بينت أن الفعل خطيئة، وأن الدفن يكفرها كما يكفر الجلد معصية الزنى، فلتحمل الرواية الآخرى عليها؛ لأن الإخبار فيها عما **استقر عليه** الأمر، لكن روى ابن شبة من طريق الفرج بن فضالة عن أبي سعيد قال: رأيت واثلة بن الأسقع دخل مسجد دمشق فصلى فيه، فبزق تحت رجله اليسرى ثم عركها، فلما انصرفت قلت له: أنت صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تبزق في المسجد؟ فقال: هكذا رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم صنع.

ورواه أبو داود من الطريق المذكورة بنحوه، وفرج بن فضالة ضعّفه الدارقطني وغيره، وقواه أحمد، واقتصر الحافظ ابن حجر في التقريب على تضعيفه.

وروى ابن شبة أيضا بإسناد فيه ضعف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من دخل مسجدي هذا فبزق أو تنخم فليحفر فليبعد وليدفنه، فإن لم يفعل فليبزق في ثوبه حتى يخرج به» وهذا لو صح كان حجة لهذا المذهب.

فإن قيل: يعضده حديث البخاري عن أنس أن النبي صلّى الله عليه وسلّم «رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدمه، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا؟

وكذا ما رواه ابن شبة بإسناد جيد عن أبي نضرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم «رأى نخامة في قبلة المسجد، فغضب غضبا شديدا حتى كاد يدعو على صاحبها، ثم قال: لا يبزق أحدكم في قبلته؛ فإن ربه مستقبلة، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا، ولكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى، فإن كان على يساره أحد فليبزق في ثوبه» وفي رواية: «فإن اكن عن يساره أحد يكره أن يبزق نحوه فليبزق في ثوبه، وبزق النبي صلّى الله عليه وسلّم في ثوبه وحكّ بعضه ببعض» فاقتضى ذلك جواز البصاق في المسجد فيما عدا القبلة واليمين حالة الصلاة، وهو مقيد بالدفن لما سبق.." (١)

"سقفه أحد وعشرون ذراعا، فيكون سمك السقف والحائط الذي عليه الشراريف حول صحن المسجد أربعة أذرع، والذي بين أرض مقدم المسجد وسقفه بعد خفض أرضه عقب الحريق الثاني اثنان وعشرون ذراعا، وتقدم في زيادة عمر رضي الله عنه ما يقتضي أنه كان بينهما في زمانه أحد عشر ذراعا، ولم أقف على ذكر ما جعله عثمان رضي الله تعالى عنه بينهما، وذرع ما بين الأرض المحيطة بالمسجد من خارجه وأعلى سترة جداره من جهة المغرب ثمانية وعشرون ذراعا؛ فهذا سمك المسجد من خارجه، والله أعلم.

وقد تقدم ذكر منابر المسجد وذرعها في زيادة الوليد.

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٩٢/٢

الفصل الثاني والثلاثون في أبواب المسجد وما سد منها، وما بقي، وما يحاذيها من الدور قديما وحديثا

أبواب المسجد

تقدم أن النبي صلّى الله عليه وسلّم جعل للمسجد الشريف ثلاثة أبواب: بابا في مؤخره، والباب الذي يدعى باب عاتكة ويقال له باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو باب آل عثمان.

وقد اقتضى كلام المؤرخين أن هذين البابين لم يحولا عن مكانهما، بل لما زيد في المسجد من جهتهما جعلا في محاذاة محلهما الأول.

وقد قدمنا في زيادة عمر رضي الله عنه أنه جعل الأبواب ستة: بابين عن يمين القبلة، وبابين عن يسارها، وبابين خلف القبلة، وأنه لم يغير باب عاتكة ولا باب عثمان، بل زاد في جهة باب عاتكة الباب الذي عند دار مروان وهو باب السلام، وزاد بعد باب عثمان الباب المعروف بباب النساء، فهذان البابان هما المزيدان في المغرب والمشرق.

وسبق أيضا أن عثمان رضي الله تعالى عنه أقر هذه الأبواب على حالها، ولم يزد فيها شيئا.

ولم يذكر ابن زبالة ولا يحيى ولا رزين ما زاده الوليد من الأبواب، ولا ما زاده المهدي حين زاد في المسجد، إلا أن ابن النجار قال: وأما أبواب المسجد فكانت بعد زيادة المهدي فيه، وذكر تسعة عشر بابا غير باب خوخة أبي بكر رضي الله عنه، كما سيأتي، وبين أماكنها كما سنشير إليه.

وقال المطري وتبعه المراغي والمجد: لما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد ووسعه جعل له عشرين بابا، وذكر الأبواب المذكورة بعينها مع الخوخة المذكورة، وهذا وهم؛ لأن المنقول في هذه الأبواب أنها إنما كانت في زيادة المهدي، وهي التي استقر عليها الحال في أمر." (١)

"المسجد، وأيضا فما سيأتي في وصف الأبواب التي في جهة الشام وما يليها من جهة المشرق والمغرب لا يتصور أن يكون في زمن الوليد؛ لما تقدم من أن المهدي هو الذي زاد ذلك، والمطري موافق عليه، فكيف يذكر وصف تلك الأبواب فيما نسبه للوليد، وسيأتي أيضا أن أحد هذه الأبواب- وهو باب زياد- إنما فتحه زياد في ولاية أبي العباس المنصور.

والحاصل من كلام من كان قبل المطري من المؤرخين أن الذي استقر عليه أمر المسجد بعد انتهاء زياداته كانت شارعة في رحبة دار القضاء ولا ينافي ذلك قول ابن زبالة. وفي المسجد- يعني في زمنه- أربعة وعشرون بابا لأنه قال في تفصيلها: منها ثمانية من ناحية المشرق، ومما يلي القبلة: باب يدخل منه الأمراء من ناحية باب مروان إلى المقصورة، وعن يسار القبلة الباب الذي تدخل منه المقصورة من موضع الجنائز، وعن يمين القبلة باب بحذائه سواء في الطرف الآخر أي في مقابلته يدعى باب زيت القناديل، ذكروا أن مروان عمله، وخوخة آل عمر تحت المقصورة، ومما يلي المغرب ثمانية أبواب منها الخوخة التي تقابل يمين خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومما يلي الشام أربعة، انتهى كلام ابن زبالة؛ فغيره لم يعد الباب الذي كان في القبلة شارعا في دار مروان؛ لأنه باب دار، وكذا خوخة آل عمر؛ لأنها للدار لا للمسجد، وكذا باب زيت القناديل؛ لأنه باب خزانة للمسجد لا يدخل منه عامة الناس، وكان موضعه عند زاوية الجدار الغربية مما يلي القبلة وجدوه عند عمارة

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٢١٢

المنارة التي بباب السلام وسد بجدارها.

وأما الباب الذي ذكره عن يسار القبلة فيؤخذ من كلامه أنه كان في المشرق مقابلا لباب زيت القناديل وأنه خاص بالمقصورة، ولو كان بابا عاما لعده في الأبواب التي في جهة المشرق، وقد ظهر هذا الباب عند هدم المنارة الشرقية بعد الحريق الذي أدركناه، وهو باب صغير وجد مسدودا عند زاوية جدار المسجد الشرقية، وكأن الدخول كان منه إلى الخزانة التي تحت المنارة الشرقية اليمانية ثم منها إلى المقصورة، ولهذا لما بسط ابن زبالة الكلام على أبواب المسجد في موضع آخر لم يذكر هذه الأبواب الأربعة، بل اقتصر على العشرين.

فلنذكر ما ذكره وغيره فيها وما زاده المطري في بيانها مما يعرف بمحلها ثم نفرد خوخة آل عمر بالكلام عليها، فنقول:

باب النبي صلّى الله عليه وسلّم

الأول: وهو مبتدأ أبواب جهة المشرق مما يلي القبلة، باب النبي صلّى الله عليه وسلّم، سمي بذلك لكونه في مقابلة حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها التي بها قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم، لا لكونه دخل منه؛ إذ لا وجود له في زمنه صلّى الله عليه وسلّم، وقد سد عند تجديد الحائط الشرقي، وجعل مكانه شباك." [١]

"بالحجرة الشريفة والمسجد وسقفهما، وما أعيد من ذلك، وما تجدد من توسعة المسقف القبلي بزيادة الرواقين فيه، وغير ذلك ١٥٠

سبب الحريق وتاريخه ١٥٠

حكمة الله في الحريق ١٥١

الشروع في العمارة بعد الحريق ١٥٢

الفصل السابع والعشرون في اتخاذ القبة الزرقاء التي جعلت على ما يحاذي سقف الحجرة الشريفة بأعلى سقف المسجد، تمييزا لها، وإبدالها بالقبة الخضراء والمقصورة الدائرة بالحجرة الشريفة ١٥٧

القبة الزرقاء ١٥٧

المقصورة الدائرة على الحجرة ١٥٩

الفصل الثامن والعشرون فيما تجدد من عمارة الحجرة الشريفة في زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، وما حصل بسببه من إزالة هدم الحريق الأول من ذلك المحل الشريف، ومشاهدة وضعه المنيف، وتصوير ما **استقر عليه** أمر الحجرة في هذه العمارة ١٦٤

الفصل التاسع والعشرون في الحريق الحادث في زماننا بعد العمارة السابقة وما ترتب عليه ١٧٥

خاتمة فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد لخندق حول الحجرة الشريفة مملوء بالرصاص، وذكر السبب في ذلك، وما ناسبه ١٨٥

---

[١] وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٢١٣

الفصل الثلاثون في تحصيب المسجد الشريف وذكر البزاق فيه، وتخليقه، وإجماره، وذكر شيء من أحكامه ١٩٠
أول تحصيب المسجد النبوي ١٩٠
حكم البزاق في المسجد ١٩١
مبدأ تخليق المسجد ١٩٣
تخليق القبر ١٩٥
تجمير المساجد ١٩٥
فرش المساجد ١٩٦
الحدث في المسجد ١٩٨
القراءة في المصحف بالمسجد ١٩٨
بعث المصاحف إلى بالمسجد ١٩٩
مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق ٢٠٠." (١)

"فاضجة:

بكسر الضاد المعجمة وفتح الجيم، مال بالعالية معروف اليوم بناحية جفاف، كان به أطم لبني النضير عامة، وفاضجة أيضا: واد من شعبي إلى ضرية، قاله الهجري، وفاضجة: انفضاج أي انفراج من الأرض بين جبلين أو جبال.

فاضح:

بكسر الضاد ثم حاء مهملة، جبل قرب ريم، وواد في الشريف من بلاد بني العير.

فج الروحاء:

بالفتح ثم الجيم، بعد السيالة، مرّ به النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة.

فحلان بلفظ تثنية الفحل، موضع بجبل أحد، وفي القاموس فحلان- بالكسر- موضع في أحد.

الفحلتان:

قنتان مرتفعتان على يوم من المدينة، بينها وبين ذي المروة عند صحراء يقال لها: فيفاء الفحلين، لها ذكر في مساجد تبوك، وغزاة زيد بن حارثة لبني جذام.

فدك:

بالفتح وإهمال الدال ثم كاف، تقدمت في الصدقات، قال عياض: هي على يومين- وقيل: ثلاثة- من المدينة، واقتصر المجد

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٢٧٧

على الأول، واستغرب عدم معرفة أهل المدينة لها اليوم، وكنت أيضا أستغربه لشهرتها وقربها، حتى رأيت كلام ابن سعد في سرية علي رضي الله تعالى عنه إلى بني سعد بن بكر بفدك، فنقل أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فبعث إليهم عليا رضي الله تعالى عنه في مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى العجم وهو ما بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال، فوجد به رجلا، فسألوه عن القوم، فقال: أخبركم على أن تؤمنوني، فأمنوه، فدلّهم، فأغاروا عليهم، وأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن، انتهى.

وسبق قول الأصمعي: حرة النار فدك، انتهى.

وكان أهلها يهود، فلما فتحت خيبر طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يتركوا له البلد، فكانت له خاصة، لأنها مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وفي رواية: أنهم صالحوه على النصف، وأن عمر رضي الله تعالى عنه لما أجلاهم بعث من قوّمها وعوّضهم من نصفها، ويجمع بأن الصلح وقع عليها كلها واستعملهم النبي صلى الله عليه وسلم فيها بشطر ثمارها كخيبر، فمن روى الصلح على الشطر نظر لما **استقر عليه** الأمر في الثمار.

قيل: وسميت بفدك بن حام؛ لأنه أول من نزلها.

الفراء:

بالراء والمد كالغرب، وجاء في الشعر مقصورا، جبل غربي عير الوارد، بينهما ثنية الشريد، وسبق شاهده، وفي القاموس: ذو الفراء موضع عند عقيق المدينة.." (١)

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٢٦/٤